

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ محمد صفوت نور الدين

الشيخ محمد إسماعيل المقدم — الشيخ عائض القرني

الشيخ محمد عبد المقصود — الشيخ أبو إسحاق الحويني

المجلد السابع

مؤسسة الرسالة



الفصل الأول

عُلُوُّ هِمَّةِ

الشَّبابِ

شبابٌ ذَلَّلُوا سُبُلَ المعالي   وما عرفوا سوى الإسلام دِينا
إذا شهدُوا الوَغَىٰ كانوا كُمَاةً   يَدُكُّونَ المعاقِل والحُصُونـا
وإن جنَّ المساءُ فلا تراهمْ   مِنَ الإشفاقِ إلا ساجِدينا

[هاشم الرِّفاعي]



□ عُلُوُّ هِمَّة الشَّباب □

قال رسول الله ﷺ : «لا تزول قَدَما ابن آدم يومَ القيامة من عند ربِّه ، حتى يُسأل عن خمسٍ : عن عُمرِه فِيمَ أفناه ، وعن شبابه فيمَ أبلاه ، وعن مالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ وفيم أنْفَقَه ، وماذا عملَ فيما علمَ »[1] .

ولله درُّ حفصة بنت سيرين حين قالت : يا معشر الشباب، اعملوا فإني رأيتُ العمل في الشباب .

والحقُّ أنّ أمجادَ المتفوقين، وأشواط الصاعدين، إنما تَسْتَمِدُّ حركتها وبركتها من جهودهم أيام الشباب، واستغلالهم عُرَامَهُ وإقدامَهُ في السَّبْق والانطلاق. والشباب أخْصَبُ مراحل العمر ، وأجْدَرُها بحُسْن الإفادة وعِظَم الإجادة ، ومِنْ ثَمَّ كان على المرء أن يُقدِّم حسابًا عن حياته كلها ، وحسابًا خاصًّا عن طور الشباب وحده على أن الشباب وإن اكْتَنَفَتْه من طرفيْه المُتباعديْن : الطفولةُ والشيخوخة ، إلَّا أنه يصعُب وضْع حدود زمنيَّة لعهده السعيد !! فهناك رجالٌ تظلُّ وَقْدَةُ الشباب حارَّة في دمهم وإن أنافوا على الستين لا تنطفئ لهم بشاشة، ولا يكبو لهم أمل، ولا تفتُر لهم هِمَّة ، وهناك شباب يحبُون حَبْوًا على أوائل الطريق ؛ لا ترى في عيونهم بريقًا ، ولا في خطْوهم عزمًا ، شاختْ أفئدتُهم في مقتبل العمر ، وعاشوا في ربيع الحياة ، لا زَهْر ولا ثَمَر !!

ومن الأخطاء تصوُّر الشباب قُدرة جسد وفناء غريزة ، إن الشباب تَوَثُّبُ رُوحٍ واستنارةُ فِكرٍ ، وطَفْرَةُ أملٍ وصلابةُ عزيمةٍ . فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحْفَلُ أطوار العمر بالمشاعر الحارَّة والعواطف الفائرة ، لكنَّها ليست عهد

---

(١) حسن : رواه الترمذي عن ابن مسعود ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٢٩٩) .

العافية المكتملة في البدن الناضج فقط ، بل إنها كذلك عَهْد النَّزعَات النفسيَّة الجيَّاشة ، يمدُّها الخيال الخصْب والرجاءُ البعيد . والأُمَم تستغلُّ في شُبَّانها هذه القوى المذخورة ، وتُجنِّدها في ميادين الحرب والسلم ، لتُذَلِّل بها الصعب وتُقرِّب البعيد .

ونجاح الأمم يرجع إلى مقدار عُلُوّ هِمَم شبابها ، وإلى مقدار آمالهم وأعمالهم . ولله درُّ فتيةٍ من شباب الإسلام في ميادين البطولة صَلَوْا حَرَّها ، وحملوا عبئها ، واندفعوا بحماستهم الملتهبة وإقدامهم الرائع ، يخطُّون مصارع الأعداء ، ويرسمون لأُمَّتهم صُوَر التضحية والفداء .

ولله درُّ هاشم الرفاعي حين يقول :

مَلَكْنا هذه الدنيا القُرونا ... وأخضعَها جُدُودٌ خالدونا
وسَطَّرْنا صحائف مِن ضياءٍ ... فما نَسِيَ الزمانُ ولا نَسِينَا
بَنَيْنا حِقبَةً في الأرضِ مُلْكًا ... يُدَعِّمُهُ شبابٌ طامحونا
شبابٌ ذَلَّلوا سُبُل المعالي ... وما عرفوا سوى الإسلام دينًا
تَعَهَّدَهُمْ فأنْبَتَهُم نَباتًا ... كريمًا طابَ في الدنيا غُصُونا
إذا شَهِدوا الوَغَى كانوا كُماةً ... يَدُكُّون المعاقلَ والحُصُونا
شبابٌ لم تُحطِّمْهُ اللَّيالي ... ولم يُسْلِمْ إلى الخَصْمِ العَرينا
وإن جَنَّ المساءُ فلا تراهم ... من الإشفاقِ إلَّا ساجدينا
كذلك أخْرَجَ الإسْلامُ قومي ... شبابًا مُخلِصًا حُرًّا أمينا
وعلَّمه الكرامة كيف تُبْنَى ... فيأبى أن يُقَيَّدَ أو يهونا
وما فَتِئ الزمانُ يدورُ حتى ... مضَى بالمجدِ قومٌ آخرونا
وأصبح لا يُرى في الرَّكْب قومي ... وقد عاشوا أئمَّتَهُ سِنِينا
وآلمني وآلم كُلَّ حُرٍّ ... سؤال الدهر أين المسلمونا
تُرى هل يَرجعُ الماضي فإني ... أذوبُ لذلك الماضي حنينا
دَعُوني من أمانٍ كاذباتٍ ... فلم أجدِ المُنَى إلَّا ظُنُونا

وهاتوا لي من الإيمان نورًا ... وقَوُّوا بين جَنْبَيَّ اليقينا
أَمُدُّ يَدِي فأنتزعُ الرَّواسي ... وأبني المجدَ مُؤْتَلِفًا مَكِينَا

قال الشيخ مصطفى صادق الرافعي في « وحي القلم » (٢/٢٣٠ - ٢٣٩) : « يا شباب العرب ، يقولون : إن في شباب العرب شيخوخةَ الهِمَم والعزائم ، فالشُّبَّان يمتدُّون في حياة الأمم وهم ينكمشون . وإن اللهو قد خفَّ بهم حتى ثقُلتْ عليهم حياة الجدِّ ، فأهملوا المُمكِنات فرجعت لهم كالمستحيلات . وإن الهَزْل قد هوَّن عليهم كل صَعْبةٍ فاختصروها ، فإذا هزءُوا بالعدوِّ في كلمةٍ فكأنما هزموه في معركة . وإن الشاب منهم يكون رجُلًا تامًّا ، ورجولةُ جسمه تحتجُّ على طُفولةِ أعماله .

ويقولون : إن الأمر العظيم عند شباب العرب : أَلَّا يحملوا أبدًا تَبِعَةَ أمرٍ عظيم . ويَزْعُمُون أنه أبْرَع مُقلِّد للغَرْب في الرذائل خاصَّة، وبهذا جَعَلَه الغرب كالحيوان محصورًا في طعامه وشرابه ولذَّاته .

يا شبابَ العرب : مَنْ غَيْرُكم يجعل النفوس قوانين صارمةً ، تكون المادَّة الأُولى فيها : قَدَرْنا لأنَّنا أَرَدْنا .

الشباب هو القُوَّة ، فالشمس لا تملأ النهار في آخِرِه كما تملؤه في أوَّله . وفي الشباب نوعٌ من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أُخت كلمة النوم . وللشباب طبيعةٌ أوَّلُ إِدْراكِها الثقةُ بالبقاء، فأوَّل صفاتها الإصرارُ على العزم . وفي الشباب تصنع كُلُّ شجرةٍ من أشجار الحياة أثمارها ؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلُّها إلَّا خشبًا .

يا شباب العرب ، اجْعَلُوا رسالتَكُم : إمَّا أن يَحْيَا الشرق عزيزًا ، وإمَّا أن تموتوا . يا شباب العرب ، لم يكن العسير يَعْسُر على أسلافكم الأوَّلِين ، كأنَّ في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها . أتُريدون معرفة السِّرِّ ؟ السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق ، فصاروا عملًا من أعمال الخالق . غلبُوا على الدنيا لَمَّا غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضي ،

وعلَّمهم الدِّين كيف يعيشون باللذَّات السَّماويَّة ، التي وضعتْ في كلِّ قلبٍ عظمته وكبرياءه . واخترعهم الإيمان اختراعًا نفسيًّا ، عَلَامتُهُ المُسَجَّلَة على كلٍّ منهم هذه الكلمة : (لا يَذِلّ) .

حين يكون الفقرُ قلَّة المال ، يَفتقِر أكثر الناس ، وتَنْخذِل القوة الإنسانية وتهلك المواهب . ولكن حين يكون فقرَ العملِ الطَّيِّب ، يستطيع كلُّ إنسانٍ أن يَغْتَنِيَ ، وتنبعث القوة ، وتعمل كلُّ موهبةٍ . وحين يكون الخوف من نقص الحياة وآلامها ، تُفسِّر كلمةُ الخوف مائة رذيلةٍ غير الخوف . ولكن حين يكونُ من نقص الحياة الآخرة وعذابها ، تصبح الكلمةُ قانون الفضائل أجْمَع .
هكذا اخترع الدِّين إنسانَهُ الكبير النَّفْس ، الذي لا يُقال فيه : انهزمت نَفْسُهُ .

يا شباب العرب، كانت حكمة العرب التي يعملون عليها: اطلب الموتَ تُوهب لك الحياةُ . والنفس إذا لم تخشَ الموت ، كانت غريزةُ الكفاح – أوَّل غرائزها – تعمل.وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلَّها نصرًا ، إذْ لا تكون الفكرة معها إلَّا فكرة مُقاتِلة . غريزة الكفاح يا شباب ، هي التي جعلتِ الأسد لا يُسَمَّن كما تُسمَّن الشاةُ للذَّبْح . وإذا انكسرت يومًا فالحَجَر الصَّلْد إذا تَرَضْرَضَتْ منه قطعةٌ، كانت دليلًا يكشف للعين أن جميعَهُ حجرٌ صلْد .

فالقوَّة القوةَ يا شباب، القوة التي تقتُل أوَّل ما تقتُل فكرة الترف والتَّخنُّث، القوة الفاضلة المُتسامِية التي تصنع للأنصار في كلمة « نعم » معنى نعم ، القوة الصارمة النفَّاذة التي تصنع للأعداء في كلمة « لا » معنى لا .

يا شباب العرب ، اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزًا ، وإمَّا أن تموتوا ، إمَّا أن يحيا الإسلام عزيزًا ، وإما أن تموتوا .

آهِ لو عَلِم الشباب أن رُوح هذا الدين ليستْ: اعْتَقِدْ ولا تَعْتَقِد، ولكن افْعَلْ ولا تَفْعَل . لو أيقنَ الشبابُ أن فرائض هذا الدين ، ليست إلَّا وسائل عملية لامتلاء النَّفْس بمعاني التقديس ، لو فَهِم الشبابُ أنْ ليس في الكون إلَّا هذه

المعاني ، تجعل النَّفْس فوق المادَّة ، وفوق الخوف ، وفوق الذُّلّ ، وفوق الموت نفسه » .

فلا وألف لا للشباب الذي يجعلُ الشبابَ موقفَ بلادةٍ ، فلا يخطو إلى الرجولة ، فيبقى خوّارًا لا يستطيع أن يحمل أثقالًا مع أثقاله ، ويَسْتَوْطِئ العَجْز والخُمُول ، فلا يكون إلَّا قاعِدَ الهِمَّة ، رخْو العزيمة ، ضُجَعَةً لا يَمْشي ، نُوَمَةً لا يَنْتَهِض ، مستريحًا لا يعمل . وما ذهابُ الحارسِ عن مكانٍ إلَّا دعوة للصوص إليه .

من فُسُولَةِ طبْع هذا الشباب ولؤمه ودناءته ، أن يهرب من ميدانه . ومن سُقُوط نَفْسه ، أن يرضى ذُلَّ دينه ووطنه .

إن الجمل إذا اسْتَنْوقَ تخنَّث ولان وخضع ، ولكنَّه يَحْمِل . وهؤلاء إذا استنوقوا تخنَّثوا ولانوا وخضعوا ، وأَبَوْا أن يَحْملوا .

هذا الجمل الذي اسْتَنوَق : هذا الشباب المُخنَّث هو شباب كرة القدم :

أمضي الجسور إلى العُلا	بزماننا كرة القدمْ
تحتلُّ صَدْرَ حياتنا	وحديثُها في كلِّ فَمْ
وهي الطريقُ لمَنْ يريـ	ـد خميلةً فوقَ القِمَمْ
أرأيتَ أشهرَ عنْدَنا	من لَاعِبِي كرةِ القدمْ ؟
أهُمُ أشدُّ توهُّجًا	أم نارُ بَرْقٍ في عَلَمْ ؟
لهمُ الجبايةُ والعطا	ءُ بلا حدودٍ والكرمْ
لهمُ المزايا والهبا	تُ وما تجودُ به الهِمَمْ

كرة القدم

النَّاسُ تسهرُ عندها	مبهورةً حتى الصباحْ
وإذا دعا داعي الجِها	دِ وقال حَيَّ على الفلاحْ
غطَّ الجميعُ بنومهم	فوزُ الفريقِ هو الفلاحْ

فوزُ الفريق هو السّبيـ ـلُ إلى الحضارةِ والصَّلاحْ

كـرة القـدم

صارتْ أجلَّ أُمورِنـا وحَياتِنا هـذا الزَّمَـنْ

ما عاد يَشْغلُنا سوا ها في الخَفاءِ وفي العَلَنْ

أكلتْ عقولَ شبابنـا ويهودُ تجتاحُ المُدُنْ

واللّاعِبُ المِقْدامُ تَصْـ ـنَعُ رِجْلُهُ مجدَ الوطنْ

عَجبًا لآلافِ الشبـا ب وإنَّهم أهْلُ الشَّمَمْ

صُرِفوا إلى الكرة الحَقيـ ـرةِ فاسْتُبيح لهم غَنَمْ

دَخَلَ العدوُّ بلادَهـم وضجيجُها زَرَعَ الصَّمَمْ

أيُسَجِّـلُ التـاريخُ أنَّـ ـــا أُمَّـــةٌ مُسْتَهْتِـرَهْ

شَهِدَتْ سُقوطَ بلادِها وعيونُها فوقَ الكُرَهْ[1]

وسيَذْكُر التاريخ بأحرفٍ من نور عُلاة الهِمَم من الشباب الذين غيروا مجرى التاريخ .

أسامة بن زَيْد : الحِبُّ بن الحِبّ رضي الله عنهما :

إذا القومُ قالوا مَنْ فتَى خِلْتُ أنَّني عُنِيتُ فلم أكْسَلْ و لم أتَبَلَّدِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على قومٍ ، فطعنوا في إمارته ، فقال : « إن تَطْعَنُوا في إمارتِهِ فقد طَعَنْتم في إمارةِ أبيهِ مِن قَبْلِهِ ، وأيْمُ الله لقد كان خليقًا للإمارة ، وإن كان مِنْ أحبِّ الناسِ إليَّ ، وإن هذا لَمِنْ أحبِّ الناسِ إليَّ بَعْدَهُ »[2] .

---

(١) قصيدة « كرة القدم » ، من ديوان « صور من بلادي » ، للدكتور وليد قصاب صـ ١٠١ - ١٠٤ . مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وأحمد في فضائل الصحابة ، وابن سعد في الطبقات .

وعن أسامة بن زيد ، حدَّث عن النبي ﷺ أنَّه كان يأخُذه والحَسَنَ فيقول : « اللَّهُمَّ أحِبَّهُما فإني أُحِبُّهما »(١) .

وعن عائشة قالت : عَثَرَ أسامةُ بعَتَبَةِ الباب ، فشُجَّ في وجهه ، فقال لي رسول الله ﷺ « أميطِي عنه الأذى » ، فَقَذِرْتُهُ ، فجَعَلَ يَمُصُّ الدمَ ويَمُجُّه عن وجهه، ويقول: «لو كان أسامةُ جاريةً؛ لَكَسَوْتُهُ وحَلَّيْتُهُ حتى أُنَفِّقَهُ»(٢) .

وعن عائشة أُمِّ المؤمنين قالت : أراد النبي ﷺ أن يُنَحِّي مخاطَ أسامة . قالت عائشةُ: دعني حتى أكون أنا الذي أفْعَلُ. قال: «يا عائشة، أحِبِّيهِ فإني أُحِبُّهُ »(٣) .

وعن أسامة بن زيد قال : لَمَّا ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ ، هبطتُ وهبطَ الناسُ معي إلى المدينة ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ قدْ أصْمَتَ فلا يَتكلَّم ، فجعل يَرفعُ يَدَيْهِ إلى السماء ثم يَصُبُّها عليَّ ، أعْرِفُ أنَّه يدعو لي(٤) .

وفي حديث المخزوميَّة التي سرقتْ : أنَّ قريشًا أهمَّتْهم المرأة المخزومية فقالوا : مَنْ يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ ، ومَنْ يَجترِئ عليه إلَّا أسامة حِبّ رسول الله ﷺ . فقد كانوا يُسمُّون أسامة (الحِبّ ابن الحِبّ) . ودخلَ رسولُ الله ﷺ مكة يوم الفتح وقد أرْدَفَ أسامة خلفه . وكان عمر رضي الله عنه يُفضِّله في العطاء على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وكان رضي الله عنه على حداثة سِنِّه، مؤمنًا صُلبًا، ومُسلمًا قويًّا ، يحمل كلَّ تَبِعاتِ إيمانه ودينه ، في ولاءٍ مكينٍ ، وعزيمةٍ قاهرةٍ جعلتْه قريبًا من

---

(١) رواه البخاري ، والنسائي في الفضائل ، وابن سعد في الطبقات .

(٢) صحيح لغيره : رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن ماجه ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وابن سعد في الطبقات .

(٣) حسن : رواه الترمذي .

(٤) حسن : رواه أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة ، والترمذي ، والطبراني في الكبير .

قلب رسول الله ﷺ ، وكبيرًا في عَيْنَيْهِ .

وفي سِنٍّ مبكرةٍ ، لم تُجاوِز العشرين ، أمَّر الرسول ﷺ أسامةَ بن زيد على جيشٍ ، بين أفراده وجنوده أبو بكر وعمر !! وسَرَتْ همهمةٌ بين نفر من المسلمين تَعَاظَمَهُم الأمر ، واستكثروا على الفتى الشاب إمارةَ جيشٍ فيه شيوخُ الأنصارِ وكبارُ المُهاجرين، فقال رسول الله ﷺ بالحديث الذي ذكرْناه في أول الترجمة: « إن تطعنوا في إمارته ... » .

« بعثَ رسولُ الله ﷺ أسامة على جيش المسلمين إلى حيث قُتل أبوه وأصحابُه ، وأمَرَهُ أن يُغير على « أُبْنَى » بالسّراة ناحية البلقاء ، وقيل : إلى آبل الزيت بنفس الجهة ، وعَقَدَ له لواء في آخِر يوم من صفر سنة ١١ هـ ، ولكنْ مَرِض الرسول ﷺ مَرَضَهُ الذي قَبَضَهُ الله إليه فيه ، فتأخَّر خروجُ الجيش حتى هلال ربيع الآخِر سنة ١١ هـ . وسار أسامةُ بجيشه ثلاثة آلاف يُسرع السيْر على طريق ذي المروة ووادي القرى، في اتجاه «أُبْنى» و «آبل الزيت» من نواحي مُؤْتَة ، حتى إذا توسَّط مواطن قُضاعة توقَّف يسيرًا، وبعث فرسانَهُ لينهضوا الثابتين منهم على إسلامهم، ويُعينوهم على مَنِ ارتدَّ، وهربَ المُرتدُّون إلى مكانٍ بعيد .. إلى « دومة الجندل » ، فاجتمعوا بها حول وديعة الكلبي ، لم تكن دومة الجندل من أهداف جيش أسامة ، ولا على طريقه ، فما إنْ عادت إليه خيولُهُ ، حتى مضى بجيشه إلى « الحمقتين » فأغار عليها ، وكان بها بنو الضُّبَيْب من جذام ، وبنو خيليل [أو : حيليل ، أو حليل] من لخم ، فهَزَمَ مَنْ هناك حتى « آبل » في إغارةٍ شديدةٍ سريعةٍ ، وسَبَى وحرقَ بالنار منازلهم وحَرْثَهم ونَخْلهم ، حتى صارتْ أعاصير من الدُّخان ، وأجَالَ الخيل في نواحيهم ، وقضى يومَهُ في تعبئة ما أصابوا من غنائم ، ثم لم يقُم وإنما كرَّ راجعًا من مساء يومه ، حتى قَدِمَ وادي القرى في تسع ليالٍ ، ثم قدم المدينة سالمًا غانمًا وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يومًا ، وقيل : غاب شهرين وأيامًا ، وعاد الجيش بلا ضحايا .. وقال عنه المسلمون يومئذٍ : « ما رأَيْنا جيشًا أسْلَمَ

من جيش أسامة »[١] . وكان هرقل بحمص حين بَلَغَهُ ما صنعَ أسامة بعملائه من العرب النازلين بأطراف إمبراطوريته ، فدعا بطارقتَهُ وقال لهم : « هذا الذي حذَّرْتُكم فأَبَيْتم أن تقبلوه منّي ، قد صارت العرب تأتي من مسيرةِ شهرٍ فتُغِير عليكم ، ثم تخرج من ساعتها ولم تُكْلَم »[٢] . أي تُجرح .

وأيقنَ هرقل أن المسلمين لن يكفُّوا حتى ينتزعوا الشام من يده.لقد حقق جيش أسامة هدفًا جليلَ الأثر ، وضرورة حربيةً كان يلزم المسلمين القيام بها وهو إجلاء مُرْتَدّي قُضاعة عن طريق الشام ، فلو أنهم بَقُوا في مواطنهم لَازْدادَ الخطر على المدينة بصورةٍ مخيفة ، فلو تحالفوا مع مرتدّي عبس وذبيان لَسَاءَ مركز المدينة أيّما سوء ، فكان مُضيّ أسامة نحو « البلقاء » من حدود الشام ، له أكبرُ الأثر في تخويف بطون قضاعة المرتدَّة ، ومَنعها من أن تُفكّر في الزحْف جنوبًا ، فإنهم لو فعلوا لكان جيش أسامة خطرًا داهمًا خلف ظهورهم، يعود إليهم في أي وقت ، ولذلك كان ردُّ فِعْلِهم أنهم اختاروا الفرار إلى بعيد .. إلى دومة الجندل . لقد كان بَعْث أسامة حَلْقة تربط بين العمليات الحربية في عصر النبوة ، وبين عمليات القضاء على الرِّدَّة في عهد أبي بكر ، بل وأبْعَد من ذلك كان حلْقةً تربط هذا وذاك بما تلا من عمليّاتٍ استهدفتْ فتح الشام .

عليّ بن أبي طالب : مثالٌ لعلوّ الهمَّة ، وقتْله لصناديد قريش وهو شابٌّ :

فقد قَتَل حيدرةُ الأبطال أميرُ المؤمنين عليٌّ - وهو شابٌّ في يوم بدر - شيبة بن ربيعة ، واشترك في قتْل الوليد بن عُتْبة ، وقتل بعدهما في بدر : العاص ابن سعيد، وعامرَ بن عبد الله ، وطعيمة بن عديّ ، وزمعة بن الأسود ، ونوفلَ ابن خويلد ، وعقيل بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، وعمير بن عثمان ، ومسعود بن أُميّة ، وأبا قيس بن الفاكهة ، وحاجب بن السائب ، وعبد الله

---

(١) رجال حول الرسول صـ ٤٤٩ .

(٢) الطريق إلى دمشق ، لأحمد عادل كمال صـ ١٥٥ . دار النفائس .

ابن المنذر ، والعاص بن منبَّه ، وأوس بن معير ، خمسة عشر رجلًا قتلهم حيدرة في يوم بدر .

وفي أُحُدٍ يقتل عليٌّ : أبا أُمَيَّةَ بن أبي حُذيفة ، وعبد الله بن حميد بن زهير . وفي يوم الأحزاب يقتل عليٌّ : عمرَو بن عبد ودّ ؛ فارس قريش في يوم الأحزاب « كبْش الكتيبة » ، وكبَّر المسلمون لقتل كبش الكتيبة .. فللَّه درُّ عليٍّ سيِّد شباب المسلمين يومئذٍ .

الحَسَن والحُسَيْن سيِّدا شبابِ أهل الجنَّة :

عن أبي سعيد الخُدْري قال : قال رسول الله ﷺ : « الحَسَنُ والحُسَيْنُ سيِّدا شبابِ أهْل الجنَّة »[١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « هما ريحانتايَ مِنَ الدُّنيا »[٢] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعتُ النبي ﷺ على المنبر ، والحَسَنُ إلى جنبه ، ينظر إلى الناس مرَّةً وإليه مرّةً ويقول : « ابني هذا سيِّدٌ ، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتيْن من المسلمين »[٣] .

فرضي الله عن الحسن بن عليٍّ ، أشْبَه الناس بالنبي ﷺ ، الذي حقَنَ الله على يديه دماء المسلمين ، وإن جماجم أهل العراق تسير بين يديْه . ورضي الله عن الحسين بن عليٍّ ؛ الآمِر بالمعروف الناهي عن المنكر ، حتى القتل ، نبراسًا لأهل الحقّ ، الثَّابتين على مبادئهم . ما تزيَّنت الأرضُ إلَّا بِمِثْلهما من عُلاة الهِمَم.

---

(١) حسن : أخرجه أحمد ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . والحاكم ، وأبو يعلى ، والنسائي في فضائل الصحابة ، وابن أبي شيبة في المصنف .

(٢) رواه البخاري والترمذي وأحمد ، والنسائي في الخصائص ، والطيالسي وابن أبي شيبة .

(٣) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والطيالسي ، والنسائي في الفضائل ، وأحمد في فضائل الصحابة .

مُعاذ بن جَبَل مقدام العلماء :

عن محمد بن كعب القُرَظي قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ معاذ ابن جبل أمام العلماء رَتْوَة »[(١)] .

عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال : إن مُعاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله . قال : فقال رجلٌ من أشجع ، يُقال له فروة بن نوفل : نَسِيَ ، إنما ذاك إبراهيم . قال : فقال عبدُ الله : مَنْ نَسِيَ ؟! إنَّما كُنَّا نُشَبِّهُهُ بإبراهيم . قال : وسُئل عبد الله عن الأُمَّة، فقال: مُعَلِّم الخير، والقانت: المُطيع لله ورسوله[(٢)] .

وعن مسروق قال : ذُكِر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال : ذاك رجلٌ لا أزال أُحِبُّه بعد ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « اسْتَقرِئُوا القرآن من أربعةٍ : من عبد الله بن مسعود – فبَدَأَ به – وسالم مولى أبي حُذيفة ، وأُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[(٣)]. قال : لا أدري بَدَأَ بأُبَيٍّ أو بُمعاذٍ .

وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ أخَذَ بيد معاذ وقال : « يا معاذ ، والله إنِّي لَأُحِبُّك ، والله إني لَأُحِبُّك ... » .

لله دَرُّه من سيِّد من سادات شباب الصحابة، له أسبقيَّتُهُ، وإيمانُه ويقينُه، على أن آلَق مزاياه وأعظمَ خصائصه ، كان فِقْهه ، وهو أعْلَمُ الأُمَّة بالحلال والحرام كما شَهِدَ له الرسول ﷺ ، ويقول عمر : « لولا معاذ بن جبل لَهَلكَ عمر » . وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ بن جبل ، نظروا إليه هيبةً له ، لله درُّه .... كأنَّما كان يخرج من فمه نورٌ ولؤلؤ . بلغ منزلةً

---

(١) صحيح بمجموع طرقه : أخرجه ابن سعد في الطبقات ، وله شاهد عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم والحاكم .

(٢) موقوف صحيح : أخرجه ابن جرير في التفسير ، وابن سعد في الطبقات ، والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والطيالسي ، والنسائي في الفضائل .

عظيمة في العلم ، وفي إجلال المسلمين له ، أيام الرسول ﷺ وبعد مماته وهو شابٌّ ، فلقد مات معاذ في خلافة عمر ، ولم يُجاوز من العمر ثلاثًا وثلاثين سنةً أو ثمانية وعشرين سنة ، فأيّ علوّ هِمَّةٍ كان عند مقدام العلماء حتى يُحصِّل ما حصَّله في تسع سنوات .

ولله درُّ هذا الرَّبَّانيّ المشتاق إلى ربِّه وهو يُردِّد في السكرات : « اخْنُقْ خَنْقَك ، فوعِزَّتك إنِّي أُحِبُّك ، مرحبًا بالموتِ حبيبٍ جاء على فاقةٍ » .

مُصْعَب بن عُمَيْر الفاتح الأوَّل للمدينة ، والدَّاعية الشهيد :

نبراس الدُّعاة وإمام الفاتحين .. الفتى المُنعَّم الذي صاغَهُ الإسلام على يديه ، تقدَّم حين نادتِ المغارم ، وذهب إلى لقاء ربِّه قبل مجيء الغنائم ، اختاره الله شهيدًا بين يديْ رسول الله ﷺ بعد أن أسلم على يديه: أسيد بن حضيرالذي تنزَّلتِ الملائكةُ لتلاوتِهِ القرآن، وسعد بن معاذ الذي اهتزَّ لموتِهِ عرشُ الرحمن.. إنه مصعب غُرَّة فتيان قريش وأوفاهم بهاءً وجمالًا وشبابًا .. « أعْطَرُ أهْلِ مكَّةَ » حديثُ حِسانِ مكة ولؤلؤةُ نَدَواتِها ومجالِسِها ، وبَعْدَ الإسلام صار أُسطورةً من أساطير الإيمان والفداء ، قصة حياته شرفٌ لبني الإنسان جميعًا .

لاقَى ما لاقى مِن أُمِّه وقد كان فتاها المُدلَّل، هاجر إلى الحبشة. مصعب الذي كانت ثيابه كزهور الحديقة؛ نَضْرَةً وألَقًا وعِطرًا ، يرتدي بعد ذلك المُرقَّع البالي ، خرج من النّعمة الوارِفَة إلى شظف العيش والفاقة ، وأصبح الفتى المُتأنِّق المُعطر لا يُرى إلَّا مُرتديًا أخْشَنَ الثيابِ ، يأكُل يومًا ويجوع أيامًا ، ولكنَّ رُوحَهُ المُتأنِّقة بسموِّ العقيدة، والمُتألِّقة بنور الله، جعلتْ منه إنسانًا يملأ العين إجلالًا، والأنفسَ رَوْعَةً .

اختاره رسول الله ﷺ لأعظم مهمَّةٍ في حينها ؛ أن يكون سفيره إلى المدينة ، يُفقِّه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول ﷺ عند العقبة ، ويفتح المدينة بالقرآن ، ويُعِدُّها ليوم الهجرة العظيم ، وقد كانت هذه السِّفارة أخطر قضايا الساعة ، وأُلقي ين يَدي مصعب بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون

دار الهجرة، وحمل مصعبٌ الشابُّ- مصعبُ الخير- الأمانة، ونجح نجاحًا منقطع النظير ، نجاحًا هو له أهْلٌ ، وبه جديرٌ .

قال البراء : أوَّل مَنْ قَدِم علينا ، مصعبُ بن عمير وابنُ أُمِّ مكتوم ، ثم قَدِم علينا عمَّارُ بن ياسر وبلالٌ ، رضي الله عنهم . رواه البخاري .

في مِثْل هدوء البحر وقوّته ، وتهلُّل ضوء الفجر ووَدَاعَتِه ، انساب نورُ الإيمان على يد مصعبٍ إلى سادات الأنصار : أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .. لله درُّه من شابٍّ يقود ويُسَيِّر جبال الإيمـان ، ويكون في ميزان حسناته الأنصارُ من الأوس والخزرج .

ويشهد مصعب غزوة بدر لينال شرف البدريَّة .. وفي يوم أُحُدٍ كان حامل اللواء ، قال ابن سعد : « حَمَل مصعب بن عمير اللّواء يوم أُحد ، فلمَّا جال المسلمون ثبتَ به مصعب ، فأقبل ابنُ قمئة وهو فارس ، فضربَهُ على يده اليُمنى فقَطَعَها ، ومصعب يقول : ﴿ **وما محمدٌ إلَّا رسولٌ قد خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ وأخَذَ اللِّواءَ بيده اليسرى وحَنَا عليه، فضرب يده اليسرى فقَطَعَها، فحنا على اللواء وضمَّه بعَضُدَيْهِ إلى صدره وهو يقول : ﴿ **وما محمدٌ إلَّا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرسل** ﴾ ثم حَمَل عليه الثالثة بالرُّمح فأنْفَذَهُ واندقَّ الرمحُ ، ووقع مصعبٌ ، وسقط اللواء .. ووقعَ مصعبٌ .. كوكبُ الشهداء ، ومن كان ذِكْرُه عِطرًا للحياة .

قال أبو وائل : عُدْنا خَبَّابًا فقال : هاجرْنا مع النبي ﷺ نُريد وجه الله ، فوقَع أجرُنا على الله ، فمنَّا مَنْ مضى لم يأخُذ من أجره شيئًا ؛ منهم مصعب ابن عمير ، قُتل يوم أحد وتَرَك نَمِرةً ، فكُنَّا إذا غَطَّيْنا بها رأسَهُ بَدَتْ رِجْلاه ، وإذا غطيْنا رجْلَيْه بَدَا رأسُه ، فأمَرَنَا رسول الله ﷺ أن نُغطِّي رأسَه ونَجْعل على رِجْليه شيئًا من إذْخِر، ومنَّا من أيْنَعَتْ له ثمرتُهُ فهو يَهْدِبُها »[1][2] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ، والترمذي ، وأحمد ، وأبو داود ، وابن سعد في الطبقات .

(٢) يهدبها : يجتنيها .

وعن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أُتِيَ بطعام - وكان صائمًا - فقال : قُتِل مصعب بن عمير ، وهو خيرٌ منِّي ، كُفِّن في بُرْدَة ؛ إن غُطِّي رأسُه بَدَتْ رجْلاه ، وإن غُطِّي رجلاه بَدَا رأسُه . وأراه قال : وقُتِل حمزة ، وهو خيرٌ مني .. ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسِط - أو قال : أُعْطِينا من الدُّنيا ما أُعطِينا - وقد خَشِينا أن تكون حسناتُنا عُجِّلَت لنا.ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1] .

يامصعبُ يا بنَ عُمَيْرْ
لا أعرِفُ مِن أيِّ الطرقاتِ أسِيرُ إليكْ
وأنت الفاتِحُ للطُّرقاتِ
لا أعرفُ مِن أيِّ الأنوارِ أُطِلُّ عليك
وأنت المُشرِقُ بالهالاتِ
لا أعرفُ من أيِّ الآياتِ أمد عليك
وأنت الفائِزُ بالآيات
يا جبلَ الرحمةِ والبَرَكاتْ
يا مصعبُ .. يا نَفْحَةَ هذا الدِّينْ
ومعراج الطُّهرِ إذا خالَطَ طُهْر القلبِ ووافاهُ الله
يا ظِلًّا مَدَّ مَداه
مُذْ آمَنَ أن الموتَ حَيَاهْ
لَيَّنْتَ صخورَ الأرض .. وليَّنتَ صناديدَ الكُفْرِ
وأَخْلَيْتَ الخيطَ الأبيض
من بينِ الخيط الأسودِ وأَبَنْتَ هُداه
مِفتاحُ الحكمةِ عندك أسْبَقُ مِن مفتاح الجاه

---

(١) رواه البخاري .

وأحَبَّك مَنْ سَمِعَ بوجهِك
وأحبَّك مَن شاهَدَ وَجْهَك .. وتعلَّقَ في رؤياه
الأرضُ أحَبَّتْ خطْوَك فيها
فأحَبَّك بَدْر
وأحبَّك أُحُد
وأحَبَّتْ نَعْلَك كلُّ حَصَاهْ
فالوجهُ الفاتِحُ للإيمان دِيارَ الكُفرْ
الماهِدُ أرضَ رسول الله
قد رَضِيَ الله عليه
وأشرقَ ملءَ الكَوْنِ تُقاه
وإذا ما سَجَدَ القلبُ أطلَّ على الجنَّاتِ هُداه
يا مصعبُ يا بن عُمَيْرْ
كم ضاءتْ منك دُرُوبُ اللَّيْلِ
وضاءتْ منك ظُهورُ الخيل
وأُشْرِبتَ البهجةَ والرَّيْحانْ
مَنْ كان يظُنُّ القادِمَ مِنْ تاريخِ العِطْر
يُغَيِّرُ وجهَ الأرض
ويَغْسِلُ يَثْرِبَ بالقُرآنْ
أبقاكَ الله عزيزَ الجانب
رَيَّانَ الرَّأْي
مُضِيءَ الحُجَّةِ والبُرهانْ
ورسولُ الله الفوَّاح بحُبِّ الخيرْ
قد ألقَى بين يديكَ مصيرَ الأُمَّة
في زمن يَبتلِعُ الناسَ بنَهْمٍ كالطُّوفانِ

والدعوةُ بين يديْكَ تردُّ الرُّوحَ إلى الإنسان
الله عليك
وقد مَدَّ الخطو إليك « أُسيْد »
فعرضتَ النُّورَ عليه
« إنْ راقَكَ ما ندعوك إليه قَبِلْتَ »
وإنْ لم يُعجبكَ كَفَفْنا عنك
وفارَقْناك
وعرضتَ الرُّوحَ .. ورُوح القُدس
يَهزُّ القلبَ العاقرَ
ويبُثُّ الأمَلَ الشاكِرَ
وارتجَّتْ أرضُ مدينتِكَ البِكْر بإسلامِ « أُسيْد »
في يَثْرِبَ كان الناسْ
أقْرَبَ للكفرِ من الإيمانِ
ويهودٌ كانت تمتلكُ السُّوقْ
والعربُ تُراهِنُ عمَّا ببطونِ النُّوقْ
وقَدِمتَ إليها تنفخُ فيها
فإذا بالطُّهْرِ الأوَّلِ يَنْبُتُ بنواحيها
وإذا بك تمتلكُ الصَّفْوَة
وتُغَلِّقُ سُبُلَ الشيطانِ
فغدا « ابن زُرارَةَ » من جُندِك .. وتلاه « أُسيد »
واكتملتْ كوكبةُ النورِ فآمن « سعدُ بنُ مُعاذ »
فغدا للحَقِّ فؤادٌ
وغدا للحقِّ يَدَان
وانحازَ الأوسُ إليك وعبد الأشْهَل

وانحازتْ دُورُ مدينتِكَ إليك
وصرتَ كبيرًا
ودخلتَ على القومِ دُخُولَ الصُّبحِ
يُميطُ الظُّلمةَ والبُهْتانْ
وكبارُ القوم تَدَاعوْا
قد دخلوا بالكفرِ عليك .. وهم قد خَرَجُوا بالإيمانْ
يا مصعب يا بن عُمَيْرْ
يا مَن غَيَّرتَ موازينَ المجدِ وكنتَ الحاملَ للميزانْ
يا واصل أرضِ الإنسان بنورِ الحقِّ المنَّانْ
فكنستَ الأرضَ مِن الرِّجسِ الكالِح فيها
وحملتَ من الحكمة ما لا يَقدِرُ بشرٌ أن يَحمِلَ مِثْلَه
وحملتَ لواءَ النُّورِ ببَدْرٍ
وقطعتَ شرايينَ أُخوَّتِكَ الأُولى
وشددتَ إسارَ أخيك
وكانت عُروتُك الوثقى
بالله أشدَّ وأبقَى
وأَجَلْتَ النورَ بيثربَ ووَصلْتَ الأنفُسَ والأرحامْ
وكُنتَ الضوءَ القادِمَ .. بعد سنينِ الإظلامْ
يا مصعبُ يا بن عُمَيْر
يا قَدَمَ الخير
يا فاتِحَ أرضِ الله بسِرِّ التوحيدِ الناصِع
قد كانت يثربُ ظُلُماتٍ في بحرٍ لُجِّيٍّ .. يَغشاهُ الموج
ومِنْ فوقِ الموجِ سحابٌ
فَنَثَرْتَ على الناسِ الآيَ

وأحييتَ صروحَ الأركانْ
يا مصعبُ يا بن عُمَيْر
أخجَلَني فيك الحرفُ .. تقاصَرَ دونك
لا تَسَعُكَ هذي الأوزانْ
أسترِقُ السَّمْعَ .. أُناشِدُك عبيرَ الرِّضوانْ
قد صاحتْ في أُحُدٍ « حَمْنَةُ »[1] واستلَّتْ فيك الأحزان
وتخضَّل حُزنُ أميرتِك
فواساها المختارُ بفَيْضٍ من طلِّ كرامتِهِ الدَّافِقْ
يا نِعمَ الزَّوج
و « إنَّ الزَّوْجَ لَبِمَكَانْ »
يا مصعبُ يا بن عُمَيْر
شدُّوك بثوبِكَ في أُحُدٍ
فتقاصَرَ عنكَ .. وتَقْصُرُ عنك ثيابُ الأرضِ
فأنت الناسِجُ للإنسان ثيابَ الحكمةِ يا لُقْمانْ
يا صفوةَ خيرِ الخَلْقِ
مِن بين يديْهِ خرجتَ صباحًا
ونزلتَ على الأرضِ صلاةً
وملأتَ الأرضَ فَلاحًا
ورسولُ الله أحَبَّك حُبًّا ما كان لغيرك
فاختارك بين يديْهِ شهيدًا

(١) « حمنة بنت جحش » زوجُ مصعب ، حين حملوا إليها نبأ استشهاد خالها حمزة وأخيها عبد الله بن جحش ، حمدتْ واسترجعتْ ، وحين حمل إليها استشهاد زوجها مصعب ، بكت وصاحت ، فقال رسول الله ﷺ : « دَعُوها ؛ فإنَّ الزَّوْجَ من زوْجِهِ لَبِمَكَانٍ » .

يا قمرًا في عينيْهِ تألق في عِلِّيين
تعلَّق في صدرِ المختارِ وِشاحا
يا مصعب يا بن عُمير
يا قَدَمَ الخير
هل تَقبلُ أن أخدمَ - في الله - جوادَكْ
هل تقبلُ أن ألمسَ سيفَك كي أذكُرَ في الله جهادَكْ
هل تقبلُ أن أُصبِحَ يومًا
في موكبِ مَنْ بايَعَك .. وجاهَدَ بين يديْكْ
هل تقبلُ أن أمسحَ وجهي بغُبارٍ في قدميْكْ
هل تقبلْ
فاقْبَلْنِي
يا مَن أحببتُك
وتقبَّل منك الله(١)

زيد بن ثابت : جامِع القرآن ، رضي الله عنه :

عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : جمعَ القرآن على عهد النبي ﷺ أربعةٌ كلُّهم من الأنصار : أُبيٌّ،ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وزيد بن ثابت . قلت لأنسٍ : مَنْ أبو زيد ؟ قال : أحَدُ عُمُومتي(٢) .

«حين تُنثر زهور التكريم على ذكرى المبارَكين ، الذين يرجع إليهم فَضْلُ جمْع القرآن وترتيبِهِ وحفظِهِ ، فإن حظَّ زيد بن ثابت من تلك الزهور لَحَظٌّ عظيمٌ ؛

---

(١) قصيدة « مصعب بن عمير » ، من ديوان « رسالة إلى سيف الله المسلول » ، لمحمود خليل ، من صـ ٥٣ - ٥٩ ، دار الصحوة .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وأبو يعلى والطيالسي ، والنسائي في الفضائل .

فلقد ادَّخرتْ له المقاديرُ شرفَ مهمَّةٍ من أنبل المهامِّ في تاريخ الإسلام كلِّه ، مهمَّة جَمْع القرآن الكريم وهو شابٌّ .

عن زيد بن ثابت قال : أرْسَلَ إليَّ أبو بكرٍ الصدِّيقُ مَقْتَلَ أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتْل قد استحرَّ يوم اليمامة بقُراء القرآن ، وإني أخشى إن استحرَّ القتلُ بالقُرَّاء بالمَوَاطِن فيذهب كثيرٌ من القرآن ، وإني أرى أن تأمُر بجمْع القرآن . قلتُ لعمر : كيف نفعلُ شيئًا لم يَفعلْه رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خيرٌ . فلم يَزَل عمر يُراجعني ، حتى شرحَ الله صدري لذلك ، ورأيتُ في ذلك ، الذي رأى عمرُ . قال زيد : قال أبو بكر : إنَّك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتهمُك، وقد كنتَ تكتُبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتَتَبَّعِ القرآنَ فاجْمَعْهُ. فوالله لو كلَّفوني نَقْلَ جبلٍ من الجبال ، ما كان أثْقَلَ عليَّ ممَّا أمَرَني به من جمع القرآن . قلتُ : كيف تفعلون شيئًا لم يَفعلْه رسولُ الله ﷺ ؟ قال : هُو والله خيرٌ . فلم يَزَل أبو بكر يُراجعني ، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما ، فتَتَبَّعْتُ القرآن أجْمَعُهُ من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال ، حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خُزيْمة الأنصاري ، لم أجِدْها مع أحدٍ غيره : ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنْفُسِكُمْ عزيزٌ عليه ما عَنتُّم** ﴾ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصُّحُف عند أبي بكرٍ حتى توفَّاه الله ، ثم عند عمر حياتَهُ ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه[1] .

ومثْل ما حَدَث مع أبي بكرٍ ، حدَثَ مع عثمان : عن ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدَّثه ، أن حذيفة بن اليمان قَدِم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفْزَعَ حُذيفةَ اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفةُ لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمَّة قبل أن يختلفوا

---

(١) رواه البخاري والترمذي وأحمد وأبو يعلى والطيالسي .

في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمانُ إلى حفصة ، أن أرْسِلي إلينا بالصُّحُف نَنْسَخُها في المصاحف ثم نردُّها إليك . فأرسلتْ بها حفصة إلى عثمان ، فأمَرَ زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فنسخوهـا في المصاحف ، وقال عثمان للرَّهْط القُرشِيِّين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيءٍ من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنَّما نزلَ بلسانهم . ففَعَلُوا ، حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُف في المصاحف، ردَّ عثمانُ الصحفَ إلى حفصة، فأرسَلَ إلى كلِّ أُفُقٍ بمصْحَفٍ ممَّا نسخُوا ، وأمَرَ بما سواه من القرآن في كلّ صحيفةٍ أو مصحفٍ ؛ أن يُحْرَق[١] .

لله دَرُّك من إمامٍ .. قال ابن عباس : لقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب محمدٍ ﷺ ، أن زيد بن ثابت من الراسخين في العِلْم .

وانظر إلى علوّ همَّته : عن زيد بن ثابت قال : أمرني رسولُ الله ﷺ أن أتعلَّم له كتاب يهود ، فقال : « إني والله ما آمَنُ يهودَ على كتاب » قال : فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلَّمْتُهُ له . قال : فلمَّا تعلَّمْتُهُ كان إذا كتبَ إلى يهود ؛ كتبتُ إليهم ، وإذا كتبوا إليه ، قرأتُ له كتابهم »[٢] .

عن عمَّار بن أبي عمّار قال : لمَّا مات زيد بن ثابت ، قَعَدْنا إلى ابن عباس في ظلِّ القصر فقال : هكذا ذَهابُ العلم ، لقد دُفِن اليومَ عِلْمٌ كثيرٌ .

زُهْرَةُ بنُ الحَويَّة التميمي ، فاتِحُ ما بين القادسيَّة والمدائن رضي الله عنه :

الصحابي الجليل الذي تولَّى قيادة الجيوش في عهد عمر ، وبذلَ جهده

---

(١) رواه البخاري .

(٢) حسن لغيره : رواه الترمذي ، وأبو داود ، وابن سعد في الطبقات ، ورواه البخاري معلَّقًا ، وله شاهد عند ابن سعد والحاكم فيه : « هل تستطيع أن تَعَلَّم كتاب العبرانية أو السريانية فقلت : نعم . قال : فتعلَّمتُها في سبع عشرة ليلة » .

في مُحاربة المرتدِّين من أهل البحرين حتى عادوا إلى الإسلام .

ويذكُر التاريخ لزُهرةَ نجاحَهُ في حماية قوات المسلمين ، عند حركتها من منطقةِ حَشْدِها في « شراف » حتى وصولها للقادسية . وعسكرتْ قواتُه حتى وصلتْ قوات سعد رضي الله عنه ، فتقدَّم زهرةُ على رأس المقدِّمة حتى نزل القادسية .

وكان في «العُذَيْب» جنديٌّ فارسيٌّ يستطلع حركات أرْتَال المسلمين، فخرجَ راكِضًا نحو القادسية ليُخبِر الفُرس عن قوة المسلمين ، فلمَّا عَلِمَ زُهرةُ بأمره ، اتَّبَعَهُ وقَتَلَه ، بعد أن عجزَ أصحابُ زهرة عن إلقاء القبض عليه[1] .

ووجدَ زهرةُ في « العُذَيْب » رماحًا ونُشَّابًا وأسْقاطًا من جلودٍ وغيرها ، فانتفَعَ بها المسلمون ، كما انتفعوا بالأموال الكثيرة التي حصلتْ عليها سريَّةٌ بعثها زُهرةُ للغارة على الحِيرة ، وبذلك انتعش المسلمون بهذه الغنائم .

زُهرةُ قائد الميسرة في القادسية :

لما نشبَ القتال بين الفرس والمسلمين ، اندمجت قوات المقدمة التي كان يقودها زُهرة بالقطاعات المقاتلة الأخرى، لذلك سلَّم سعد قيادة الميسرة لزُهرة، فكان زهرة قائدًا للميسرة في معركة القادسية الحاسمة[2] ، وكان لبلاء زهرة وثَبَاتِهِ أثر كبير في انتصار المسلمين على الفرس في تلك المعركة ، لذلك كان من بين خمسة وعشرين بطلًا فضَّلهم سعد في العطاء ؛ لبلائهم في القادسية بلاءً مشرِّفًا .

زهرة قاتِل الجالينوس أحد ملوك الفرس :

ولمَّا انكشف أهل فارس ، أمر سعدٌ زهرة بمطاردتهم ، فخرج على رأس المقدمة في آثارهم، فأدرك الجالينوس يحمي انسحاب قوات فارس عند «الخَرَّارة»

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ١٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٣ .

فدَهَمَه زهرةُ ومن معه ، فحملَ على جالينوس وهو لا يعرفه، فطَاعَنَهُ ، فاختلفا ضربتيْن ثم قَتَله زهرةُ ، وانهزم عن جالينوس أصحابُه ، وأخذ زهرةُ سَلَبَهُ ، وكان عليه يَارَاقانِ - أساوِر تُلبس في العَضُد - وقُلْبان قُرْطان ، وإن حصان زهرة يومئذٍ ما عِنانه إلَّا حبل مضفور ، وما حزامه إلَّا شعر منسوج . وقتل زهرة في هذه المطاردة مَنْ وَجَد من الفُلُول بين الخَّرارة إلى السيلحين ، ثم أمْعَنَ حتى بلغ « النجف » ، بينما كان الهرمزان يجدُّ في فراره . « وحين عاد زهرة من المطاردة التي خرج فيها ، كان قد تدرَّع بما كان على جالينوس ، فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد وقالوا : هذا سَلَبُ جالينوس . فقال له سعد ، هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم . قال : مَنْ ؟ قال : الله . وكان زهرة يومئذٍ شابًّا له ذُؤَابَةٌ ، وقد سُوِّد في الجاهلية وحَسُن بلاؤه في الإسلام ، وغضبَ سعدٌ أن تسرَّع زهرة فلبس ما كان على جالينوس ، واستكثره عليه ، فنَزَعَهُ عنه ، وقال : ألا انتظرت إذني ؟ »[1] . وكتب سعد إلى عمر بما كان من شأن زهرة ، وكتب زهرة في هذا الشأن إلى عمر ، فكتب عمر بن الخطاب إلى سعد في شأن زهرة : « أنا أعلمُ بزُهرةَ منك ، وإن زهرة لم يكن ليُغَيِّب من سَلَبٍ سَلَبَهُ شيئًا ، فإن كان الذي سعى به إليك كاذبًا ، فلقاه الله مثل زهرة في عَضُديْهِ يَارَاقانِ ، تَعْمِدُ إلى مِثْل زهرة وقد صَلِي بمثْل ما صليَ به ، وقد بقي عليك من حَرْبِك ما بقيَ ، تكسرُ قرنَهُ وتُفسد قلبه ؟! أمْضِ له سَلَبَهُ وفَضِّلْه على أصحابه عند العطاء بخمسمائة، وإني قد نَفَلْتُ كلَّ مَنْ قَتَل رجلًا، سَلَبَهُ»[2] . وردَّ سعد إلى زهرة ما كان نَزَعَهُ منه ، فباعه بسبعين ألف درهم .

الفاتح :

ولمَّا فرغَ سعد من أمر القادسية ، أقام بها بعد الفتح شهرين ، وكاتب

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٦٧ ، ٣ / ٥٦٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٥٨٤ .

عمر فيما يفعل ، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن ، فجعل سعد على المقدِّمة زُهرة ، وأمره بالتقدُّم ، فسار زهرةُ حتى نزل الكوفة ، وانتظر هناك حتى نزل عليه عبدُ الله بن المُعتَم وشُرحبيل بن السِّمْط ، فارتحل زهرةُ حين نزلا عليه نحو المدائن ، فلمَّا انتهى إلى « بُرْس » لَقِيَه جمع من الفرس ، فهزمهم وقتل هو قائدَهم « بصبهري » بطعنة من رمحه[(١)] .

ومكث زهرةُ ريثما عَقَدَ له « بسطام » - دِهْقَان « بُرْس » - الجُسُورَ ، وأتاه بأخبار الفرس الذين حشدوا قواتهم في «بابل» ، فكتب زهرة إلى سعد بالخبر ، فارتحلَ سعد بالناس إلى « برس » ،ثم قدم زهرة إلى بابل، وتقدَّم جيش المسلمين من ورائه ، ولمَّا أنجزَ المسلمون حشْد قواتهم ببابل ، قاتلوا القوات الفارسيَّة هناك ، فلم يتمكَّن المدافعون عن بابل من حمايتها أمام العاصفة المُدمِّرة من زهرة وقواته ، ونزلوا على « الفيرزان » وقواته ببابل «فهزموهم في أسرع من لَفْت الرداء»[(٢)]، وقدَّم سعد زُهرةَ إلى «بَهرْسير»، فتلقاه دهقان «ساباط»، وصالحَهُ على الجزية . وفي طريقه إلى المدائن ، قضى زهرةُ على كتيبةٍ للفرس ، ثم انتظر تجمُّع قوات المسلمين حول « بهرسير » ؛ الواقعة على ضفَّة دجلة اليمنى ، مقابل « المدائن » التي تقع على ضفَّة النهر اليسرى ، فحاصَرَها سعدٌ وضَرَبها بالمنجنيقات ، ودبَّ إليها جنوده بالدَّبَّابات ، وكان على زهرة دِرْعٌ مفصومة ، فقيل له : « لو أمرتَ بهذا الفصم فيُسْرد ؟ فقال : ولم ؟ فقالوا : نخاف عليك منه. فقال: إني لكريمٌ على الله إن تَرَك سهمُ فارس الجند كلَّه، ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت فيَّ. فكان أوَّل رجل من المسلمين أُصيب يومئذٍ بنُشَّابَةٍ، فثبتتْ فيه من ذلك الفصم، فقال بعضهم: انزعوها عنه. فقال: دعوني، فإن نفسي معي ما دامت فيَّ، لعلِّي أن أُصيب منهم بطعنة أو ضربة. فمضى إلى العدو[(٣)]».

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١١٣ - ١١٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ / ١٩٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ١١٤ ، وابن الأثير ١٩٦/٢ .

(٣) تاريخ الطبري ١١٧/٣- ١١٨، وابن الأثير ٢ / ١٩٥ .

وخرج قائد الجيش الفارسي شهريار وفي يده رُمْحُه مُعتَقِلًا سيفه ، فقال وملؤه الكِبْر : « ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إليَّ حتى أُنكل به ؟ » . فناداه زهرة:« لقد أردت أن أُبارزك ، فأمَّا إذ سمعتُ قولك ، فإني لا أُخرج إليك إلَّا عبدًا ، فإن أقمتَ له قَتَلَك إن شاء الله ببَغْيك ، وإن فررتَ منه فإنما فررت من عبد » . فخرج أبو نبتة بن جعشم الأعرجيُّ إليه فقتله .

لله درُّ زهرة من بطلٍ، مضى نحو المجوس في معركة بهرسير– المدينة الدنيا وأُولى المدائن السبع التي تتكون منها المدائن – والنُّشَّاب في جسمه ، فضرب بسيفه سيِّدًا من أكبر ساداتهم من أهل « إصطخر » فقتله وانكشف أصحابُه، وسقطت بهرسير بعد طول حصارٍ، ودخل المسلمون فاتحين وشهد زهرةُ فتح المدائن ، وكان على رأس قوةٍ لمُطاردة الفرس بعد فتح المدائن ، فأدرك جماعةً من الفرس على جسر « النهروان » ، فازدحموا عليه ، فوقع منهم بغلٌ في الماء ، فعجلوا وكبُّوا عليه ، فقال بعض المسلمين : « إن لهذا البغل لَشأنًا » . فجالَدَهم المسلمون عليه حتى أخذوه ، وفيه حِلْية كسرى وثيابه وخرزاته ووشاحُه ودرْعه التي فيها الجوهر[1] .

رضي الله عن زهرة «فقد كان من ألمع قادة الفتح الإسلامي عندما يتولَّى قيادة المقدِّمات وقوات المطاردة ، فقد نجح في قيادته هذين الواجبيْن نجاحًا باهرًا يدعو إلى الإعجاب الشديد . إن هذين الواجبين يحتاجان إلى قائدٍ شجاع ، وكان زهرة يتحلَّى بشجاعة بطوليَّةٍ نادرةٍ ، تجعله في مَصَافِّ أبطال الحروب في التاريخ .

كان مندفعًا يتحمَّل المشاقَّ ولا يكلّ من التعب ، وأعانه على ذلك شبابُهُ وحيويَّته وصبرُهُ ، إن زهرة قائد عبقريٌّ بحقٍّ ، أثبت جدارةً فائقة في قيادة الرجال خلال فترةٍ قصيرة من أعماله العسكرية ، ولست أشكُّ في أن هذه الفترة

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٩٩ ، وتاريخ الطبري ١٢٦/٣ .

لو طالتْ ، لَنَافسَ زهرةُ في شهرته المثنَّى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد المخزوميَّ »[١] .

ولمَّا عاث شبيبٌ الخارجيُّ في الأرض فسادًا ، أشار زهرةُ على الحجَّاج فقال له : « إنك إنما تبعثُ إليهم الناس منقطعين ، فاسْتَنْفِرِ الناس إليهم كافَّة ، فَلْيَنْفِر إليهم الناسُ كافَّةً ، وابعثْ عليهم شجاعًا مُجرِّبًا للحرب ، ممَّن يرى الفرار هضمًا وعارًا ، والصبر مجدًا وكرمًا » . فقال الحجاج : « جزاك الله عن الإسلام وأهله في أوَّل الإسلام خيرًا ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرًا » .

وقال زهرة لعتاب بن ورقاء قائد أهل الكوفة : « إني أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا » . وكان له ما أراد ، ووقف قائدُ الخوارج شبيبٌ على جثمانه وقال له : « لَرُبَّ يوم ٍ من أيامِ المسلمين ، قد حَسُن فيه بلاؤك وعظُم فيه غَناؤك ، ولَرُبَّ خيل للمشركين قد هزمْتَها ، وسريَّةٍ لهم قد أغرتَها ، وقريةٍ من قُراهم قد افتتحْتَها »[٢] . والفضل ما شهدتْ به الأعداءُ .

محمد بن القاسم الثقفي : فاتح السِّنْد والهند وعمره سبعة عشر عامًا :

أهدى ملكُ جزيرة الياقوت - سيلان - إلى الحجاج نسوةً مسلمات وُلِدْنَ في بلاده ومات آباؤهن وكانوا تجارًا ، فعَرَض للسفينة التي كُنَّ فيها قومٌ من قراصنة « الديْبُل » ، وأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأةٌ منهنَّ - وكانت من بني يربوع -: « يا حجاج ».وبَلَغَ الحجاج ذلك ، فقال : « يا لبَّيْكِ » . فأرسل إلى « داهر » ملك السند يسأله تخلية النسوة ؛ فقال : « إنما أخَذَهُنَّ لصوصٌ لا أقدر عليهم » . فأغزى الحجاجُ محمدَ بن القاسم الثقفي ثغر السند ، فتجهز محمد بكلِّ ما احتاج إليه ، ثم سار من « مكران » ووِجْهَتُهم « الديبل »

(١) قادة فتح العراق والجزيرة صـ ٣١٦ - ٣١٨ للواء الركن محمود شيت خطَّاب .

(٢) تاريخ الطبري ٨٤/٥- ٩١، والكامل لابن الأثير ١٦٢/٤- ١٦٤، والإصابة ٥٣٤/١ .

في اثني عشر ألفًا من جند الشام والعراق وثلاثة آلاف بعيرٍ تحمل متاعهم . أتى محمد «فنزبور» ففتحها ، ثم أتى «أرمائيل » ففتحها ، وقدِم «الديبل» في يوم جمعةٍ، فوافتْه سفنُه هناك، فخَنْدَقَ حين نزل «الديبل» وأَنْزَلَ الناس منازلهم ونَصَب منجنيقًا يقال له : العروس ، الذي كان يعمل لتشغيله خمسمائة من الرجال ذوي الكفاءة ، فدك بقذائفه معبد الهنادكة الأكبر «البد» ، وحاصر محمد «الديبل» وقاتل حُماتها بشدَّة ، فخرجوا إليه ، ولكنَّه هزمهم حتى ردَّهم إلى البلد ، ثم أمر بالسلالم فنُصبتْ وصَعِد عليها الرجال ، وكان أوَّلهم صعودًا رجل من بني مراد من الكوفة، وفُتحتِ المدينة عَنْوَةً، وهربَ ملكُها «داهر» وأنزل فيها محمدٌ أربعة آلاف من المسلمين وبنى عليها جامعها ، فكان أول جامع في هذه المنطقة ، وسار محمد إلى « النيرون » فصالحَهُ أهلُها وبعثوا إليه بالميرة ، وسار محمد وجَعَل لا يمرُّ بمدينةٍ إلَّا فَتَحَها ، وصالحه أهل « سربيدس » فَفَرضَ عليهم الخراج ، وسار عنهم إلى «سهبان» ففتحها ، وصالحه أهل «سدوستان» وفَرَض عليها الخراج . وعَبَر محمدٌ نهر «مهران» ممَّا يلي بلاد المَلِك «راسل» – ملك «قصة» من الهند – على جسْر عَقَدَهُ ، و «داهر» مُستخِفٌّ به لاهٍ عنه ، ولقِيَهُ محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفِيَلَة ، فاشتدَّ القتَال بشكلٍ لم يُسمع بمثْله ، وترجَّل داهر وقاتَلَ حتى قُتل عند المساء ، فانهزم أصحابُهُ ، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا ، وكان قاتل داهر – هو القاسم بن ثعلبة بن عبد الله الطائي – يترنَّم ويقول :

الخيْلُ تشهدُ يومَ داهر والقنا ... ومحمد بن القاسم بن محمدِ
أنِّي فرجتُ الجَمْعَ غَيْر مُعَرِّدٍ[1] ... حتى علوتُ عظيمَهم بِمُهَنَّدِ
فتركتُهُ تحت العجَاجِ مُجنْدَلًا ... مُتعفِّرَ الخدَّيْنِ غَيْرَ مُوَسَّدِ

فلما قُتل داهر ، غلب محمدٌ على بلاد السند ، ففتح «رأور» عَنْوةً ، وكان

(١) معرد : عرَّد الرجلُ عن الطريق ، إذا انحرفَ عنه .

بها امرأة داهر «راني باي» فحرقتْ نفسها وجواريها وجميع ما لها ، وتقدَّم المسلمون بعد ذلك صوب الشمال مشرقين حتى بلغوا «برهمناباد» وكان بها المنهزمون من أصحاب داهر ، ففتَحَها محمد وقتل بها بشرًا كثيرًا وخرَّبها .

وسار محمد إلى « ساوندري » فصالَحَهُ أهلُها وأسلموا بعد ذلك ، ثم صالَحَ أهل « بسمد » ، وسار عنها إلى « الرور » - وهي من مدائن السند تقع على جبل - فحاصرها شهورًا ، ثم فتحها صُلحًا ووضع عليهم الخراج وبنى بها مسجدًا ، ثم سار إلى «السّكّة» ففتحها ، ثم عبر نهر «بياس» - رافد نهر السند - إلى مدينة «المُلتان» أعظم مدن السند الأعلى وأقوى حصونه ، بها صنم يُعظِّمه الهنود ، وتحجُّ إليه من أقصى بُلْدانها ، ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده فامتنعت عليه شهورًا ، وقاتله أهلُها فانهزموا ، فحَصَرهم ، فأتاه رجل مستأمنٌ دلَّه على مدخل الماء الذي يشرب منه السكان ، فقَطَعَه عليهم ، فنزلوا على حُكمه ، فقتل محمد المقاتلة وسبى الذُّرِّيَّة ، وسبى سَدَنَة «البد» وهم ستة آلاف ، وأصاب مالًا كثيرًا جمعه في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع ، فسُمِّيتِ الملتان «فرْج[1] بيت الذهب» وعظُمتْ فتوح محمد، وكثرتْ غنائمُهُ من الأموال ، حتى قال الحجاج : « شفيْنا غيظنا ، وأدركْنا ثأرَنا ، وازددْنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر »[2] .

لقد أنْجَزَ محمدٌ هذا الفتح كلَّه في الفترة ما بين تسع وثمانين الهجرية ، وأربع وتسعين الهجرية .

وفتح محمدٌ «الرور» و «النعرور» ووجَّه جيشًا إلى «البيلمان» ففتحوها صُلحًا ، وصالحه أهل «سرشت» ، ثم أتى محمد «الكيرج» ، فخرج إليه «دوهر»

---

(١) الفرج : الثغر .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري صـ ٤٢٧ ، والكامل لابن الأثير ٢٠٦/٤ ، ومقدمة ابن خلدون ٦٠/٣-٦١ .

مَلِكُ تلك المنطقة ، فقاتله محمدٌ ، وانهزم دوهر وهرب . وقيل : بل قُتل فنزل أهل المدينة على حُكم محمد ، فقتَل وسَبَى .

وبينما كان محمد ينتقل من نصر إلى نصر ، ويستَعدُّ لفتح مملكة «قنوج» أعظم إمارات الهند ، وكانت تمتدُّ من السند إلى البنغال ، وجهَّز جيشًا عدَّته عشرة آلاف فارس ؛ لضمِّ مملكة الهند الشمالية وعاصمتها «قنوح» ، عُزل محمد بن القاسم وحُمِل مقيَّدًا إلى العراق ، فقال محمد متمثِّلًا :

أضاعوني وأيّ فتًى أضاعوا ... ليوم كَرِيهةٍ وسَدادِ ثَغْرِ

فبكى أهل السند والهند - الذين دخلوا في الإسلام - محمدًا ، فلمَّا وَصَل إلى العراق حَبَسَه صالحُ بن عبد الرحمن ، بواسط ، فقال محمد :

فلَئِنْ ثَوَيْتُ بِوَاسِطٍ وبأرضِها ... رَهْن الحديدِ مُكَبَّلًا مَغْلُولَا
فَلَرُبَّ فِتْيَة فارس قد رُعْتُها ... ولَرُبّ قرنٍ قد تركتُ قَتِيلَا

وكان محمد يهتف في أعماق سجنه :

أَتَنْسى بنو مروان سمْعي وطاعتي ... وإنِّي على ما فاتني لَصَبُورُ
فتحتُ لهم ما بين «سابور» بالقَنا ... إلى الهند منهم زاحِفٌ ومُغِيرُ
فتحتُ لهم ما بين «جُرجان» بالقنا ... إلى الصين ألقى مرَّةً وأُغِيرُ

وعُذِّب محمد ومات من العذاب في سجنه .

رَحَل الضخم الفَذُّ ، القائد الذي سارت بذكْره الرُّكبان ولم يكن له نظير في عصره .. الشاب الذي فتح السند والهند وعمره سبع عشرة سنة .

قال يزيد بن الأعجم :

ساسَ الجيوشَ لسبع عشرة حِجَّةً ... ولِدَاتُهُ عن ذاك في أشْغالِ
فغدتْ بِهِمْ أهواؤهم وسَمَتْ به ... هِمَمُ الملوك وسَوْرَةُ الأبطالِ[1]

---

(١) انظر محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ، للواء الركن محمود شيت خطاب - دار قتيبة .

وقال حمزة الحنفي :

إن المروءة والسَّماحةَ والنَّدَى لمحمدِ بن القاسم بنِ محمدِ

ساسَ الجيوشَ لسبع عشْرةَ حِجَّةً يا قُربَ ذلك سُؤْدُدًا من مولدِ

رحم الله محمدًا على بلائه الرائع في فتح السند والهند ، فآثاره لن تموت أبدًا ، وأعماله المجيدة باقية أبد الدهر ، وسيبقى اسمه رمزًا للجهاد الصادق والتضحية الفذة والصبر الجميل وعلو همة الشباب .

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، ذو التسعة عشر عامًا ، العابد الربَّاني :

ولد سنة ٨٢ هـ ، ومات سنة ١٠١ هـ ، وهو في التاسعة عشرة من عمره ؛ مات شابًّا في زهرة شبابه ، زهرة نَضرة لم تعرف آثام الحياة ، ماءً صافيًا يتدفَّق حكمةً وزُهْدًا .

وينشأُ ناشيء الفتيانِ منَّا على ما كان عوَّده أبوه

نِعْمَ الفتى المكتهل، الذي كان قائدًا مع أبيه لأُمَّةٍ انحرفت عن السبيل ، كان عونًا لأبيه ولما يتجاوز السادسة عشرة . كان رحمه الله ابن أُمٍّ ولد ، وقد أُعْجب به والده أيّما إعجاب .

قال ابن رجب الحنبلي : « لقد كان رحمه الله مع حَدَاثةِ سِنِّه ؛ مجتهدًا في العبادة ، ومع قُدْرته على الدنيا وتمكُّنه منها ؛ راغبًا مُؤْثرًا للزهادة . فعسى الله أن يجعل في سماع أخباره لأحد من أبناء جنْسِهِ أُسْوة ؛ لعلّ أحدًا كريمًا من أبناء الدنيا تأخذه بذلك حميَّة على نفسه ونخوة . وأيضًا ففي ذكْر مثل أخبار هذا السيد الجليل مع سِنِّه ؛ توبيخ لمن جاوز سنّه وهو بطال ، ولمن كان بعيدًا عن أسباب الدنيا وهو إليها ميَّال »[1] .

روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن بعض مشيخة أهل الشام قال :

---

(١) سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابن رجب الحنبلي صـ ٢٨ ، ٢٩ – دار ابن حزم .

كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك .

وروى الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلام بسنده في كتاب «فضائل القرآن»، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان - وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز - قال : وفَدْت إلى سليمان بن عبد الملك ، ومعنا عمر بن عبد العزيز ، فنزلتُ على ابنه عبد الملك ، وهو عَزَبٌ ، فكنتُ معه في بيت ، فصلَّينا العشاء ، وأوىٰ كلُّ رجل منا إلى فراشه ، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه ، ثم قام يصلِّي ، حتى ذهب بي النوم ، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية : ﴿ **أفرأيت إنْ متَّعْناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يُوعَدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتَّعُون** ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ - ٢٠٦]. فيبكي ، ثم يرجع إليها ، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك ، حتى قلتُ : سيقتله البكاء. فلما رأيتُ ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله، كالمستيقظ من النوم، لأقطع ذلك عليه، فلمّا سمعني سكت فلم أسمع له حسًّا ، رحمه الله .

وفي كتاب الدورقي « مناقب عمر بن عبد العزيز » : أن عمر بن عبد العزيز جمع الناس واستشارهم في ردِّ مظالم الحجاج ، فكان كلَّما استشار رجلًا قال له : يا أمير المؤمنين ، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك . فكان كلَّما قال له رجل ذلك أقامه ، حتى خلص بابنه عبد الملك ، فقال له ابنه عبد الملك : يا أبهْ ما من رجل استطاع أن يردَّ مظالم الحجاج إن لم يردّها أن يُشركه فيها . فقال عمر : لولا أنك ابني لقلْتُ : إنك أفْقَهُ الناس .

وفي رواية : قال عبد الملك : أرى أن تردَّها ، فإن لم تفعل كنتَ شريكًا لمن أخذها .

وعن ميمون بن مهران قال : دخلتُ على عبد الملك ، فحضر طعامه فأُتي بقَلْيَة مدنية وهي عظام اللحم ، ثم أُتي بثريدةٍ قد مُلئت خبزًا وشحمًا ، ثم أُتي بزبدٍ وتمرٍ . فقلتُ : لو كلَّمت أمير المؤمنين يخصُّك منه بخاصَّةٍ.فقال :

إني لأرجو أن يكون أوفى حظًّا عند الله من ذلك . فقلت في نفسي : أنت لأبيك .

ودخل عليه مرة أخرى ، فإذا بين يديه مائدة عليها ثلاثة أرغفة وقصعة فيها خل وزيت .

حِلْمُه وكَظْمه للغيظ :

عن إسماعيل بن أبي الحكم قال : غضب عمر بن عبد العزيز يومًا فاشتدَّ غضبُه – وكان فيه حِدَّة – وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حاضر ، فلمَّا سكن غضبه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنت في قدر نعمة الله عليك فهو موضعك الذي وضعك الله به ، وما ولَّاك من أمر عباده ، يبلغُ بك الغضب ما أرى ؟! قال : كيف قلت : فأعاد عليه كلامه ؛ فقال له عمر : أما تغضب يا عبد الملك ؟ قال : ما تُغني سِعَة جوفي إن لم أردَّ فيه الغضب ، حتى لا يظهر منه شيءٌ أكرهه . قال : وكان له بُطين[1] رحمه الله تعالى .

وعند الدورقي أنه قال لأبيه : لا والذي أكرمك بما أكرمك به ، إن مَلأني غضبٌ قط . والمعنى : ما ملأني الغضب قطّ .

وعند ابن أبي الدنيا : أن عمر بن عبد العزيز أمر غلامه بأمرٍ ، فغضب عمر، فقال له عبد الملك: يا أبتاه، وما هذا الغضب والاختلاط ؟! فقال عمر: إنك لتتحلَّم يا عبد الملك ؟ فقال له عبد الملك : لا والله ما هو التحلُّم ولكنه الحلم .

قال ابن رجب : ومراد عبد الملك رحمه الله : أنَّ الحِلْم عنده صفة لازمة له ، وهو مجبول عليها ، ولا يحتاج أن يتعاطاه ويتكلَّفه تكلُّفًا من غير أن يكون عنده حقيقةً .

قال عمر بن عبد العزيز : لولا أن أكون زُين لي من أمر عبد الملك ما

---

(١) بطن صغير .

يُزيِّن في عين الوالد من ولده ؛ لرأيتُ أنه أهلٌ للخلافة .

وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال : جلس عمر بن عبد العزيز يومًا للناس ، فلمَّا انتصف النهار ضَجِرَ وعلَّ ومَلَّ فقال للناس: شأنكم، حتى أنصرف إليكم. فدخل يستريح ساعةً، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه، قالوا: دخل. فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فلمَّا دخل ، قال : يا أمير المؤمنين ، ما أدخلك ؟ قال : أردتُ أن أستريحَ ساعة. قال: أوَ أَمِنْتَ الموت أن يأتيَك، ورعيتك ينتظرونك وأنت مُحْتجِبٌ عنهم ؟ فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس .

وروى أبو بكر الآجري : أنه لما دُفن سليمان بن عبد الملك ، خطب الناس ونزل ، ثم ذهب يتبوأُ مقيلًا ، فأتاه ابنه عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ لك أن تعيش إلى الظهر ؟! قال : اُدْن مني أي بني . فدنا منه والتزمه وقبَّل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذي أخرج من صُلْبي مَنْ يُعينُني على ديني . فخرج فلم يُقِلْ ، وأمر مناديه أن ينادي : ألَا مَن كان له مظلمة فليرفعْها .

وعن يحيى بن إسماعيل قال : مات ابن لعمر بن عبد العزيز ، فجاء عمر فقعد عند رأسه ، وكشف الثوب عن وجهه ، فجعل ينظر إليه ويستدمع ، فجاء عبد الملك ابنه فقال : أشَغَلَكَ يا أمير المؤمنين ، ما أقبل من الموت إليك ؟! بل هو في شغل عما حلَّ لديك ، فكان قد لحقت به وساويتَهُ تحت التراب بوجهك . فبكى عمر ثم قال : رحمك الله يا بني ، فوالله إنك لعظيم البركة – ما علمتُك – على أبيك ، نافع الموعظةِ لمن وعظت . وأيم الله ، إن كان الذي رأيتَ من جزعي على أخيك ، ولكن لما علمت أن ملك الموت دخل داري فراعني دخوله ، فكان الذي رأيت . ثم أمر بجهازه .

وجمع عمر بن عبد العزيز قرَّاء الشام وفيهم ابن أبي زكريا الخزاعي ، فقال : إني قد جمعتُكم لأمرٍ : قد أهمتني هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي ، ما ترون فيها ؟ قالوا : ما نرى وِزْرها إلا على من غصبها . قال : فقال

عبد الملك : ما أرى مَن قَدِر على أن يردَّها فلم يردَّها والذي اغتصبها ؛ إلّا سواء . فقال : صدقت يا بُني . ثم قال : الحمد لله الذي جعل لي وزيرًا من أهلي عبد الملك ابني .

وقال عمر بن عبد العزيز يومًا لمولاه مزاحم : إن هؤلاء القوم - يعني بني عمه من الخلفاء الذين كانوا قبله - قد أعطونا عطايا وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إليَّ وليس عليَّ فيما دون الله محاسب . فقال له مزاحم : يا أمير المؤمنين ، هل تدري كم عيالك ؛ هم كذا وكذا ؟! فذرفت عيناه ، فجعل يستدمع ويقول : أَكِلُهُم إلى الله عز وجل . ثم انطلق مزاحم من ساعته ، في وجهه ذلك ، حتى استأذن على عبد الملك بن عمر ، فأذن له ، وقد اضطجع للقايلة ، فقال له عبد الملك : ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة ؟ هل حَدَثَ مِنْ حَدَثٍ ؟ قال : أشد الحدث عليك وعلى بني أبيك . قال : وما ذاك ؟ قال : دعاني أمير المؤمنين ؛ فذكر له ما قال عمر ، فقال عبد الملك: فما قُلتَ له؟ فقال: قلتُ: يا أمير المؤمنين، هل تدري كم عيالك، هم كذا وكذا ؟! قال : فما قال لك ؟ قال : جعل يستدمع ويقول : أَكِلُهُم لله عز وجل . فقال عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب وانطلق عبد الملك إلى باب عمر ، فاستأذن عليه ، فقال الآذن : إن أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقايلة . فقال : استأذن لي لا أُمَّ لك . قال : فسمع عمر الكلام ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : عبد الملك . قال : ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقايلة ، فقال : ما حاجتك يا بني هذه الساعة ؟ قال : حديث حدّثنيه مزاحم . قال : فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال : وقع رأيي على إنفاذه . قال : فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على ديني . نعم يا بني أُصلِّي الظهر ، ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ، ومن لك إنْ بقيتَ إلى الظهر أن تسلم لك نيّتُك إلى الظهر ؟ فقال عمر : قد

تفرَّق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك : تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة ، فيجتمع الناس . قال : فنادى المنادي : الصلاة جامعة ، فخرجتُ فأتيتُ للمسجد وجاء عمر وصعِد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا ، والله ما كان لهم أن يُعطوناها ، وما كان لنا أن نقبلها منهم ، وإن ذلك قد صار إليَّ ، ليس عليَّ فيه دون الله تعالى محاسب، ألا وإنِّي قد رددْتُها، وبدأتُ بنفسي وأهل بيتي، اقرأ يا مزاحم.

قال : وجيء بسَفَط . أو قال : جيء بكتب الإقطاعات ، فقرأ مزاحم كتابًا منها ، فلمَّا فرغ من قراءتها ، ناوله عمر وهو قاعد على المنبر ، فقصَّه بالجلم[1] . فاستأنف مزاحم كتابًا آخر فجعل يقرأ، فلمّا فرغ منه رفعه إلى عمر فقصَّه، ثم استأنف كتابًا آخر، فما زال كذلك حتى نودي لصلاة الظهر.

والمراد من هذه الحكاية : أنَّ عبد الملك حثَّه على فِعْل ذلك وعلى المبادرة إليه ، حين عزم عليه؛خشية أن تنفسخَ عزيمته عن ذلك إن أخَّره إلى صلاة الظهر أو يموت قبل فِعْله .

وروى أبو نعيم بإسناده أن عبد الملك دخل على أبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ماذا تقول لربك إذا أتيتَه وقد تركتَ حقًّا لم تُحْيِهِ وباطلًا لم تُمِتْه ؟!

وفي رواية : ماذا أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال : رأيت بدعةً فلم تُمتها وسنَّة فلم تُحْيها ؟

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «الزهد» عن أبي شوذب قال : جاءت امرأة عبد الملك بن عمر إليه وقد ترجَّلت[2] ، ولبست إزارًا ورداءً ونعليْن ، فلما رآها قال : اعتدِّي ، اعتدِّي .

قال ابن رجب : وقوله : اعتدِّي . كناية عن الطلاق ؛ وإنما طلقها لما رآها قد تشبَّهت بالرجال في اللباس .

---

(١) الجلم : المقراض ، الذي يُجزُّ به الشعر والصوف .
(٢) أي لبست لبس الرجال .

أما هوان نفسه عليه في ذات الله ورضاه بما يناله من الأذى في الله عز وجل :

فقد قال ميمون بن مهران : قال عبد الملك بن عمر لأبيه يومًا : يا أَبَهْ ، ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل ؟ فوالله ما كنتُ أُبالي لو غَلَتْ بي وبك القدور في ذلك .

وقال الربيع بن سبرة : قال عمر بن عبد العزيز يومًا : والله لَوَدِدْتُ لو عدلت يومًا واحدًا ، وأنَّ الله توفَّى نفسي . فقال ابنه عبد الملك : وأنا والله لَوَدِدْتُ لو عدلتُ فُواقَ ناقةٍ ، وأن الله توفَّى نفسي . فقال عمر : الله الذي لا إله إلا هو ؟ فقال عبد الملك : الله الذي لا إله إلا هو ، ولو جاشت بي وبك القدور.فقال عمر : جزاك الله خيرًا .

وقال سليمان بن حبيب المحاربي – قاضي الخلفاء –: قال عبد الملك بن عمر : والله ما من أحدٍ أعزُّ عليَّ من عمر ، ولئن سمعتُ بموته ، أَحَبُّ إلَيَّ من أن أكون كما رأيته .

قال ابن رجب: «العارفون بالله المحبُّون لله، يرضون بما تقتضيه مقاديره، وإن كانت شاقَّة على النفوس مؤلمة لها ، ويتلذَّذون بذلك ، ولا سيما إن كان أذاهم في تنفيذ أوامر الله والدعاء إلى طاعة الله ؛ وكان هذا مقام عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك رضي الله عنه »[(١)] .

وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الملك : ما كنتُ أحبّ أن أراه فيك إلا قد رأيته ، إلا شيئًا واحدًا . قال : ما هو ؟ قال : موتك . قال : أراكه الله . فأصابه الطاعون في خلافة أبيه ، فمات قبل أبيه ، ووقف عمر على قبره وقال : رحمك الله يا بني، فلقد كنتَ برًّا بأبيك، وما زلت منذ وهبك الله لي مسرورًا، ولا والله ما كنت أشد سرورًا ولا أرجى لحظِّي من الله فيك ، منذ وضعتُك في الموضع الذي صيَّرك الله إليه ، فرحمك الله وغفر ذنبك ، وجزاك بأحسن

(١) سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز صـ ٦٤ .

عملك وتجاوز عن سيئه ، ورحم كلَّ شافعٍ يشفع لك من شاهد وغائب . رضينا بقضاء الله، وسلَّمنا لأَمْره، والحمد لله رب العالمين. رحمك الله يا عمر.

روى الإمام أحمد بإسنادٍ له : أن عمر بن عبد العزيز تتابعت عليه مصائب ؛ مات أخ له[1] ، ثم مات مزاحم مولاه ، ثم مات عبد الملك ابنه ، فلمَّا مات عبد الملك - رحمه الله - حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لقد دفعتْه النساء في الخِرَق ، فما زلتُ أرى فيه السرور وقرَّة العين إلى يومي هذا ، فما رأيتُ فيه أمرًا قط أقرَّ لعيني من أمر رأيته فيه اليوم .

قال الربيع بن سبرة لعمر : أعظم الله جزاءك يا أمير المؤمنين ، فما رأيتُ أحدًا أُصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ؛ والله ما رأيتُ مثل ابنك ابنًا ، ولا مثل أخيك أخًا ، ولا مثل مولاك مولًى قط .

وقال سيار بن الحكم خادم عمر: قال ابن لعمر بن عبد العزيز يُقال له : عبد الملك - وكان يفضل على ابيه عمر -: يا أبَهْ ، أقم الحقَّ ولو ساعة من نهار .

« وروى الدورقي بإسناد له : أن عمر قال لابنه عبد الملك يومًا : يا عبد الملك ، إني أخبرك خبرًا : لا والله إن رأيت فتىً ماشيًا قط أنْسَك منك نسكًا ولا أفقه فقهًا ولا أقرأ منك ، ولا أبعد من صبوةٍ في صغير ولا كبير »[2] .

السيد الربَّاني : علي بن الفضيل بن عياض :

« قال الخطيب : كان من الورع بمحل عظيم ، ومات قبل أبيه بمدة .

قال فضيل: قال لي عبد الله بن المبارك: يا أبا علي، ما أحسن حال من انقطع إلى ربِّه. قال: فسمع ذلك ابنه عليّ؛ فسقط مغشيًّا عليه. وقال ابن المبارك: خير الناس- يعني في ذلك الوقت- فضيل بن عياض، وابنه عليّ خيرٌ منه.

---

(١) هو سهل بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) سيرة عبد الملك بن عمر صـ ٧٦ . والصبوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل ومنه التصابي .

وقال ابن عيينة : ما رأيتُ أخوف من الفضيل وابنه »[١] .

لله درُّ عليٍّ من خائفٍ وَجِلٍ ، وشاب ذائبٍ نَحِلٍ .

قال شهاب بن عباد : كانوا يعودون عليّ بن الفضيل وهو بمنى فقال : لو ظننتُ أن أبقى إلى الظهر لشقَّ عليَّ .

وعن محمد بن الحسين قال : كان عليُّ بن الفضيل يصلِّي حتى يزحف إلى فراشه ، ثم يلتفت إلى أبيه فيقول : يا أبتِ سبقني المتعبدون .

وقال أبو سليمان : كان عليّ بن فضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تقرأ عليه .

وكان رحمه الله يقول : ويحي من يوم أشد الأيام ، ولكَمْ من قبيحةٍ تكشفها القيامة غدًا !!

وعن فضيل : أنهم اشتروا شعيرًا بدينار - وكان ذلك في غلاء من الشعير - فقالت أم علي للفضيل: قوِّرْتُه لكل إنسان قرصين . فكان عليّ يأخذ واحدًا ويتصدَّق بالآخر حتى كاد أن يُصيبَه الخواء ، أو أصابه بعض ذلك .

ومات رحمه الله من جرَّاء آيةٍ ظل يردِّدُها وهو يصلِّي ، وهي قوله تعالى : **﴿ ولو ترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَد ولا نكذِّب بآيات ربِّنا ونكونَ مِنَ المؤمنين ﴾** [الأنعام : ٢٧] .

وكان الفضيل يبكيه ويقول: واقتيلَ جهنماه، واقتيلَ القرآن، حبيبي من كان يساعدني على الحزن والبكاء. يا ثمرة قلبي، شكرَ الله لك ما قد علمه فيك.

فتى الفتيان ، سيِّد العُبَّاد والرهْبَان ، السختياني أيوب بن كيسان :

قال عنه الحسن : أيوب سيد شباب أهل البصرة .

وقال عنه الحسن أيضًا : سيد الفتيان .

وهذا سفيان بن عيينة ؛ لقي ستة وثمانين من التابعين ، وكان يقول :

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ / ٣٧٣ - دار صادر .

ما رأيتُ مثل أيوب ..

وكان آية في شبابه ، وامتدَّ به العمر حتى حجَّ أربعين حجَّة ، وكلُّ أفعاله عجب .

الشافعي ناصر السنة وهو شاب :

قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمته لكتاب « الرسالة » للشافعي : « نبغ الشافعي في الحجاز ، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة ، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لسن وجَدَل ، وكادوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي ؛ فجاء هذا الشاب يناظر وينافح ، ويعرف كيف يقوم بحُجَّته ، وكيف يُلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنة ، وكيف يفصِّل للناس طرق فهْم الكتاب ، وكيف يدلّهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض .. حتى سماه أهل مكة : « ناصر الحديث » وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره ، فكانوا يفدون إلى مكة للحج يناظرونه ، ويأخذون عنه في حياة شيوخه ، حتى إن أحمد بن حنبل جلس معه مرة ، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه أن ترك مجلس ابن عيينة – شيخ الشافعي – ويجلس إلى هذا الفتى !! فقال له أحمد : اسكت ، إنك إن فاتك حديث بعُلُوّ وجدتَه بنزول ، وإن فاتك عقل هذا أخاف أن لا تجده ؛ ما رأيتُ أحدًا أفْقَه في كتاب الله من هذا الفتى » .

ولقد جلس للإفتاء وهو لا يتجاوز العشرين من عمره ، وملأ طباق الأرض علْمًا .. لله درُّه .

البخاري يكتب « التاريخ الكبير » وهو ابن ثماني عشرة سنة : المثال العالي الغالي لعلوِّ هِمَّةِ الشباب :

الكبش النطَّاح كما سمَّاه يحيى بن محمد ، أو البازل أي الكامل كما سمَّاه أبو بكر بن أبي شيبة؛ كان وهو شاب فضْلُه على العلماء كفضل الرجال على النساء.

قال حاشد : كنا يومًا عند إسحاق بن راهويه وعمرو بن زرارة وهو يستملي على أبي عبد الله البخاري ، وأصحاب الحديث يكتبون عنه وإسحاق يقول : هو أبصر مني . وكان أبو عبد الله إذ ذاك شابًّا .

قال البخاري رحمه الله : « لما طعنتُ في ست عشرة سنة حفظتُ كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء يعني : أصحاب الرأي .. فلما طعنتُ في ثماني عشرة صنَّفت كتاب «قضايا الصحابة والتابعين»، ثم صنَّفت « التاريخ » في المدينة عند قبر النبي ﷺ ، وكنتُ أكتبه في الليالي المقمرة ، وقلَّ اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلَّا أني كرهت أن يطول الكتاب». هذا الكتاب الذي دخل به إسحاق بن راهويه على عبد الله بن طاهر وقال : أيها الأمير، ألا أُريك سحرًا ؟! سبحان الله !! والكتاب يقع في ثلاثة عشر مجلدًا .

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن عقدة : لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث ؛ لما استغنى عن تاريخ محمد بن إسماعيل .

قال البخاري : « دخلتُ على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة ، فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث ، فلمَّا بصُر بي قال : جاء من يفصل بيننا . فعرضا عليَّ الخصومة ، فقضيتُ للحميدي وكان الحق معه » . لله درُّه من فتًى يُناطح الكباش .

ولمَّا قدم البصرة وهو شابٌ في جامع البصرة؛ نودي يا أهل العلم، لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فاجتمع إليه من الغد المحدِّثون والحفَّاظ والفقهاء والنظَّارة ، حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألف نفس ، فجلس أبو عبد الله للإملاء فقال قبل أن يأخذ في الإملاء : يا أهل البصرة ، أنا شاب وقد سألتموني أن أُحدِّثكم ، وسأحدِّثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها . يعني : ليست عندكم .. يقول في كل حديث : هذا الحديث عندكم كذا فأما مِن رواية فلان - يعني التي يسوقها - فليست عندكم . فتعجَّب الناس . لله درُّه

من حَبْرٍ عجيبٍ يأتي بالأعاجيب .

ابن تيمية يُسْلم على يديه يهودي وهو صبي ، فكيف كان في شبابه ؟! :

قال الشيخ الحافظ عمر البزار : « كان الشيخ رضي الله عنه في حال صغره إذا أراد المضي إلى المكتب ، يعترضه يهودي - كان منزله بطريقه - بمسائل يسأله عنها .. وكان يجيبُه عنها سريعًا حتى تَعجَّب منه ، ثم إنه صار كلَّما اجتاز به يُخبره بأشياء مما يدلّ على بطلان ما هو عليه ؛ فلم يلبث أن أسلم وحَسُن إسلامه ، وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه »[1] .

فكيف كان شبابه إنْ كان هذا صغره ؟!!

والتاريخ مليءٌ بمَن أفنوا شبابهم في طاعة الله :

وعلى رأسهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وهو شاب ، والدارقطني ، والإمام النووي . ولك أن تراجع عُلُوَّ همَّة الصبيان ، ثم تتبع هؤلاء في شبابهم .

محمد الفاتح يفتح القسطنطينية وهو في سنِّ الثالثة والعشرين :

وهذا السلطان محمد الفاتح يفتح القسطنطينية و لم يكمل الثالثة والعشرين من عمره كما مرّ بنا .

مصطفى كامل الزعيم المصري ، يتحدَّى الاحتلال الإنجليزي :

هذا الجبل المصري الذي ولد وكأنَّه جبل ؛ فالرجل ابن الطفل ، وأكثر ما يحقِّقه الرجال والشيوخ أحلام تساورهم وهم أطفال ؛ فأحلام الطفولة هي حقائق الرجولة ، وإذا أردت أن تعرف الرجل فابحث عن أسرار عظمته في طفولته .

وقد كانت حياة هذا الزعيم الفذِّ آيةً ؛ بدأت في الرابع عشر من أغسطس سنة ١٨٧٤ ، وانتهت في العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ . حياة عظيمة وقصيرة

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزار صـ ١٧ - المكتب الإسلامي .

دامت أربعًا وثلاثين سنة .. وهذا الزعيم كان متميزًا في خطِّه الإسلامي وانتمائه واعتزازه بدولة الخلافة ، وهو بهذا ينفرد عن غيره .. كان يصاحب أباه في طفولته في صلاة الفجر ، واستطاع أن يحفظ وِرْدَ السَّحَر .

كانت رسالة مصطفى كامل ذات ثلاث غايات يجمعها جميعًا هدف واحد :

الأولى : كره الاحتلال البريطاني ورفْض احتماله أو السكوت عليه ، واعتباره بلاءً وكارثةً وعارًا .

الثانية : إقناع المصريين بأن إجلاء الاحتلال البريطاني عن مصر ممكن ، وأنه من غير المستحيلات .

الثالثة: أن مصر عظيمة وجليلة ورائعة وجديرة بكلِّ حبٍّ وولاء وفداء.

يكتب مصطفى كامل : « إني أبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة ، وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر الحميَّة والإخلاص اللذين أشعر بهما في سبيل رِفْعَة الوطن » .

يقول رحمه الله في رسالته إلى أخيه : « اعذرني أيها العزيز فإني أُتْعب نفسي ليلًا ونهارًا ، وإنْ كان هذا التعبُ لا يُذكر في جانب ما علينا لوطننا المقدَّس من الواجبات ، فلو رأيتني الآن لرأيت مصريًّا يحترق قلبُه لرؤية أمتهِ سعيدة ، مالكةً زمام أمرها ، ووطنه مستقلًا رفيع المنزلة . تراني حركةً مستمرة ؛ تارةً أُحادث ، وتارةً أُكاتب ، ومرة أزور ، وحينًا أُهاجم وحينا أدافع . أما صحتي فلم يطرأ عليها تغيير ، وهب أنه طرأ عليها شيء ؛ فإن من يبذل الروح وهي الجوهر ، لا يبالي بالجسم وهو العَرَض » .

يقول رحمه الله : « إنِّي لا أنال صغيرًا ولكنّ لي أطماعًا جمامًا ، فإني أُريد أن أوقظ في مصر الهرمة مصر الفتاة » .

وقال : « لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة » .

وقال : « إنَّ من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة ؛ يبقى أبدَ

الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » .

وقال : « لو انتقل فؤادي من الشمال إلى اليمين ، أو تحوَّلت الأهرام عن مكانها ؛ لما تغيَّر لي مبدأ ولا تحوَّل لي اعتقاد » .

وقال : « مهما تعدَّدت الليالي ، وتعاقبت الأيام ، وأتى بعد الشروق شروق وأعقب الغروب غروب ؛ فإننا لا نملُّ ، ولا نقف ، ولا نقول أبدًا : طال الانتظار . لو تخطَّفنا الموت من هذه الدار واحدًا بعد واحد ، لَكانت كلمتُنا لمن بعدنا : كونوا أسعدَ حظًّا منا ، ليبارك الله فيكم ، ويجعل الفوز على أيديكم »[1] .

رحمك الله ؛ فَلَكَمْ زَلْزَلْتَ أركان الإمبراطورية البريطانية الصليبية بخُطَبك وصوتك !!

ولله درُّ حافظ إبراهيم حين يقول في رثاء مصطفى كامل :

أَيَا قـبرُ هذا الضيفُ آمالُ أُمَّـةٍ ... فكبِّرْ وهَلِّلْ والْقَ ضيفَكَ جاثيا

عزيزٌ علينا أنْ نرى فيك «مصطفى» ... شهيدَ العُلا في زهرةِ العُمْرِ زاويا

أيا قبرُ لوْ أنّا فقدناه وَحْدهُ ... لكانَ التأسِّي من جَوَىٰ الحزْنِ شافيا

ولَكنْ فقدنا كلَّ شيءٍ بفقْدِهِ ... وهيهاتَ أنْ يأتي بِهِ الدهرُ ثانيا

فيا سائلي أين المروءة والوفا ... وأينَ الحِجا والرأيُ ويْحَكَ ها هيا

هنيئًا لهُ فلْيأمنوا كل صائحٍ ... فقدْ أُسكِتَ الصوتُ الذي كان عاليا

ومات الذي أحيا الشُّعور وساقَهُ ... إلى المجْدِ فاستحيا النفوسَ البواليا

مدَحْتُك لمَّا كنتَ حَيًّا فلم أُجِدْ ... وإني أُجيدُ اليومَ فيكَ المَراثِيا

عليك وإلّا ما لذا الحزنِ شاملًا ... وفيكَ وإلَّا ما لذا الشعبِ باكيا

يموتُ المداوي للنفوس ولا يرىٰ ... لما فيه من داء النفوس مداويا

وكنَّا نيامًا حينما كنتَ ساهِدًا ... فأسهدْتَنا حزْنًا وأمسيتَ غافيا

---

(١) مصطفى كامل لفتحي رضوان ، سلسلة « اقرأ » .

شهيدَ العُلا لا زال صوتُك بيننا ... يَرِنُّ كما قد كانَ بالأمس داويا
يهيبُ بنا: هذا بناءٌ أقمتُـهُ ... فلا تهدموا باللهِ ما كنتُ بانِيا
يصيحُ بنا: لا تُشعِروا الناسَ أنني ... قضَيْتُ وأنَّ الحيَّ قد باتَ خاليا
يناشدنـا بـالله ألَّا تَفَرَّقـوا ... وكونوا رجالًا لا تسُرُّوا الأعاديا
فيا نيلُ إنْ لم تجر بعدَ وفاتِهِ ... دمًا أحمرًا لا كنتَ يا نيلُ جاريا
ويا مصرُ إنْ لمْ تحفظي ذكْرَ عهدِهِ ... إلى الحشْرِ لا زالَ انحلالُكَ باقيا
ويا أهلَ مصرٍ إنْ جهلتم مُصَابَكمْ ... ثِقُوا أنَّ نجمَ السَّعْدِ قد غار هاويا
ثلاثونَ عامًا بلْ ثلاثونَ درَّةً ... يُجيد الليالَي ساطعاتٍ زواهيا
ستشهدُ في التاريخ أنَّكَ لم تكنْ ... فتًى مفرَدًا بلْ كنتَ جيْشًا مُغازيا[1]

هؤلاء فتية الإسلام :

وقفوا على هامِ الزمانِ رجالًا ... يتوثَّبـون تطلُّعـًا ونِضالا
وحْي السماءِ يجيشُ في أعماقِهِمْ ... ونداؤُهُ منْ فوقِهِ يتعالـى
باعوا النفوسَ لربِّهِمْ واستمسكوا ... بكتابهِ .. واستقبلوا الأهوالا
في وَقْدةِ الصحراءِ في فَلَواتِها ... حملوا تكاليفَ الجهادِ ثِقالا
تُشوى على رَمْضائها أجسامُهُمْ ... لكنَّهم لا يعرفونَ مُحَالا
فامتدَّ في شرقِ البلادِ وغربِها ... نورٌ تتيهُ بِهِ الحياةُ جمالا
فتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مِثْلَهُم ... أُسْدًا تُخَلِّفُ بعدها أشبالا

* * *

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم .

الفصل الثاني

عُلُوُّ هِمَّةِ الصِّبيانِ

كأنَّهم وُلِدُوا مِنْ قبل أنْ وُلِدوا أوْ كَانَ فَهْمُهُمْ أيَّامَ لَمْ يَكُنِ

« المتنبي »



□ عُلُوُّ هِمَّةِ الصبيانِ □

من قسمة الله التي أمضاها ، واستأثر بسرِّ مقتضاها ؛ أن جعل من بعض الصبيان من عَلَتْ هِمَّتُه ، فكان قُرَّةَ عينٍ ، ودُرَّة زيْنٍ .

«فكم من ولد شُدَّ به أزْر سلفِهِ ، وشِيد به ذكْر خلَفِهِ ؛ فكان بدرًا في بروج المحاشد[1] ، وقُطبًا لفلك المحامد »[2] .

كأنهم وُلدوا من قبلِ أن وُلدوا   أو كان فهْمُهُمُ أيامَ لم يكُنِ[3]

وهذا فصْل جمعنا فيه من دُرَرِ أنباء نُجباء الأبناء ، ما هو كشررةٍ من ضرام ، بل كقطرةٍ من رِهام[4] ؛ قصدتُ به تلقيح هِمَّة غلام ، وتنقيح فِطنة كَهَام[5] .

١ - يحيى بن زكريا عليهما السلام :

قد كانت لزكريا عليه السلام إلى ملك الملوك حاجةٌ ، ولازم سُدَّة مولاه إلى أن أتتْه الإجابة .

قال تعالى : ﴿ **يا زكريا إنا نبُشِّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبلُ سميًّا** ﴾ [مريم : ٧] . « إن الله هو الذي سمَّاه ، ولم يكِلْ تسميته لأبيه ، وفي هذا منقبة عظيمة ليحيى »[6] ما أظنُّ أن أحدًا من البشر حازها

---

(١) المجامع .

(٢) أنباء نُجَبَاء الأبناء، لمحمد بن مُظفر، تحقيق: إبراهيم يونس، طبع دار الصحوة ص١٩.

(٣) ديوان المتنبي ص١٨٢ .

(٤) رهام : جمع رِهمة بكسر الراء ، وهي المطر الضعيف القطر .

(٥) كَهَام : يُقال : فرس كَهَام ؛ أي بطيء عن الغاية . والمراد : غلام مُقصِّر لا يُحاول الوصول إلى غايته .

(٦) أضواء البيان ٤/٢١٤ .

سواه . قال ابن عباس : لم يُسمَّ يحيى قبله غيره ، وقال أيضًا : هل تعلم له مثلًا أو شبهًا . ومَنْ تولّى الله تسميته ... صنعه على عينه .

قال تعالى : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًّا** ﴾ [مريم : ١٢] ؛ فهمًا وعلمًا وجدًّا وعزمًا، وإقبالًا على الخير، وانكبابًا عليه، واجتهادًا فيه، وهو حَدَثٌ صغير.

قال أبو حيان : الحكْم : النبوة .

آتاه الله الحكم صبيًّا ، فكان فذًّا في زاده كما كان فذًّا في اسمه وميلاده ، فالحكمة تأتي مُتأخِّرة ، ولكن يحيى قد زُوِّد بها صبيًّا .

قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهبْ بنا نلعب . قال : ما للَّعب خُلقنا .

فسلام الله على مَنْ سلَّم الله عليه في مواطن الوحشة وأمَّنه ، وسلام الله على مَنْ وصفه الله بالسيادة ، فكان سيِّدًا في العلم والعبادة .

٢ - غـلام الراهـب :

عن صُهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرتُ ، فابعثْ إليَّ غلامًا أُعلِّمه السِّحْرَ . فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهبٌ ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيتَ الساحر فقلْ : حبسني أهلي ، وإذا خشيتَ أهلك فقلْ : حبسني الساحر. فبينما هو على ذلك إذْ أتى على دابَّة عظيمة قد حبستِ الناسَ. فقال : اليوم أعلم ؛ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ ؟ فأخذ حجرًا ، فقال : اللهمَّ إنْ كان أمْر الراهب أحبَّ إليك من أمْر السـاحر فاقتلْ هذه الدابة حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهبَ فأخبره . فقال له الـراهب : أي بُني ، أنت اليوم أفضلُ مني ، قد بلغ من أمْـرك ما

أرى ، وإنك ستُبتلى ، فإنِ ابتُليتَ فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلام يُبرىء الأكمه[١] والأبرص ، ويُداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هاهنا أجمع لك إنْ أنت شفيتني . قال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ ، فإنْ آمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاك . فآمن بالله ، فشفاه الله ، فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : مَنْ ردَّ عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربِّي وربُّك الله . فأخذه ، فلم يزل يُعذِّبه حتى دلَّ على الغلام . فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بنَّي ، قد بلغ من سحرك ما يبرىء الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ! فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عز وجل . فأخذه ، فلم يزل يُعذِّبه حتى دلَّ على الراهب . فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمئشار[٢]، فوضع المئشار على مفرق رأسه ، فشقَّه به حتى وقع شِقَّاهُ . ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقَّه حتى وقع شِقَّاه . ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإنْ رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه . فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قُرقُور[٣]، فتوسَّطُوا به البحر ، فإنْ رجع عن دينه ،

---

(١) الأكمه : الذي خُلق أعمى .

(٢) قال النووي: «المئشار»مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياءً ، ورُوي المنشار بالنون ، وهما لغتان صحيحتان .

(٣) القُرقُور: قال النووي: بضم القافين، السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة، واختار =

وإلا فاقذفوه . فذهبوا به ، فقال : اللهمَّ اكفنيهم بما شئتَ . فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ! قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جِذع ، ثم خذْ سهمًا من كنانتي ، ثم ضعِ السهم في كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارم ، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جِذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله ربِّ الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم في صُدْغه ، فوضع يده في صُدْغه موضع السهم فمات . فقال الناس : آمنَّا بربِّ الغلام ، آمنَّا بربِّ الغلام . فأُتي الملك ، فقيل له : أرأيتَ ما كنتَ تحذر ؟ قد - والله - نزل بك حذرُك ، قد آمن الناس! فأمر بالأخدود[1] بأفواه السِّكَك فخُدَّتْ، وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحمُوه[2] فيها. ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها، فتقاعستْ أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمَّهْ ، اصبري فإنك على الحقِّ »[3].

٣ - علي بن أبي طالب :

« صُبْحٌ لا يُحجبُ فَلَقُه[4]، وسابح لا يُستوعب ....

= القاضي الصغيرة .

(١) الأخدود : الشَّقُّ العظيم في الأرض .

(٢) فأحموه : أي ارموه فيها ؛ من قولهم : حميت الحديدة وغيرها ،إذا أدخلتها النار لتُحمى . قال النووي : ووقع في نُسَخ بلادنا (فأقحموه) بالقاف ، ومعناه : اطرحوه فيها كرهًا .

(٣) رواه مسلم وأحمد والترمذي، وعزاه المزيُّ للنسائي، وأخرجه الطبري في التفسير.

(٤) نوره .

طَلَقُه »[١] .

« عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ : عليُّ ابن أبي طالب »[٢].

قال محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي : عليٌّ أول مَنْ أسلم .

قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

وعن ابن إسحاق قال : أوَّلُ ذَكَرٍ آمن برسول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّقه : عليُّ بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين ، وكان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

« وقال محمد بن كعب : أول مَنْ أسلم من هذه الأُمَّة : خديجة ، وأول رجُلين أسلما : أبو بكر وعلي . وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر ، وكان علي يكتم إيمانه ؛ خوفًا من أبيه ، حتى لقيه أبوه ، قال : أسلمتَ ؟ قال : نعم . قال : وازرِ ابن عمِّك وانصرْه .

وعن ابن عباس : أول مَنْ صلَّى : عليٌّ .

وعن جابر : بعث النبي ﷺ يوم الإثنين، وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء »[٣].

وجمعًا بين الأقوال كلها : « أول مَنْ أسلم من النساء خديجة –

---

(١) جري الفرس .

(٢) حسن رواه أحمد ، وأخرجه النسائيُّ في « الخصائص » مُختصرًا ، والحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي ، والنسائيُّ في الفضائل ، وأحمد في «فضائل الصحابة»، وابن سعد في «الطبقات»، وابن أبي شيبة . وفي بعض طرق الحديث « أول من صلَّى » .

(٣) البداية والنهاية ٣/٢٥ .

وقيل : الرجال أيضًا - وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول مَنْ أسلم من الغلمان عليٌّ بن أبي طالب ، فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور ؛ كانوا إذ ذاك أهل البيت ، وأول مَنْ أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصدِّيق »[1].

« رضي الله عن الغلام المبارك الذي وُلد في الإيمان والعبادة والهدى ، وكان سابق المسلمين. بُوركت هذه الحياة !! حياة لم تكن لها قطُّ: صبوةٌ، ولا شهوة ، ولا هفوة !! حياة وُلد صاحبها ، وتَبِعاتُ الرجال فوق كاهله !! حتى لهْو الأطفال ، لم يكن لحياة ابن أبي طالب فيه حظٌّ ولا نصيبٌ !! لكأنَّ المقادير كانت تدَّخر سمْعه ووجدانه لكلمات أخرى ستُغيِّر وجه الأرض ووجه الحياة !

وفي نور الآيات المُنزَّلة قضى عليٌّ بواكير حياته النضرة ؛ يبَهره نورُها ، ويهزُّه هديرُها . وكان ربيب الوحي ، والتلميذَ الأول للقرآن .. وكان له فضْل السبق والصدْق »[2].

وَوُرِّث فرعَ المجدِ من آلِ هاشمٍ وجاء كريمًا من كرامٍ أماثلِ

٤ - تُرجمان القرآن وحَبْرُ الأُمَّة عبد الله بن عباس :

ما كان يشغل بال ابن عباس وهو صبيّ - ابن عشر سنين - إلا معرفة كيفية قيام النبي ﷺ .

وأعدَّ وضوء النبي ﷺ لصلاة الليل ، فدعا له « اللهمَّ فقِّهْهُ في الدين » ، وصار بهذا الدعاء - الذي ناله وهو صبي - حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

---

(١) البداية والنهاية ٣/٢٦ . وهو قول أبي حنيفة أيضًا .

(٢) في رحاب علي لخالد محمد خالد ، خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص٣٥٩- ٣٦١.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « صلَّيتُ مع النبي ﷺ ، فقمتُ إلى جنبه عن يساره ، فأخذني فأقامني عن يمينه . قال : وقال ابن عباس : وأنا يومئذٍ ابن عشر سنين »(١) .

وفي لفظ لمسلم : « فجعلتُ إذا أغفيتُ ، يأخذ بشحمة أُذُني اليمنى يفتلُها » .

قال النووي : « إنما فتلها ؛ تنبيهًا له من النُّعاس »(٢) .

وَلَكَمْ يخشع القلم أمام حَبْر الأمة وهو يقوم الليل وهو غلام ، ويجعل هَمَّه حين يبيت عند خالته ميمونة أن لا ينام حتى ينظر ما يصنع في صلاة الليل ، كما ورد في الحديث . عزم في نفسه على السهر ؛ ليطَّلع على قيام النبي ﷺ للَّيل ، ثم خشي أن يغلبه النوم ، فيُوصي خالته كما يُحدِّثنا : « فقلتُ لميمونة : إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظيني » . ثم انظر إلى أدبه يقول : « فقمتُ فتمطَّيْتُ ؛ كراهة أن يرى أني كنتُ أرقبه » . وكأنه خشي أن يترك رسول الله ﷺ بعض عمله ؛ لِمَا جرى من عادته ﷺ أنه كان يترك بعض العمل ؛ خشية أن يُفرض على أُمَّته . ويكابد ابن عباس السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهو يُحيي معظم الليل ..

انظرْ إلى جبهة الغلام الطَّيِّب المبارك ، وهي تسجد لربِّها قدْر قراءة خمسين آية في ظلام الليل ، ويعطف رسول الله ﷺ ويُشفق على ابن عمِّه الصغير . فيقول ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « وضع يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأُذُني اليمنى يفتلها ، فجعل يمسح بها أُذُني ، فعرفتُ أنه إنما صنع ذلك ليؤنسني بيده في ظُلمة البيت » .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده ، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٤٣٧) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٤١١ .

انظروا معاشر المؤمنين ، وقولوا للعالم أجمع : تعالوا ، فهذه هِمَمُ صِبية بيت النبوَّة ، وهذا أدبُهم لله دَرُّهم من « طين عُجن بماء الوحي ، وغُرِس بماء الرسالة فهل يفوح منها إلا مسْك الهدى وعنبر التُّقى »(١)!!

٥ - الزبير بن العوَّام :

حواريُّ رسول الله ﷺ . أسلم وهو حَدَثٌ ، له ستُّ عشرة سنة . وهو أول مَنْ سلَّ سيفه في سبيل الله .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « عن عروة قال : أسلم الزبير ، ابن ثمان سنين ، ونُفخت نفخةٌ من الشيطان أن رسول الله ﷺ أُخِذَ بأعلى مكة . فخرج الزبير وهو غُلام ، ابن اثنتي عشرة سنة ، بيده السيف ، فمن رآه عجِب ، وقال : الغلام معه السيف ! حتى أتى النبي ﷺ ، فقال : ما لك يا زبير ؟ فأخبره وقال : أتيتُ أضرب بسيفي مَنْ أخذك . فدعا له ولسيفه »(٢) .

قال يتيم عروة محمد بن عبد الرحمن النوفلي المدني : « هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وكان عمُّه يعلِّقه ويُدَخِّنُ عليه ، وهو يقول : لا أرجع إلى الكفر أبدًا »(٣) .

هذه طفولة الحواريِّ ، فكيف شبابه وكهولته !! .

---

(١) قول يحيى بن معاذ في تاريخ بغداد ٢١١/١٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وأبو نعيم في الحلية ورجاله ثقات .
انظر الإصابة ٨/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤١/١ - ٤٢ ، الاستيعاب ٣١١/٣ ، أُسْد الغابة ٢٥٠/٢ .

(٣) حلية الأولياء ٨٩/١ ، والطبراني في الكبير (٢٣٩) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٥١/٩ وقال : رجاله ثقات إلا أنه مرسل ، وأخرجه الحاكم ٣/ ٣٦٠ ، والذهبي في السير ٤٤/١ .

كانت أُمُّه صفية تضربه ضربًا شديدًا وهو يتيم ، فقيل لها : قتلته ، أهلكته ، قالت :

إنما أضْرِبُه لكي يَـدِبّ ويهزمَ الجيشَ ويأتي بالسَّلَبْ[(١)]

قال عروة بن الزبير : كسر الزبير ذات يوم يدَ غلامٍ ، فجيء بالغلام إلى صفية ، فقيل لها في ذلك ، فقالت :

كيف وجدتَ زَبْرا أأَقِطًا أمْ تَمْـرا
أم مُشْمَعِلًّا صَقْرا[(٢)]

٦ - سعد بن أبي وقَّاص خالُ رسول الله ﷺ :

قال موسى بن طلحة: «كان عليٌّ، والزبير، وطلحة، وسعد، عِذار عام واحد ؛ يعني وُلدوا في سنة»[(٣)] .

ويقول سعد : « لقد شهدتُ بدرًا ، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي »[(٤)].

وقد كان سعد من السابقين إلى الإسلام .

قال سعيد بن المسيب : سمعتُ سعد بن أبي وقاص يقول : « ما أسلم

---

(١) الإصابة ٤/٧ - ٨ . وعند ابن سعد في الطبقات والذهبي في السير ١/٤٥ « ويجرّ الجيش ذا اللَّجبْ » .

(٢) في السير ١/٤٥ « كيف وجدتَ وبْرا » .
والأقِط : بفتح الهمزة وكسْر القاف ، وقد تُسكن . قال الأزهري : ما يُتَّخذ من اللبن المخيض ، يُطبخ ثم يُترك حتى يمصل . والمُشْمَعِلّ : السريع ، يكون في الناس والإبل .

(٣) سير أعلام النبلاء ١/٤٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/٩٧ .

أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لَثُلُثُ الإسلام »[١] .

وروى الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص « أنه نزلت فيه آيات من القرآن . قال : حلفتْ أمُّ سعد ألا تُكلِّمه أبدًا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمتَ أنَّ الله وصَّاك بوالديك ، وأنا أُمُّك ، وأنا آمرك بهذا . قال : مكثتْ ثلاثًا حتى غُشي عليها من الجهد . فقام ابنٌ لها يُقال له : عُمارة ، فسقاها ، فجعلتْ تدعو على سعد . فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : ﴿ **ووصَّينا الإنسان بوالديه حُسْنًا** ﴾ ، ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي** ﴾ [لقمان : ١٥] وفيها : ﴿ **وصاحبْهما في الدنيا معروفا** ﴾.

وعن سعد قال : نزلتْ هذه الآية فيَّ : ﴿ **وإنْ جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تُطعهما** ﴾ [العنكبوت : ٨] . قال : كنتُ بَرًّا بأمِّي ، فلما أسلمتُ ، قالت : يا سعد ، ما هذا الدين الذي قد أحدثتَ ؟ لَتَدعنَّ دينك هذا ، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتُعيَّرَ بي ، فيُقال : يا قاتل أُمِّه . قلتُ : لا تفعلي يا أُمَّهْ ، إني لا أدع ديني هذا لشيء . فمكثتْ يومًا لا تأكل ولا تشرب ، وليلة ، وأصبحتْ وقد جُهدتْ . فلما رأيتُ ذلك ، قلتُ : يا أُمَّهْ ، تعلمين والله لو كان لك مائة نفس ، فخرجتْ نفْسًا نفْسًا ، ما تركتُ ديني ، فإنْ شئتِ فكُلي أو لا تأكُلي . فلما رأتْ ذلك أكلتْ »[٢].

---

(١) رواه البخاري ، وابن ماجة ، وأحمد في فضائل الصحابة ، وأبو نعيم في الحلية . قال الحافظ في الفتح (٨٤/٧) : « قال ذلك بحسب اطلاعه . والسبب فيه أنَّ مَنْ كان أسلم في ابتداء الأمر كان يُخفي إسلامه » .

(٢) أخرجه أحمد، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والسيوطي في « الدُّرِّ المنثور » ، وابن المنذر .

٧ - عُمير بن أبي وقَّاص رضي الله عنه : (عمير بن مالك الزهري) :

« عن سعد بن أبي وقاص قال : ردَّ رسول الله ﷺ عُمير بن أبي وقاص عن بدر ؛ استصغَره ؛ فبكى عُمير ، فأجازه ، فعُقدت عليه حمالة سيفه . ولقد شهدتُ بدرًا ، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي »[١] .

وقُتل رحمه الله شهيدًا .

رضي اللهُ عن ابنَيْ أبي وقاص .. فهذا الشبل شقيق الأسد !

٨ ، ٩ ، ١٠- معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن الحارث « معاذ ابن عفراء » ، ومعوذ بن الحارث « قَتَلةُ فرعون هذه الأمة أبي جهل » :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : « إني لَواقفٌ يوم بدر في الصف ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار ؛ حديثة أسنانهما ، فتمنَّيْتُ أن أكون بين أظلع منهما ، فغمزني أحدهما ، فقال : يا عمّ ، أتعرف أبا جهل ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنه يسُبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يُفارق سوادي سوادَه حتى يموت الأعجل منا . فتعجَّبتُ لذلك ، فغمزني الآخر ، فقال لي أيضًا مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يجول في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما . فقال : « كلاهما قتله » ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عفراء »[٢] .

وعند البخاري : عن عبد الرحمن بن عوف : « إني لفي الصفِّ يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السنِّ ، فكأني لم آمن

(١) سير أعلام النبلاء ٩٧/١ ، وإسناده مُحتمل للتحسين .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عمّ ، أرني أبا جهل ، فقلتُ : يا ابن أخي ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إنْ رأيتُه أنْ أقتلَه أو أموتَ دونه ، وقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله . قال : فما سرَّني أنني بين رجُلين مكانهما ، فأشرتُ لهما إليه ، فشدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء »[١]. أي معاذ ومعوذ .

« وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : « مَنْ ينظر ما صنع أبو جهل ؟ ». فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . فقال : آنت أبا جهل ؟ قال ابن علية : قال سليمان : هكذا قالها أنس . قال : آنت أبا جهل ؟ قال : وهل فوق رجل قتلتموه ، أو قال : قتله قومه . قال : وقال أبو مجلز[٢]: قال أبو جهل : فلو غير أكَّار[٣] قتلني »[٤].

أكَّار ، ولكنهما صقران يا رأس أئمة الكفر وفرعون هذه الأمة !

لقد سُرَّ رسول الله ﷺ بما صنع الصقران وخرَّ ساجدًا،كما جاء عند البيهقي .

« عن معاذ بن عمرو قال : جعلتُ أبا جهل يوم بدر من شأني . فلما أمكنني ، حملتُ عليه ، فضربتُه ، فقطعتُ قدمه بنصف ساقه . وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي ، فطرح يدي وبقيتْ مُعلَّقة بجلدة بجنبي ، وأجهضني عنها القتال ، فقاتلتُ عامَّة يومي وإني لأسحبها خلفي ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو يعلى .

(٢) هذا القدر مُرسَل ؛ لأن أبا مجلز تابعيٌّ .

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٥) : الأكَّار ؛ بتشديد الكاف : الزرَّاع ، وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع ، فأشار إلى تنقيص مَنْ قتله منهم بذلك .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو يعلى .

فلما آذتني ، وضعتُ قدمي عليها ، ثم تمطَّأتُ عليها حتى طرحتُها » .

قال الذهبي مُعلِّقًا : « هذه والله الشجاعة ، لا كآخر ؛ مِنْ خَدْشٍ بسهم ينقطع قلبُه ، وتخور قواه »[1] .

١١ - عبد الله بن الزبير « عائذ بيت الله وفارس الخلفاء » :

كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وكبَّر المسلمون تكبيرة واحدة حتى ارتجَّت المدينة ، وحنَّكه رسول الله ﷺ .

وعند مسلم : « خرجتْ أسماء بنت أبي بكر ، حين هاجرتْ ، وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمتْ قباءً ، فنُفست بعبد الله بقباء ، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليُحنِّكه ، فأخذه رسول الله ﷺ منها ، فوضعه في حِجْره ، ثم دعا بتمرة . قال : قالت عائشة : فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها . فمضغها ، ثم بصقها في فيه . فإن أول شيْءٍ دخل بطنه لريقُ رسول الله ﷺ . ثم قالت أسماء : ثم مسحه وصلَّى عليه ، وسمَّاه عبد الله . ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ، ليُبايع رسول الله ﷺ ، وأمره بذلك الزبير . فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآه مُقبلًا إليه ثم بايعَهُ » .
نعم ، إنه ابن أبيه !!

تبيَّن فيه ميسم العزِّ والعُلا ... وليدًا يفَدَّى بين أيدي القوابلِ
فلما تَرَدَّى بالحمائلِ وانتحى ... يصولُ بأطرافِ الرماحِ الذوابلِ[2]
تَيَقَّنتِ الأعداءُ أنَّ زمانَهُ ... مُطيلٌ حنينَ الأُمَّهاتِ الثواكلِ

أدرك ابن الزبير من حياة النبي ﷺ ثمانية أعوام وأربعة أشهر !

---

(١) أخرجه ابن هشام ٦٣٤/١ - ٦٣٥ ، ورجاله ثقات ، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥٠/١ - ٢٥١ .

(٢) تردَّى بالحمائل : لبس حمائل السيف . الذوابل : المُتعطِّشة للدماء .

وقد رُوي من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ .

حدَّث عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدَّثه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : « يا عبد الله ، اذهبْ بهذا الدم فاهرقْه حيث لا يراك أحد » ، فلما برزتُ عن رسول الله ﷺ عمدتُ إلى الدم فحسوتُه ، فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ قال : « ما صنعتَ يا عبد الله ؟ » قال : جعلتُه في مكانٍ ظننتُ أنه خافٍ على الناس . قال : « فلعلك شربته ؟ » قلتُ : نعم . قال : « ومَنْ أمرك أن تشرب الدم ؟ ويلٌ لك من الناس وويل للناس منك »[1].

قال أبو عاصم : كانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم !

نفسٌ تُصغِّرُ نَفسَ الدهرِ من كِبَر لها نُهى كهْله في سنِّ أمْردِهِ

« روى الزبير بن بكّار عن هشام بن عروة قال : إنَّ أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير : السيف السيف . فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكوننَّ لك منه يوم ويوم وأيام »[2].

في البخاري عن عروة : « أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرسًا وهو ابن عشر سنين ، ووكل به رجُلًا »[3]

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده والحاكم في المستدرك وصحَّحه ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧٢/٨ ، وقال : رواه الطبراني والبزار باختصار ، ورجال البزار رجال الصحيح ، غير هُنيد بن القاسم وهو ثقة ، كذا قال . وذكر ابن أبي حاتم هنيد ، و لم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وقال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٣٦٦/٣ : « ما علمتُ في هُنيد جَرْحة » .

(٢) البداية والنهاية ٣٤٥/٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي : باب قتل أبي جهل . قال الذهبي في السير =

فقلتُ وقد فَرَسَ الناطقين كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأَسَدْ[1]

وكأنه أولى الناس بقول الشاعر حمزة بن أبيض :

بلغتَ لعشرٍ مضتْ مِن سنـيِّـك ما يبلغُ السيِّدُ الأشيبُ
فهمَّكَ فيها جسامُ الأمورِ وهمٌّ لِدَاتِك أن يلعبوا

« مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعبد الله بن الزبير وهو يلعب مع الصبيان ، ففرُّوا حين رأوا عمر رضي الله عنه وثبت عبد الله . فقال عمر : مالك لا تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : لم أُجرم فأخافك ، ولم يكن في الطريق ضيقّ فأوسِّع لك »[2] .

قال محمد بن مظفر في كتابه « أنباء نجباء الأبناء » : « بلغني أن الشفاء بنت هاشم[3]– وهي امرأة من المهاجرات – دخلت على أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق ، فقالت لها : ماذا لقيتُ من عبد الله !! لقيتُه اليومَ ، فقلتُ : أحقًّا بايعك رسول الله ﷺ ؟! فقال : نعم . فقلتُ : بالله لقد آثرك الله على صِغَر سِنِّك . فقال : يا خالة ، إن صغيرنا إلى كبَرٍ وإن كُبراكُنَّ إلى صِغَرٍ ، وبعدُ ، فرسول الله أبصر » .

وبعدُ ، فلا تعليق .. فالموقف تعجز عن تصويره الكلمات !!

١٢ – الحُسين بن علي ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا رضي الله عنه :

عن الحسين رضي الله عنه قال : « صعدتُ المنبر إلى عمر ، فقلتُ :

= ٦٣/١ : « هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين » .

(١) ديوان المتنبي ٥٣١ .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٠٩ .

(٣) الأصحُّ أنها الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس .

انزلْ عن منبر أبي[(١)]، واذهبْ إلى منبر أبيك . فقال : إن أبي لم يكن له منبر ! فأقعدني معه ، فلما نزل ، قال : أي بُنَيَّ ، مَنْ عَلَّمك هذا ؟ قلتُ : ما علَّمنيه أحدٌ . قال : أيْ بُنَيَّ ، وهل أنبت على رؤوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم ! ووضع يده على رأسه ، وقال : أيْ بُنَيَّ ، لو جعلتَ تأتينا وتغشانا »[(٢)].

١٣ - زيْن العابدين علي بن الحسين رحمه الله :

ومَنْ كزين العابدين في صبره ! وهو صبي يُشاهد قتْل أبيه الحسين ومعه سبعة عشرة رجلًا ؛ كلهم من أولاد فاطمة ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شَبَهٌ ... يُشاهد هذا الصبيُّ الطَّيِّبُ اثنين وسبعين نفسًا من أصحاب أبيه وأهل بيته قتلى ... يُشاهد جثمان أبيه يُداس بحوافر الخيل .

ولما يدخل وهو غلام على ابن زياد ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أنا عليُّ بن الحسين . قال : أو لم يقتل الله عليَّ بن الحسين ؟ فسكتْ . فقال له ابن زياد : ما لك لا تتكلَّم ؟ قال : كان لي أخٌ يُقال له : عليٌّ أيضًا ، قتله الناس . قال : إن الله قتله . فسكتْ . فقال : ما لك لا تتكلَّم ؟ فقال : ﴿ **اللهُ يتوفَّى الأنفُسَ حين موتها** ﴾ [الزمر: ٤٢] ، ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾ [آل عمران : ١٤٥]. وقال : أنت والله منهم.

ولما دخل على يزيد بن معاوية قال له : يا عليّ ، أبوك قطع رحمي ، وجهل حقِّي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيتَ . فقال علي : ﴿ **ما أصاب من مُصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب** ﴾ [الحديد : ٢٢].

---

(١) يُريد منبر رسول الله ﷺ بعد وفاته ، وكان الحسين صبيًّا .
(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخه » ١/١٤١ ، والحافظ في « الإصابة » ١/٣٣٣ وصحَّح إسناده . وقال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٣/٢٨٥ : « إسناده صحيح » .

وهل يُنبت الخطِّيَّ إلا وشيجُهُ ويُزرعُ إلا في منابته النخلُ

هذا والله قدْر صبيان بيت النبوَّة عند الصبر على أعزِّ مُصاب وهو الحسين رضي الله عنه !!

١٤ - عبد الله بن جعفر الطيَّار رضي الله عنه :

« دخل أبو سفيان بن حرب على ابنته أُمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ ، فرأى عندها عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وهو صبي . فقال لها : أيْ بُنيَّة ، مَنْ هذا الغلام الذي يتضوَّع كرمًا ، ويتألَّق شرفًا ، ويتميَّع حياءً ؟ فقالت : مَنْ تظنُّه يا أبتِ ؟ فقال : أما الشمائل فهاشمية . فقالت : نعم ، هو هاشمي ، فمن تظنُّه من بني هاشم ؟ فتأمَّله ، ثم قال : إن لم يلدْه جعفر فلستُ بسدَّاد البطحاء[1]. فقال أبو سفيان : أما إنه لم يمُتْ منْ خلَّف مثل هذا .

روى صاحب كتاب « أنباء نجباء الأبناء » « أن عمر بن الخطاب قسَّم مالًا في أبناء المهاجرين ، فبدأ بأهل البيت ، وأراد أعرابي أن يدخل معهم ، فمنع ، وجاء عبد الله بن جعفر ، وهو صبيٌّ ، فلما رآه الفاروق قال : مرحبًا بابن الطيَّار ، ادخل . فسمعها الأعرابي ، فقبض على يد عبد الله وهو لا يعرفه ، لكنه سمع كلمة الفاروق ، وعلم أنه مكينٌ عنده ، فأنشأ يقول :

ألا هلْ أتى الطيّار أني مُحلَّأٌ عن الوردِ والفاروقُ يرأى ويسمعْ
وما ضرَّ إنْ لم ياته ذاك فابنه نَهُوضٌ بعبءِ الجارِ ندْب سَمَيدعْ[2]

فقال عبد الله : كنْ بمكانك يا أخا العرب . ودخل ، فأعطاه الصدِّيق

---

(١) لم يكن أبو سفيان يعرف عبد الله بن جعفر ؛ إذ كان مولودًا بالحبشة ، وقدم مع أبيه المدينة .

(٢) مُحلّأ عن الورد : أي مطرود ممنوع . الندْب : هو الذي يُنتدب في الأمور مُسارعًا إلى العون عليها . السَّمَيدع : الشريف السيِّد .

ألف درهم ، فخرج بها ، فأعطاها الأعرابي »[١] .

١٥ - عمر بن عبد العزيز أشجُّ بني أميَّة ونجيبُها رحمه الله :

« عن أبي قبيل : أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فأرسلت إليه أمُّه ، وقالت : ما يُبكيك ؟ قال : ذكرتُ الموت . قال : وكان يومئذٍ قد جمع القرآن . فبكت أمُّه حين بلغها ذلك .

وعن العتبي : أنَّ أول ما استُبين من عمر بن عبد العزيز ، أنَّ أباه ولي مصر ، وهو حديثُ السنِّ ، يُشَكُّ في بلوغه ، فأراد إخراجه ، فقال : يا أبتِ ، أوَ غيْر ذلك ؟ لعله أن يكون أنفع لي ولك : تُرَحِّلُني إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهاء أهلها ، وأتأدَّب بآدابهم . فوجَّهه إلى المدينة ، فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سِنِّه »[٢] .

١٦ - الأشدق بن سعيد بن العاص :

« قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو الأشدق بن سعيد بن العاص حين مات أبوه سعيد : يا غلام ، إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبي أَوْصَى إلي ، ولم يوصِ بي »[٣] .

١٧ - محمد بن المنكدر رحمه الله :

قال سفيان : تعبَّد ابن المنكدر وهو غلام ، وكانوا أهل بيت عبادة .

قال يحيى بن بكير : محمد وأبو بكر وعمر [أولاد ابن المنكدر] لا يُدرى أيهم أفضل !!

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٦/٥ - ١١٧ .

(٣) أنباء نجباء الأبناء ص١٣٤ .

١٨ - سفيان الثوري :

« قال يحيى بن أيوب العابد : حدَّثنا أبو المثنى قال : سمعتُهم بمرو يقولون : قد جاء الثوري ، قد جاء الثوري . فخرجتُ أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه[١] .

قال الذهبي : قلتُ : كان يُنَوِّه بذكْره في صِغَره ؛ من أجل فرط ذكائه وحفظه ، وحدَّث وهو شابٌّ »[٢] .

وقال ابن مهدي : رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مُقبلًا ، فقال : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًّا** ﴾ [مريم : ١٢][٣] .

١٩ - سفيان بن عُيينة :

قال شعبة بن الحجَّاج : رأيتُ ابن عيينة غلامًا معه ألواح طويلة عند عمرو بن دينار ، وفي أُذُنه قُرط ، أو قال : شَنْف[٤] .

قال ابن عيينة : أولُ مَنْ جالستُ : عبدُ الكريم أبو أمية ، وأنا ابن خمس عشرة سنة . قال : وقرأتُ القرآن وأنا ابن أربع عشرة سنة .

وقال : كان أبي صَيْرفيًّا بالكوفه ، فركبه دَيْنٌ ، فحملنا إلى مكة ، فصرتُ إلى المسجد ، فإذا عمرو بن دينار ، فحدَّثني بثمانية أحاديث ، فأمسكتُ له حماره حتى صلَّى ، وخرج فعرضتُ الأحاديث عليه . فقال : بارك الله فيك .

---

(١) بقل وجهه ، وأبقل : خرج شَعْره .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٤٦٢ . الشَّنْف : ما يُعلَّق من الحُلي في أعلى الأُذُن ، والقرط ما يُعلَّق في أسفلها .

وقال : أولُ مَنْ أسندني إلى الأسطوانة مسعر بن كدام ، فقلتُ له : إني حَدَثٌ . قال : إن عندك الزهري وعمرو بن دينار .

٢٠ - الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة :

قال الذهبي : « طلب العلم وهو حَدَثٌ ، وتأهَّل للفُتيا ، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة ، وحدَّث عنه جماعة وهو حيٌّ شابٌّ طريٌّ »[١].

قال مالك : « قلتُ لأُمِّي : أذهبُ فأكتب العلم ؟ فقالت : تعالَ فالبسْ ثياب العلم . فألبستني ثيابًا مُشمَّرة ، ووضعت الطويلة على رأسي ، وعمَّمتني فوقها ، ثم قالت : اذهبْ فاكتب الآن . وكانت تقول : اذهبْ إلى ربيعة فتعلَّمْ من أدبه قبل علمه »[٢] .

« ويظهر أنه لهذا التحريض من أُمِّه جلس إلى ربيعة الرأي أول مرة ، فأخذ عنه فقه الرأي وهو حَدَثٌ صغير على قدْر طاقته ، حتى لقد قال بعض معاصريه[٣]: رأيتُ مالكًا في حلقة ربيعة وفي أُذُنه شَنْفٌ . وهذا يدل على مُلازمته الطلب منذ صِغَره ، وكان حريصًا منذ صباه على استحفاظ ما يكتب ، حتى إنه بعد سماع الدرس وكتابته يتبع ظلال الأشجار ؛ يستعيد ما تلقَّى ، ولقد رأته أخته كذلك ، فذكرتْه لأبيها . فقال لها : يا بُنيَّة ، إنه يحفظ أحاديث رسول الله ﷺ .

وجاء في المدارك : كان لي أخٌ في سنِّ ابن شهاب ، فألقى أبي علينا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٩/٨ ، ٥٥ .

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي . تحقيق : د . الأحمدي أبو النور ١١٠/١ مكتبة دار التراث .

(٣) الزبيري كما جاء في الديباج المذهب ٩٩/١ .

مسألة ، فأصاب أخي ، وأخطأتُ . فقال لي أبي : ألهتك الحمام عن طلب العلم . فغضبتُ ، وانقطعتُ إلى ابن هرمز سبع سنين (وفي رواية : ثماني سنين) لم أخلطه بغيره ، وكنتُ أجعل في كُمِّي تمرًا ، وأُناوله صبيانه ، وأقول لهم : إنْ سألكم أحد عن الشيخ ، فقولوا : مشغول . وقال ابن هرمز يومًا لجاريته : مَنْ بالباب ؟ فلم تر إلا مالكًا ، فرجعتْ ، فقالت : ما ثَمَّ إلا ذاك الأشقر . فقال : فذاك عالم الناس .

وكان مالك قد اتخذ تُبَّانًا[1] محشوًّا للجلوس على باب ابن هرمز ، يتَّقي به برد حجرٍ هناك . وقيل : بل من برد صخر المسجد ، وفيه كان مجلس ابن هرمز »[2] .

وقال مالك : « كنتُ آتي نافعًا نصف النهار ، وما تُظلُّني الشجرة من الشمس ، أتحيَّن خروجه ، فإذا خرج أَدَعُه ساعة كأني لم أُرِدْه ، ثم أتعرَّض له فأُسلِّم عليه وأدَعُه ، حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا وكذا ؟! فيُجيبني ، ثم أُحبس عنه ، وكان فيه حِدَّةٌ ، وكنتُ آتي ابن هرمز بُكرةً ، فما أخرج من بيته حتى الليل »[3] .

٢١ - ناصر السنة الإمام الشافعي :

قال الشافعي رحمه الله : « كنتُ يتيمًا في حِجْر أُمِّي ، فدفعتني إلى الكُتَّاب ، ولم يكن عندها ما تُعطي المُعلِّم ، وكان المُعلِّم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام . فلما جمعتُ القرآن دخلتُ المسجد ، فكنتُ أُجالس العلماء ،

---

(١) في القاموس : التُّبَّان : السروال الصغير ، ولعل المراد أنه كان يحشو بعض الثياب بقطن ويجلس عليه يتَّقي به بْرد الحجر .

(٢) « مالك » لمحمد أبي زهرة ص٢٤ ، ٢٥ طبع دار الفكر العربي ، والمدارك جـ١/١١٦ .

(٣) الديباج المذهب ١/٩٩ .

وكنتُ أسمع الحديث والمسألة فأحفظها ، فلم يكن عند أُمِّي ما تُعطيني أشتري به القراطيس ، فكنتُ أنظر إلى العَظْم فآخذه فأكتب فيه ، فإذا امتلأ طرحتُه في جُرّة ، فاجتمع عندي حُبَّان »[1] .

وقال الشافعي : « لم يكن لي مال ، فكنتُ أطلب الحديث في الحداثة ، فكنتُ أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور فأكتب فيها » .

وقال : كان حظارنا[2] يُسمَّى كرانيف النخل ؛ يعني أنَّا كنا نُعطي مُعلِّمنا كرانيف النخل .

وقال رحمه الله : كنتُ وأنا في الكُتَّاب أسمع المُعلِّم يُلقِّن الصبيَّ الآية فأحفظها أنا . ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم ، فإلى أن يفرغ المعلِّم من الإملاء عليهم كنتُ قد حفظتُ جميع ما أملى . فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئًا . قال : ثم لمّا أنْ خرجتُ من الكُتَّاب كنتُ ألتقط الخزف والرُّقوق[3] وكَرَبَ[4] النخل وأكتاف الجمال ؛ أكتب فيها الحديث ، وأجيء إلى الدواوين ، وأستوهب منها الظهور ، فأكتب فيها ، حتى كان لأُمِّي حُبَّان ، فملأتْهما أكتافًا وخزفًا وكَرَبًا مملوءةً حديثًا .

وقال الشافعي : « رأيتُ النبي ﷺ قبل حُلُمي ، فقال لي : يا غلام ، قلتُ : لبَّيْك يا رسول الله . قال : ممن أنت ؟ قلتُ : من رهطك يا رسول الله . قال : ادنُ مني . فدنوتُ منه ، فأخذ من ريقه ، ففتحتُ فمي ، فأَمَرَّ من ريقه على لساني وفمي وشفتَيَّ ، وقال : امضِ بارك الله فيك . فما أذكر

---

(١) حلية الأولياء ٧٣/٩، مناقب الشافعي للبيهقي. تحقيق: السيد أحمد صقر ص٩٢.
والحُبُّ : هو الجُرَّة العظيمة ، والجمع : أحباب ، وحِبَبَة ، وحِباب .

(٢) الحظار : حائط النخل .

(٣) جمع رَقّ ، وهو جلد رقيق يُكتب فيه .

(٤) الكرانيف .

أني لحنتُ في حديث بعد ذلك ولا شِعْر »[1].

وقال الشافعي رحمه الله ، يذكر رحلته وهو صغير في طلب العلم : « خرجتُ من مكة فلزمتُ هُذيلًا في البادية أتعلَّم كلامها وآخذ بلغتها ، وكانت أفصحَ العرب ، فأقمتُ معهم مُدَّة ؛ أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما أنْ رجعتُ إلى مكة جعلتُ أنشد الأشعار وأذكر أيام الناس ، فمرَّ بي رجُلٌ من الزهريين ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، عزَّ عليَّ أن لا تكونَ في العلم والفقه ، هذه الفصاحة والبلاغة . قلتُ : مَنْ بقي ممَّنْ يقصد ؟ فقال : مالك بن أنس سيِّد المسلمين . قال : فوقع ذلك في قلبي ، وعمدتُ إلى الموطَّأ فاستعرتُه من رجل بمكة وحفظتُه، ثم دخلتُ على والي مكة ، فأخذتُ كتابه إلى والي المدينة ، وإلى مالك بن أنس ، فقدمتُ المدينة ، فبلَّغتُ الكتاب ، فلما قرأ والي المدينة الكتاب ، قال : يا بُنَيّ ، إنَّ مشْيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلًا أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك ، فإني لستُ أرى الذُّلَّ حتى أقف على بابه . فقلتُ : إنْ رأى الأمير أن يوجِّه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ! ليت أني إنْ ركبتُ أنا ومن معي وأصابنا ترابُ العقيق ، يقضي حاجتنا . فواعدتُه العصر ، وقصدنا ، فتقدَّم رجل وقرع الباب ، فخرجتْ إلينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير : قولي لمولاك : إنني بالباب . فدخلتْ فأبطأتْ ، ثم خرجتْ ، فقالت : إن مولاي يقول : إن كانت مسألة فارفعها إليَّ في رقعة حتى يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفتَ يوم المجلس فانصرفْ . فقال لها : قولي له : إنّ معي كتاب والي مكة في مُهمٍّ . فدخلتْ ، ثم خرجتْ وفي يدها كُرسيٌّ ، فوضعتْه ، فإذا بمالك رجل شيخ طوال ، قد خرج وعليه المهابة ، وهو مُتطيلسٌ . فدفع إليه الوالي الكتاب ، فبلغ إلى قوله : إن هذا رجل شريف ،

(١) توالي التأسيس ص٥٢ .

من أمره وحاله ، فتُحدِّثه وتفعل وتصنع ، فرمى بالكتاب من يده ، وقال : يا سبحان الله ! قد صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ! قال : فرأيتُ الوالي وهو يهابه أن يُكلِّمه ، فتقدَّمتُ إليه ، فقلتُ : أصلحك الله ، إني رجل مُطَّلبيٌّ ، من حالي وقصَّتي . فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة ، وكانت لمالك فراسة ، فقال لي : ما اسمك ؟ فقلتُ : محمد . قال : يا محمد ، اتَّقِ الله ، واجتنبِ المعاصي ؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن . فقلتُ : نعم وكرامة . فقال : إذا كان غدًا تجيء ، ويجيء مَنْ يقرأ لك الموطَّأ . فقلتُ : إني أقرأ ظاهرًا . قال : فغدوتُ إليه وابتدأتُ ، فكلما تهيَّبتُ مالكًا وأردتُ أن أقطع ؛ أعجبه حُسْنُ قراءتي وإعرابي ، يقول : يا فتى ، زدْ ، حتى قرأتُه عليه في أيام يسيرة ، ثم أقمتُ بالمدينة إلى أن تُوفِّي مالك بن أنس رضي الله عنه »[1] .

« وقال الشافعي رحمه الله : أتيتُ مالك بن أنس وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان ابنُ عمٍّ لي والي المدينة ، فكلَّم لي مالكًا ، فأتيتُ لأقرأ عليه ، فقال : اطلبْ مَنْ يقرأ لك . فقلتُ:أنا أقرأ . قال : فقرأتُ عليه ، وكان ربما قال لي لشيء قد مرَّ : أعدْ حديث كذا ، فأُعيده حفظًا ، فكأنه أعجبه ، ثم سألتُه عن مسألة فأجابني ، ثم أخرى ، ثم أخرى ، فقال : أنت يجب أن تكون قاضيًا » .

قال مالك بن أنس للشافعي : « إن الله عزَّ وجلَّ قد ألقى على قلبك نورًا فلا تُطفئه بالمعصية »[2].

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ص١٠٢ - ١٠٣ ، الحلية ٩/٦٩ ، وتوالي التأسيس ص٥١ .

(٢) مناقب الشافعي ص١٠١ ، ١٠٤ .

٢٢ - إمام أهل السنة أحمد بن حنبل :

« عن إبراهيم بن شماس ، قال : كنتُ أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام ، وهو يُحيي الليل »[(١)] .

قال أبو بكر المروزي : قال لي أبو عفيف ، وذكر أبا عبد الله أحمد ابن حنبل ، فقال : كان في الكُتَّاب معنا وهو غُليم نعرف فضْله ، وكان الخليفة بالرقَّة ، فيكتب الناس إلى منازلهم الكتب ، فيبعث نساؤهم إلى المُعلِّم : ابعثْ إلينا بأحمد بن حنبل ؛ ليكتب لهم جواب كُتُبهم ، فيبعثه ، فكان يجيء إليهن مُطأطِيء الرأس ، فيكتب جواب كُتُبِهن ، فربما أملين عليه الشيء من المنكر ، فلا يكتبه لهنَّ .

قال المروزي : قال لي أبو سراج بن خزيمة : كنا مع أبي عبد الله في الكتاب ، فكان النساء يبعثن إلى المُعلِّم : ابعثْ إلينا بابن حنبل ؛ ليكتب جواب كتبهم ، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن . قال أبو سراج : فقال أبي وذكره ، فجعل يعجب من أدبه وحُسْن طريقته ، فقال لنا ذات يوم : أنا أُنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدِّبين على أن يتأدَّبوا فما أراهم يُفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم ، انظر كيف يخرج ؟! وجعل يعجب .

وقال داود بن بسطام : أبطأتْ عليَّ أخبارُ بغداد ، فوجَّهتُ إلى عمِّ أبي عبد الله بن حنبل : لم تصل إلينا الأخبار اليوم ! وكنتُ أُريد أن أُحرِّرها وأُوصلها إلى الخليفة . فقال لي : قد بعثتُ بها مع أحمد ابن أخي . قال : فبعث عمَّه ، فأحضر أبا عبد الله وهو غلام . فقال : أليس قد بعثتُ معك الأخبار ؟ قال : نعم ! قال : فلأي شيء لم توصلْها ؟ قال : أنا كنتُ أرفع

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١١ .

تلك الأخبار !! رميتُ بها في الماء . قال : فجعل ابن بسطام يسترجع ويقول : هذا غلام يتورَّع ، فكيف نحن !! .

قال الخلَّال : حدَّثنا محمد بن علي ، قال : حدَّثني أبو المنبه جارنا ، قال : أول شيء عُرف من أحمد بن حنبل ، أن عمَّه كتب في جواب كتاب بعث به السلطان ، فدفعه إلى أحمد بن حنبل يدفعه إلى الرسول ، فلم يدفعه أحمد إليه ، ووضعه في طاقٍ في منزلهم ، وطلب الرسول الجواب ، فقال عمُّه : قد وجَّهتُ به إليك . ثم قال لأحمد : أين الكتاب الذي أمرتُك أن تدفعه إلى الرسول على الباب ؟ فقال له : كان عليه قباء[1]، وهو ذا الكتاب في الطاق[2] .

قال الإمام أحمد حاكيًا طلبَه للحديث في صِغَره : « كنتُ ربما أردتُ البكور في الحديث ، فتأخذ أُمِّي بثيابي ، وتقول : حتى يؤذِّن الناس ، أو حتى يُصبحوا ، وكنتُ ربما بكَّرتُ إلى مجلس أبي بكر بن عيَّاش وغيره »[3] .

هذه والله الرجولة في الصِّبا !!

٢٣ - أدبُ الصبيَة من أبناء الخلفاء :

« قال معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد ، وله من العمر سبع سنين : في أية سورة أنت ؟ قال : في السورة التي تلي ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مُبينًا ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ويُتمَّ نعمته عليك ويهديَك**

---

(١) لعل ابن حنبل أدرك من لبس الرسول القباء أنه رسول الخليفة ، وهو يكره التعامل مع الخلفاء ؛ لشدَّة تورُّعه .

(٢) مناقب أحمد بن حنبل ص٤٣ - ٤٥ لابن الجوزي . تحقيق : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي مكتبة الخانجي بمصر .

(٣) مناقب أحمد بن حنبل ص٥٠ .

صـراطًا مُستقيمًا وينصرَك الله نصـرًا عزيزًا ﴾ [الفتح: ١- ٣]. فقال معاوية : يا بُنيَّ ، إن هذه السورة بين سورتين ، فأيهما عنيْتَ ؟ قال : السورة التي أولها:﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحقُّ من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ [محمد: ٢] . فتمثَّل معاوية بقول حذافة بن غانم العدوي ، حيث يقول :

ملـوكٌ وأبنـاءُ الملـوكِ وسـادةٌ   تَفَلَّق عنهم بيضةُ الطائرِ الصقرِ[1]
متى تَلْقَ منهم ناشئًا في شَـبَابِهِ   تجِدْه على أعـراقِ والـدِه يجـري

وقال له يومًا : لو قال لك قائل : مَنْ قومك ، ماذا تقول له ؟ قال : أقول له : سلامًا . قال : أحسنتَ . وإنما أراد يزيد قول الله سبحانه : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] »[2].

٢٤ - المأمـون بن الرشـيد :

« قال الكسائي : بكَّرتُ يومًا إلى المكتب من دار الرشيد ، وأرسلتُ إلى عبد الله المأمون أشعرُه بحضوري ، فتشاغل باللعب وأبطأ ، فلما جاء ضربتُه ، وبينما هو يبكي ؛ استأذن عليه جعفر بن يحيى ، فاستوى على مضربته ، وجمع عليه ثيابه ، ومسح عينيه ، ثم قال للحاجب : يُؤذن له ، فلما دخل خشيتُ أن يشكوني إلى جعفر فيُسيء إليَّ ، فلما دخل رحب به ، وقرَّبه ، وتبسَّم إليه ، وحادثه ، ثم نهض جعفر ، فأمر بدابَّته فقُدِّمت إليه ، فأمر المأمون غلمانه بالسعي بين يديه . قال الكسائي : فلما خرج قلتُ للمأمون : لقد كنتُ مُشفقًا أيها الأمير أن تشكوني إلى جعفر !! فقال : أين يذهبُ بك عافاك الله ، أنا أُري جعفرًا أني أُحوجُ نفسي إلى الأدب ، والله

---

(١) تَفَلَّق تتفلّق ، وفراخ الصقر قليلة ولكنها عزيزة .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٣٠ - ١٣١ .

ما يطمع الرشيد مني في هذا ، خذْ في أمرك عافاك الله »[1].

وانظر إلى دقَّة ملاحظته وعُلُوِّ همَّته :

« قيل : إنَّ الكسائيَّ كان لا يفتح على ولد الرشيد إذا غلطوا في العرض عليه ، وإنما كان ينكس طرفه ، فإذا غلط أحدهم نظر إليه ، وربما يضرب الأرض بخيزرانة في يده ، فإن سدّد القارئ للصواب مضى ، وإلا نظر في المصحف . فافتتح المأمون يومًا سورة الصفِّ ، فلما قرأ ﴿ **يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون** ﴾ نظر إليه الكسائي ، وتأمَّل المأمون في المصحف ، فإذا هو مُصيب ، فمضى في قراءته . ولما انقلب إلى الرشيد قال له : إن كان أمير المؤمنين وعد الكسائيَّ وعدًا فإنه يستنجزه . قال : إني وعدتُه أن آمر لبعض القُرَّاء بصلة . أفهذا الذي قال لك ؟ قال المأمون : لم يقل لي شيئًا . وأخبره بالأمر ، فتمثَّل الرشيد بقول الشاعر في ثابت بن عبد الله بن الزبير :

ورثتَ أبا بكر أباك بَيَانَه وسيرتُه في ثابتٍ وشمائلُهْ

وأنت امرؤ تُرجى لخيرٍ وإنما لكلِّ امرىءٍ ما ورَّثته أوائلُهْ[2]

٢٥ - الراضي محمد بن جعفر :

« حكى الحسن العَروضيّ مؤدّب الراضي محمد بن جعفر المقتدر بالله ، أن الراضي كتب إلى أبيه المقتدر رقعة ، فقرمط[3] فيها خطَّه ، وكان إذا مشق[4] في خطِّه ومطَّط حروفه أجاد ، فقلتُ له : كأنك قصدتَ ما أرى ؟ قال : نعم . فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : إنَّ مطَّ الحروف نوع من الجراءة ،

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٤٤ .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٤٧ .

(٣) قصَّر حروف خطِّه .

(٤) مشق في خطِّه : أسرع .

والقلم نائب اللسان ، فهل يصلح أنْ أمطَّ لساني في خطاب والدي . قال العروضي : فجعلتُ أنظر إليه نظر مُتعجِّبٍ . فقال : ما لك يا أستاذ ؟ قلتُ : أنَّى لك هذا ؟! قال : يا أستاذ ، إن آدابنا مولودة معنا . قلتُ : أشهد أنك صادق »[١].

٢٦ - مخلد بن يزيد بن المهلب :

« سوَّدته الأزد وله اثنتا عشرة سنة ، فقال حمزة بن أبيض يُخاطبه بذلك :

بلغتَ لعشرٍ مضتْ مِن سنـيِّـك ما يبلغُ السيِّدُ الأشيبُ
فهمَّك فيها جسامُ الأمورِ وهمُّ لدَاتِك أن يلعبوا »[٢]

٢٧ - الحسن وسليمان ولدا وهب بن سعيد :

« أوصى وهب بن سعيد إلى رجل من أهل واسطٍ ، كان ثقة مأمونًا مُوسِرًا ، يتحرَّف بصناعة الخرز ويتَّجر في الجلود ، فأعطاه مالًا عظيمًا ، وأسلم إليه ولَدَيْه : الحسن وسليمان ، وهما صغيران ، ثم توجَّه إلى بغداد فهلك في طريقه غَرَقًا . وبلغ ذلك الوصيَّ ، فأخبر به الصبيَّيْن ، وقال لهما : اختارا حرفتين تتحرَّفان إليهما ، وإن أحببتما الخرازة وبيْع الجلود بصَّرتُكما ، ولكما عندي مال سأشتري لكما به ضياعًا تستظهران بها على أحداث الزمان . فقالا : ما لنا ولحِرفِ العوامِّ وصناعتهم !! وإنما حرفةُ أمثالنا خرزُ أعناق الرجال في القراطيس[٣]، فتهيَّبهما الوصيُّ ، ورأى بزًّا[٤] ليس من سوقه ،

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٦١ ، ١٦٢ .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٦٥ .
(٣) المقصود : السيطرة على أعناق الرجال والحكم عليها بما نشاء .
(٤) البزُّ : الثوب ، يقصد نوعًا جديدًا من الصبيان غير مَنْ يعرفهم .

وضمَّ إليهما مَنْ يُؤدِّبهما ، ويُصلح من شأنهما ، فلما اشتدا قالا لوصيِّهما : إن واسط لا تفي بما نرومه من العلم ونُؤمِّله من الرياسة . فقال لهما : ما مثلكما يُوَلَّى عليه ، فأْمُراني بأمركما أُطعْه . فقالا : جهِّزْنا إلى مُعترض العلماء ، ومُستقرِّ الخلفاء . فجهَّزهما إلى بغداد ، ودفع إليهما من المال ما أراداه . ولما صارا إلى بغداد نالا ما أمَّلاه من العلم والرياسة ، وكتبا معًا في دار المأمون وهما غلامان »[1] .

قالت أُمُّ جعفر بن يحيى : لقد كنا ننهى الصبيَّ إذا بلغ العشر أن يتبسم بحضرة مَنْ يستحي منه .

٢٨ - صبيٌّ بين يدي المأمون :

« قال الحافظ إبراهيم بن سعيد الجوهري : رأيتُ صبيًّا ابن أربع سنين قد حُمل إلى المأمون ، قد قرأ القرآن ، ونظر في الرأي ، غير أنه إذا جاع ؛ بكى »[2] .

٢٩ - أبو محمد بن اللبَّان :

« قال أبو محمد بن اللبَّان : حفظتُ القرآن وَلِيَ خمسُ سنين »[3] .

٣٠ - الزعفراني شيخ الفقهاء والمحدِّثين :

« قال الزعفراني : قدم علينا الشافعي واجتمعنا إليه . فقال : التمسوا مَنْ يقرأ لكم . فلم يجترئ أحد أن يقرأ عليه غيري ، وكنتُ أحدَثَ القوم سِنًّا ، ما كان بعدُ في وجهي شعرة ، وإني لأَتعجَّبُ اليوم من انطلاق لساني ، بين يدي الشافعي رحمه الله ، وأعجب من جسارتي يومئذٍ ، فقرأتُ عليه

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥٠/١٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥٠/١٢ .

الكتب كلها إلا كتابين : « كتاب المناسك » و « كتاب الصلاة » .

وقال رحمه الله : لما قرأتُ « الرسالة » على الشافعي ؛ قال لي : من أي العرب أنت ؟ قلتُ : لستُ بعربيٍّ ، وما أنا إلا من قرية يُقال لها : الزعفرانية . قال : فأنت سيِّدُ هذه القرية »[(١)].

٣١ - الحافظ عبد الرحمن بن بشر النيسابوري :

قال ابن بشر : أقامني يحيى القطّان في مجلسه ، فقال : ما حدَّثكم عني هذا الصبيُّ فصدِّقوه ، فإنه كيِّسٌ .

قال الذهبي : « كان ارتحال أبيه به في سنة ستٍّ وتسعين ، وهو نحو المحتلم . قال عبد الرحمن بن بشر : حملني أبي على عاتقه في مجلس سفيان ابن عُيينة ، وقال : يا معشر أصحاب الحديث ، أنا بشر بن الحكم ، سمع أبي من سفيان بن عيينة ، وسمعتُ أنا منه وحدَّثتُ عنه بخراسان ، وهذا ابني قد سمع منه .

قال عبد الرحمن : احتلمتُ باليمن مع أبي .

وقال : احتلمتُ ، فدعا أبي عبدَ الرزاق وأصحاب الحديث الغرباء ، فلما فرغوا من الطعام ؛ قال : اشهدوا أن ابني قد احتلم ، وهو ذا يسمع من عبد الرزَّاق ، وقد سمع من سفيان بن عيينة »[(٢)].

٣٢ - بندار محمد بن بشَّار :

كان بندارَ الحديث في عصره ببلده . والبندار : الحافظ .

« قال بندار : كتب عني خمسة قرون ، وحَدَّثتُ وأنا ابن ثماني عشرة سنة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٦٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٣٤١ - ٣٤٢ .

وقال رحمه الله : سألوني الحديث وأنا ابن ثماني عشرة سنة ، فاستحييتُ أن أُحدِّثهم في المدينة ، فأخرجتُهم إلى البستان ، وأطعمتُهم الرُّطَبَ وحدَّثتُهم »[1].

٣٣ - البخاري إمام الدنيا وأستاذ الأستاذين :

ذهبت عيناه في صِغَره ، فرأتْ والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال لها : يا هذه ، قد ردَّ الله على ابنك بصره ؛ لكثرة بكائك ، أو كثرة دعائك . فأصبحنا وقد ردَّ الله عليه بصره .

قال البخاري رحمه الله : « أُلهمتُ حفْظ الحديث وأنا في الكُتَّاب . فقلتُ : كم كان سِنُّك ؟ فقال : عشر سنين ، أو أقلّ . ثم خرجتُ من الكُتَّاب بعد العشر ، فجعلتُ أختلف إلى الداخليِّ وغيره . فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس : سفيان ، عن أبي الزبير ، عن إبراهيم ، فقلتُ له : إنّ أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم . فانتهرني ، فقلتُ له : ارجع إلى الأصل . فدخل فنظر فيه ، ثم خرج ، فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلتُ : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم مني ، وأحكم كتابه ، وقال : صدقتَ . فقيل للبخاري : ابن كم كنتَ حين رددتَ عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة . فلما طعنتُ في ست عشرة سنة ؛ كنتُ قد حفظتُ كُتُب ابن المبارك ووكيع ، وعرفتُ كلام هؤلاء[2]، ثم خرجتُ مع أُمِّي وأخي أحمد إلى مكة ، فلما حججتُ رجع أخي بها ، وتخلَّفتُ في طلب الحديث »[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠٢/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤٥/١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) قال ابن حجر في مقدمة الفتح (٤٧٩) : يعني أصحاب الرأي .

(٣) تاريخ بغداد ٧/٢ و «تهذيب الكمال» (١١٦٩) ، و «طبقات الشافعية» ٢١٦/٢ و « سير أعلام النبلاء » ٣٩٣/١٢ .

وقال : « لما طعنتُ في ثماني عشرة ، جعلتُ أُصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم »[١] .

وكان شيخه السُّرماري يُجلسه وهو صغير على حِجْره ويقول : مَنْ أراد أن ينظر إلى فقيه بحقِّه وصدْقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل .

« قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم : سمعتُ بعض أصحابي يقول : كنتُ عند محمد بن سلام ، فدخل عليه محمد بن إسماعيل ، فلما خرج قال محمد بن سلام : كلما دخل عليَّ هذا الصبيُّ تحيَّرتُ ، وألبس عليَّ أمْر الحديث وغيره ، ولا أزال خائفًا ما لم يخرج »[٢] .

هذي طفولة طبيب الحديث في عِلَله ... مثالٌ يُحتذى ، ومنارةٌ للربانيِّين أهل الآخرة !!

٣٤ - الحافظ أحمد بن الفرات الرازي :

قال عنه الذهبي في « السير » ٤٨١/١٢ : « طلب العلم في الصِّغَر ، وعُدَّ من الحفَّاظ وهو شابٌّ أمرد » .

قال أبو مسعود أحمد بن الفرات الرازي : كتبتُ الحديث وأنا ابن اثنتي عشرة سنة .

قال الذهبي : « قلتُ : بكَّر بطلب العلم ، لأنَّ أباه من أهل الحديث أيضًا .

وعن أبي مسعود قال : ذُكِرْتُ بالحفظ ، ولِيَ ثماني عشرة سنة ، وسُمِّيتُ : الرُّويْزي[٣] الحافظ »[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد ٧/٢ .
(٢) طبقات السبكي ٢٢٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٦/١٢ - ٤١٧ .
(٣) تصغير الرازي .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٢ ، « الوافي بالوفيات » ٢٩٤/٤ .

سبحان الله ! يُطلق عليه الحافظ وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وغيره تطول به السنون ولا يعي في العلم قيد أُنمُلة !!

٣٥ - أبو الفوارس السندي :

« قال ابن نظيف : قال لنا أبو الفوارس السندي : وُلدتُ في المُحرّم سنة خمس وأربعين ومائتين ، وأول ما سمعتُ الحديث ولَي عشر سنين »[١].

٣٦ - الحافظ محمد بن عوف الحمصي :

« قال عنه أحمد بن حنبل : ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد ابن عوف .

قال محمد بن عوف : كنتُ ألعب في الكنيسة بالكرة وأنا حَدَثٌ ، فدخلتِ الكرةُ ، فوقعتْ قُرْبَ المعافى بن عمران الحمصي ، فدخلتُ لآخذها ، فقال : ابنُ مَنْ أنت ؟ قلتُ : ابن عوف بن سفيان . قال : أما إن أباك كان من إخواننا ، فكان ممَّن يكتب معنا الحديث والعلم ، والذي كان يُشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك . فصرتُ إلى أُمِّي ، فأخبرتُها ، فقالت : صدقَ ، هو صديقٌ لأبيك . فألبستْني ثوبًا وإزارًا ، ثم جئتُ إلى المُعافى ، ومعي محبرة وورق . فقال لي : اكتبْ : حدَّثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن عبد ربه بن سليمان ، قال:كتبتْ لي أُمُّ الدرداء في لوحي : اطلبوا العلم صِغارًا ؛ تعملوا به كبارًا ، فإن لكل حاصد ما زرع »[٢].

٣٧ - الحافظ أبو بكر الأثرم تلميذ الإمام أحمد :

« قال أبو بكر الخلَّال : كان الأثرمُ جليلَ القدر ، حافظًا ، وكان عاصم بن علي لما قدم بغداد ، طلب رجلًا يُخرِّج له فوائد يُمليها ، فلم

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٩٦/١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦١٥/١٢ .

يجد في ذلك الوقت غير أبي بكر الأثرم ، فكأنه لما رآه لم يقع منه موقعًا ؛ لحداثة سِنِّه . فقال له أبو بكر أخرجْ كُتُبَك ، فجعل يقول له : هذا الحديث خطأ ، وهذا غلط ، وهذا كذا . قال : فَسُرَّ عاصم بن علي به ، وأملى قريبًا من خمسين مجلسًا ، فعرضتُ على أحمد بن حنبل . فقال : هذه أحاديث صحيح »[1] .

قال الذهبي : « كان معه تيقُّظٌ عجيبٌ ، حتى نسبه يحيى بن معين ، ويحيى بن أيوب المقابري ، فقال : كان أحدُ أبوي الأثرم جنِّيًّا »[2].

٣٨ - الإمام أبو زرعة الرازي سيِّدُ الحفَّاظ :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٦٦/١٣ : « طلب هذا الشأن وهو حَدَثٌ .

وقال أحمد بن محمد بن سليمان الرازي الحافظ عن طلب أبي زرعة للحديث : وُلد أبو زرعة سنة أربع وتسعين ومائة ، وارتحل من الرّيّ ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وأقام بالكوفة عشرة أشهر ، ثم رجع إلى الرّيّ ، ثم خرج في رحلته الثانية ، وغاب عن وطنه أربع عشرة سنة ، وجلس للتحديث وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة »[3] .

قال يونس بن عبد الأعلى : أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا .

٣٩ - الإمام الحافظ ابن أبي حاتم الرازي :

قال عنه الذهبي : « كان بحرًا لا تُكدِّرُه الدِّلاء .

وُلد سنة أربعين ومائتين ، أو إحدى وأربعين .

---

(١) طبقات الحنابلة ٧٢/١، وتذكرة الحفاظ ٥٧١/٢، سير أعلام النبلاء ٦٢٥/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٢٥/١٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٦/١٣ ، ٧٨ .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : رحل بي أبي سنة خمس وخمسين ومائتين وما احتلمتُ بعدُ ، فلما بلغنا ذا الحُليفة ، احتلمتُ ، فسُرَّ أبي ، حيث أدركتُ حَجَّة الإسلام ، فسمعتُ في هذه السنة من محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ »[١] .

فكيف بصحبته لأبيه قبل ذلك !!

٤٠ - أبو زرعة الدمشقي مُحدِّث الشام :

« قال عنه ريحانة الشام أحمد بن أبي الحواري : هو شيخ الشباب .
قال أبو زرعة : أُعجب أبو مسهر بمجالستي إيَّاه صغيرًا »[٢].

٤١ - الدَّبري ، راوية عبد الرزاق :

« الشيخ العالم المُسنِد أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَّبري راوية عبد الرزاق . سمع تصانيفه منه في سنة عشر ومائتين باعتناء أبيه به ، وكان حَدَثًا ، فإن مولده على ما ذكره الخليلي في سنة خمس وتسعين ومائة وسماعه صحيح »[٣] .

وحدَّد الذَّهبي سِنَّه في الميزان ١٨١/١ عند سماعه من عبد الرزاق بأنه سبع سنين أو نحوها .

٤٢ - الإمام محمد بن جرير الطبري :

« قال تلميذه أبو بكر بن كامل الشجري القاضي : قال لي أبو جعفر : حفظتُ القرآن ولَي سبع سنين ، وصلّيتُ بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبتُ الحديث وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٣/١٣ .
(٢) تذكرة الحفاظ ٦٢٤/٢ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٣ - ٤١٧ .

رسول الله ﷺ وكان معي مِخْلاة مملوءة حجارةً ، وأنا أرمي بين يديه . فقال المُعبِّر : إنه إن كَبِرَ نصح في دينه ، وذبَّ عن شريعته . فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذٍ صغير »(١).

٤٣ - الخليفة العباسي أبو العباس المعتضد بالله :

« روى التنوخي عن أبيه قال : رأيتُ المعتضد وكان صبيًّا ، عليه قباء أصفر ، وقد خرج إلى قتال وصيف بطرسوس »(٢).

٤٤ - ابن الرَّوَّاس مُسنِد دمشق :

« سمع أبا مسهر الغساني .

قال ابن الرواس : سمعتُ من أبي مسهر وأنا ابن إحدى عشرة سنة »(٣).

٤٥ - سيِّد الطائفة الجُنيد رحمه الله :

قال الذهبي : « قيل لي : إنه قال مرة : كنتُ أُفتي في حلقة أبي ثور الكلبي ولِيَ عشرون سنة .

قال الجُنيد : كنتُ بين يدي السَّرّي ألعب وأنا ابن سبع سنين ، فتكلَّموا في الشكر . فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟ قلتُ : أن لا يُعصى الله بنعمه . فقال : أخشى أن يكون حظُّك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكي على قوله »(٤).

يرحم الله الجُنيد ! وهل يُحدُّ الشكر بأكثر من هذا .. إن كان هذا كلامه وهو صبيٌّ في لعبه ، فكيف بكلامه بعد نضوجه !! كيف بإشاراته !! كيف بعباراته !!

---

(١) تاريخ بغداد .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٦٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٥٠٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٤/٦٨ ، حلية الأولياء .

٤٦ - معروف الكرخي :

قال الإمام أحمد بن حنبل : وهل يُراد من العلم إلّا ما وصل إليه معروف .. كان معه رأس الأمر ؛ خشية الله تعالى .

قال محمد بن المظفر: « روي لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيَّيْن نصرانيَّيْن ، فأسلماه وهو صغير إلى من يُعلِّمه كتابهم ، فكان يقول له : قُلْ : أب وابن وزوجة . فيقول معروف : إله واحد ، فيضربه المُعلِّم ، ثم يعود لتعليمه ، فيأبى إلّا أن يقول : إله واحد . وضربه المُعلِّم يومًا من الأيام ضربًا مُبرحًا ، فهرب معروف ، فلم يُطق أبواه صبرًا ، وكادا يهلكان جزعًا عليه . وكانا يقولان : ليتنا لو وجدناه على أي دين كان عليه فندين بدينه . ولم يزل معروف يسير في الأرض حتى لقي عليَّ بن موسى الرضا- وهو غلام- فأسلم على يديه، وتولَّاه وخدمه مُدَّةً طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك، فقرع الباب على أبويه ليلًا، فقالا: مَنْ؟ قال: معروف. قالا قبل أن يفتحا له الباب: على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام. قالا: ادخل، فنحن على دينك. وأسلما، وجمع الله شملهم على الهدى.

وبلغني أن معروفًا كلَّم أبويه في أمْر دينهما بكلام كرهاه ، فقالتْ أُمُّه لأبيه : إن ابنك طفلٌ لا يُحسن هذا الكلام ، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين ، فاحبسْه في بيتك ، فإن ذلك أنفع له . فحبسه في خزانة بيته أيَّامًا ، ثم رقَّ عليه فأخرجه ، فعاد إلى الخزانة ، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يُخرجوه كرْهًا . فقال له أبوه : إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة ؟ فقال : إني وجدتُ فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما . قال أبوه : مَنْ هذا ؟ فصمت عنه . قال أبوه لأُمِّه : هذا عملُكِ !! لقد خُلط ولدي في عقله !! وانطلق به إلى راهب ، فقصَّ عليه خبره ، وسأله أن يرقيه ويُعوِّذه . فقال له الراهب : مَنِ الذي أفسدك على أبويك ؟ قال : قلبي ، ما زال يُفكِّر

في الذي فطر الأرض والسماء ، ويُفكِّر في حالهما ومآلهما . قال الراهب : وما الذي تراه يا معروف ؟ قال : أرى أنَّ واحدًا عمل الأشياء كلها ، ولا يصحُّ أن يُشبهه شيء منها ؛ لأنه لو أشبه شيئًا منها لكان معمولًا مثلها . فقال الراهب : مكانك حتى أخرج إليك . ودخل صومعته ، فأخرج دواةً ورقًّا ، ثم أعاد المسألة على معروف ، وكتب جوابه ، وقال لفيروز : يا فيروز ، لولا أنك قلت لي : إنه ابني ؛ لقلتُ : إنه من تلاميذ الملائكة . فانصرف فيروز بابنه مسرورًا . قال معروف : فحدَّثتُ بذلك مولاي علي ابن موسى الرضا ، فقال : إنك من تلاميذ الملائكة »[1].

٤٧ - شيخ الشام أبو عبد الله ابن الجلَّاء :

قال ابن الجلَّاء : ما جلا أبي شيئًا قطُّ ، ولكنه كان يعظ ، فيقع كلامه في القلوب ؛ فسُمِّي جلّاء القلوب .

« قال ابن الجلّاء : قلتُ لأبي وأمِّي : أُحِبُّ أن تهباني لله . قالا : قد وهبناك لله . فغبتُ عنهما مُدَّةً ، فرجعتُ من غيبتي - وكانت ليلة مطيرة - فدققتُ عليهما . فقالا : مَنْ ؟ قلتُ : ولدُكما . قالا : كان لنا ولدٌ فوهبناه لله ، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا . وما فتحا لي الباب »[2].

وفي رواية : أن أُمَّه قالت له لما قال : أُحِبُّ أن تهباني لله . فقالت : لا تصلح للمُلك ، فعليك بالعبادة . فأخذ يجدُّ فيها وهو صغير ، وبعد فترة قالت له : الآن تصلح أن نهبك لله ...

والله إن موقف ابن الجلَّاء ووالديه يعجز عنهما اللسان !! .

٤٨ - سهل بن عبد الله التستري شيخ عصره :

قال محمد بن مظفر : « إن سهل بن عبد الله التستري لما بلغ من

(١) أنباء نجباء الأبناء ص١٨٥ - ١٨٧ .
(٢) حلية الأولياء ١٠/٣١٥ .

عمره ثلاث سنين ؛ كان يسهر الليل ينظر إلى صلاة خاله محمد بن سوار ، وربما قال له خاله : قُمْ يا بُنَيَّ ، فقد شغلتَ قلبي . ولمّا رأى خاله ذلك قال له : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ قال : كيف أذكره ؟ قال : قل : الله معي ، الله شاهدي ، الله ناظرٌ إليَّ ؛ كل ليلة ثلاث مرات . ففعل ذلك ليالي . ثم قال له خاله : قُلْه سبع مرات في كل ليلة . فلبث على ذلك مدة ، ثم قال له خاله : قلْهُ إحدى عشرة مرة في كل ليلة . ففعل ذلك زمانًا .

قال سهل : فوجدتُ في نفسي وقلبي حلاوة لذلك ، فأخبرتُ خالي ، فقال : يا سهل ، مَنْ كان الله معه ، وشاهدًا عليه ، وناظرًا إليه ، كيف يعصيه ؟!! إيَّاك أن تعصي الله .

وبلغني أن أبا محمد سهلًا حفظ القرآن وهو ابن ستٍّ سنين ، وكان يُفتي في مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن اثنتي عشرة سنة .

ولما بلغ ثلاث عشرة سنة عرضت له مسألة فلم يجد بتستر مَنْ يُجيبه عنها ، فقال لأهله : جَهِّزوني إلى البصرة . فلم يجد بالبصرة مَنْ يستفتيه ، فذُكر له حمزة بن عبد الله بعبدان . فقصدها ، ولقي حمزة ، فوجد عنده ما يُريد ، وصَحِبَه .

قال محمد بن مظفر : ومن عجيب أجوبته ؛ ما بلغني أن رجلًا من ذوي اليسار كان جارًا لخاله ، فحجَّ الرجل ثم قفل إلى أهله ، فذهب خاله ليُهنِّئه ، وتبعه سهل ، فلما جلسا أقبل الرجل يُحدِّث خال سهل عمَّن لقي من الفضلاء بمكة ، وعن حجَّته ، إلى أن قال : وشُغلتُ عن طواف الوداع بكذا وكذا ، ثم التفت إلى سهل كالمُمازح له ، وهو إذْ ذاك لم يبلغ اثنتي عشرة سنة ، إلا أنه كان مقصودًا بالمسائل ، معروفًا بالإجادة في جواب

ما يُسأل عنه : ما تقول أنت يا أستاذ في مَنْ ترك طواف الوداع ؟ فأنشده سهل رضي الله عنه :

ولما تذكَّرتُ المنازل والحمى ولم يُقضَ لي تسليمة المُتزوِّدِ
زفرتُ إليها زفرةً لو حشوتُها سرابيلَ أدراع الحديدِ المسرَّدِ
لذابتْ حواشيها وظلَّت لحرِّها تلينُ كما لانَت لداود في اليدِ

فوثب الرجل وثبة ملسوعٍ ، ونزع ثيابه ، ولبس ثوبَيْ إحرامه ، وصاح : لبَّيْك اللهمَّ لبَّيْك بحجة . وتجهَّز عائدًا إلى مكة .

وروى عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب « صفة الأولياء ، ومراتب الأصفياء » بإسناده ، قال : ذكر سهل الله ، وهو ابن ثلاث سنين ، وصام وهو ابن خمس سنين حتى مات ... وساح في طلب العلم وهو ابن تسع سنين ، وكانت تُلقى مشكلات المسائل على العلماء ، ثم لا يُوجد جوابها إلا عنده ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وحينئذٍ ظهرت عليه الكرامات ، والله أعلم »[١].

٤٩ - الرامَهُرْمُزي صاحب كتاب « المُحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي »:

قال عنه الذهبي : وما أحسنه من كتاب !

قال الذهبي في السير ١٦/٧٣ : « وأول طلبه لهذا الشأن في سنة تسعين ومائتين ، وهو حَدَثٌ ، فكتب وجمع وصنَّف ، وساد أصحابَ الحديث ، وكتابه المذكور يُنبىء بإمامته » .

٥٠ - الذُّهْلي ، أبو الطاهر محمد بن أحمد ، قاضي الديار المصرية :

قال الذهبي : سمع وهو ابن تسع سنين[٢].

(١) أنباء نُجباء الأبناء ص١٨٨ - ١٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

قال الحافظ عبد الغني : قد قرأ القرآن وهو ابن ثمان سنين[١] .

٥١ - الحسن بن رشيق ، أبو محمد العسكري المصري :

« الإمام المُحدِّث الصادق . سمع وهو مُراهق »[٢] .

٥٢ - شيخ الإسلام الحافظ الإسماعيلي :

مولده في سنة (٢٧٧هـ) .

قال الذهبي : « كتب الحديث بخطه وهو صبيٌّ مميِّز ، وطلب في سنة ٢٨٩هـ وبعدها » .

قال الإسماعيلي في « معجمه » : « كتبتُ في صغري الإملاء بخطّي في سنة ٢٨٣ ، ولي يومئذٍ ستُّ سنين » فهذا يدلُّك على أن أبا بكرٍ حرص عليه أهله في الصغر .

وقال : كتبت بخطّي عن أحمد بن خالد الدامغاني إملاءً في سنة ثلاث وثمانين ، ولا أذكر صورته .

وقال : لما ورد نعي محمد بن أيوب الرازي ، بكيتُ وصرخت ، ومزَّقت القميص ، ووضعت التراب على رأسي ، فاجتمع عليّ أهلي ، وقالوا : ما أصابك ؟ قلت : نُعِيَ إليَّ محمد بن أيوب ، منعتموني الارتحال إليه.فَسَلَّوْني وأذنوا لي في الخروج إلى « نَسَا » إلى الحسن بن سفيان ، ولم يكن ها هنا شعرة . وأشار إلى وجهه[٣] .

٥٣ - مُسْنِد خراسان أبو عمرو بن حمدان :

ارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم والعراق والجزيرة والنواحي ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٨٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/٢٩٢ - ٢٩٦ .

وسمَّعه الكثير ، وطلب هو بنفسه .

ارتحل إلى الحسن بن سفيان النَّسوي وهو ابن ست عشرة سنة[(١)] .

٥٤ - ابن شاذان البزَّار الشيخ الإمام :

روى عنه رفيقُه أبو الحسن الدارقطني .

قال الخطيب : كان ثقةً ثبتًا كثير الحديث . ولد في ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ) . وسمع وهو ابن خمس سنين[(٢)] .

قال ابن شاذان : جاءوني بجزء فيه سماعي من محمد بن محمد الباغندي سنة تسع وثلثمائة (٣٠٩ هـ) ولم يكن لي به نسخة فلم أُحدِّث به[(٣)] .

٥٥ - عَلَم الجهابذة أبو الحسن الدارقطني :

فريدُ عصرِه وقريعُ دهرِه، ونسيجُ وَحْدِه، وإمامُ وقته، كما قال الخطيب .

سمع وهو صبيٌّ من أبي القاسم البغوي وكثيرين .

قال أبو الفتح بن أبي الفوارس : كنّا نمرُّ إلى البغوي ، والدارقطني صبيٌّ يمشي خلفنا ، بيده رغيفٌ عليه كامَخ[(٤)] .

قال الأزهري : بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصَّفّار ، فجعل ينسخ جزءًا كان معه ، وإسماعيل يُملي ، فقال رجل : لا يصحُّ سماعك وأنت تنسخ . فقال الدارقطني : فهمي للإملاء خلاف فهمك ، كم تحفظُ أمْلى الشيخ ؟ فقال : لا أحفظ . فقال الدارقطني : أمْلى ثمانية عشر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٦ ، تاريخ بغداد ١٨/٤ - ٢٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٦ .

(٤) ما يؤتدم به ، أو المخلَّلات المشهية ، وهو لفظ معرَّب .

حديثًا ، الأول عن فلان عن فلان ، ومتنه كذا ، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ، ومتنه كذا وكذا. ومرّ في ذلك حتى أتى على الأحاديث ، فتعجَّب الناس منه ، أو كما قال[(١)].

٥٦ - أبو بكر محمد بن إبراهيم الكسائي الشيخ النحوي البارع :

روى صحيح مسلم .

قال الحاكم : حدَّث بـ « الصحيح » من كتاب جديدٍ بخطِّه ، فأنكرتُ فعاتبني ، فقلت : لو أخرجتَ أصلك وأخبرتني بالحديث على وجهه . فقال : أحضرني أبي مجلسَ ابن سفيان الفقيه لسماع هذا الكتاب ، ولم أجد سماعي ، فقال لي أبو أحمد الجُلُودي : قد كنت أرى أباك يُقيمك في المجلس تسمع ، وأنت تنام لصغرك ، فاكتب الصحيح من كتابي ، تنتفع به[(٢)].

٥٧ - القدوة الرَّبّاني أبو الفتح يوسف بن عمر القوّاس :

ولد سنة ٣٠٠هـ .

قال الخطيب : كان ثقةً زاهدًا صادقًا ، أول سماعه في سنة ٣١٦[(٣)].

وقال الدارقطني : كُنّا نتبرَّك بأبي الفتح القوّاس وهو صبيٌّ .

يالله !! وهل بعد كلام الدارقطني كلام ... يتبرّكون بصبيٍّ !! فكيف حالهم معه وهو شيخ ؟!!

٥٨ - إسماعيل الحاجبي :

سمع وهو صغير يُحمل على العاتق ولا يقدر على المشي[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٣. وتاريخ بغداد ١٢/٣٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٤٦٥ .

(٣) تاريخ بغداد ١٤/٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٦/٥٢١ .

٥٩ - ابن بطة الإمام القدوة صاحب « الإبانة الكبرى » :

قال ابن بطة : « وُلِدت سنة أربع وثلاثمائة (٣٠٤هـ) وكان لأبي ببغداد شركاء ، فقال له أحدهم : ابعث بابنك إلى بغداد ليسمع الحديث . قال : هو صغير . قال : أنا أحمله معي . فحملني معه ، فجئتُ فإذا ابن منيع يُقرأ عليه الحديث ، فقال لي بعضهم : سلِ الشيخ أن يُخرج إليك معجمه . فسألت ابنه ، فقال : نريد دراهم كثيرة . فقلت : لأُمّي طاق ملحم آخذه منها وأبيعه . قال : ثم قرأنا عليه « المعجم » في نفرٍ خاصّ في نحو عشرة أيام، وذلك في آخِر سنة خمس عشرة وأول سنة ست عشرة، فأذكره قال : حدَّثنا إسحاق الطالقاني سنة أربع وعشرين ومائتين ، فقال المُستملي : خذوا هذا قبل أن يُولد كلّ محدِّث على وجه الأرض اليوم »[1].

٦٠ - العَبْقسيّ ، مُسْنِد الحجاز :

سمع في صباه وهو ابن عشر سنين من أبي جعفر محمد بن إبراهيم الدَّيْبُلي ، وأبي التُّريك محمد بن الحسين بن موسى السعدي الحمصي ، ومحمد ابن الربيع بن سليمان ، وأبي سعيد ابن الأعرابي ، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن المقرئ ، وبكير بن محمد الحدّاد وأبي اليسع المصِّيصيّ ، وأبي عليّ الفقيه كِمَام ، والعباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة ، وغيرهم[2].

هؤلاء شيوخه وهو ابن عشر سنين .

٦١ - أبو عمر الهاشـمي :

الإمام الفقيه مُسنِد العراق ، القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي العباسي المصري .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٥٣٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٨١ .

قال في سماعه لسنن أبي داود : « أحضرني أبي سماعَ هذا الكتاب وأنا ابن ثمان سنين ، فأثبتَ حضوري ولم يُثبته سماعًا ، ثم سمعته وأنا ابن عشر سنين »(١).

٦٢ - السُّتيتي :

الدمشقي ابن الطَّحَّان .

سمع وهو صغير:الحديث ، يقول : « كنت أنام في مجلس خيثمة بن سليمان ، فينبِّهني أبي فأنظر إلى خيثمة عظيم الهامة ، كبير الأُذنين والأنف »(٢).

٦٣ - ابن شاذان :

أبو عليّ ، الحسن بن أبي بكر بن شاذان البغدادي البزّاز الأصولي .

« بكّر به والده إلى الغاية ، فأسمعه وله خمس سنين أو نحوها من أبي عمرو ابن السَّمّاك ، وأبي بكر العبّاداني ، وميمون بن إسحاق ، وأبي سهل بن زياد، وحمزة الدّهقان، وجعفر الخلدي، والنجاد، وعبد الله بن درستويه النحوي، وأبي عمر الزاهد ، وابن ماتي والأدمي ، والطّستي ... وعدّة »(٣) .

والله لا يجد الإنسان تعليقًا على هؤلاء الصفوة ، الذين حفظوا من صغرهم لنُصرة هذا الدين !

قال محمد بن يحيى الكرماني : « كنت يومًا بحضرة أبي علي بن شاذان، فدخل شابٌّ فسلّم، ثم قال: أيّكم أبو علي بن شاذان ؟ فأشرنا إليه ، فقال له : أيّها الشيخ ، رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : سل

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٦/١٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣٥٩/١٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٧ - ٤١٧ .

عن أبي علي بن شاذان ، فإذا لقيتَهُ فأقرئه مني السلام . وانصرف الشاب ، فبكى الشيخ ، وقال : ما أعرف لي عملًا أستحقُّ به هذا ، إلّا أن يكون صبري على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلَّما ذُكر . ثم قال الكرماني : ولم يلبث أبو علي بعد ذلك إلَّا شهرين أو ثلاثة حتى مات »[1].

٦٤ - السَّرِيّ السَّقَطِيّ ، خال الجُنيد وأستاذه :

قال محمد بن مظفر : « قرأ السري بن المغلّس على مؤدِّبه : ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردًا** ﴾. [مريم : ٨٦]، فقال : يا أستاذ ، ما الورد ؟ فقال المؤدّب : لا أدري . وقرأ : ﴿ **لا يملكون الشفاعة إلّا من اتَّخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ [مريم: ٨٧]. فقال : يا أستاذ ، ما العهد ؟ فقال المؤدِّب : لا أدري . فقطع السريُّ القراءة ، وقال : إذا كنت لا تدري فَلِمَ غررتَ الناس ؟! فضربَهُ المؤدِّب ، فقال السريُّ : يا أستاذ ، ألم يكفِك الجهلُ والغرورُ ، حتى أضَفْتَ إليهما الظُّلم والأذى ؟! فاتَّعظ المؤدّب ، وتاب إلى الله من التأديب ، وأقبل على طلب العلم ، وكان يقول : إنّما أعتقني من رِقِّ الجهل السّرِيُّ .

ولمَّا بلغ في الحفظ وهو صبيٌّ إلى قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ [السجدة : ١٦] ، امتنع أن يضع جنبه على الأرض لنومٍ ، فكانت أُمُّه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره ، فإذا غلبه النوم أمسكتْهُ »[2].

٦٥ - الحارث المحاسبي :

قال محمد بن مظفر : « إن الحارث بن أسد المحاسبي مرّ وهو صبيٌّ بصبيانٍ يلعبون على باب رجلٍ تمَّارٍ مُوسِر ، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم ،

---

(١) تاريخ بغداد ٢٧٩/٧ ، ٢٨٠ .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص١٩٢ ، ١٩٣ .

وخرج صاحب الدار وبيده تمراتٌ ، فقال للحارث : كُلْ هذه التمرات يا صبي . فقال الحارث : ما خبرك فيهنّ ؟! قال : إني بعتُ الساعة تمرًا من رجلٍ فسَقَطْنَ من تمرِهِ . فقال الحارث : أتعرفه ؟ قال : نعم . فالتفت الحارثُ إلى الصبيان الذين يلعبون على باب الدار ، فقال لهم : أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم ، نعم . فمرّ الحارث وتركه ، فاتَّبعه التمار حتى قبض عليه ، وقال : والله ما تنفلتُ من يدي حتى تقول لي ما في نَفْسِك مني . فقال الحارث : يا شيخ ، إن كنت مسلمًا فاطلب صاحب التمرات ، كما تطلب الماء إذا عطشتَ ، حتى تبرأ من التِّباعة !! أنت مسلم ، وتُطعم أولاد المسلمين الحرام !! فقال الشيخ : والله لا تَجِرتُ للدنيا أبدًا .

وبلغني أن امرأةً أتَتِ الحارث وهو صبيٌّ يتعلَّم في المكتب ، فسألته أن يكتب لها كتابًا ، وأعطتْه درهمًا ، فكتب لها الكتاب ، وردَّ عليها الدرهم فأخذتْه ومضت ، فقال له المؤدِّب : لم رددتَ عليها الدرهم وقد استأجرتْك به ؟ قال : لقول الله تعالى : ﴿ **ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتُب كما علَّمه الله فليكتُبْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فكتبتُ لها طاعةً لأمر الله ، وما كنتُ لآخُذ على طاعة الله أجرًا . قال المؤدِّب : فما مَنَعَك من أن تُعطينيه حين لم تُرِدْ أخْذه ؟ قال الحارث : منعني من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وليحملُنَّ أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليُسألُنَّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون** ﴾ [العنكبوت : ١٣][(١)] .

لكأنَّما حفظه الله من صغره للورع الذي اشتهر به في كبره . ولقد أخذ بالحَوْطَة لدينه في هذه المسألة ؛ فقد قال مالك بكراهية أخْذ الأجر على الكتابة .

(١) أنباء نجباء الأبناء ١٩٥ - ١٩٧ .

٦٦ - الخطيب البغدادي :

الإمام الحافظ الناقد صاحب تاريخ بغداد .

كان أبوه أبو الحسن خطيبًا بقرية درزيجان ، وممَّن تلا القرآن على أبي حفص الكتّاني ، فحضَّ ولده أحمد على السّماع والفقه ، فسمع وهو ابن إحدى عشرة سنة(١).

٦٧ - أبو الوقت عبد الأول الهروي الإمام الزاهد :

قال عنه يوسف بن أحمد الشيرازي في « أربعين البلدان » له : « لمَّا رحلتُ إلى شيخنا رُحْلَةِ الدنيا ومُسْنِدِ العصر أبي الوقت ، قدّر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلّمت عليه ، وقبَّلْته ، وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدمَكَ هذه البلاد ؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومُعوَّلي بعد الله عليك ، وقد كتبت ما وقع إليّ من حديثك بقلمي ، وسعيت إليك بقدمي ، لأُدرك بركة أنفاسك ، وأحظى بعلوّ إسنادك . فقال : وفَّقك الله وإيانا لمرضاته ، وجعل سعينا له ، وقصْدنا إليه ، لو كنت عرفتني حقَّ معرفتي ، لَمَا سلّمتَ عليّ ، ولا جلستَ بين يديَّ . ثم بكى بكاءً طويلًا ، وأبكى مَن حَضَرَه ، ثم قال : اللهم استُرنا بسترك الجميل ، واجعل تحت السِتْر ما ترضى به عنّا ، يا ولدي ، تعلمُ أني رحلت أيضًا لسماع « الصحيح » ماشيًا مع والدي من هَرَاة إلى الداووديّ ببُوشنج ولي دون عشر سنين ، فكان والدي يضع على يدي حجرَيْن ، ويقول : احملهما . فكنت من خوفه أحفظهما بيدي ، وأمشي وهو يتأمَّلني ، فإذا رآني قد عييتُ ، أمرني أن ألقي حجرًا واحدًا ، فأُلقي ، ويخفّ عني ، فأمشي إلى أن يتبيّن له تعبي ، فيقول لي : هل عييتَ ؟ فأخافه ، وأقول : لا . فيقول : لِمَ تُقصِّر في

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠ - ٢٧١ .

المشي ؟ فأُسرع بين يديه ساعةً ، ثم أعجز ، فيأخذ الآخر ، فيُلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحينئذٍ كان يأخذني ويحملني ، وكُنّا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم ، فيقولون : يا شيخ عيسى ، ادفع إلينا هذا الصَّبّي نُركبه وإيّاك إلى بوشنج . فيقول : معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ ، بل نمشي ، وإذا عجز أركبتُه على رأسي إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه . فكان ثمرة ذلك من حُسن نيته ، أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ، ولم يبقَ من أقراني أحدٌ سواي ، حتى صارت الوفود ترحل إليَّ من الأمصار »[1].

٦٨ - الكِنْدِي :

شيخ الحنفية ، وشيخ العربية ، وشيخ القراءات ، تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن .

قال عنه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣٤/٢٢) : « حفظ القرآن وهو صغير مميِّز ، وقرأه بالروايات العشر ، وله عشرة أعوام ، وهذا شيء ما تهيَّأ لأحدٍ قبله » .

والله إن هذا العجب العجاب !

وانتهتْ إليه الرياسةُ في النحو .

ومن شعر السخاوي فيه :

لم يكُنْ في عصرِ عمرٍو[2] مِثْلُهُ ... وكذا الكِنْدِيُّ في آخرِ عَصْرِ
فهُما زيدٌ وعمرٌو إنَّما ... بُنِيَ النَّحْوُ على زيدٍ وعمرِو

ولأبي شجاع ابن الدَّهّان فيه :

يا زيدُ زادك ربي من مواهِبِهِ ... نُعْمى يُقَصِّرُ عن إدراكها الأملُ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٢٠ - ٣٠٨ .

(٢) يعني سيبوَيْه .

لا بدَّلَ اللهُ حالًا قد حَبَاكَ بها ... ما دار بينَ النُّحاةِ الحالُ والبَدَل
النحوُ أنت أحقُّ العالمينَ به ... أليس باسمك فيه يُضْرَب المثلُ

٦٩ - أبو يزيد البسطامي :

« لما تعلّم أبو يزيد البسطامي وهو صغير ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلًا** ﴾ [المزمل : ١ - ٢] ، قال لأبيه : يا أبتِ ، من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بُنَيَّ ، ذلك النبي محمد ﷺ . قال : يا أبتِ ، ما لك لا تصنع أنت كما صنع النبي ﷺ . قال : يا بنيّ ، إن الله تعالى خصّ نبيه ﷺ بافتراض قيام الليل دون أُمَّته . فسكت عنه . فلمّا حفظ قول الله تعالى : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ [المزمل : ٢٠] ؛ قال : يا أبتِ ، إني أسمع أن طائفةً كانوا يقومون من الليل ، فَمَنْ هذه الطائفة ؟ قال له أبوه : أولئك هم الصحابة رضي الله عنهم . قال : فلِمَ تتركُ ما فعله الصحابةُ ؟ قال : صدقتَ يا بُنيَّ ، لا أتركُ إن شاء الله تعالى . فكان يقوم من الليل ويصلي .

واستيقظ أبو يزيد ليلةً ، فإذا أبوه يُصلي ، فقال : علِّمني كيف أتطهَّر وأفعل مثل فِعْلك ، وأُصلي معك . فقال له أبوه : يا بُنيَّ ، ارقُد فإنك صغيرٌ بعدُ . قال يا أبتِ : إذا كان يوم يصدرُ الناس أشتاتًا ليُروا أعمالهم أقولُ لربي : إني قلتُ لأبي : كيف أتطهَّر لأُصلّي معك ، فأبى وقال لي : ارقُد فإنك صغيرٌ بعد ؟ قال أبوه : لا والله يا بُنيَّ . وعلّمه ، فكان يُصلِّي معه »[1].

٧٠ - داود بن نصير الطائي :

واسمع العجب العجاب من قصة داود الطائي وهو صبي صغير :
« لما بلغ من العمر خمس سنين ، أسلمه أبوه إلى المؤدِّب ، فابتدأه

---

(١) أنباء نجباء الأبناء صـ ١٩٩ - ٢٠٠ .

بتلقين القرآن ، وكان لَقِنًا[١] ، فلمّا تعلَّم سورة ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا** ﴾ [الإنسان : ١] وحفظها ، رأته أُمُّه يوم جمعةٍ مُقبلًا على حائطٍ ، وهو يفكِّر ويُشير بيده ، فخافت عليه ، وقالت له : قُم يا داود ، فاخرج والعب مع الصِّبيان ، فلم يُجبها ، فضمَّتْه إلى صدرها ، ودَعَتْ بالوَيْل ، فقال : ما لكِ يا أُمَّاه ؟ فقالت : أَبكَ بأسٌ ؟ قال : لا . قالت : أين ذِهْنُك ؟ كلَّمْتُك فلم تسمعْ . قال : مع عباد الله . قالت : فأين هم ؟ قال : في الجنة . قالت : ما يصنعون ؟ قال : ﴿ **متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا ودانيةً عليهم ظلالها وذُلِّلت قطوفها تذليلًا** ﴾ [الإنسان : ١٣ - ١٤]. ومرّ في السورة ، وهو شاخِصٌ ببصره كأنه ينظر إليهم ، حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ **وكان سعيهم مشكورًا** ﴾ [الإنسان : ٢٢] ، ثم قال : يا أُمَّاه ، ما كان سعيُهم ؟ فلم تدرِ ما تُجيبه به . فقال : قُومي عني حتى أتنزَّه عندهم ساعة . فقامت وأرسلت إلى والده ، فجاء فأخبرتْه خبره ، فقال له : يا داود ، كان سعيهم مشكورًا أنهم قالوا : لا إله إلا الله ، محمدٌ رسول الله . فكان هِجِّيرَى[٢] داود بعد ذلك : لا إله إلا الله محمد رسول الله »[٣].

٧١ - أبو السَّرِيّ منصور بن عمَّار :

وهذا منصور بن عمّار شيخ الوعّاظ : « أصاب أُمَّه وجعُ الولادة وهو صبيٌّ بين يديها ، فقالت له : يا منصور ، بادرْ إلى أبيك ، فقل له : إن أُمّي تدعوك . فقال : أتستعينين في حال الشِّدَّة بمخلوقٍ لا يضرُّ ولا ينفع ، وأكون أنا رسولك في ذلك ؟! قالت : الساعة أموت !! قال لها : قولي :

---

(١) يحفظ ما يسمعه سريعًا .
(٢) الهِجِّيرَى : الدَّأب والعادة .
(٣) أنباء نجباء الأبناء ص٢١٢ - ٢١٣ .

أغثني يا الله . قالتْ : فانزلق جنينُها من ساعته . ورُوي أنّها قالت له وهي تَوْحَمُ[١] : يا منصور ، إني أجد ريح سمكٍ يُقلى ، فانطلق إلى أبيك ، فقل له : يأتينا الساعة بسمكٍ مقليٍّ . فقال : يبعُد هذا عليك يا أُمَّاه . فقالت له : اذهب إلى جارتنا فُلانة ، فإني أجد الرائحة من قِبَل دارها ، فقُل لها قد وجدتْ أُمّي رائحة السمك ، فأطْعِمِيها منه . قال : لا ينطق بهذا لساني ، ولكن أسأل الله . فأخذتْ بأُذُنه فعَرَكَتْها ، وقالت : والله ، إن لم تأتني بشهوتي لأُخبرنَّ أباك . فقال : يا الله ... شهوة أُمّي . فإذا بالباب يُقرع ، وقائلٌ يقول : يا منصور . فخرج منصور ، فإذا بالباب سمكٌ بين رقاقتيْن ، ولم يَرَ عند ذلك أحدًا من الناس ، فأخذه ودخل بها إلى أُمّه فطعِمَتْ »[٢].

٧٢ - أبو الحسين النُّوري :

قال الشيخ حُجَّة الدين محمد بن مظفر في كتابه « أنباء نجباء الأبناء » : « بلغني أن أبا الحسين النوري لمَّا قرأ القرآن الكريم ، ألزمه أبوه أن يكون معه في حانوته . فكان إذا أصبح أخذ روزمانجاً ودواةً ، وذهب يسأل عمّا جهل من كتاب الله تعالى ، ويكتب ما يُقال له ، ثم يأتي أباه . وإذا بعثه من الحانوت في حاجةٍ ، أخذ ألواحَهُ ودواةً معه ، فيسأل من مرَّ به من أهل العلم ، فإذا غاب يزجُره أبوه لغيبته ويتهدَّده ، وربّما ضربَهُ على ذلك أحيانًا . وتكرَّر ذلك ، فقال له أبوه : ليت شعري يا بُنَّي ، ما تريد بعلمك هذا ؟ قال : أريد أن أعرف الله تعالى ، وأتعرَّف عليه . فقال : كيف تعرفه ؟ قال : أعرفه بتفهُّم أمره ونَهْيِه . قال : وكيف تتعرَّف إليه ؟ قال : أتعرَّف إليه بالعمل بما علَّمني . قال أبوه : يا بُنَّي ، لا أعْرِضُ لك في أمرك هذا ما

---

(١) الوحم : رغبة تعتري المرأة الحامل في تناوُلِ نوع ما من الطعام .
(٢) أنباء نجباء الأبناء ص٢١٦ - ٢١٧ .

بقيتُ . ورآه - وهو صبيٌّ - شرطيٌّ من جيرانه يمشي في خرابةٍ ويبكي ، فظنَّهُ الشرطيُّ ضائعًا ، فقال له : إلى أين يا أحمد ؟ قال : والله لا أدري إلى أين . قال الشرطي : ما أبكاك ؟ قال : أبكاني أنّي لا أدري إلى أين . قال الشرطي : فاتَّبِعني أهْدِك . قال أحمد : بل أنت اتّبعني أهْدِك صراطًا سويًّا . ففطن الشرطي لما أراد ، وقال له : يا أحمد ، كيف تهديني صراطًا سويًّا ، وأنت لا تدري إلى أين ؟ فقال أحمد : إني الآن على صراطٍ مستقيم ، ولكن لا أدري ما يكون غدًا . فاتَّعظ الشرطيُّ بكلامه وتاب »[١] .

٧٣ - مجد الدين ابن تيمية ، جَدّ شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال عنه الذهبي : « حدَّثني الإمام عبد الله بن تيمية أن جده رُبِّي يتيمًا ، ثم سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويتفقّه ، وله ثلاث عشرة سنة ، فكان يبيت عنده ويسمعه يكرِّر على مسائل الخلاف ، فيحفظ المسألة ، فقال الفخر إسماعيل يومًا : أيش حفظ النُّنَيْن[٢]؟ فبدر المجدُ وقال : حفظتُ يا سيِّدي الدرسَ . وسَرَدَهُ ، فبُهِت الفخرُ ، وقال : هذا يجيء منه شيءٌ . ثم عرض على الفخر مصنَّفه « جُنّة الناظر » وكتب له عليه في سنة ست وستمائة[٣] وعظَّمه »[٤] .

٧٤ - أحمد بن الفرات :

الحافظ أبو مسعود الرازي ، محدِّث أصبهان .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما تحت أديم السماء أحفظُ لأخبار

---

(١) ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) الصبي الصغير .

(٣) أي وسنّه ست عشرة سنة .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٢ - ٢٩٣ .

رسول الله ﷺ من أبي مسعودٍ الرازي .

« قال أبو مسعود : كتبتُ الحديث وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، وذُكرت بالحفظ ولي ثمان عشرة سنة »[١] .

٧٥ - الإمام النووي :

قال عنه تلميذه علاء الدين علي بن إبراهيم ابن العطَّار : « ذكر لي الشيخُ ياسين بن يوسف المراكشي ولِيُّ الله - رحمه الله - قال : رأيت الشيخ محيي الدين - وهو ابن عشر سنين - بِنَوَى ، والصِّبيان يُكرهونه على اللَّعِب معهم ، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال ، فوقع في قلبي محبتُه .

وجعله أبوه في دكّانٍ ، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن .

قال : فأتيتُ الذي يُقرئِه القرآن ، فوصَّيتُه به ، وقلت له : هذا الصبيُّ يُرجى أن يكون أعْلَم أهل زمانه ، وأزهدهم ، وينتفع الناس به . فقال لي : أمُنجِّمٌ أنت ؟ فقلت : لا ، وإنما أنطقني الله بذلك . فذكر ذلك لوالده ، فحرص عليه ، إلى أن ختم القرآن وقد ناهزَ الاحتلام »[٢] .

قال الشيخ عبد الغني الدقر في كتابه « الإمام النووي » ص٢٢ : « وهكذا كانت فراسة هذا الشيخ المراكشي ، أنْفَع للمسلمين قاطبةً من كل عملٍ صالحٍ له ، إذ كان بسببه وسعيه ظهور عالم زاهد تقيّ قلَّ أن يسمح الزمان بمثله ؛ إلَّا في قرونٍ متطاولة ، وما نظنٌّ أنه جاء من بعدِه مِثله ، بارك الله له في عمره القصير ، وصنع منه في عصره وما بعده أعْلَم الناس وأزْهَدهم » .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين . تصنيف علاء الدين ابن العطار . حقَّقه مشهور حسن سليمان ص٤٣ - ٤٤، نشر دار الصميعي .

قال تلميذه ابن العطّار : « ذكر لي والده ، أن الشيخ كان نائمًا إلى جنبه ، وقد بلغ من العمر سبع سنين ليلة السابع والعشرين من رمضان ؛ قال : فانتبه نحو نصف الليل ، وأيقظني ، وقال : يا أبتِ ، ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار ؟ واستيقظ أهلُه جميعًا ، فلم نَرَ كلُّنا شيئًا . قال والده : فعرفت أنها ليلة القدر »[1].

٧٦ - شيخ الإسلام ابن تيمية :

« نشأ من حين نشأ في حجور العلماء »[2] .

قال عنه الحافظ عمر بن علي البزار : « أنبته الله أحسن النبات وأوفاه . وكانت مخايل النَّجابة عليه في صِغَره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، أخبرني من أثق به ، عمّن حدَّثه أن الشيخ - رضي الله عنه - في حال صغره كان إذا أراد المُضِيّ إلى المكتب ، يعترضه يهوديٌّ كان منزله بطريقه ، بمسائل يسأله عنها ، لِمَا كان يلوح عليه من الذكاء والفِطْنة ، وكان يُجيبه عنها سريعًا ، حتى تعجَّب منه . ثم إنه صار كلَّما اجتاز به يُخبره بأشياء مما يدلُّ على بُطلان ما هو عليه ، فلم يلبثْ أن أسلم وحسُن إسلامه . وكان ذلك ببركة الشيخ على صِغَر سنّه »[3].

سبحان الله !! هذا حال مَنِ اختارهم الله لتجديد دين نبيِّه ﷺ .

ابن تيمية يُسلم على يديه يهوديٌّ وهو ما بعد ، صبيٌّ يذهب إلى الكُتَّاب . ولقد تكرَّر إسلام بعضِ اليهود على يد ابن تيمية : « فقد أسلم

---

(١) تحفة الطالبين ص٤١ .

(٢) العقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية للحافظ ابن عبد الهادي ص٥ . دار الكتب العلمية .

(٣) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - للحافظ عمر بن علي البزار . تحقيق زهير الشاويش صـ ١٦ - ١٧ . طبع المكتب الإسلامي .

على يديه ديّان اليهود بدمشق بهاءُ الدين عبد السيِّد ابن المهذّب الطبيب الكحّال ، ومعه أولاده وأهل بيته وجماعة كبيرة من اليهود ، يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة »[١].

يقول الحافظ البزار : « ولم يزل منذ إبّان صغره مستغرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد ، وختم القرآن صغيرًا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية ، حتى برع في ذلك » .

يقول تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي : « سمع مسند أحمد مراتٍ ، وسمع الكتب الستة والأجزاء ومعجم الطبراني الكبير ، وعُني بالحديث ، وقرأ ونسخ ، وتعلَّم الخطّ والحساب في المكتب ، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ، ثم فهمها وأخذ يتأمّل كتاب سيبويه حتى فهم النحو ، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك . هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه .

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب ، قدم إلى دمشق وقال : سمعت في البلاد بصبيٍّ يُقال له : أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصدًا لعلّي أراه . فقال له خيّاط : هذه طريق كُتّابه ، وهو إلى الآن ما جاء ، فاقعد عندنا ، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكُتّاب . فجلس الشيخ الحلبي قليلًا ، فمرَّ صبيان ، فقال الخيّاط للحلبي : هذاك الصبي الذي معه اللّوح الكبير ، هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ ، فجاء إليه ، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ، ثم قال : يا ولدي ، امسح هذا حتى أُملي عليك شيئًا

---

(١) البداية والنهاية بتصرف ١٤/٢٠ - ٢١ .

تكتُبه . ففعلَ ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر حديثًا ، وقال له : اقرأ هذا . فلم يزد على أن تأمّله مرَّةً بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه وقال : اسمعه عليَّ . فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع . فقال له : يا ولدي،امسح هذا . ففعلَ ، فأملى عليه عدَّة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا . فنظر فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ وهو يقول : إن عاش هذا الصبيُّ ، ليكوننَّ له شأن عظيم ؛ فإنّ هذا لم يُر مثله . أو كما قال »[1].

٧٧ - السلطان محمد بن مراد الفاتح :

ولد في ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ٨٣٥هـ .

وكان والداه « يحوطانه بالرعاية والحب ، وفي رعاية خيرة علماء زمانه ، وعلى رأسهم الشيخ آق شمس الدين ، يصقلون مواهبه ، ويشرفون على تربيته وتأديبه ويُزوِّدونه بالعلم والمعرفة ، حتى بزَّ أقرانه في سائر العلوم ، وأصبح مُلِمًّا بالعديد من اللغات ، وانصرف عدد من خيرة فرسان أبيه يُدرِّبونه على الفروسية ، ويُؤجِّجون في صدره رُوح الجندية . ولم يكد الفتى الصغير يتخطَّى العاشرة من عمره ، حتى قرر والده أن يقذف به في غمار الحياة العمليَّة ، فعيَّنه واليًا على مقاطعة أماسيا ، ثم قائدًا عامًّا لمنطقة مانيسيا ، وأحاطه بنخبةٍ من العلماء والقادة ، يُعينونه في تحمُّل هذه المسئولية التي تنوء بها كواهل الرجال . وما مضت بضعة شهور ، حتى بدأ الناس يتهامسون بأن هذا الشِّبل من ذاك الأسد ، فقد أظهر محمد الفاتح من الكفاءة العسكرية والإدارية ، ما أعطى الدليل على أن رجاء الوالد السلطان لم يخِب في ابنه الأمير .

وفي سنة ٨٤٨هـ استدعى السلطان مراد ابنه الأمير محمدًا من مانيسيا ،

---

(١) العقود الدرية ص٣ - ٤ .

لتسليمه مقاليد السلطنة في « أدرنة » عاصمة الدولة العثمانية آنذاك ، ولم يكن الأمير محمد في ذلك الوقت قد أكمل الرابعة عشرة من عمره . واستمر الأمير محمد في إدارة شئون السلطنة عامًا كاملًا . وبعدها قرَّر استدعاء والده السلطان مراد ؛ ليتولّى من جديد مقاليد السلطنة ، ولكنّ السلطان مرادًا اعتذر بحاجته الماسَّة إلى الراحة ، فما كان من الأمير إلا أن أرسل رسالة إلى والده السلطان ، يقول فيها : « إن كنت تصرّ على أن أبقى على رأس الدولة ، فإني أذكِّرك يا والدي بما أوجبه الله على المسلمين من حق الطاعة لوليّ أمرهم ، ولهذا فإني آمرك أن تُسرع بالقدوم إلى أدرنة ؛ لقيادة جيوش المسلمين » . وحين وصلت رسالة الأمير إلى السلطان مراد ، ذرفت عيناه دموع الفرح ، فقد أدرك أن ولده الفتي يتصرَّف بحزم الرجال وعزيمتهم ، وتنحَّى له الأمير محمد عن مقاليد السلطنة، واستمرَّ السلطان مراد في تحمُّل مسئولية السلطنة حتى وفاته سنة ٨٥٥»[١] .

هذه طفولة وصبًا محمد الفاتح ... يتولَّى القيادة وهو ابن عشر سنوات ، فيه يصدق قول الشريف الرّضيّ :

لله جيِّدُ ما تَمَهَّد غيرُ أحشاءِ المكارمْ
فتطوَّقَ العلياءَ وَهو قريبُ عهدٍ بالتَّمائِمِ
نِيطتْ[٢] بعِطْفَيْهِ حَمَالاتُ[٣] المغانِمِ والمغارمِ[٤]

٧٨ - صبيٌّ عابد :

قال حجة الدين محمد بن مظفر: « بلغني أن عبد الله بن أحمد الجُلّا

---

(١) السلطان المجاهد محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية . لزياد أبو غنيمة ص١٣ - ١٨ - طبع دار الفرقان .
(٢) نِيطت : علِّقتْ .
(٣) حمالات : تحمُّل . أي أنه صار المسئول عن المغانم والمكارم .
(٤) أنباء نجباء الأبناء ص١٦٥ .

قال : اشتهتْ أُمّي على أبي سمكًا ، فمضى إلى السوق وأنا معه فاشتراه ، ووقف ينتظر من يحمله ، فإذا صبيٌّ قد أتاه ، وقال : يا عمّ ، أتُريد أن أحمله لك ؟ قال : نعم . فحمله ، ومشى معنا فسمعْنا الأذان ، فقال الصبيُّ لأبي : قد أذّن المؤذن ، وأحتاج إلى أن أتوضَّأ وأُصلي ، فاحفظْ سمكَك إن أحببتَ ، حتى أعود فأحمله إن شاء الله . ووضع السمك ومرَّ ، فقال أبي : نحن أوْلى بذلك منه ، فلنتوكَّل على الله في السمك . فتركناه ودخلْنا المسجد ، فصلَّيْنا وخرجنا والصبيُّ معنا، فأتينا السمك فإذا هو موضوعٌ مكانه ، فحمله الصبيُّ إلى دارنا . وحدّث أبي أُمّي بحديث الصبيّ ، فقالت: قُل له : يُقم عندنا ليأكُل من هذا السمك . فقُلنا له في ذلك ، فقال : إني صائم . فقلنا له : تنصرف إلى شغلك ، ثم تعود عند الإفطار . فقال : إني إذا حملتُ مرَّةً في اليوم ، لم أعُدْ لحمْلِ شيءٍ في ذلك اليوم ، ولكنّي أدخل هذا المسجد حتى أُمسي . قال عبد الله بن أحمد الجُلّا : فدخله ، ودعوناه عند الإفطار فأكل ، وقُلنا له : تبيتُ عندنا ؟ قال : نعم . فدللْناه على المِرحاضِ ، وفهمْنا منه أنه يُؤثر الخلْوةَ ، فأدخلناه بيتًا خاليًا . قال : وكان لغريبٍ لنا بنتٌ زَمِنَةٌ[1]، فلمَّا كان بعض الليل جاءتْنا تمشي ، فقلنا لها : ما أمرُكِ ؟ فقالت : إني سألتُ الله تعالى بحُرْمة ضيفكم أنْ يُعافيني ، فَفَعَلَ . قال : فأتينا البيتَ الذي كان فيه ، فوجدناه خاليًا ، ولم نجد الصبي . قال : فكان أبي يقول بعد ذلك : فمنهم كبيرٌ ، ومنهم صغير . وبعضهم يقول : إن عبد الله بن أحمد الجُلّا سمعَ هذا الحديث في مجلسِ معروفِ الكرخيّ ، وإن الصَّبِيَّة كانت بنت صاحب البيت »[2].

---

(١) زمنة : مريضة .

(٢) أنباء نجباء الأبناء ص٢٠٣ – ٢٠٤ .

« ذكْر المُصطفيات من بُنيَّاتٍ صغارٍ ، تكلَّمن بكلام العابِدات الكبار :

٧٩ - بُنَيَّةُ بائعة اللَّبَن :

عن أسلم قال : بَيْنَا أنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يَعُسُّ المدينة إذ عَيِي[١] فاتَّكأ إلى جانب جدارٍ في جوف الليل ، فإذا امرأةٌ تقول لابنتها : يا ابنتاه ، قومي إلى ذلك اللبن ، فامذقيه[٢] بالماء . فقالت لها : يا أُمّاه ، أو ما علمتِ ما كان من عَزْمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عَزمتِهِ يا بُنية ؟ قالت : إنه أمَرَ مناديَهُ فنادى أن لا يُشاب[٣] اللبنُ بالماء . فقالت لها : يا بُنية ، قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضعٍ لا يراك عمر ولا مُنادي عمر . فقالت الصبية لأُمِّها : يا أُمَّتاه ، والله ما كنتُ لأُطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء .

٨٠ - صبيَّة وحمَّاد بن سلمة :

قال حماد بن سلمة : ألحَّ علينا المَطَرُ سنة من السنين ، وفي جواري امرأةٌ من المتعبِّدات لها بناتٌ أيتام ، فوكَفَ السَّقفُ عليهم ، فسمعتُها تقول : يا رفيق ، ارفُقْ بي . فسكن المطرُ ، فأخذتُ صرَّةً فيها دنانيرُ وقرعتُ بابها ، فقالت : اللهمَّ اجْعَلْهُ حمّاد بن سلمة . قلتُ : أنا حماد بن سلمة . وأخرجتُ الدنانير ، وقلت لها : انتفعي بهذه . فإذا صبيَّةٌ عليها مدْرَعَةٌ من صوفٍ تستبينُ خُرُوقُها ، قد خرجتْ عليَّ وقالت : ألا تسكتْ يا حماد ؟ تعترض بيننا وبين ربِّنا ؟ ثم قالت : يا أُمّاه ، قد علمْنا أنا لمَّا شكونا مولانا ، أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه . ثم ألصقتْ خدَّها على التراب وقالت :

---

(١) تعب .

(٢) اخلطيه وامزجيه .

(٣) لا يخلط .

أمَّا أنا وعزَّتك لا زايلتُ بابك وإن طردتني . ثم قالت : يا حمّاد ، رُدَّ دنانيرك - عافاك الله - إلى الموضع الذي أخرجْتَها منه ، فإنّا رفعْنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الودائع ولا يبخسُ العاملين »[١].

٨١ - بنت المعافى بن عمران تُعطي بشر بن الحارث درسًا في الإخلاص :

« قال بشر بن الحارث : أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققْتُ الباب فقيل : من ذا ؟ فقلت : بشر الحافي . فقالت لي بُنيّة له من داخل : لو اشتريتَ نعلًا بدانقيْن ، ذهبَ عنك هذا الاسم »[٢].

٨٢ - بنت يحيى بن معاذ :

« عن عبد الله بن محمد بن وهب قال : كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السنّ جدًّا ، فطلبت من أبيها شيئًا ، فقال لها : يا بُنيّتي ، اطلبي ذاك مِن الله . فقالت : يا أَبَهْ ، أَوَ ما أستحيي من الله أن أتقدَّم إليه في شيءٍ يُؤكَل ؟! »[٣].

٨٣ - بنت حاتم الأصمّ :

قال ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٤٤٣) : بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصمّ ، اجتاز على باب حاتمٍ فاستسقى ماء ، فلمّا شرب رمى إليهم شيئًا من المال ، فوافقه أصحابه ، ففرح أهلُ الدار ، سوى بُنيّة صغيرة فإنّها بكتْ ، فقيل لها : ما يُبكيك ؟ فقالت : مخلوقٌ نَظَرَ إلينا فاستغنيْنا ، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) صفة الصفوة (٤/٤٤١ - ٤٤٢) .

(٢) صفة الصفوة ٤/٤٤٢ .

(٣) صفة الصفوة ٤/٤٤٢ .

٨٤ - بُنيَّات جماعة :

قال ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٤٤٣) : « عن خزيمة أبو محمد قال : قال بنات رجلٍ لأبيهنّ : يا أبه ، لا تُطعمنا إلا الحلال ؛ فإن الصبر على الجوع ، أيسر من الصبر على النار . فبلغ ذلك سفيان الثوريّ فقال : ما لهنّ رحمهنّ الله » .

٨٥ - الصِّبْية الأبابيل أطفال الحجارة ، أطفال فلسطين :

حجارةُ القُدسِ نيرانٌ وسجِّيلُ ... وفِتيةُ القدسِ أطيارٌ أبابيـلُ
وساحةُ المسجد الأقصى تموجُ بهم ... ومنطقُ القدس آياتٌ وتنزيلُ[1]

يقول الشاعر عن أطفال الحجارة :

ما عاد فينا الطِّفلُ يعبثُ لاهيًا ... فالطِّفـلُ فينا مـاردٌ جبَّـارُ
وصِغارنا حملوا الحجارةَ وازْدَهَوْا ... ما عاد في سـاحِ الجهـادِ صغـارُ
بعزيمةِ الجبّارِ نضربُ خَصْمَنا ... فيـذلُّ من عَـزَماتنا الفُجّـارُ
والفِتيـةُ الصِّيد الأُباةُ وحـولهـم ... بحرُ المنيَّةِ مـوجُـهُ هـدَّارُ
قد أطربَ الأسـماعَ وقْعُ هتافهم ... وزها بهم يومَ الوَغَـى عَمّـارُ
والقدسُ زُفّتْ للشـهيد وحولها ... بيضُ الوجـوهِ كأنّهـم أقمـارُ
هاتي لنا الأكفانَ كي نَلْقَى الرّدَى ... ونُزَفّ فالحُوُر الحِسانُ تَغَارُ[2]

ونختم هذا الفصل بما أهداه عبد الرحمن العشماوي - حفظه الله - إلى الأطفال الفلسطينيين ، الذين يعزفون بالحجارة أوتار العِزَّة أمام صلف

---

(١) ديوان « الفتية الأبابيل » ليوسف العظم ص١٣ - دار الفرقان بعمان .

(٢) قصيدة « فالطفل فينا ماردٌ جبّار » من « ديوان الفتية الأبابيل » ص٧٥ - ٨١ ليوسف العظم .

اليهود ؛ قصيدة « شموخ في زمن الانكسار » للأطفال الذين قالوا لرجالات العرب :

كان الصباحُ قصيدةً عربيَّةً والشمسُ تُنْشِدُها فلا تَتَلَعْثَمُ
كانت ربوعُ القدسِ أرضًا حُرَّةً تُرعى كرامتُنا بها وتُعظَّمُ
يأتي إليها الفَجْرُ طفلًا أشقرًا ولسانُه بالذِّكرياتِ يُتَمْتِمُ
كُنَّا بها الأحبابَ يجمعُ بيننا دينٌ يلمُّ شتاتَنا ويُنظِّمُ
ومَضَتْ بنا الأيامُ ليلٌ حالكٌ يسطو وفجرٌ ضاحِكٌ يَتَجَهَّمُ
ومضتْ بنا الأيام بيتُ رذيلةٍ يُبْنَى وبيتُ فضيلةٍ يَتَهَدَّمُ
ومضت بنا الأيام مركب حسرةٍ ينجو وزورق فرحةٍ يتحطَّمُ
ومضتْ بنا الأيَّامُ موكب عَزْمِنا متوقِّفُ وعدوُّنا يتقدَّمُ
وسمعتُ صوتًا في مغارةِ خوفِنا يُوحي صداهُ بظالمٍ لا يرحمُ
مِنْ أين هذا الصوتُ كلُّ إجابةٍ تاهتْ ووضعُ بلادنا يتأزَّمُ
ومضتْ بنا الأيام حتى أسفرتْ عن وجهها الأحداثُ واختلَطَ الدَّمُ
وتجدَّدَ الصوتُ الغريبُ نداؤه شُؤْمٌ وأصواتُ المدافعِ أشْأَمُ
وتجدَّدَتْ مأساتُنا وتمزَّقتْ أوصالُ أُمّتنا ونام الضَّيْغمُ
مَنْ صاحب الصوتِ الغريبِ وما الذي أغراهُ بي حتى أتى يتهجَّمُ
هو صوتُ شُذَّاذِ اليهودِ وراءَهُ قُوَّاتُ أمريكا تُغِير وتهجِمُ
ماذا يقولُ الصوتُ نصفُ حديثِهِ دعوَى ونصفُ حديثِهِ لا يُفْهَمُ
ما زال ينطقُ والرسائلُ لم تَزَلْ تروي لنا أقوالَهُ وتُقدِّمُ
صوتٌ ينادي أُمّتي ورجالها جهرًا ونيرانُ الضَّغينة تُضْرَمُ
لا ترفعوا رأسًا فإنَّ حُسامَنا بإزالة الرأسِ العزيزةِ مُغْرَمُ
لا ترفعوا كفًّا فإنَّ عيوننا مبثوثةٌ والقَيْدُ قيدٌ أدْهَمُ
لا تنطقوا حرفًا ففي قانوننا أنَّ الثُّغورَ الناطقاتِ تُكَمَّمُ
وإذا ضربْناكم فلا تتحرَّكُوا وإذا سحقْناكم فلا تتألَّموا

وإذا أجَعْناكم فلا تتذمَّرُوا وإذا ظلمناكم فلا تَتَظلموا
نُلقي الطعامَ لكم فإن قُلنا كُلُوا فكُلُوا وإلا بالصِّيامِ استَعْصِمُوا
عَرَبٌ وأجملُ ما لديكم أنَّكم سلَّمتمونا أمْرَكم وغفلتموا
ماذا دَهاكُم تطلبونَ حقوقَكُم طَلَبُ الحقوقِ مِن الضعيفِ مُحَرَّمُ
نحنُ الذين نقولُ أما أنتمو فالغافِلونَ الصّامتونَ النُّوَّمُ
الأرضُ كلُّ الأرض مَسْرَحُنا الذي تجري الفصولُ عليه وَهْوَ مُنَظَّمُ
نُجري الشُّخُوصَ كما نشاءُ ونشتهي الدَّوْرُ يُمْلَى والمَشَاهِدُ تُرْسَمُ
لن تستريحَ قلوبُنا إلا إذا لم يَبْقَ في الأرض الفسيحة مُسْلِمُ
وسكتُّ أبحثُ عن جوابٍ مُفحِمٍ وأصُفُّ أرتالَ الحروف وأنْظِمُ
ما كنتُ أعرف ما الجوابُ وربَّما وقفَ الحكيمُ كأنَّه لا يعلمُ
وهَمَمْتُ أنْ ألوِي العِنانَ وقد بدا أنِّي احْتبسْتُ وأنني لا أفْهَمُ
وإذا بجَبْهَةِ فارسٍ مُتوثّبٍ يدنو ويرفعُ رأسَهُ ويُسَلِّمُ
من أنت وانْبَهرتْ حروفي والْتَوى وجهُ السؤالِ وأثْبَتَتني الأسْهُمُ
مَنْ أنت وامتدَّتْ إليه مشاعري جسرًا وقلبي بالسعادةِ مُفْعَمُ
من أنتَ أوزانُ القصيدةِ لم تَزَلْ عَطْشَى وأُفْقُ الشّاعِرِيَّةِ مُعْتِمُ
مَنْ أنتَ أشعُرُ أنَّ بِئْرَ مخاوفي مِن بعدِ ما شاهدتُ وجهَك تُرْدَمُ
من أنتَ لا كفٌّ تُمَدُّ إلى العِدا مسلوبةَ المعنى ولم ينطِقْ فَمُ
ووقفتُ حين رأيتُ طفلًا شامخًا قاماتُنا مِن حَوْلِه تَتَقزَّمُ
طفلٌ صغيرٌ غيرَ أنَّ شُمُوخَهُ أوحى إليَّ بأنَّه لا يَهْرَمُ
طفلٌ صغيرٌ والمدافعُ حولَهُ مبهورةٌ والغاصِبونَ تبرَّمُوا
في كفِّه حَجَرٌ وتحتَ حذائِهِ حجرٌ ووجهُ عَدُوِّه متورِّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا أعَدْتُ تساؤلي والطِّفلُ يرمُقُني ولا يتكلَّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا ودَحْرَجَ نظرةً نحوي لها معنًى وراحَ يُتَمْتِمُ

أنا من رُبوعِ القُدسِ طفلٌ فارسٌ أنا مؤمنٌ بمبادئي أنا مُسْلِمُ
لُغةُ البطولةِ مِنْ خصائصِ أُمَّتي عنَّا رواها الآخَرُونَ وترجمُوا
مِن ذلك الوقتِ الذي انتفضتْ به بطحاءُ مكَّةَ والحَطِيمُ وَزمْزَمُ
منذ التقى جبريلُ فوق ربوعِها بُمحَمَّدٍ يَتْلُو له ويُعَلِّمُ
منذ استدارَ الدهر دورتَهُ التي عزَّ التَّقِيُّ بها وذلَّ المُجرِمُ

* * *

أنا من ربوع القدسِ تحت عمامتي عقلٌ يفكِّر في الأمور ويَحْسِمُ
ناديتُ قومي والرِّياحُ عنيفةٌ والصمتُ كهفٌ والظلامُ مخيمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُهُ أعْمى أصمٌّ عن الحقيقةِ أبْكَمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُه أمسى على ماءِ التَّخاذُلِ يَرْقُمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُهُ بالنَّومِ في الفُرُشِ الوثيرةِ مُغْرَمُ
ويَئِسْتُ ثم تركتُ قومي بعضُهم يُبدِي تآمُرَهُ وبعضٌ يَكْتُمُ
ومضيتُ وحدي في دروبِ عزيمتي إنّ المجاهدَ حين يصدُقُ يَعْزِمُ
ورأيتُ أعدائي صغارًا كلّما واجهتُهم بيقينِ قلبيَ أحْجَمُوا
وغدوتُ أدعو مِنْ رجالِ عشيرتي مَنْ سافروا خَلْفَ السَّرابِ ودَمْدَمُوا
يا مَنْ رَحَلْتُم في دروبٍ شوكُها صعبُ المِراسِ ورملُها مُتكوِّمُ
هَذي منابِرُكم تُزلزِلُ نفسَها سأمًا وقد كفرتْ بما قَرَّرْتمو
طِيرُوا بأجنحةِ السياسةِ حيثما شئتم وقولوا ما أردتُمْ وارْسمُوا
وقِفُوا أمام وسائل الإعلام في سَمْتٍ لتُؤْخَذَ صورةٌ وتبسَّموا
واسْتَمْطروا من هيئةِ الأُمم التي هرمتْ بقايا عطفِها كي تغنموا
وترقَّبُوا تأشيرة لدخولكم فلربَّما جادوا بها وتكرَّمُوا
وابنُوا لكم في كلِّ أرضٍ دولةً الشعبُ والحُكَّامُ فيها أنتمو
ودَعُوا لنا دربَ الجهادِ فإنّه دربُ الخلاصِ لنا وإنْ كابرتمو

دربٌ مضى فيه الرسولُ وصَحْبُهُ نشروا به الحَقَّ المُبينَ وعلَّموا
ماذا أصاب القومَ ما أهدافُهُم ما بالُهم قد أَبْهَمُوا وتكتَّمُوا
قالوا انتفاضتُنا صنيعتُهُمْ ولو صدقوا لقالوا إنهم لم يعلموا
نحن انتفضْنا غيرةً وتذمُّرًا ممَّا جناهُ الغاصبونَ وأجرموا
يا أُمّة الإسلامِ نحنُ حقيقةٌ في أرضنا فتدَبرُوا وتفهَّمُوا
ها نحن في درب الجهادِ وفوقنا مطرُ الرّصاصِ وللحجارةِ موسمُ
مِنْ داخلِ الوطن السليبِ جهادُنا لسنا وراءَ حدودهِ نتكلَّمُ
وإذَا سألتم عن حقيقةِ حالنا فلدى حجارتنا جوابٌ مُفحمُ
نرمي بها الباغي وفي إسلامنا أن الشياطين اللعينةَ تُرجمُ
أنا منْ ربوعِ القُدسِ طفلٌ شامخٌ أحمي فُؤادي باليقين وأعْصِمُ
ما زلتُ أرْقَى في مدارجِ عِزَّتي قلبي دليلي والعزيمةُ سُلَّمُ
وأرى بعينِ بصيرتي ما لا يَرَى غيري وأعرفُ ما يُحاكُ ويُبْرَمُ
وإذا سألتُمْ عن بَنِي قومي ففي كُتْبِ الحقيقةِ ما يُمِضُّ ويُؤلِمُ
لا تسألوا عن حالهم فهناك مَنْ يمحو مآثِرَ شَعْبِهِ ويُهَدِّمُ
وهناك مَنْ يبني سعادتَهُ على كَتِفِ الضعيفِ ويستبدُّ ويظلمُ
وهناك مَنْ يسخو على شهواتِهِ ويُمِضُّه في المكرماتِ الدِّرهمُ
وهناكَ مَنْ ينسى بأنَّ رِحالَهُ تمضي وأنْ الموتَ أمرٌ مُبْرَمُ
إني أقول وللدَّفاترِ ضجَّةٌ حَوْلِي تَهيبَ مِنْ صداها المرسَمُ
لو كان أمرُ الناسِ في أيديهمو ما ماتَ فرعونُ وقام المأتَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ما ظَّل مكتوفَ اليدينِ الأشْرَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ما سفَّ مِنْ تُرْبِ الهزيمة رُسْتُمُ
سكت الرّصاصُ فيا حجارةُ حدِّثي أنّ العقيدةَ قوَّةٌ لا تُهْزَمُ

* * *

الفصل الثالث

عُلُوُّ هِمَّـــةِ

الموالي

قال رسول الله ﷺ لسالم مولى أبي حذيفة : « الحمد لله الذي جعل في أُمتي مثلك » .

[حديث صحيح]



□ عُلُوُّ هِمَّة الموالي □

كم هو عظيم .. إسلامنا الشاهق الذي أظهر طاقات الأفذاذ ، وسوَّى بين الناس ، فقال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .. بل ويجعل من الموالي الربَّانيِّين سادةً ؛ شِسعُ نعالهم تفوق الهامَ والجبين من ملوك العرب والفرس والروم .. تشرُفُ الدنيا بعُلُوِّ هِمَمِهم وسبْقِهم ، وسُمُوِّ عزْمهم؛منهم :

بلال بن رباح مُؤذِّن رسول الله ﷺ :

بلال رسول الله خيرُ بلال ، كما قال ابن عمر .

السَّيِّد المُتعبِّد المُتجرِّد عتيق الصِّدِّيق ، عَلَمُ المُمتحَنين في الدين والمعذَّبين ، خازن الرسول الأمين ، السابق الوامق ، والمتوكِّل الواثق ، قاطع العلائق ، والآخذ بالوثائق .

قال القاسم بن عبد الرحمن : أوَّلُ مَنْ أذَّن بلالٌ .

عن عبد الله قال : «أول مَنْ أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ ، وأبو بكر،وعمَّار ، وأُمُّه سُمَيَّة ، وبلال ، وصُهيب ، والمقداد . فأمَّا النبي ﷺ وأبو بكر فمنعهما الله بقومهما ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوْه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحدٌ أحدٌ »[1].

وانظر إلى عُلُوِّ هِمَّة مَنْ قال فيه عمر: «أبو بكر سيِّدُنا، أعتق بلالًا سيِّدَنا».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة

(١) إسناده حسن : أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٤٩، وابن سعد ، والذهبي في السير ١/٣٤٧،٣٤٨ .

الصبح : « حدِّثْني بأرجى عمل عملتَهُ في الإسلام ، فإني قد سمعتُ الليلة خشفةَ نعليك بين يديَّ في الجنة » . قال : ما عملتُ عملًا أرجى من أنِّي لم أتطَهَّرْ طهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليل ولا نهار إلا صلَّيتُ لربِّي ما كُتبَ لي أن أُصَلِّي[1] .

وعن بُريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا، فقال: «بم سَبقتني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قطُّ إلا سمعتُ خَشْخشتك أمامي، إنِّي دخلتُ الجنة البارحة فسمعتُ خَشْخشتَك أمامي، وأتيتُ على قصر من ذهب، فقلتُ: لمن هذا ؟ قالوا لعمر » . فقال بلال : ما أذَّنتُ قط إلا صلَّيتُ ركعتين ، وما أصابني حَدَثٌ إلا توضَّأتُ ، ورأيتُ أنَّ لله علي ركعتين أركعهُما ، فقال : « بها »[2] .

وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم : فقلتُ : من اتَّبعك ؟ فقال رسول الله ﷺ:« حُرٌّ وعبدٌ » . فإذا معه أبو بكر وبلال .

عن قيس قال : اشترى أبو بكر بلالًا – وهو مدفون في الحجارة – بخمسة أواق ذهبًا ، فقالوا : لو أبيتَ إلا أوقية لبعناكه ، قال : لو أبيْتم إلا مائة أوقية لأخذتُه[3] .

وبلال رضي الله عنه ممَّن يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يُريدون وجهه :

عن سعد قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ستَّة نفر ، فقال المشركون : اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا ، وكنتُ أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هُذَيْل

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم . والخشفة : الحركة ، والصوت ليس بالشديد .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٣) إسناده قوي : أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٥٠، والذهبي في السير ١/ ٣٥٣، وقوَّى إسناده الذهبي .

وآخران، فأنزل الله: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يُريدون وجهه**﴾ [الأنعام : ٥٢-٥٣] »[١] .

قال سعيد بن عبد العزيز : لَمَّا احتُضر بلال قال : غدًا نلقى الأحبَّة مُحمدًا وحزْبه ، قال : تقول امرأته : واويلاه ! فقال : وافرحاه[٢] .

أبو اليقظان عمَّار بن ياسر ، الطيِّب المطيَّب ، مولى بني مخزوم :

كان رضي الله عنه يُعذَّب حتى لا يدري ما يقول . فلله دَرُّه كم ثبت على دينه !!

عن أبي الزبير أن النبي ﷺ مرَّ بآل عمَّار وهم يُعذَّبون ، فقال لهم : «أبشِرُوا آل عمَّار ، فإن موعدكم الجنة »[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « مُلِئ عمَّارٌ إيمانًا إلى مُشاشه »[٤] .

وقال أبو الدرداء لعلقمة : « ممَّن أنت ؟ قال : قلتُ : من أهل الكوفة . قال : أو ليس عندكم صاحب النَّعْليْن والوساد والمِطهرة ؟ أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيِّه ﷺ ... »[٥] . والمراد به عمَّار ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ويح عمَّار ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما خُيِّر عمَّارٌ بين أمريْن إلا اختار أرشدَهما »[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم،والطبري في التفسير،وابن ماجه .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩ .

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه ابن سعد في الطبقات، والحاكم، وعنه البيهقي في الدلائل، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وللحديث شواهد يرتقي بها للصحة.

(٤) صحيح : أخرجه النسائي والحاكم ، وأحمد في فضائل الصحابة ، وابن أبي شيبة في المصنَّف .

(٥) جزء من حديث رواه البخاري والنسائي في فضائل الصحابة .

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد،والنسائي في فضائل الصحابة .

وأيُّ هِمَّة أعلى من هِمَّة من تشتاق إليه الجنة !!

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الجنة لتشتاقُ إلى ثلاثة : عليٍّ وعمَّار وسلمان »[١] .

وعن علي رضي الله عنه قال : استأذن عمَّار على النبي ﷺ ، فقال : « مَنْ هذا ؟ » قال : عمَّار . قال : « مرحبًا بالطَّيِّب المُطيَّب »[٢] .

فرضي الله عمَّن قال فيه النبي ﷺ : « عمَّار ما عُرِض عليه أمران إلَّا اختار الأرشد منهما »[٣] .

المقداد بن الأسود البطل،فارس بدر،وصاحب رسول الله ﷺ :

المقداد بن عمرو الكندي ، مولى الأسود بن عبد يغوث الزهريّ .

قال عبد الله بن مسعود : « لقد شهدتُ من المقداد مشهدًا ، لَأَنْ أكون أنا صاحبه أحبُّ إليَّ مما على الأرض من شيء. قال: أتى النبيَّ ﷺ وكان رجلًا فارسًا، فقال : أبشرْ يا نبيَّ الله ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ : اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن - والذي بعثك بالحقِّ - لنكوننَّ بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك ، حتى يفتح الله عليك »[٤] .

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي ، وحسَّنه الترمذي، والألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٩٤)، وتخريج المشكاة (٦٢٣٤).

(٢) إسناده قوي : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه في المقدمة ، والحاكم في المستدرك وصحَّحه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية، وقوَّى إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج السير ١/٤١٣ .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد والترمذي ، وابن ماجه في المقدِّمة ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي ٣ / ٣٨٨ .

(٤) صحيح : رواه أحمد ، والبخاري مختصرًا ، وعزاه المزيُّ للنسائيّ ، وابن سعد ، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

وعند أحمد: «فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ يُشرق لذلك، وسرَّه ذلك». وذلك يوم بدر .

وعن أبي راشد الحُبراني قال : وافيتُ المقدادَ فارسَ رسول الله ﷺ بحمصَ على تابوت من توابيت الصيارفة ، قد أفضل عليها من عِظَمه ، يُريد الغزو ، فقلتُ له : قد أعذر الله إليك ، فقال : أبتْ علينا سورة البَحوث : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ [التوبة : ٤١][1] .

صهيب الرومي، مولى عبد الله بن جدعان، الرابح في بيْعه، رضي الله عنه :

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذتْ سيوفُ الله من عدوِّ الله مأخذها . قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهمْ ؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر ، أغضبتَهم ! لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك » . فأتاهم أبو بكر ، فقال : يا إخوتاه ، أغضبتُكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك يا أُخَيَّ[2] .

عن عكرمة قال : لَمَّا خرج صُهيب مُهاجرًا تبعه أهل مكة ، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا ، فقال : لا تصلون إليَّ حتى أضع في كلِّ رجُل منكم سهمًا ، ثم أصير بعدُ إلى السيف فتعلمون أني رجُل ، وقد خلفتُ بمكة قينتيْن ، فهُما لكم .

وعن أنس : « ونزلتْ على النبي ﷺ : ﴿ **ومن الناس مَنْ يشري نفسه ابتغاءَ مرضات الله** .. ﴾ الآية ، فلما رآه النبي ﷺ قال : « أبا يحيى ، ربح البيع » . قال : وتلا عليه الآية »[3] .

---

(١) صحيح : أخرجه الحاكم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن سعد ، والذهبي في السير ٣٨٨/١.وسورة البَحوث : هي التوبة ، سُمِّيت بذلك ؛ لما فيها من البحث عن المنافقين .

(٢) رواه مسلم وأحمد ، والنسائي في فضائل الصحابة .

(٣) صحيح : رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

قال صهيب رضي الله عنه : « لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدًا قطُّ إلا كنتُ حاضرَه ، ولم يُبايع بيعةً قطُّ إلا كنتُ حاضرها ، ولم يسرْ سريَّةً قطُّ إلا كنتُ حاضرها ، ولا غزا غزاةً قطُّ إلا كنتُ فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قطُّ إلا كنتُ أمامهم ، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلتُ رسول الله ﷺ بيني وبين العدوِّ قطُّ حتى تُوفِّي »[١] .

فرضي الله عن صُهيب الذي « لما مات عمر أوصى أن يُصلِّي عليه ، وأن يُصلِّي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام »[٢] .

سالم مولى أبي حذيفة ، الذي حمد رسولُ الله ﷺ ربَّهُ أنْ جعَلَ في أُمَّته مِثْلَهُ :

كان رضي الله عنه من السابقين الأوَّلين البدريِّين المُقرَّبين العالِمين .

عن ابن عمر قال : « لمَّا قدم المهاجرون الأوَّلون العُصبة – موضعٌ بقباء– قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤُمُّهم سالمٌ مولى أبي حذيفة وكان أكثرَهم قرآنا »[٣] . وفي رواية أخرى للبخاري:« فأمَّهم سالمٌ مولىً لأبي حذيفة ؛ لأنه كان أكثرهم قرآنا ، فيهم عمر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد » .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبيٍّ ، ومعاذ بن جبل »[٤] .

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أبطأتُ على عهد رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ، ثم جئت ، فقال : « أين كنتِ ؟ » قلتُ : كنت أستمعُ قراءةَ رجُل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام وقمتُ

(١،٢) الإصابة لابن حجر ٢ / ١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري وأبو داود ، وابن سعد في الطبقات ، وأبو نعيم في الحلية .

(٤) أخرجه البخاري،ومسلم،والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأحمد ، والنسائي في الفضائل .

معه حتى استمع له ، ثم التفت إليّ ، فقال : « هذا سالمٌ مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مثل هذا »[١] .

وفي « سير أعلام النبلاء » : عن عائشة قالت : استبطأني رسولُ الله ذات ليلةٍ، فقال: «ما حبسكِ ؟» قلتُ: إنَّ في المسجد لأحسنَ مَنْ سمعتُ صوتًا بالقرآن . فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالمٌ مولى أبي حذيفة ، فقال : « الحمد لله الذي جعل في أُمتي مثلك »[٢] .

أيُّ تاجٍ وأيُّ فخارٍ يضعه رسول الله ﷺ على هام ذلكم الصحابي القانت ، ثم انظر إلى تمنِّي عمر رجالًا مثل سالم !!

عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه : تمنُّوا . فقال بعضهم : أتمنّى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدَّقُ . وقال رجل : أتمنّى لو أنها مملوءةٌ زبرجدًا وجوهرًا أُنفقه في سبيل الله وأتصدَّق . ثم قال عمر : تمنُّوا فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين . فقال عمر : أتمنَّى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وحذيفة بن اليمان[٣] .

قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٧/٢) : « روى ابن المبارك فيه أيضًا أن لواء المهاجرين كان مع سالم – أي في اليمامة – فقيل له في ذلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا – يعني إنْ فررتُ – فقُطعت يمينُه ، فأخذه بيساره

---

(١) رجاله ثقات : أخرجه ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

(٢) قال الذهبي في السير (١٦٨/١) : إسنادٌ جيِّد . وقال الشيخ شُعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح . وأخرجه أحمد ، وأبو نعيم ، والحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي ، ورواه ابن الأثير في « أُسْد الغابة » ، والحافظ في « الإصابة » .

(٣) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك ٢٢٦/٣، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

فقُطعتْ ، فاعتنقه إلى أن صُرِع ، فقال لأصحابه : ما فعل أبو حذيفة ؟ يعني مولاه . قيل : قتل . قال : فأضجِعوني بجنبه .

رضي الله عن سالم القانت البطل .. في معركة اليمامة لما انكشف المسلمون ، قال : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ .. وتكفَّن بكفنه وتحنَّط بحنوطه ، وحفر لنفسه حفرةً ، فقام فيها ، وقُتل وهو يتلو قول الله عز وجل : ﴿ **وكأيِّن من نبيٍّ قاتل معه ربِّيُّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعُفوا وما استكانوا والله يُحبُّ الصابرين**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

عامر بن فهيرة رضي الله عنه ؛ المرفوع جسدُه ، المشروع رشده ، المنزوع حسده ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

سبق إلى الدعوة ، وخدم الرسول ﷺ وصحبه في الهجرة .

استطاب الهُلك فيما يخطب من المُلك :

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ورجل من بني الديل دليلهم .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، فمكثا في الغار ثلاث ليال ، وكان يروح عليهما عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر يرعى غنمًا لأبي بكر ويُدلج من عندهما فيصبح من الرعاة في مراعيها ، ويروح معهم ويتباطأ في المشي ، حتى إذا أظلم انصرف بغنمه إليهما ، فيظنُّ الرعاة أنه معهم .

قُتل يوم بئر معونة ، وفيه قال عامر بن الطفيل : لقد رأيتُه بعد ما قُتِل رُفع إلى السماء ، حتى إني لَأنظرُ إلى السماء بينه وبين الأرض .

وقال الزهري : بلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا

عليه »[١] .

خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه :

مولى أمّ أنمار الخزاعية، كان من السابقين الأوَّلين البدريين ومن المستضعفين. أسلم سادس ستة ، وهو أوَّل مَنْ أظهر إسلامه ، وعُذِّب عذابًا شديدًا لأجل ذلك .

لمَّا رجع عليّ من صفّين مرَّ بقبر خبَّاب فقال : رحم الله خبَّابًا ! أسلم راغبًا ، وهاجر طائعًا ، وعاش مجاهدًا ، وابتُلي في جسمه أحوالًا ، ولن يُضيع الله أجْره[٢] .

لمَّا سُئِل خبَّابٌ عمَّا لقي من المشركين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انظر إلى ظهري . فنظر ، فقال : ما رأيتُ كاليوم . قال خبَّاب : لقد أُوقِدت لي نارٌ وسُحبتُ عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري[٣] .

سفينة مولى رسول الله ﷺ :

واسمه مهران ، رضي الله عنه .

عن سعيد بن جمهان ، قال : « سألتُ سفينة عن اسمه ، فقال : سمَّاني رسول الله ﷺ سفينة ، قلتُ : لِمَ سمَّاك سفينة ؟ قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، فثقل عليهم متاعهم ، فقال لي : « ابسط كساءك » . فبسطتُه فجعلوا فيه متاعهم ، ثم حمَّلوه عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « احملْ فإنما أنت سفينة » . فلو حملتُ يومئذٍ وِقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ؛ ما ثقُل عليَّ »[٤] .

---

(١) الحلية ١/١٠٩ - ١١٠ .

(٢) الإصابة ١ / ٤١٦ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٢٤ .

(٤) إسناده حسن : رواه أحمد وأبو نعيم والطبراني ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

عن ابن المنكدر ، أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أُسِر ، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كَيْت وكَيْت . فأقبل الأسد ، له بصبصةٌ ، حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوتًا أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش ، ثم رجع الأسد(١) .

زيْدُ بن أسلمَ العدوي ؛ المولى العمري العدوي :

الإمام الحُجَّة القدوة أبو عبد الله وأبو أسامة العمري العدوي .

كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ ؛ قال أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا ، أدنى خصلة فينا : التواسي بما في أيدينا ، وما رأيتُ في مجلسه متماريَيْن ولا متنازعَيْن في حديث لا ينفعنا . وكان أبو حازم يقول : لا أراني الله يومَ زيد بن أسْلَمَ ؛ إنه لم يبقَ أحدٌ أرضى لديني ونفْسي منه(٢) .

« وروى البخاري في « تاريخه » : أن علي بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم ويتخطَّى مجلس قومه ، فقال له نافع بن جُبير بن مُطعم : تتخطَّى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب ؟ فقال عليٌّ : إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه » .

« وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة : ابنُه عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة »(٣) .

---

(١) صحيح : رواه البغوي في شرح السنة ، ورواه الحاكم بنحوه وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٣/ ١٦٧٦، رقم ٥٩٤٩ .

(٢) السير ٥/٣١٦ .

(٣) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/١١٨-١١٩ ، مكتبة وهبة .

نافع مولى ابن عمر :

الإمام ، المفتي ، الثَّبْت ، عالِم المدينة ؛ مولى ابن عمر وراويتُه .

قال عُبيد الله بن عمر : بعَثَ عمرُ بن عبد العزيز نافعًا مولى ابن عمر إلى أهل مصر يعلِّمهم السُّنَن .

قال نافع : دخلتُ مع مولاي على عبد الله بن جعفر ، فأعطاه فيَّ اثني عشر ألفًا فأبى وأعتقني ، أعتقه الله .

سافر نافع مع ابن عمر بضعًا وثلاثين حَجَّة وعُمرة .

قال مالك بن أنس : كنتُ آتي نافعًا وأنا حدث السن ، ومعي غلامٌ لي ، فيقعد ويحدِّثني ، وكان صغير النفْس ، وكان في حياة سالم لا يُفتي شيئًا . ولمَّا احتضر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ سعدًا وضغْطة القبر[1].

الإمام مجاهد بن جبْر شيخ القرَّاء والمفسِّرين :

مولى السائب بن أبي السائب المخزومي .

روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه .

قال الفضل بن ميمون : سمعتُ مجاهدًا يقول : عرضتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثين عرْضَةً .

وقال مجاهد : عرضتُ القرآن ثلاث عرضاتٍ على ابن عباس ؛ أَقِفُه عند كلِّ آية ، أسألُه : فيمَ نزلتْ ؟ وكيف كانت ؟

وقال سفيان الثوري : خذوا التفسير من أربعة : مجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وعكرمة ، والضحَّاك .

وقال سلَمة بن كُهيل : ما رأيتُ أحدًا يريد بهذا العلم وجْهَ الله ، إلا هؤلاء الثلاثة : عطاء ، ومجاهد ، وطاووس .

---

(١) السير ٥/٩٥ - ١٠١ .

وقال الأعمش: كان مجاهد كأنه حمَّال؛ فإذا نطق خرج من فِيهِ اللُّؤلؤ، وكان ابن عمر ربما أخذَ له بالرِّكاب. ومات رحمه الله وهو ساجد[(١)].

سليمان بن يَسَار : عالم المدينة ومفْتيها وأحَدُ فقهائها السَّبْعة :

مولى أمِّ المؤمنين ميمونة الهلاليَّة .

قال الذهبي : « كان من أوعية العلم بحيث إن بعضهم قد فضله على سعيد بن المسيِّب .

عن قتادة قال : قدمتُ المدينة فسألتُ عن أعْلم أهلها بالطلاق ، فقيل : سليمان بن يسار .

وعن أبي الزِّناد قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر ، وكان أخوه عطاء يصوم يومًا ويُفطر يومًا .

وقال أبو الزناد : كان ممَّن أدركت من فقهاء المدينة وعلمائها ، ممن يُرضىٰ ويُنتهى إلى قولهم : سعيد بن المسيب ، وعروة ، والقاسم ، وأبو بكر ابن عبد الرحمن ، وخارجة بن زيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وسليمان ابن يسار ، في مشيخةٍ أجِلَّةٍ سواهم من نظرائهم ؛ أهل فقه وصلاح وفضْل .

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي قال : سمعتُ السائل يأتي سعيد بن المسيب ، فيقول : اذهبْ إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلمُ مَن بقي اليوم »[(٢)] .

الإمام سعيد بن جُبير : قتله الحجَّاجُ وما في الأرض رجل إلّا وهو محتاج إلى علمه :

الإمام الحافظ المقرئ ، المفسِّر الشهيد أبو محمد الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي.قال خصيف : « كان من أعلم التابعين بالطلاق : سعيد بن المسيب، وبالحجِّ: عطاء، وبالحلال والحرام: طاووس، وبالتفسير: أبو الحجاج

---

(١) السير ٤/٤٤٩ - ٤٥٥ .

(٢) السير ٤/٤٤٤ - ٤٤٨ .

مجاهد بن جبر ، وأجمعهم لذلك كلِّه : سعيد بن جبير »[١] .

وعن جعفر بن أبي المغيرة : كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، يقول : أليس فيكم ابن أم الدَّهْماء ؟! يعني سعيد بن جبير[٢] .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج إلى علمه .

وعن أشعث بن إسحاق قال: كان يُقال: سعيد بن جُبير جِهبذُ العلماء.

وقال القاسم الأعرج : كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عَمِش .

قال سعيد : لدغتْني عقرب فأقسمتْ عليَّ أمي أن أسْتَرقِي ، فأعطيتُ الراقي يدي التي لم تُلدَغ ، وكرهتُ أن أُحَنِّثها .

قال سعيد : ربما أتيتُ ابنَ عباس ، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأَها ، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها ، وكتبتُ في كفِّي .

وقال سعيد بن جبير : لو فارق ذكْرُ الموت قلبي ، لَخشيتُ أنْ يفسَد عليَّ قلبي .

وقال رحمه الله : ما مضت عليَّ ليلتان منذ قُتِل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن ، إلا مريضًا أو مسافرًا .

وعن هلال بن يساف قال : دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة .

وعن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يختم القرآن في كلِّ ليلتيْن .

وكان رحمه الله لا يدع أحدًا يغتاب عنده .

ولمَّا أخذ الحجَّاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلّا مقتولًا، وسأخبركم:

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٣٦٥ .

(٢) الحلية ٤ / ٢٧٣ ، وابن سعد ٢٥٧/٦ .

إني كنتُ أنا وصاحبان لي دَعَوْنا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الله الشهادة ، فكِلا صاحبيَّ رُزِقَهَا ، وأنا أنتظرها . قال : فكأنَّه رأىٰ أنَّ الإجابة عند حلاوة الدعاء .

قال الذهبي : ولمَّا علم من فضل الشهادة ؛ ثبت للقتل ولم يَكترث ، ولا عامَل عدوَّه بالتقِيَّة المباحة له . رحمه الله تعالى .

قال علي بن المديني : ليس في أصحاب ابن عباس مِثلُ سعيد بن جبير . قيل : ولا طاووس ؟ قال : ولا طاووس ولا أحد[1] .

عِكْرِمة مَوْلىٰ ابن عبَّاسٍ ؛ الحافِظ المفسِّر :

البربري الأصل .

قال رحمه الله : طلبتُ العلم أربعين سنة ، وكنتُ أُفتي بالباب وابنُ عباس في الدار .

قال عبد الصمد بن معقل : لمَّا قدِم عكرمة الجند ؛ أهدىٰ له طاووس نجبًا بستين دينارًا ، فقيل لطاووس : ما يصنع هذا العبد بنجبٍ بستين دينارًا ؟ قال : أتروني لا أشتري عِلْم ابن عباس بستين دينارًا لعبد الله بن طاووس ؟! .

وقال يحيى بن معين : مات ابن عباس ، وعكرمة عبدٌ لم يُعتَق ، فباعه علي بن عبد الله ، فقيل له : تبيع عِلْمَ أبيك ؟! فاستردَّه .

عن عمرو بن دينار قال : دفع إليَّ جابرُ بن زيد مسائل ، أسألُ عكرمة ، وجعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا البحرُ فسَلُوه .

وقيل لسعيد بن جبير : تعلمُ أحدًا أعلمَ منك ؟ قال : نعم ؛ عكرمة .

« قال المروزي : لقد سألتُ إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديث عكرمة ، فقال : « عكرمة عندنا إمام الدنيا » ... تعجَّب من سؤالي إياه .

وقال يحيى بن أيوب المصري : سألني ابن جريج : هل كتبتمْ عن عكرمة ؟

---

(١) السير ٤/٣٢١ - ٣٤١ .

فقلتُ : لا . قال : فاتَكُمْ ثُلُثا العلم »[١] .

وقال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة .

قال عكرمة : قرأ ابن عباس هذه الآية : ﴿ **لِمَ تعظون قومًا الله مُهلِكُهُمْ أو معذِّبهم عذابًا شديدًا** ﴾ [الأعراف : ١٦٤] . قال ابن عباس : لم أدْرِ : أنجا القومُ أمْ هلكوا ؟ قال : فما زلتُ أُبيِّن له أبصِّره ، حتى عرف أنهم قد نجوْا . قال:فكساني حُلَّة .

وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلُهم أبدًا : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، فأقبل مجاهد وسعيد يُلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية إلَّا فسَّرها لهما ، فلما نفد ما عندهما ، جعل يقول : أُنزلت آية كذا في كذا ، وآية كذا في كذا .

وقال عكرمة - رحمه الله -: إني لأخرج إلى السوق ، فأسمع الرجل يتكلَّم بالكلمة ، فينفتح لي خمسون بابًا من العلم .

فرحم الله عكرمة .. لقد غرسَ ابن عباس فيه ما غرس ، فأينع ثمره !!

قال عكرمة: كان ابن عباس يضع في رجلي الكَبْل[٢] على تعليم القرآن والسنن.

وسُئل أبو حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير : أيهما أعلم بالتفسير ؟ فقال : أصحابُ ابن عباس عيالٌ على عكرمة[٣] .

عالِمُ اليمن وسيِّدها ، الفقيهُ القدوة : طاووس بن كيسان :

مولى بَحِير بن رَيْسان الحِمْيَري .

قال فيه ابن عباس : إني لَأظنُّ طاووسًا من أهل الجنة .

وقال مجاهد لطاووس : رأيتُك يا أبا عبد الرحمن تُصلي في الكعبة ، والنبي

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/١١٢، ١١٣ .

(٢) الكبل : القيْد .

(٣) انظر ترجمته في السير ٥/١٢- ٣٦ .

ﷺ على بابها يقول لك : اكشفْ قِناعك ، وبيِّنْ قراءتك . قال طاووس : اسكتْ ؛ لا يسمع هذا منك أحدٌ . قال : ثم خُيِّل إليَّ أنه انبسط في الكلام ؛ يعني فرحًا بالمنام .

قال ابن حبان : كان من عُبَّاد اليمن ، ومن سادات التابعين ، مستجابَ الدعوة ، حجَّ أربعين حجَّة .

وعن ابن أبي روّاد قال : رأيتُ طاووسًا وأصحابه إذا صلّوا العصر ، استقبلوا القِبْلة ولم يكلِّموا أحدًا ، وابتهلوا بالدعاء .

وعن داود بن إبراهيم أن الأسدَ حبَس ليلة الناس في طريق الحجِّ ، فدقَّ الناس بعضهم بعضًا ، فلمَّا كان السَّحَر ذهب عنهم ، فنزلوا وناموا ، وقام طاووس يصلي ، فقال له رجل : ألا تنام ؟ فقال: وهل ينام أحدٌ السَّحَرَ ؟!

وقال أبو عاصم النبيل : زعم لي سفيان قال : جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنْب طاووس ، فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين . فلمْ تلتفت إليه !! قال : أردتُ أنْ يعلمَ أنَّ لله عبادًا يزهدون فيما في يديْه .

قال ابن عيينة : حلَف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة : وربِّ هذه البنْيَة : ما رأيتُ أحدًا الشريفُ والوضيعُ عنده بمنزلةٍ إلّا طاووسًا .

وعن ابن شوذب قال: شهدتُ جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومائة، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمٰن ؛ حجَّ أربعين حجَّة[1] .

شيخ الإسلام عطاء بن أبي رباح ، مولاهم القرشي ، مفتي الحرم :

قال ابن عباس لأهل مكة : يا أهل مكة ، تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء !!

وقال أبو جعفر الباقر : ما بقي على ظهر الأرض أحدٌ أعلمَ بمناسك الحجِّ مِن عطاء .

---

(١) انظر ترجمته في السير ٥/٣٨-٤٩ .

وقال عنه : خذوا من عطاء ما استطعتم .

وقد حجَّ عطاء زيادة على سبعين حَجَّة .

وعن إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يُطيل الصمت ، فإذا تكلَّم يُخيَّل إليَّ أنه يُؤَيَّد .

وقال الأوزاعي : مات عطاء بن أبي رباح - يوم مات - وهو أرضىٰ أهل الأرض عند الناس .

قال ابن جريج : كان المسجدُ فراشَ عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس صلاة .

يدخل على عبد الملك بن مروان ، فيعظه ويأمره وينهاه ، فلمَّا نهض وقام ، قبض عليه عبد الملك وقال : يا أبا محمد ، إنما سألتَنا حوائج غيرك وقد قضيناها ، فما حاجتُك ؟ قال : ما لي إلى مخلوق حاجة . ثم خرج ، فقال عبد الملك : هٰذا - وأبيك - الشرف ، هذا - وأبيك - السُّؤْدد !!

نِعم والله، السؤدد والشرف ؛ مع أنَّ عطاء كان أسودَ ، أعورَ ، أفطسَ ، أشلَّ ، أعرَجَ ، ثم عَمِي !!

وعن ابن جريج قال : لزمت عطاء ثماني عشرة سنة ، وكان بعدما كبر وضعُف يقوم إلى الصلاة ، فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ، لا يزول منه شيء ولا يتحرَّك .

قال عمر بن ذرٍّ : ما رأيتُ مثل عطاء بن أبي رباح ، وما رأيتُ عليه قميصًا قطُّ ، ولا رأيتُ عليه ثوبًا يساوي خمسة دراهم[1] .

الضحَّاك بن مزاحم الهلالي :

كان من أوعية العلم .

قال الثوري : كان الضحَّاك يعلِّم ولا يأخذ أجْرًا .

---

(١) السير ٥ / ٧٨ - ٨٧ .

وكان الضَّحَّاك رحمه الله يقول : حقٌّ على كلِّ من تعلَّم القرآن أن يكون فقيهًا . وتلا قول الله : ﴿ **كُونوا ربَّانيِّين بما كنتم تعلِّمون الكتاب** ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وقال رحمه الله : كنت ابن ثمانين سنة جَلْدًا غزّاءً .

وقال رحمه الله : أدركتُهم وما يتعلمون إلّا الوَرَع . وكان إذا أمسىٰ بكى وقال : لا أدري ما صعد اليوم من عملي .

مكحول سيِّد أهل الشام وإمامُهم :

مولىٰ امرأة هذليَّة ، وكان نوبيًّا .

قال مكحول : طفتُ الأرض كلها في طلَب العلم .

وقال الزهري:العلماء أربعة: سعيد بن المسيِّب بالمدينة، والشعبيُّ بالكوفة، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقال سعيد بن عبد العزيز : مكحول أفقه أهل الشام ، لم يكن في زمنِ مكحول أبصر بالفُتيا منه .

ميمون بن مهران ؛ عالِمُ الجزيرة ومفتيها ، الإمام الحجَّة :

أبو أيوب الجزري الرَّقي.. أعتقتْه امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة.

قال ميمون بن مهران : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فلما قمتُ قال : إذا ذهب هذا وضُرَبَاؤه ، صار الناس بعدَه رَجَاجٌ[1] .

قال ميمون : ودِدتُ أنَّ أصبعي قُطِعتْ من هاهنا ، وأني لم أَلِ لعمر ابن عبد العزيز ولا لغيره .

وقال أيضًا : ودِدتُ أن إحدى عينيَّ ذهبت ، وأنِّي لم أَلِ عملًا قطُّ لا خير في العمل لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره . قال الذهبي : كان وَلي خَراجَ الجزيرة وقضاءها ، وكان من العابدين .

---

(١) الناس رَجَاج بعد هذا الشيخ : أي هم رَعاع الناس وجُهَّالهم .

وعن الحسن بن حبيب قال: رأيتُ على ميمون جُبَّة صوفٍ تحت ثيابه، فقلتُ له : ما هذا ؟ قال : نعم ، فلا تُخبرْ به أحدًا .

وهكذا تكون الهمة في إخفاء الزهد !!

قال الإمام أبو الحسن الميموني : قال لي أحمد بن حنبل : إني لأُشبِّه ورَع جَدّك بورَع ابن سيرين .

قال أبو المليح : جاءَ رجل إلى ميمون بن مهران يخطب ابنته ، فقال : لا أرضاها لك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنها تحبُّ الحُلِيَّ والحُلَلَ . قال : فعندي من هذا ما تريد . قال : الآن لا أرضاك لها .

وقال رحمه الله : إذا أتى رجل بابَ سلطانٍ ، فاحتجِبْ عنه ، فلْيأْتِ بُيوت الرحمٰن ؛ فإنها مُفتَّحة ، فلْيصلِّ ركعتيْن ، ولْيسأْلْ حاجته .

وقال رحمه الله : ما نال رجل مِن جسيم الخير – نبي ولا غيره – إلَّا بالصَّبْر .

الإمام الحُجَّة مفتي الديار المصرية يزيد بن أبي حبيب :

مولاهم المصري .. أبو رجاء الأزدي .. مولًى لبني عامر بني لؤي .

« قيل : كان أبوه سُويد مولى امرأةٍ مولاةٍ لبني حسل ، وأُمُّه مولاة لتُجيب وكان من جِلَّة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى ، مع كونه مولًى أسود .

كان أول مَن أظهر العلم بمصر ، والكلام في الحلال والحرام ومسائل .

قال الليث بن سعد : يزيد بن أبي حبيب سيِّدنا وعالمنا .

عن إبراهيم بن عبد الله الكناني : اجتمع ناس فيهم يزيد بن أبي حبيب وهم يريدون أن يعودوا مريضًا، فتدافعوا الاستئذان على المريض، فقال يزيد: قد علمتَ أنَّ الضأْنَ والمِعزىٰ إذا اجتمعت، تقدَّمت المعزى، فتقدَّمْ فاستأْذِنْ»[1] .

الإمام المقرئ المفسِّر أبو العالية الرياحي :

كان مولًى لامرأةٍ من بني رياح بن يربوع .

(١) السير ٦ / ٣١ – ٣٢ .

قال أبو العالية : قرأتُ القرآنَ على عمر ثلاث مرار .

قال أبو بكر بن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية .

قال أبو العالية : كنّا عبيدًا مملوكين ؛ منا مَن يؤدي الضرائب ، ومنا من يخدم أهله ، فكنا نختم كلَّ ليلة ، فشقَّ علينا حتى شكا بعضُنا إلى بعضٍ ، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختم كلَّ جمعة ، فصلَّينا ونمنا ولم يشقَّ علينا .

وقال رحمه الله : كنتُ أرحلُ إلى الرجل مسيرة أيام لِأسمع منه ، فأتفقد صلاته ، فإن وجدتُه يُحسِنُها أقمتُ عليه ، وإن أجده يضيِّعها رحلتُ ولم أسمع منه ، وقلتُ : هو لِمَا سواها أضيع .

وكان رحمه الله إذا جلس إليه أكثر من أربعة ، قام فتركهم .

وقال رحمه الله : تعلَّمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي ، ولا رُئي في ثوبي مداد قطُّ .

وكان رحمه الله أول مَنْ أَذَّن بـ « ما وراء النهر » .

وقال رحمه الله: ما تركتُ من مال فثُلثه في سبيل الله، وثُلثه في أهل بيت النبي ﷺ ، وثلثُه في الفقراء(١) .

الحسَن البصري شيْخُ أهل البَصْرة وسيِّدُهم :

مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وأمه مولاةٌ لأمِّ سَلَمَةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها .

قال الحسن : « كان أبي وأمي لرجل من بني النجَّار ، فتزوَّج امرأةً من بني سَلَمة ، فساق أبي وأمي في مهرها فأعتقتنا السَّلَمِيَّة »(٢) .

---

(١) السير ٤/٢٠٧- ٢١٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ .

كان رحمه الله سيِّدَ أهل زمانه عِلْمًا وعمَلًا . وكان كثير الجهاد ، من الشجعان الموصوفين .

قال محمد بن سعد : كان الحسن رحمه الله جامعًا ، عالمًا ، رفيعًا ، فقيهًا ، ثقة ، مأمونًا ، عابدًا ، ناسكًا ، كثير العلم ، فصيحًا ، جميلًا .

وعن أبي بُردة قال: ما رأيتُ أحدًا أشبَهَ بأصحاب محمد ﷺ منه[1].

وقال أبو قتادة : الزموا هذا الشيخ ، فما رأيتُ أحدًا أشبه رأيًا بعمر منه - يعني الحسن -.

وقال أنس بن مالك : سَلُوا الحسَن ، فإنه حَفِظ ونسِينا .

وقال مطر الوراق : لمَّا ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة ، فهو يُخبِر عمَّا عايَن[2] .

قال أيوب السختياني : كان الرجل يجلس إلى الحسَن البصري ثلاثَ حِجَجٍ ، ما يسأله عن المسألة هيْبةً له .

قال الأشعث : ما لقيتُ أحدًا بعد الحسن إلَّا صغُر في عيني .

وقال قتادة : ما جمعتُ عِلمَ الحسن إلى أحدٍ من العلماء ، إلَّا وجدتُ له فضلًا عليه .

وقال : ما خلَتِ الأرض قطُّ من سبعة رهْطٍ ، بهم يُسقون ، وبهم يُدفع عنهم ، وإني لَأرجو أن يكون الحسَن أحدَ السبعة .

وقال حُميد ويونس : ما رأينا أحدًا أكمل مروءة من الحسن .

وقال عنه عطاء : ذاك إمامٌ ضخمٌ يُقتدىٰ به .

وقال يونس بن عُبيد: أمَّا أنا، فإني لم أرَ أحدًا أقرب قولًا من فعْلٍ؛من الحسن.

وقال الربيع بن أنس : اختلفتُ إلى الحسن عشر سنين ، أو ما شاء الله ،

---

(١) أخبار القضاة لوكيع ٢ / ٧ .

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢ / ٤٨ .

فليسَ من يوم إلَّا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك .

وقال يونس عن الحسن ، أنه كان من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج .

وقال عوف : ما رأيتُ رجلًا أعلمَ بطريقِ الجنة من الحسن .

وقال إبراهيم بن عيسى اليشكُري : ما رأيت أحدًا أطول حزنًا من الحسن ، ما رأيتُه إلَّا حسبتُه حديثَ عهدٍ بمصيبةٍ[1] .

رحم الله الحسن البصري سيد البكَّائين الذي ذهب بالحزن .. كان إذا قدم فكأنَّما قدِم من دفْنِ حميمٍ له ، وإذا جلس فكأنَّما هو أسيرٌ يستعدُّ لضَرْب عنقه ، وإذا بكى فكأنَّ النار لم تُخلق إلّا له .

قال حجَّاج الأسود : تمنَّى رجلٌ فقال : ليتني بزهْدِ الحسَن ، وورَع ابن سيرين ، وعبادة عامر بن عبد قيس ، وفقه سعيد بن المسيِّب . وذكَر مطرِّف ابن الشِّخِّير بشيءٍ، قال : فنظروا في ذلك ، فوجدوه كلَّه كاملًا في الحسن .

وقال علي بن زيد : رأيتُ سعيد بن المسيب وعروة والقاسم في آخرِين ؛ ما رأيتُ مثلَ الحسَن .

وقال أيوب السختياني : كان الحسَن يتكلَّم بكلام كأنَّه الدُّر ، فتكلَّم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيْءُ .

وقال بكر بن عبد الله المزني : مَن سرَّه أن ينظر إلى أفْقَهِ مَن رأينا فلْينظرْ إلى الحسن .

وقال هشام بن حسَّان : كان الحسن أشجعَ أهل زمانه .

وقال جعفر بن سليمان : كان الحسن من أشدِّ الناس ، وكان المهلّبُ إذا قاتَل المشركين يُقَدِّمُه .

وقال مطر : دخلنا على الحسَن نعوده ، فما كان في البيت شيءٌ؛ لا فِراش،

---

(١) الزهد لأحمد صـ ٢٥٩ .

ولا بساط ولا وسادة ولا حصير ، إلَّا سرير مرمول[١] ، هو عليه .

قال الحسن : كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرىٰ ذلك في تخشُّعه وزهْده ولسانه وبصره .

وقال أيوب السختياني : لو رأيت الحسَن لَقلْتَ أنك لم تجالسْ فقيهًا قطُّ .

وكان إذا ذُكر الحسَن عند أبي جعفر الباقر ، قال : ذاك الذي يُشبه كلامُه كلامَ الأنبياء .

قال الحسن : المؤمن أحسن الناس عملًا ، وأشد الناس وَجَلًا ، فلو أنفق جبَلًا من مالٍ ما أمِنَ دُونَ أن يُعاين ، لا يزداد صلاحًا وبرًّا إلّا ازداد فَرَقًا .

وقال رحمه الله : ضَحِك المؤمن غفلةٌ من قلبه .

رحم الله الحسن وأجزل مثوبته .

يُروىٰ عنه أنه أُغمي عليه ، ثم أفاق إفاقة فقال : لقد نبَّهتموني من جنَّاتٍ وعُيونٍ ومقامٍ كريم[٢] .

حبيب بن أبي ثابت ؛ فقيه الكوفة ، الإمام الحافظ :

القرشي ، الأَسْدي ، مولاهم .

قال أبو بكر بن عيَّاش : كان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع : حبيب بن أبي ثابت ، والحَكم ، وحمَّاد . كانوا من أصحاب الفتيا ، ولم يكن أحدٌ بالكوفة إلا يذلُّ لحبيب .

قال سفيان : حَدَّثنا حبيب بن أبي ثابت ، وكان دِعامة .

وقال أبو يحيىٰ القتات : قدمتُ الطائف مع حبيب بن أبي ثابت ، فكأنما قدِم عليهم نبيٌّ .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : رأيتُ حبيب بن أبي ثابت ساجدًا فلو رأيته

---

(١) السرير المرمول : الذي نُسِج وجهُه بالسَّعف .

(٢) انظر ترجمة الحسن في السير ٤/٥٦٣ - ٥٨٧ .

قلتَ : ميِّت - يعني من طول السجود[(١)] -.

الإمام القدوة الحُجَّة يُونس بن عُبيد :

مولاهم البصري .

قال سلام بن أبي مطيع : ما كان يونس بأكثرهم صلاةً ولا صومًا ، ولكن لا والله ؛ ما حضرَ حقٌّ لله إلّا وهو متهيئٌ له .

وعن جارٍ ليُونس قال : ما رأيتُ أكثر استغفارًا من يونس ؛ كان يرفع طَرْفه إلى السماء ويستغفر .

قال يونس رحمه الله : ليس شيء أعزّ من شيْئيْن : درهم طيِّب ، ورجل يعمل على سُنَّة .

جاءت امرأةٌ يونسَ بن عبيد بجبَّة خَزٍّ ، فقالت له : اشترِها . قال : بكم ؟ قالت : بخمسمائة . قال : هي خير من ذلك . قالت : بستمائة ، قال : هي خير من ذلك . فلم يزلْ حتى بلغتْ ألفًا .

وعن أبي عبد الرحمن المقرئ قال : نَشَر يونسُ بن عُبيد ثوبًا على رجل ، فسبّح رجُلٌ من جلسائه ، فقال : ارفعْ . أحسبه قال : ما وجدت موضع التسبيح إلّا هاهنا .

وكان رحمه الله يشتري الإبريْسم من البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسُّوس ، وكان وكيلُه يبعثُ إليه بالخَزِّ ؛ فإنْ كتب وكيلُه إليه أنَّ المتاع عندهم زائد ؛ لم يشتر منهم أبدًا حتى يخبرهم أنَّ وكيله كتب إليه أنَّ المتاع عندهم زائد .

قال يونس رحمه الله: إني لَأعدُّ مائة خصلةٍ من خصال البر ، ما فيَّ منها خصلة واحدة .

وقال : لا تجد من البرِّ شيئًا واحدًا يتْبَعُه البر كلُّه غير اللِّسان .

وقيل: التقى يونس وأيوب، فلمَّا تفرَّقا قال أيوب: قبّح الله العيش بعدك[(٢)].

---

(١) السير ٥/٢٨٨- ٢٩١ .

(٢) السير ٦/٢٨٨- ٢٩٤ .

زاذان :

مولاهم الكوفي ، أحدُ العلماء الكبار ، شهد خطبة عمر بـ « الجابية » .

قال زبيد : رأيتُ زاذان يصلِّي كأنَّه جِذْعٌ[1] .

طارقُ بن زِياد فاتِحُ الأندلس :

مَوْلى موسى بن نُصير ، وقد مرَّ ذكْره الطّيبُ في « عُلوّ همَّة القادة » ، وسيبقى اسم طارق يعطرُ التاريخ ، ويَشحذُ الهِمَمَ ، ويَصيح : نحن الموالي في عصر الرجال ، فكيف بساداتنا ؟! .

أنت تدري أيُّها الحيرانُ عنَّا كيف فوْق الشمسِ أزمانًا حَلَلْنا

زياد مَوْلى ابنِ عيَّاش ووعظُهُ لعمر بن عبد العزيز :

عن جُويرية بن أسماء قال : قدم زياد العبدي على عمر، فقال له عمر: يا زياد ، ألا ترى ما ابتُليتُ به من أمْرِ أمة محمد ﷺ ؟! قال : يا أمير المؤمنين ، لا تُعمِل نفْسَك في الوصف ، وأعمِلْ نفْسك في المخرج ممَّا وقعتَ فيه ، فلو أنَّ كلَّ شعْرةٍ منك نطقتْ ؛ ما بلغتْ كُنْه ما أنت فيه . ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ، أخبرْني عن رجل له خصْمٌ أَلَدُّ ما حاله ؟ قال: سيِّئُ الحال . قال : فإن كان خصميْن ألدَّيْن ؟ قال : ذلك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال: ذلك حين لا يهنؤه عيشٌ. قال: فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحدٌ من أمَّة محمدٍ ﷺ إلَّا وهو خَصْم لك . قال : فبكى عمر حتى تمنَّيتُ أن لا أكون قلتُ له .

ودخل عليه مرّة في ليلةٍ شاتية وبين يديه كانون ، فقال له : والله ما ينفعك مَن دخل الجنة إذا دخلتَ النار ، ولا يضرّك من دخل النارَ إذا دخلتَ الجنة . قال : فلقد رأيتُه يبكي ، حتى أطفأ ذلك الجمرَ الذي على الكانون[2] .

---

(١) السير ٤/٢٨٠- ٢٨١ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١٦٤ .

سالم مولى محمد بن كعْب القُرظيّ ووعظُهُ لعُمر :

قال يحيى الغسَّاني : كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب ، يسأله أن يبيعَه غلامه سالما - وكان عابدًا خيِّرا - فقال : إنِّي قد دبّرتُه . قال : فأزرنيه . قال : فأتاه سالم ، فقال عمر : إني قد ابتُليتُ بما ترىٰ ، وأنا والله أتخوَّف أن لا أنجو . فقال له سالم : إنْ كنتَ كما تقول فهذا نجاتكَ ، وإلَّا فهو الأمر الذي تخاف . فقال : يا سالم ، عِظْنا . قال : آدم ﷺ على خطيئةٍ واحدة أُخرِجَ من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا ترجون تدخلون بها الجنة !! ثم سكت.

ولمَّا استُخلِف عمر ، دعا سالمًا ذات يوم فأتاه ، فقال له : يا سالم ، إني أخاف أن لا أنجو . قال : إنْ كنت تخاف فنِعِمَّا ، لكني أخاف عليك أن لا تخاف . قال سالم : إن الله أسكن عبدًا دارًا ، فأذنب فيها ذنبًا واحدًا فأخرجه من تلك الدار ، فنحن أصحاب ذنوبٍ كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار!![1] .

مُزاحِمٌ مولى عمر بن عبد العزيز، هو الذي دفعه إلى الزهد في الدنيا :

لمزاحم مولى عمر بن عبد العزيز جميلٌ وصنيعٌ ، يطوِّقُ به أعناقَ المسلمين ويُصبح به سيدهم ؛ إذ هو الذي أتى بعمر بن عبد العزيز إلى الزهد والتقشُّف ، فصنع منه المجدِّد لهذا الدين على رأس المائة الأولى .

« قال نوفل بن عمارة : قال عمر بن عبد العزيز : إنَّ أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم ؛ حبستُ رجلًا ، فجاوزتُ في حبْسه القَدْرَ الذي يجب عليه ، فكلمني في إطلاقه، فقلتُ: ما أنا بمُخرِجهِ حتى أَبْلُغَ في الحيْطة عليه بما هو أكثر ممَّا مرَّ عليه . فقال مزاحم : يا عمر بن عبد العزيز ، إني أحذِّرك ليلة تمخَّضُ بالقيامة ، في صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر .. ولقد كدتُ أنسى اسمَكَ ؛ ممَّا أسمعُ: (قال الأمير. قال الأمير). فوالله- يُقسم عمر- ما هو إلا أن قال ذلك، فكأنما كُشف عن وجهي غطاءٌ ؛ فذكِّروا أنفسكُمْ رحمكم الله ؛ فإنَّ الذكرىٰ تنفع

---

(١) المصدر السابق صـ ١٦٥ .

المؤمنين »[١] .

عن ميمون بن مهران قال : « ما رأيتُ ثلاثة في بيتٍ خيرًا من عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك ومولاه مُزاحم »[٢] .

« بدعةُ » المُحِبَّة وتوبةُ مولاها علىٰ يدها :

قال العلَّامة ابن قدامة في « كتاب التوابين » :

« وجدتُ في كتابٍ عن سريّ السقطي أنه قال : ضاقت عليَّ نفسي يومًا ، فقلتُ في نفسي : أَخرجُ إلى المارستان[٣] وأَنظر إلى المجانين فيه ، وأعتبر بأحوالهم . فخرجت إلى بعض المارستانات ، وإذا بامرأة مغلولةٍ يدُها إلى عنقها وعليها ثيابٌ حِسان وروائح عَطِرة ، وهي تُنشد :

أُعيذُكَ أنْ تغُلَّ يدي ... بغيرِ جريمةٍ سَبَقتْ
تَغُلُّ يدي إلى عُنقي ... وما خانتْ ولا سرقتْ
وبَينَ جَوانحي كبِدٌ ... أُحسُّ بها قدِ احترقتْ
وحقِّكَ يا مدىٰ أملي ... يمينًا بـرَّةً[٤] صدَقَتْ
فلو قطَّعتَها قِطَعًـا ... وحقِّك عنكَ لا نطقتْ

فقلتُ لصاحب المارستان : ما هذه ؟ فقال : مملوكة خُبِل عقلها فحُبستْ لتصلُح . فلمَّا سمِعتْ كلامه أنشدتْ :

معشرَ الناسِ ما جُننْتُ ولكنْ ... أنا سكرانةٌ وقلبي صاحـي
لِمْ غَللْتُم يدي ولم آت ذَنبًا ... غيرَ هتْكِي في حبِّه وافتضَاحي
أنـا مفتونـةٌ بحبِّ حبـيبٍ ... لستُ أبغي عن بابهِ مِن براحِ

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١٦٦ .
(٢) المصدر السابق صـ ٣٠١ .
(٣) المارستان : دار المرضىٰ .
(٤) أي : ماضية على الصدق .

فصلاحي الذي زعمتمْ فسادِي وفسادي الذي زعمتم صلاحِي
ما علىٰ مَن أَحبَّ مولى الموالي وارتضاه لنفسهِ من جُناحِ

قال سريّ: فسمعتُ كلامًا أبكاني، فلما رأتْ دموعي قالت: يا سريّ ، هذه دموعك على الصّفة، فكيف لو عرفتَه حقَّ المعرفة؟ فقلتُ: هذا أعجب ! من أين عرَفتني ؟ قالت : ما جهلتُ منذ عرفتُ أن أهل الدرجات يعرف بعضُهم بعضًا . فقلتُ : يا جارية ، أراكِ تذكرين المحبَّة ، فلمن تُحبِّين ؟ قالت : لمن تعرَّف إلينا بآلائه ، وتحبَّب إلينا بنَعْمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ؛ فهو قريب إلى القلوب مجيب ؛ تَسمَّى بأسمائه الحسنى ، وأمرنا أن ندعوه بها ؛ فهو حكيم كريم ، قريب مجيب . قال : فقلتُ لها : فِيمَ حبُستِ ؟ فقالت : قومي عابوا علي ما سمعتَ منهم . فقلتُ لصاحب المارستان : أطلقها . ففعل ؛ فقلتُ: اذهبي حيث شِئْتِ. فقالت: إنَّ حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي وإلَّا صبرتُ واحتسبتُ . فقلتُ : هذه والله أعقل مني ! فجاء مالكها ومعه ناس كثير ، فقال لصاحب المارستان : وأين بدعة ؟[1] فقال : دخل عليها سريّ فأطلقها. فلما رآني عظَّمني ؛ فقلتُ: هي والله أولىٰ بالتعظيم مني ، فما الذي تُنكر منها ؟ فقال : كثرةُ فكرتها ، وسرعة عبرتها وزفرتها[2] وحنينها؛ فهي باكية راغبة، لا تأكل مع مَن يأكل، ولا تشرب مع مَن يشرب؛ وهي بضاعتي اشتريتُها بكل مالي - بعشرين ألف درهم - وأمَّلت أن أربح فيها مثل ثمنها . فقلتُ : وما كانت صَنعتُها ؟ قال : مطرِبة . قلتُ : ومنذ كم كان بها هذا الداء ؟ فقال : منذ سنة . قلتُ : ما كان بدؤه ؟ قال : كان العُود في حِجْرها وهي تغني وتقول :

---

(١) اسم المرأة المحبوسة .
(٢) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض ، والزّفرة : التنفس .

وَحقِّكَ لا نقَضْتُ الدهرَ عهدَا ... ولَا كدَّرْتُ بعدَ الصفوِ وُدَّا
ملأتَ جوانِحِي والقلبَ وَجْدَا ... فكيف أقَرُّ أو أُسلو وأهدَا
فيَا مَنْ ليسَ لي مولًى سِوَاهُ ... تراكَ تركتَني في النَّاسِ عبْدَا

قال: فكسرتِ العُود وقامتْ وبكتْ. فاتهمتُها بمحبَّة إنسان. فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثرًا . قال : فقلتُ لها : هكذا كان ؟ فقالت :

خاطبني الوعظُ من جَناني[١] ... وكان وعظي على لساني
قرَّبني منهُ بعدَ بُعْدٍ ... وخصَّني الله واصطفاني
أجبتُ لمَّا دُعِيتُ طوعًا ... ملبِّيًا للذي دَعاني
وخِفْتُ مما جَنيتُ قِدْمًا ... فوقعَ الحُبُّ بالأمانِ

قال: فقلتُ له: عليَّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وافقراه !! من أين لك ثمن هذه؟ فقلتُ: لا تعجلْ عليّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمنها. ثم مضيتُ وعيني تدمع وقلبي يخشع ؛ وبتُّ و لم أطعم غمضًا ، ووالله ما عندي درهم من ثمنها ، وبقيتُ طول ليلتي أتضرَّع إلى الله تعالى وأقول : يا رب ، إنك تعلم سري وجهري ، وقد اتكلتُ على فضلك وعوّلت عليك فلا تفضحني . فبينما أنا عند السَّحَر، إذا بقارعٍ يقرَع الباب، فقلتُ: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سببٍ من الأسباب ، من الملك الوهاب . ففتحتُ الباب ، فإذا برجل معه خادم وشمْعة. فقال: يا أستاذ، أتأذن لي بالدخول ؟ فقلتُ : ادخلْ ، من أنت ؟ قال : أنا أحمد بن المثنَّى ، قد أعطاني مالكُ الدار فأكثَرَ ؛ كنتُ الليلة نائمًا فهتف بي هاتف في المنام : احمل خمس بدرات[٢] إلى سريّ يعطيها لمولى «بدعة» يفكُّها

(١) من قلبي .
(٢) بدرات : جمع بدرة ، والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

من الأسر ومن رِقّ العبودية الساعةَ ؛ فلنا بها عناية . فجئتُ مبادرًا بهذا المال، فاصنعْ به ما شئتَ . قال : فخررتُ لله ساجدًا وارتقبتُ الصبح . فلمَّا تعالىٰ ضوءُ النهار أخذتُ بيد أحمد[1] ومضيتُ به إلى المارستان ، فإذا الموكَّل به يلتفتُ يمينًا وشمالًا ، فلما رآني قال : مرحبًا ، ادخل ؛ فإن لها عند الله عناية ، هتف بي البارحة هاتف وهو يقول :

إنها مِنَّا ببــالِ ... ليسَ تخلو مِنْ نَوَالِ
قُربت ثم تسمَّتْ ... وعَلَتْ في كل حالِ

فحفظتُ هذا القول وكرَّرتُه إلى أن أتيتم . فدخلتُ عليها وهي تقول :

قدْ تصبَّرْتُ إلى أنْ ... عِيلَ في حبِّكَ صبري
ضاقَ من غُلِّي وقيدي ... وامتهاني فيكَ صدْري
ليسَ يخفىٰ عنك أمري ... يا مُنى قلبي وذُخري
أنتَ لي تعتقُ رِقِّي ... وتـفكُّ اليــومَ أَسري

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلتُ له: قد جئناك بما وَرِثت وربْحِ خمسة آلاف . فقال : لا والله ! فقلتُ : بربْح عشرة آلاف.فقال : لا . فقلتُ : بربح المِثْل . فقال : لو أعطيتني الدنيا ما قبلتُ ، وهي حُرّة لوجه الله تعالى . فقلتُ له : ما القصة ؟ فقال : يا أستاذ ، وُبِّختُ البارحةَ ، أُشهدك أني خارج من جميع مالي وهارِب إلى الله تعالى ؛ اللهمَّ كُنْ لي بالسَّعة كفيلًا وبالرزْق جميلًا . فالتفتُّ إلى ابن المثنَّى فرأيتُه يبكي ، فقلتُ له : ما بكاؤك ؟ فقال : ما رضي بي المولى لما ندبني إليه ؛ أشهدك أني قد تصدَّقت بجميع مالي لوجه الله تعالى . فقلتُ : ما أعظم بركة « بدعة » على الجميع !! فقامت بدعة ، فنزعتْ ما كان عليها ، ولبست مدرعة من الشَّعر ، وخرجتْ وهي تقول :

---

(١) أي : أحمد بن المثنَّى .

هربتُ منهُ إليهِ بكَيتُ منهُ عليهِ
وحقّه فهْوَ موْلًى لا زلتُ بين يديهِ
حتى أنالَ وأحظَىٰ بما رجوتُ لديهِ

قال سريّ : فأقمتُ بعد ذلك مدَّة حتى مات مولاها ، فبينا أنا أطوف بالكعبة ، وإذا أنا بصوتٍ محزونٍ من كَبِد مقروحةٍ ، وهو يقول :

قد تشَهَّرتُ بحبِّكْ كيفَ لي منك بقُرْبكْ
كيفَ بي يا نفسُ إن وا خـذكِ الله بذنْـبِكْ
لم يقاسي أحدٌ يا نفسُ كرْبًا مثلَ كَرْبِكْ
فسلـي ربَّكِ يأتِيـــ ـكِ الرضا من عندِ ربِّكْ

قال : فتَبعتُ الصوت فإذا امرأة كالخيال ، فلما رأتْني قالت : السلام عليك يا سريّ . فقلتُ : وعليك السلام ، من أنتِ ؟ فقالتْ : لا إله إلا الله !! وقع التناكُر بعد المعرفة !! أنا « بدعة » . فقلتُ : ما الذي أفادك الحقُّ بعد انفرادِك عن الخلْق ؟ فقالت : أفادني كلَّ المنىٰ . وأنشدتْ :

يا مَن رأىٰ وحشتي فآنسني بالقرْبِ مِنْ قُرْبه فأنعشني
هربتُ من مسكني إلى سكني نَعَمْ ومِن مَوْطني إلى وطني
يا سكني لا خلوْتُ من سكني دهري ويا عدَّتي على الزَّمن
أوحشني ما فقدتُ منهُ فقد عـادَ بإحسانـهِ فآنسنـي
وعدتُ أيضًا وعادَ منعطِفًا كذلك مذْ كان منهُ عوَّدَني

ثم قالت : لا حاجة لي بالبقاء ، فخذني إليك ! قال : فحرَّكتها فإذا هي ميِّتة . رحمة الله عليها »[١] .

* * *

(١) كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي صـ ٢٩٠ - ٢٩٦ .



الفصل الرابع

عُلوُّ هِمَّةِ

النِّسَــاء

« أنتِ نصفُ الأمَّة ، ثم إنكِ تلِدِينَ لنا النصفَ الآخرَ ، فأنتِ أُمَّة بأَسرها » .

[الشيخ محمد إسماعيل المقدّم]

صنعْتُنَّ ما يُعْيي الرجالَ صنيعُهُ   فزدْتُنَّ في الخيرات والبركاتِ

[حافظ إبراهيم]



□ عُلُوُّ هِمَّة النِّسَاءِ □

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا كلُّها متاعٌ ، وخير متاع الدنيا : المرأة الصالحة » . رواه أحمد ومسلم والنسائي .

أيُّ تكريم للمرأة أرفع من تكريم الإسلام !! حين يصوِّر بيتها تصويرا رفّافًا شفيفًا ؛ يشعُّ منه التعاطف ، وترفُّ فيه الظلال ، ويشيع فيه الندى ، ويفوح منه العبير !! أيُّ تكريم للمرأة فوق أن يسمِّيَ الله سورة من كلامه - القرآن - باسم « النساء » ، وسورة أخرى باسم امرأةٍ !! أيُّ تكريم أجلُّ من أنَّ القرآن كان ينزل في مخدع عائشة !! أيُّ تكريمٍ أعلى من أنَّ الله يُنزل قرآنًا في براءة امرأة !! وأيُّ تكريم أجلُّ من أن يتولَّى الله تزويج امرأة بنفسه !!.

فلا التأنيث لاسمِ الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخْرٌ للرجالِ

« وأكمل النساء تلك التي تنظر إلى الدنيا بعيْنٍ متلألئة بنور الإيمان ، تقرُّ في كل شيء معناه السماوي . معنى هذه المرأة:المعبد القدسي ، معناها : القوة المُسْعِدة .

المرأة حقُّ المرأة هي تلك التي خُلِقت لتكون للرجل مادَّة الفضيلة والصبر والإيمان ، فتكون له وحيًا وإلهامًا وعزاءً وقوَّة ، أي : زيادة في سروره ونقصًا من آلامه .

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد هي صفاتها، التي تجعل رجلها أعظم منها » . انتهى كلام الرافعي .

آسية زوج فرعون مَثَل عالٍ للاستعلاءِ على عَرَض الدنيا :

قال تعالى : ﴿ **وضربَ الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون إذْ قالت ربِّ ابْنِ لي عندك بيتًا في الجنة ونجِّني من فرعونَ وعملِهِ ونجِّني من القوم الظالمين** ﴾ [التحريم : ١١] .

قال الشيخ سيد قطب : « ها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدَّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه .. في قصر فرعون .. عن طلب النجاة وحدَها .. وقد تبرَّأتْ من قصر فرعون طالبة إلى ربِّها بيتًا في الجنة .. وتبرأتْ من صلتها بفرعون ، وتبرأتْ من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به ، وتبرّأتْ من قوم فرعون ، وهي تعيش بينهم .

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مَثَلٌ للاستعلاء على عَرَض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذٍ ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأةٌ ما تشتهي .. ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ، و لم تُعرض عن هذا العَرَض فحسْب ، بل اعتبرتْه شرًّا ودَنَسًا وبلاءً تستعيذ بالله منه ، وتتفلَّت من عَقابيله ، وتطلب النجاة منه .

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية ، وهذا فضل آخر عظيم ؛ فالمرأة أشدُّ شعورًا بوطأة المجتمع وتصوُّراته، ولكنَّ هذه المرأة... وحدها.. في وسط ضغْط المجتمع ، وضغْط القصر ، وضغْط الملْك ، وضغط الحاشية ، والمقام الملوكي ؛ في وسط هذا كله رفعت رأسَها إلى السماء .. وحدها .. في خِضَمِّ هذا الكفر الطاغي !! وهي نموذج عال في التجرُّد لله من كل هذه المؤثرات ، وكل هذه الأواصر ، وكل هذه المعوِّقات ، وكل هذه الهواتف ، ومِنْ ثمَّ استحقّت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد ، الذي تتردَّد كلماته في جَنَبَات الكون وهي تتنزَّل من الملأ الأعلى »[1] .

عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُل من الرجال كثير ، و لم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران ، وإنَّ فضْل عائشة على النساء كفضْل الثريد على سائر الطعام »[2] .

---

(١) الظلال ٦ / ٣٦٢٢ .

(٢) رواه البخاري .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «حسبُك من نساء العالمين بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خُويْلد، وفاطمة بنت محمد »(١) .

مريمُ البَتول رضي الله عنها رمزٌ للتجرُّد لله تعالى :

كمُلتْ فلم يكن للشيطان فيها نصيب منذ حمْل أمِّها بها ، وهي كذلك مَثَل للتجرُّد لله والإيمان الكامل والطاعة المطلقة ؛ قال تعالى : ﴿ **ومريمَ ابنة عمرانَ التي أحصنتْ فرْجها فنفخنا فيه من رُوحنا وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾ [التحريم : ١٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يُولد إلّا نَخَسَه الشيطان ، فيستهلُّ صارخًا من نَخْسَة الشيطان ، إلَّا ابن مريم وأمَّه »(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل بني آدَم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أُمُّه ، إلا مريم وابنها »(٣) .

رضي الله عنها ؛ فتقبَّلها بقبولٍ حسَنٍ وأنبتها نباتًا حسَنًا !.

ولله درُّها حين يقول ربُّها عنها: ﴿ **كلَّما دخل عليها زكريا المحْرابَ وَجَد عندها رزقًا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاءُ بغير حساب** .. ﴾ [آل عمران : ٣٧] !!. وفي تعيين محلّها بالمحراب ما يشير إلى معنى رجوليتها باطنًا وكمال عبادتها .

سيِّدةُ نساء العالمين وأوَّل مَن أسلم : خديجة بنت خوَيْلد رضي الله عنها :

قال ابن الأثير : خديجة أول خلق الله أسلم،بإجماع المسلمين .

---

(١) رواه الترمذي وصحَّحه ، وابن مردويه وابن عساكر .

(٢) رواه مسلم وأحمد .

(٣) رواه مسلم .

قال علي بن أبي طالب : سمعتُ رسول ﷺ يقول : « خير نسائها خديجة بنت خويلد ، وخير نسائها مريم بنت عمران »(١) .

قال ابن إسحاق : كانت خديجة وزيرة صِدْق .

وعن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرتُ أن أبشِّر خديجة ببيتٍ في الجنة من قصَب ، لا صخَب فيه ولا نصب »(٢) .

والمراد : قصَب اللؤلؤ .

لمَّا دعا رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام ؛ أجابتْه خديجة طوعًا ، فلم تُحوِجْه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك ، بل أزالت عنه كلَّ نصَب ، وآنستْه من كلِّ وحشة ، وهوّنتْ عليه كل عسير ، وقال فيها رسول الله ﷺ : « آمنتْ بي إذْ كذَّبني الناس ، وآوتني إذْ رفضني الناس »(٣) .. وهي التي واسَتْ رسول الله ﷺ وآزرته ، وقالت له : « كلَّا ، أبشر ، فوالله لا يُخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرَّحِم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَلَّ ، وتُعين على نوائب الحقِّ » . فرضي الله عنها .

لئنْ كانَ النساءُ كما ذكرْنا   لَفُضِّلتِ النساءُ على الرجالِ

فاطمة أمُّ أبيها عليها السلام : البَضعة النبويَّة والجهة المصطفويَّة :

من حديث ابن عباس مرفوعًا: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة وفاطمة ومريم وآسية » .

قمّتْ رضي الله عنها البيتَ حتى اغبرَّتْ ، وطحنتْ حتى مجلت يداها ،

---

(١) رواه البخاري .

(٢) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، وابن حبَّان ، والحاكم في المستدرك وصحَّحه ، وأقرَّه الذهبي ، وصححه الألباني .

(٣) صحيح : رواه أحمد والنسائي بإسناد صحيح ، قاله الحافظ في الفتح ١٠١/٧، وصحَّحه الحاكم في المستدرك ١٨٥/٣ .

وأثَّرتِ الرَّحى في صدرها ، واستعانت على خدمة البيت بالتسبيح !!.

قال الحافظ الذهبي : « روى إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : لمَّا مرضتْ فاطمة ؛ أتى أبو بكر فاستأذن ، فقال عليّ : يا فاطمة ، هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت : أتحبُّ أن آذن له ؟ قال : نعم .

قلتُ : عملتِ السنة رضي الله عنها ؛ فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره .

قال : فأذنتْ له ، فدخل عيها يترضَّاها حتى رضيتْ »[1] .

كان مهرُها دِرْعُ عليٍّ الحُطمِيّة ، وأُهْدِيتْ إليه ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوُها ليف ، وقربة ومُنخل وقدح ورَحى وجرابان . ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل ، وتعلِفُ عليه الناضح بالنهار ، وكانت هي خادمة نفسها .

قال ابن الجوزي : تالله ما ضرّها ذلك[2] .

أذهب الله عنها وعن بيتها الرجْسَ وطهَّرها تطهيرًا ، « وقد كان النبي ﷺ يحبُّها ويكرمها ويُسِرُّ إليها .. ومناقبها غزيرة ، وكانت صابرة دَيِّنة خيِّرة صيِّنة قانعة شاكرة لله »[3] .

عن أبي البخْتري ، قال : قال علي لأمِّه : اكفي فاطمة الخدمةَ خارجًا ، وتكفيك هي العمل في البيت ، والعَجْن ، والخَبْز ، والطَّحْن[4] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل مَلَك من السماء ، فاستأذن الله أن يُسلِّم عليّ ، لم ينزل قبلها فبشَّرني أنَّ فاطمة سيِّدة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٢١ . قال الحافظ في الفتح (٦/١٣٩١) : إسناده إلى الشعبي صحيح .

(٢) التبصرة ١ / ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٣) السير ٢ / ١١٩ .

(٤) رجاله ثقات .

نساء أهل الجنة »[١] .

وعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما رأيت أحدًا كان أشبهَ سَمْتًا وهَدْيًا ودَلًّا برسول الله ﷺ، من فاطمة كرَّم الله وجهها...»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدقَ لهجةً من فاطمة . إلا أن يكون الذي وَلَدَها[٣] .

وعن عمرو بن دينار: قالت عائشة: ما رأيتُ قطُّ أحدًا أفضلَ من فاطمة، غير أبيها[٤] .

وكان الإمام أحمد إذا سُئل عن عليٍّ وأهل بيته ، قال : أهل بيتٍ لا يُقاس بهم أحد .

أمّ عيسىٰ نسبةٌ واحدةْ ... بثلاثٍ تزدهي فاطمهْ
قرَّةُ العيْن لخيرِ الأوَّليـنْ ... خاتم الرُّسْلِ وخيْر الآخِرينْ
وهي زوْجُ المرتضىٰ ذا البَطلْ ... أسدِ الله الحكيمِ الفيصلْ
وهي أُمُّ السَّيدَيْنِ الأكرَمَيْنْ ... حسَنٍ خيرِ حليمٍ وحُسيْن
مسيرة الأولادِ صنْعُ الأمّهاتْ ... وخِلالُ الخيرِ طبْعُ الأُمَّهاتْ
زهرةٌ في روضةِ الصدقِ البتول ... أسوةُ النسوةِ في الحقِّ البتولْ
فاقةُ السائل أذرتْ دمْعَهَا ... ليهوديٍّ أبـاعتْ دِرْعَهَـا

---

(١) صحيح لغيره : أخرجه الحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد وابن أبي شيبة في المصنف .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان ، والنسائي في فضائل الصحابة .. وفي رواية الحسن بن علي : عن عائشة : ما رأيتُ أحدًا كان أشبه حديثًا وكلامًا برسول الله ﷺ ؛ من فاطمة .

(٣) أخرجه الحاكم وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

(٤) سنده صحيح على شرط الشيخين إلى عمرو . قاله ابن حجر في الإصابة (٣٦٦/٤)، وأخرجه الطبراني في الأوسط .

كلُّ مَنْ في الأرض قد طاع لَهَا ... ورضاها حين تُرضي بعْلَهَا
نُشِّئَتْ ما بين صبْرٍ ورضَا ... في الفَمِ القرآنُ والكفِّ الرّحَىٰ
دمْعُها مِنْ خشيةِ الله جرىٰ ... في مصلّاها يفوقُ الجوْهَرَا

أختاه ، هذه أسوتك وقدوتك :

وأين مَن كانت الزهراءُ أُسوتَها ... ممَّن تقفَّتْ خُطى حمَّالةِ الحطبِ

أختاه ،

فيك تسمو للمعالي فطرةُ ... فاتبعي الزهراءَ نِعْمَ الأسَوةُ
علَّ غصْنًا منكِ يأتي بحُسيْن ... فترىٰ النضرةُ روضاتٍ ذَويْنْ[(١)]

الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق حبيبة رسول الله ﷺ :

زوجة نبيِّنا ﷺ في الدنيا والآخرة ، الفقيهة الربَّانيَّة ، المبرَّأة من فوق سبْع سماوات . مات عنها رسول الله ﷺ بعد أن أقام معها تسع سنوات ، وحين مات ﷺ ما كانت تَخْطُو بعدُ إلى التاسعة عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض عِلمًا ؛ فهي في رواية الحديث نسيجُ وحدِها ، وَعَتْ من أحاديث رسول الله ﷺ ما لم تَعِهِ امرأةٌ من نسائه ، وروتْ عنه ما لم يرو مثلَه أَحَدٌ من الصحابة ، إلَّا أبو هريرة وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

قال الذهبي في « السير » (٢/١٤٠) : « لا أعلم في أُمَّة محمد ﷺ - بل ولا في النساء مطلقًا - امرأةً أعلم منها . ونشهد أنها زوجة نبيِّنا ﷺ في الدنيا والآخرة ، فهل فوق ذلك مفخرٌ ؟! » .

وحبُّه ﷺ لعائشة كان مستفيضًا بين نسائه ، وقد قال ﷺ : « يا أمَّ سلمة ، لا تُؤْذيني في عائشة ؛ فإنه - والله - ما نزل عليَّ الوَحْيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنَّ غيرها »[(٢)] .

---

(١) ديوان: «الأسرار والرموز» ، لمحمد إقبال صـ١٣٨، ١٤٠. دار الأنصار، بالقاهرة.
(٢) متفق على صحَّته .

لقد كانت رضي الله عنها إحدىٰ المجتهدات ، من أنفذ الناس رأيًا في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكمْ كان لها رضي الله عنها من استدراكاتٍ على الصحابة وملاحظاتٍ ، فإذا علموا بذلك منها ، رجعوا إلى قولها[١] .

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «ما أشكل علينا– أصحاب رسول الله ﷺ – حديث قطُّ فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا »[٢] .

وقال مسروق: «رأيتُ مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض».

وقال عطاء بن أبي رباح : « كانت عائشة أفقه الناس » .

وقال الزهري : « لو جُمع علْمُ الناس كلِّهم وأمَّهات المؤمنين ؛ لَكانتْ عائشة أوسَعَهُم علْمًا »[٣] .

قال الذهبي : « مُسند عائشة يبلغ ألفيْن ومائتين وعشرة أحاديث » .

ولمَّا ذكر ابن حزم أسماءَ الصحابة الذين رُويت عنهم الفتاوى في الأحكام على مزيَّةِ كثرةِ ما نُقِل عنهم ؛ قدَّم عائشةَ على سائر الصحابة .

وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب « إيضاح ما لا يسع المحدِّث جهلُه » : « اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام ؛ فروَتْ عائشة من جملة الكتابيْن مائتين ونيِّفًا وتسعين حديثًا ، لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير » . قال الحاكم أبو عبد الله : « فحُمل عنها ربعُ الشريعة » .

وعن عروة بن الزبير : « ما رأيتُ أحدًا أعلم بفقه ولا بطبٍّ ولا بِشعْر ، من عائشة » . وعنه : « لقد صحبتُ عائشة ، فما رأيتُ أحدًا قط كان أعلمَ بآيةٍ نزَلت ، ولا بفريضة ، ولا بسُنَّة ، ولا بِشعْرٍ ، ولا أروىٰ له ، ولا بيومٍ

---

(١) انظر : « الإجابة لإيراد ما استدركتْه عائشة على الصحابة » للزركشي .

(٢) إسناده حسن : رواه الترمذي .

(٣) المستدرك ٤ / ١١ .

من أيام العرَب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طبّ- منها».

وعن الشعبي : أن عائشة قالت : « رَوَيْت للبيد نحْوًا من ألف بيْت » .

وكان الشعبي يذكرها ، فيتعجَّب من فقهها وعلمها ، ثم يقول : ما ظنُّكم بأدبِ النبوَّة ؟![1] .

أما عن عبادتها : فقد قال القاسم : « كانت عائشة تصوم الدهر » .

وعن عروة : أن عائشة كانت تسرِد الصوم . وعن القاسم : أنها « كانت تصوم الدهر ، لا تُفطر إلَّا يومَ أضحى أو يوم فطر » .

وعن القاسم قال : « كنتُ إذا غدوْتُ ، أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلِّم عليها ، فغدوْت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبِّح ، وتقرأ : ﴿ **فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السَّمُوم** ﴾ [الطور : ٢٧] . وتدعو وتبكي ، وتردِّدها ، فقمتُ حتى مللتُ القيامَ ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعتُ فإذا هي قائمة كما هي تصلِّي وتبكي »[2] .

وعن عروة قال : « كانت عائشة رضي الله عنها لا تُمسك شيئًا ممَّا جاءها مِن رزْق الله إلَّا تصدّقت به » .

وقال عروة : « بعث معاوية مرَّة إلى عائشة بمائة ألف درهم فقسمَتْها ، فلم تتركْ منها شيئًا ، فقالت بريرة : أنتِ صائمة ؛ فهلَّا ابتعتِ لنا منها بدرهمٍ لحمًا ؟ قالت : « لو ذكَّرتيني لَفعلتُ » .

وعنه أيضًا قال : « وإن عائشة تصدَّقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقِّع جانبَ دِرْعِها »[3] .

وعن محمد بن المنكدر ، عن أمِّ ذرّة - وكانت تغشى عائشة رضي الله

---

(١) عودة الحجاب ٢/٥٧٤- ٥٧٥ .
(٢) السمْط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين صـ ٩٠ .
(٣) طبقات ابن سعد ٨/٤٥ .

عنها - قالت : بعث إليها ابن الزبير بمالٍ في غرارتيْن . قالت : أراه ثمانين ومائة ألف ، فدعتْ بطبقٍ ، وهي صائمة يومئذٍ ، فجلستْ تقسمه بين الناس ، فأمستْ وما عندها من ذلك درهمٌ ، فلمَّا أمستْ قالت : « يا جارية ، هَلُمِّي فطوري » . فجاءتْها بخبز وزيْت ، فقالت لها أُمُّ ذرّة : « أمَا استطعتِ ممَّا قسَمتِ اليومَ أن تشتري لنا بدرهمٍ لحمًا نُفطر عليه؟». فقالت:« لا تعنِّفيني ، لو كنتِ أذكرتيني لَفعلتُ »[1] .

وفي مرض موْتها دخل عليها ابن عباس رضي الله عنها فقال : « أبشري !! فما بينك وبين أن تلقي محمدًا ﷺ والأحبَّة إلا أن تخرج الرُّوحُ من الجسد، كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحبُّ إلَّا طيِّبًا ، وسقطتْ قِلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبَّح في المنزل ، فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ فتيمَّموا صعيدًا طيِّبًا ﴾[المائدة : ٦] . وكان ذلك في سببكِ ، وما أنزل الله لهذه الأُمَّة من الرُّخصة ، وأنزل براءتك من فوق سبع سماوات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله يُذكر الله فيه إلّا تُتْلَى فيه آناءَ الليل وآناء النهار » . فقالت : « يا ابن عباس ، دعني منك ، ومن تزكيَتك ، فوالله لَوددتُ أني كنتُ نَسْيًا مَنْسيًّا !! » .

أمُّ المؤمنين زيْنبُ بنت جَحْش وعلوُّ همَّتها في الصَّدَقَة :

كانت رضي الله عنها امرأة صَنَاعًا ، وكانت تعمل بيدها وتتصدَّق به في سبيل الله .

قالت عائشة رضي الله عنها : « كانت زينب بنت جحش تُساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أرَ امرأةً قطُّ خيرًا في الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثًا ، وأوصلَ للرَّحِم ، وأعظم صدقة ، وأشدَّ ابتذالًا لنفسها

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٦/٨ ، والحلية لأبي نعيم ٤٧/٢ .

في العمل الذي تصدَّق به ، و تقرَّبُ به إلى الله تعالى » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فإذا حبلٌ ممدود بين السارِيتيْن ، فقال : « ما هذا الحبل ؟ » . قالوا : حبلٌ لزينب ، فإذا فتَرَتْ تعلقتْ به. فقال النبي ﷺ: «لا، حُلُّوه، لِيُصلِّ أحدُكم نشاطَهُ، فإذا فتَرَ فلْيقعدْ »[1] .

وعن برزة بنت رافع قالت : « لمَّا جاء العطاء ؛ بعث عمر إلى زينب رضي الله عنها بالذي لها ، فلمَّا دخل عليها ، قالت : « غفرَ الله لعمر ، لَغيري من أخواتي كان أقوى على قسْم هذا مني » . قالوا : هذا كلُّه لك . فقالت : « سبحان الله !! » . واستترتْ دُونه بثوب ، وقالت : « صُبُّوه ، واطرحوا عليه ثوبًا». فصبُّوه، وطرحوا عليه، وقالت لي: « أدخلي يدَك فاقبضي منه قبْضة ، فاذهبي إلى آل فلان ، وآل فلان » . من أيتامها وذوي رَحِمِها ؛ فقسمتهُ حتى بقيتْ منه بقيَّة ؛ فقالت لها برزة : غفر الله لك !! والله لقد كان لنا من هذا حظٌّ . قالت : « فلكُمْ ما تحت الثوب » . فرفعنا الثوب ، فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت يدها وقالت: «اللهم لا يدركني عطاءُ عمر بعد عامي هذا ». قالت : فماتت رضي الله عنها »[2] .

وقال محمد بن كعب : كان عطاءُ زينبَ اثني عشر ألف درهم ، حُمِل إليها فقسمتْه في أهل رَحِمِها وفي أهل الحاجة ، حتى أتت عليه ، فبلغ عمر فقال : « هذه امرأة يُراد بها خير » . فوقف على بابها ، وأرسل بالسَّلام وقال : « قد بلغني ما فرَّقتِ » فأرسل إليها بألف درهم لتُنفقها ، فسلكت بها طريق ذلك المال .

وقالت عنها عائشة رضي الله عنها بعد موتها: «لقد ذهبتْ حميدةً متعبِّدةً،

---

(١) رواه البخاري ، والنسائي ، وأبو داود .

(٢) السير ٢/٢١٢- ٢١٥ .

مَفْزَع اليتامى والأرامل »[١] .

أمُّ المؤمنين حفصةُ بنت عمر رضي الله عنها :

صحَّ أن النبي ﷺ طلَّقها ، ثم راجَعها بأمْر جبريل - عليه السلام - له بذلك ، وقال : « إنها صوَّامة قوَّامة ، وهي زوجتك في الجنة »[٢] .

فأيُّ شرفٍ فوقَ هذا الشرف ؟! نعم ، إنها بنت أبيها رضي الله عنهما !!

وهل يُنبتُ الخطِّيَّ إلَّا وشيجُهُ ويُزرَعُ إلَّا في منابتِهِ النخلُ

أسماءُ بنت الصِّدِّيق ذات النطاقين رضي الله عنها :

قالت أسماء رضي الله عنها : « لمَّا توجَّه النبي ﷺ من مكة ، حمل أبو بكر معه جميعَ ماله - خمسة آلاف ، أو ستة آلاف - فأتاني جدِّي أبو قحافة - وقد عمي - فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه. فقلتُ: كلّا، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا . فعَمَدتُ إلى أحجار ، فجعلتُهنَّ في كُوَّة البيت ، وغطَّيْتُ عليها بثوبٍ، ثم أخذتُ بيده ووضعتُها على الثوب ، فقلت : هذا تَرَكَهُ لنا . فقال : أمَا إذْ ترك لكم هذا ، فنعم » .

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : « ما رأيتُ امرأتين قطُّ أجودَ من عائشة وأسماء ، وجُودهما مختلف ؛ أمَّا عائشة : فكانت تجمع الشيءَ حتى إذا اجتمع عندها ، قسمَتْ ، وأما أسماء : فكانت لا تُمسك شيئًا لغدٍ »[٣] .

قالت فاطمة بنت المنذر: كانت أسماء تَمرَض المَرضَة، فتُعتِق كلَّ مملوك لها.

وعن ابن أبي مُلَيْكَة : « كانت أسماء تصدعُ ، فتضع يدَها على رأسها وتقول : بذنبي ، وما يغفر الله أكثرُ » .

---

(١) الإصابة ٦٧٠/٧ .

(٢) صحيح : صحَّحه ابن حجر في الإصابة ٢٧٣/٤، والألباني ، وقد سبق ذكْره .

(٣) أحكام النساء لابن الجوزي صـ ١٢٥ .

جهادُ القانتاتِ الصابرات :

قال الشيخ محمد إسماعيل : « لقد تأثَّرت خديجة بنت خُويْلد رضي الله عنها بهذا الدين تأثُّرًا نفَذَ إلى قلبه ﷺ ، فكان مبْعَثَ الغِبْطَة والسكينة عند تدافُع النُّوب ، واشتداد الخطوب ، ثم أعقبها جمهور النساء ، فتأثَّرْن بهذا الدين تأثُّرًا ، فبان وراءه كلُّ شيء . وأول مَن سبق إليه فريقُ الضِّعاف اللَّواتي استهنَّ بما أصابهنَّ في سبيل الله ، من ظلم وذلٍّ وآلام » .

سُمَيَّة بنتُ خُبَّاطَ أولُ شهيدةٍ في الإسلام :

أمُّ عمَّار بن ياسر ،كانت سابعة سبعةٍ في الإسلام ، وكان بنو مخزوم إذا اشتدَّتِ الظهيرة، والْتهبتِ الرمضاء؛ خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبَسُوهم دروع الحديد ، وأهالوا عليهم الرمال المتقِدة، وأخذوا يرضحونهم بالحجارة . واعتصمتْ بالصبر وقرَّتْ على العذاب ، وأبتْ سُمَيَّة أن تُعطيَ القومَ ما سألوا من الكفر بعد الإيمان ، فذهبوا بروحها وأفظعوا قِتلتَها ، فقد أنفذ النذْل أبو جهل بن هشام حرْبَتَه فيها ، فماتت رضي الله عنها ، وكانت أول شهيدة في الإسلام [(١)] .

سميةُ لا تبالي حينَ تلقَى ... عذابَ النكْر يَوْمًا أو تلينا
وتأبَى أن تردِّد ما أرادوا ... فكانتْ في عِداد الصابرينا

أمُّ شريك غُزَيَّة بنت جابر بن حكيم : بصبْرها أسلم مَن عذَّبوها :

قال ابن عباس : « وقع في قلب أمِّ شريك الإسلامُ وهي بمكة ، فأسلمتْ ثم جعلتْ تدخل على نساء قريش سرًّا ، فتدعوهنَّ وتُرغِّبهنَّ في الإسلام ، حتى ظهر أمْرُها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا لها : لولا قومك ، لَفعلنا بك وفعلْنا ، ولكنَّا سنردُّك إليهم . قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء مُوطأ ولا غيره ،

---

(١) عودة الحجاب ٢ / ٥٤١ .

قال ابن حجر : « أخرج ابن سعد بسند صحيح ؛ عن مجاهد قال : أول شهيد في الإسلام سميَّة والدة عمَّار بن ياسر ، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة » .

ثم تركوني ثلاثًا لا يُطعموني ولا يسقوني ، فنزلوا منزلًا ، وكانوا إذا نزلوا وقفوني في الشمس واستظلُّوا ، وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع عليَّ منه ، ثم عاد فتناولتُه ، فإذا هو دَلْو ماءٍ ، فشربتُ منه قليلًا ، ثم نُزع مني ، ثم عاد فتناولتُه ، فشربتُ منه قليلًا ، ثم رُفع ، ثم عاد أيضًا ، فصنعَ ذلك مرارًا حتى رويتُ ، ثم أفضْتُ سائره على جسدي وثيابي ، فلمَّا استيقظوا إذا هم بأثر الماء ، ورأَوْني حسَنة الهيئة ، فقالوا لي : انحللتِ فأخذتِ سِقاءَنا فشربتِ منه ؟ فقلتُ : « لا والله ما فعلتُ ذلك ، كان من الأمر كذا وكذا » . فقالوا : لئنْ كنتِ صادقة ؛ فدينُك خيرٌ من ديننا . فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها ، فأسلموا لساعتهم »[1] .

أمُّ كُلثوم بنتُ عقبة بن أبي مُعَيْط : مَثَلٌ سامِق لعلوِّ الهِمَّة في طلب الحقِّ :

آمنتْ أم كلثوم بنت عقبة وأبوها شيطان قريش ، وفارقتْ خِدْرها ، ومُستقرَّ مأمنها ودَعتها ، تحت جُنْح الليل ، فريدةً شريدة ، تطوي بها قدماها ثنايا الجبال ، وأغوار التَّهائم بين مكة والمدينة إلى مفزع دينها ودار هجرتها ؛ إلى رسول الله ﷺ ، ثم أعقبتها بعد ذلك أُمّها ، فاتخذتْ سُنتها ، وهاجرتْ هجرتها ، وتركتْ شباب أهل بيتها وكهولتَهم وهم في ضلالهم يعمهون[2] .

أمُّ حواريِّ الرسول ﷺ وعمتُه: صفيَّة؛ أولُ امرأة قتلت رجلًا من المشركين:

لمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ؛ جعل نساءَه في أُطُمٍ[3] يُقال له : فارع . قال عروة : « كان النبي ﷺ إذا خرج لقتال عدوِّه رفع نساءه في أُطُمِ حسَّان رضي الله عنه ؛ لأنه كان من أحصن الآطام ... فجاء يهوديّ

---

(١) الإصابة ٢٤٨/٨ .

(٢) عودة الحجاب ٢ / ٥٤٤ .

(٣) كلُّ حصن مبني من الحجارة .

فلصِقَ بالأطم ليسمع . قالت صفية : فأخذتُ عمودًا فنزلت إليه ، حتى فتحتُ الباب قليلًا قليلًا ، فحملتُ عليه فضربتُه بالعمود فقتلتُه »[١] .

وعند ابن إسحاق : وهي أول امرأة قتلتْ رجلًا من المشركين .

وفي رواية: «فجاء إنسان من اليهود فرقي في الحصن، حتى أطلَّ عليهنَّ. قالت صفية بنت عبد المطلب : فقمتُ إليه ، فضربتُه حتى قطعت رأسه ، فأخذتُ رأسه فرميتُ به عليهم »[٢] .

أمُّ عمارة نسيبة بنت كعب : مقامُها في أُحُدٍ خيرٌ من الرجال :

الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجيَّة .

«شهدتْ أمُّ عمارةَ ليلة العقبة، وشهدت أُحدًا والحديبية، ويوم حُنيْن، ويوم اليمامة ، وجاهدتْ ، وفعلتِ الأفاعيل ، وقُطعتْ يدها في الجهاد »[٣] .

وكان ضمرة بن سعيد المازني يُحدث عن جدته - وكانت قد شهدت أحدا - قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لَمقامُ نسيبة بنتِ كعب اليوم : خيرٌ من مقام فلان وفلان » . وكانت تراها يومئذٍ تقاتل أشدَّ القتال ، وإنها لحاجزةٌ ثوْبها على وسطِها ، حتى جُرحتْ ثلاثة عشر جرحًا ، وكانت تقول : إني لَأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها ، وكان أعظمَ جراحِها ، فداوَتْه سنة ، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ : إلى حمراء الأسد . فشدَّتْ عليها ثيابها ، فما استطاعت ، من نزْف الدم ، رضي الله عنها ورحمها .

قالت أمُّ عمارة : « رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقي إلَّا في نفَير ما يُتمُّون عشرة ، وأنا وابناي وزوجي بين يديْه نذُبُّ عنه ، والناس يمُرُّون به منهزمين ، ورآني ولا ترْسَ معي ، فرأى رجلًا مُوليًا ومعه

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢٧/٨، والمستدرك ٥١/٤ .
(٢) الإصابة ٧/ ٧٤٤ .
(٣) السير ٢ / ٢٧٨ .

تِرْسٌ ، فقال : « أَلْقِ تُرسك إلى مَن يُقاتِل » . فألقاه ، فأخذتُه ، فجعلتُ أترِّس به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحابُ الخيْل ، لو كانوا رجَّالة مثلنا؛ أصبناهم إن شاء الله، فيُقبِل رجلٌ على فرس، فيضربني، وتَرَّستُ له ، فلم يصنع شيئًا وولَّى ، فأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي يصيح: « يا ابن أمِّ عمارة، أمَّك. أمَّك ! » قالت : فعاونني عليه حتى أوردتُه شَعوب »[١] .

وكانت لا ترى الخطر يدنو من رسول الله ﷺ حتى تكون سدادَهُ ومِلءَ لهوته، حتى قال ﷺ: «ما التفتُ يمينًا ولا شمالًا إلَّا وأنا أراها تقاتل دوني»[٢].

قال ابنها عمارة : جُرحتُ يومئذٍ جُرْحًا في عَضُدي اليسرىٰ ، ضربني رجل كأنَّه الرَّقْلُ[٣] ، ومضى عني ، ولم يُعرِّجْ عليَّ ، وجعل الدم لا يرقأ ، فقال رسول الله ﷺ: «اعصبْ جرْحك». فأقبلتْ أمِّي إليَّ، ومعها عصائب في حَقْوَيْها ، قد أعدَّتها للجراح ، فَربطتْ جُرْحي ، والنبيُّ واقف ينظر إليَّ ، قالت : انهضْ يا بُنيَّ ضارِبِ القوم . فجعل النبي ﷺ يقول : « مَن يُطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟!» . قالت : وأقبل الرجل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا ضاربُ ابنك ». قالت : فاعترضتُ له فضربتُ ساقه ، فبركَ . قالت : فرأيتُ رسول الله ﷺ يتبسَّم حتى رأيتُ نواجذه ، وقال : «استقدْتِ يا أمَّ عمارة ؟!». ثم أقبلنا نَعُلُّه[٤] بالسلاح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي ﷺ : « الحمد لله الذي ظفَّركِ ، وأقر عينك من عدوِّك ، وأراك ثأْرَك بعيْنِكِ » .

قال عبد الله بن زيد: «نظر رسول الله ﷺ إلى جرح أمِّي على عاتقها ،

---

(١) شعوب : من أسماء المنيَّة ، والخبر في الطبقات ٨/٤١٣، ٤١٤ .

(٢) الطبقات ٨/٣٠٣ .

(٣) الرَّقْل : جمع رقلة ؛ وهي النخلة العالية .

(٤) أي : نتابع عليه الضرب .

فقال: «أُمَّك أُمَّك،اعصبْ جرْحَها! اللهمَّ اجعلْهم رفقائي في الجنة». فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا »[١] .

قال محمد بن يحيى بن حبان : « جُرِحت أُمُّ عمارة بأُحدٍ اثني عشر جرحًا ، وقُطِعتْ يدها يوم اليمامة ، وجُرحت يومَ اليمامة سوى يدها أحدَ عشر جرْحًا ، فقدمت المدينة وبها الجراحة ؛ فلقد رُئِيَ أبو بكر رضي الله عنه وهو خليفة يأتيها يسأل عنها »[٢] .

حاولتْ قتْلَ مسيْلمة وهي عجوز مُسِنَّة وقُطعتْ يدُها .. فلله درُّها ورضي الله عنها .

أسماءُ بنتُ يزيد بن السَّكنِ تقتل تسعة من الرُّوم يومَ اليرموك :

أمُّ عامر وأمُّ سلَمة، الأنصارية، بنت عمَّة معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

« مِن المُبايِعات المجاهدات .. روَتْ عن النبي جمْلةَ أحاديث ، وقتلت بعمودِ خِبَائِها يومَ اليرموك تسعة من الروم !! »[٣] .

الرُّميْصَاءُ بنتُ ملْحَانَ أمُّ سُلَيم ؛ امرأةٌ مِن أهل الجَنَّة ، مَثَلٌ كريمٌ في الصبْر والدَّعْوة :

لله درُّها أمُّ أنس بن مالك !!

عن جابر بن عبد الله ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « رأيتُني دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرُّميصاء امرأة أبي طلحة ، وسمعتُ خشْفَةً ، فقلتُ : من هذا ؟ فقال : هذا بلال »[٤] .

---

(١) الطبقات لابن سعد ٤١٤/٨ - ٤١٥ ، ٣٠٢/٨- ٣٠٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤١٦/٨ .

(٣) السير ٢٩٦/٢- ٢٩٧ .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس قال : قال النبي ﷺ : « دخلتُ الجنة ، فسمعتُ خَشْفَةً بين يديَّ ، فإذا أنا بالغُمَيْصَاء بنت ملحان »[١] .

كانت حياتها ملأى بالأعاجيب النيِّرة المشرقة.. تُوحي بسُموِّها وعُلوِّها!!

قالت أُمُّ سُليم : آمنتُ برسول الله ﷺ ، فجاء أبو أنس ، وكان غائبًا ، فقال : أَصَبَوْتِ ؟ فقالت : ما صبوتُ ، ولكنِّي آمنت !! وجعَلَتْ تُلقِّن أنسًا : قُلْ : لا إله إلا الله . قل : أشهد أنَّ محمدًا رسول الله .. ففعل ، فيقول لها أبوه : لا تُفسدي علَيَّ ابني . فتقول : إني لا أُفسده . فخرج مالكٌ فلقيَه عدوٌّ له فقتله . فقالت : لا جَرَمَ ، لا أُفْطِمُ أنسًا حتى يدعَ الثدي ، ولا أتزوَّجُ حتى يأمرني أنس[٢] .

لله درُّها !! تُلقِّن ابنها دينَه وهو رضيع .. فأين هي ممَّن يُسَكِّتْنَ أولادهن بذكْر الطعام الآنَ ؟! تريد أنْ تعلِّمه وتعوِّده على التُّخْمَة مِثْلَ أبيه !!

وخطبَها أبو طلحة وهو مشركٌ فأبَتْ ، وقالت له يومًا فيما تقول : أرأيتَ حَجَرًا تَعبُده لا يضرُّك ولا ينفعك ، أو خَشَبَةً تأتي بها النجَّار فينجرها لك ؛ هل يضرُّك ؟ هل ينفعك ؟ فوقع في قلبه الذي قالت : فأتاها ، فقال : لقد وقع في قلبي الذي قلت : .. وآمن . قالت : فإني أتزوَّجك ولا آخُذ منك صَداقًا غيره .

وعند النسائي : « عن أنس قال : تزوَّج أبو طلحة أمَّ سُليم ، فكان صداقُ ما بينهما الإسلام »[٣] .

« وعن أنسٍ قال : خطب أبو طلحة أمَّ سُلَيم ، فقالت : إنه لا ينبغي أن أتزَوَّجَ مشركًا . أمَا تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم يَنحِتُها عبدُ آلِ فلان ، وأنكم

---

(١) رواه مسلم ، وابن سعد في الطبقات . والخَشْفة : هي الحسُّ والحركة .

(٢) الطبقات لابن سعد ٨ / ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٣) سنده صحيح .

لو أشعلتم فيها نارًا ؛ لَاحترقتْ ؟! قال : فانصرف وفي قلبه ذلك ، ثم أتاها وقال: الذي عرضتِ عليَّ قد قبلتُ. قال: فما كان لها مَهْرٌ إلَّا الإسلام»(١).

وعند النسائي : عن ثابت ، عن أنسٍ قال : خطب أبو طلحة أمَّ سُلَيم ، فقالت : والله ما مثلُك يا أبا طلحة يُرَدُّ ، ولكنَّك رجلٌ كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحلُّ لي أنْ أتزوَّجك ، فإنْ تُسلم ؛ فذاك مَهْري ، وما أسألك غيرَه . فأسلم ، فكان ذلك مَهرَها . قال ثابت : فما سمِعْتُ بامرأة قطُّ كانت أكرمَ مهرًا من أمِّ سُليم : الإسلام ؛ فدخل بها فولدتْ له .

أمَّا صبرُها الجليل وإيمانُها الشامِخ : فيبدو في هذه الحادثة :

قال أنسُ بن مالك رضي الله عنه : « مرض أخٌ لي من أبي طلحة يُدعى : أبا عُمير ، فبيْنا أبو طلحة في المسجد ؛ مات الصبيُّ ، فهيّأتْ أمُّ سُليم أمْرَه، وقالت: لا تُخبروا أبا طلحة بموْت ابنه. فرجع من المسجد، وقد تطيَّبتْ له وتصنَّعتْ ، فقال : ما فعل ابني ؟ قالت : هو أسكن مما كان ، وقدَّمت له عشاءَه ، فتعشَّى هو وأصحابه الذين قدِمُوا معه ، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة ، فأصاب من أهله ، فلمَّا كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة ، ألم ترَ إلى آلِ فلان ؛ استعاروا عارية فتمتّعوا بها ، فلمَّا طُلِبتْ إليهم شقَّ عليهم ؟ قال : ما أنصفوا. قالت: فإنَّ ابنك فلانًا كان عاريةً من الله فقبَضه إليه. فاسترجع وحمد الله(٢)! وقال: والله لا أدعك تغلبينني على الصبر. حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال : « بارَكَ الله لكما في ليلتِكُما » . فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبي طلحة ، ولم يكنْ في الأنصار شابٌّ أفضل منه ، وخرج منه رجُلٌ كثير ، ولم يمُتْ عبد الله حتى رُزِق عشرَ بنين ، كلّهم حفِظ القرآن

---

(١) إسنادها صحيح : رواه ابن سعد في الطبقات٨/٤٢٦- ٤٢٧، والذهبي في السير ٢/٣٠٥- ٣٠٦ .

(٢) وفي الصحيح: «انتظرْتِ حتى تلطَّخْت بكِ؟! ثم ذهب يشكوها إلى رسول الله ﷺ».

وأبلى في سبيل الله »[(١)] .

الخَنْسَاءُ التي صَاغَها الإسلام :

«في الجاهلية : ملأتِ البواديَ نِياحًا على شقيقها صخْر .. وفي الإسلام : قدَّمتْ أشطارَ كَبِدِها ونياط قلبها ؛ أربعة من الأسود خرجوا إلى القادسيَّة ، فكان ممَّا أوصتْهم به قولها: يا بنيَّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. والله الذي لا إله إلَّا هو ؛ إنكم لَبَنُو رجل واحد كما أنَّكم بنو امرأةٍ واحدة ، ما هجَّنتُ حَسَبَكم ، وما غيَّرتُ نسَبَكم . واعلموا أنَّ الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية . اصبروا وصابِروا ورابِطوا واتقوا الله لعلَّكم تُفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرتْ عن ساقها ، وجلّلتم نارًا على أرواقها ؛ فيمِّموا وطيسَها ، وجالِدوا رسيسَها ، تظفروا بالغُنْم والكرامة في دار الخُلْد والمقامة .. فلمَّا كشَّرتِ الحرب عن نابها ؛ تدافعوا إليها ، وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظنِّ أُمِّهم بهم حتى قُتلوا واحدًا في إثْر واحد ، ولمَّا وافتْها النُّعاةُ بخبرهم ، لم تزِدْ على أنْ قالت : الحمد لله الذي شرَّفني بقتْلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مُسْتَقرِّ الرحمة »[(٢)] .

خولةُ بنْتُ الأزْوَر : مِن ذَوَاتِ الخُدورِ لكنْ ليس كَمِثْلِها النُّسور :

يُروى أنه لمَّا أُسِرَ ضرارُ بن الأَزْور في وقعة أجْنادين ؛ سار خالد بن الوليد في طليعة مِن جُنْده لاستنقاذه ، فبيْنا هو في الطريق ، مرَّ به فارس معتقِل رُمْحَه لا يبين منه إلا الحدق ، وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوي على ما وراءه ، فلمَّا نظر خالدٌ قال : ليتَ شِعْري !! من هذا الفارس ؟! وأيْمُ الله،إنه لفارس . ثم اتَّبعه خالدٌ والناسُ من ورائه حتى أدرك جندَ الروم ، فحمل عليهم ، وأمعن بين صفوفهم ، وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم ، وحطَّم مواكبهم ،

---

(١) الإصابة ٢٢٩/٨ ، وأصل القصة في الصحيحين .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٢٩٧/٤ ، والإصابة ٦١٥/٧-٦١٦ .

فلم تكن غيْر جوْلة جائلٍ حتى خرج وسنانه ملطَّخٌ بالدِّماء ، وقد قتَل رجالًا ، وجندل أبطالًا ، ثم عرَّض نفسه للموت ثانية ، فاخترق صفوف القوم غيرَ مكترث ، وخامَر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شيءٌ كثيرٌ ، وظنَّه أُناس خالدًا ، حتى إذا قدِم خالد ، قال له رافع بن عميرة : من الفارس الذي تقدَّم أمامك ؛ فلقد بذَل نفسه ومهجته ؟ فقال خالد : والله لَأنا أشدُّ إنكارًا وإعجابًا لما ظهر من خلاله وشمائله . وبيْنا القوم في حديثهم ، خرج الفارس كأنَّه الشهاب الثاقب ، والخيل تعدو في أثَره ، وكلَّما اقترب أحدٌ منه ألوىٰ عليه ، فأنهل رُمحه من صدره ، حتى قدم على المسلمين ، فأحاطوا به وناشدوه كشْف اسمه ورَفْع لِثامه ، وناشده ذلك خالدٌ وهو أمير القوم وقائدهم ، فلم يُحرْ جوابًا ، فلمَّا أكثر خالد أجابه وهو مُلثَّم ، فقال : أيها الأمير ، إني لم أُعرِض عنك إلّا حَياءً منك ، لأنك أميرٌ جليل ، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد، زائدة الكمَد. فقال خالد: مَن أنتِ ؟ قالت : أنا خوْلة بنت الأزور ، كنتُ مع نساء قومي ، فأتاني آتٍ بأنَّ أخي أسير ، فركبتُ وفعلتُ ما رأيتَ ، هنالك صاح خالدٌ في جنده ، فحملوا وحُملتْ معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم . وكانت تجول في كلِّ مكان علَّها تعرف أين ذهب القوم بأخيها ، فلم ترَ له أثرًا ، ولا وقفتْ له على خبر ، على أنها لم تزل على جهادها ، حتى استُنقِذ لها أخوها[1] .

ومن مواقفها الرائعة : موقفها يومَ أُسِرَ النساء في موقعة « صحورا » ؛ فقد وقفتْ في النساء ، وكانت قد أُسرتْ معهنَّ ، فأخذت تُثير نخوتَهنَّ ، وتُضْرِمُ نار الحميَّة في قلوبهنَّ ، ولم يكن من السلاح شيءٌ معهن ، فقالت : خُذْن أعمدةَ الخيام وأوتاد الأطناب ، ونحمل على هؤلاء اللِّئام ، فلعلَّ الله ينصرنا

---

(١) فتوح الشام ١/١٢٧ - ١٢٨ .

عليهم . فقالت عَفْراءُ بنت عَفَار : والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرتِ . ثم تناولتْ كلُّ واحدةٍ عمودًا من عُمد الخيام ، وصِحْن صيحةً واحدة ، وألقتْ خوْلة على عاتقها عمودها ، وتتابع النساء وراءها ، فقالت لهنَّ خولة : لا ينفكُّ بعَضُكنَّ عن بعض ، وكُنَّ كالحلقة الدائرة ، ولا تتفرقْنَ فتُمْلَكْنَ ، فيقع بكنَّ التشتيتُ ، واحطمنَ رِماح القوم ، ، واكسرْنَ سيوفهم .. وهجمت خوْلة ، وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهنَّ قتال المستيئس المستميت؛ حتى استنقذتْهنَّ من أيدي الروم ، وخرجتْ وهي تقول :

نحنُ بناتُ تُبَّعٍ وحِمْيَـرْ وضَرْبُنا في القوم ليس يُنكَرْ
لأنَّنا في الحرب نار تسْعَرْ اليومَ تسْقَوْن العذاب الأكبَرْ[1]

وما أعلىٰ همَّة الصالحات في طلَبِ العلْم والعَمل به : حفصَةُ بنت سيرين : تمكث ثلاثين سنةً لا تخرج من مصلَّاها إلَّا لقضاء حاجَة :

« أمُّ الهُذيْل الفقيهة الأنصارية .

قال مهدي بن ميمون : مكثتْ حفصةُ بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلَّاها إلا لقائلة أو قضاء حاجة !!.

وقال إياس بن معاوية : قرأتِ القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة . فذكروا له الحسن وابن سيرين ، فقال : أمَّا أنا : فما أُفضِّل عليها أحدًا »[2] .

وعن هشام بن حسَّان قال : كان إذا أشكل عليه شيءٌ من القرآن ، قال : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ .

وعنه قال : اشترتْ حفصة جارية - أظنُّها سِنْدية - فقيل لها : كيف رأيتِ مولاتَك ؟ فذكرتْ كلامًا بالفارسية ، تفسيره : إنها امرأة صالحة ، إلَّا أنها أذنبتْ ذنبًا عظيمًا ؛ فهي الليل كلَّه تبكي وتصلِّي .

---

(١) فتوح الشام ١/١٢٨ - ١٢٩ .
(٢) السير ٤/٥٠٧ .

وعن عبد الكريم بن معاوية قال : ذُكِر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كلِّ ليلة، وكانت تصوم الدهر، وتُفطر العيدَيْن وأيامَ التشريق.

عَمْرَةُ بنتُ عبد الرحمن بن سعد بن زرارة : بحرٌ لا ينزف :

تربيبة[1] عائشة ، كانت عالمة فقيهة ، حُجَّةً كثيرة العلم ، وحديثها كثير في دواوين الإسلام .

عن ابن شهاب : عن القاسم بن محمد أنه قال لي : « يا غلام ، أراك تحرص على طلب العلم ، أفلا أدلُّك على وعائه ؟ » . قلتُ : بلى . قال : عليك بِعَمْرة ، فإنها كانت في حِجْر عائشة رضي الله عنها . قال : فأتيتُها ، فوجدتها بحرًا لا يُنزَف .

وابنة سعيد بن المسَيِّب تعلِّم زوْجَها علْم سعيد بن المسيِّب :

وهذه ابنة سعيد بن المسَيِّب لمَّا أنْ دخَل بها زوجُها أبو وداعة ، وكان من أحد طلبة والدها ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج فقالت له زوجته : إلى أين تريد ؟ فقال : إلى مجلس سعيد أتعلَّم العلم . فقالت له : اجلس أعلمك عِلْمَ سعيد[2] .

أمُّ سفيان الثوري تعوله بمغزلها :

قال وكيع: قالت أمُّ سفيان لسفيان: اذهبْ، فاطلبِ العلمَ حتى أعولك بمغْزَلي ، فإذا كتبت عدَّة عشرة أحاديث ، فانظر هل تجد في نفسك زيادة ، فاتَّبعه ، وإلَّا فلا تتعَنَّ . (السير ٧ / ٢٦٩) .

وأُمُّ الدَّرْداء الصغرى مثلٌ عظيمٌ للفقيهِةِ العابِدة :

روتْ علْمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء ، وعن سلمان ، وكعب بن

(١) التِّرب : اللِّدَة ، والسِّنّ ، ومَنْ وُلِد معك .
(٢) المدخل لابن الحاج ٢١٥/١ ، وعودة الحجاب ٥٨١/٢ - ٥٨٣ .

عاصم ، وعائشة وأبي هريرة،واشتُهرت بالعلم والعمل والزهد .

قال مكحول : كانت أمُّ الدرداء فقيهة . وقال عون بن عبد الله : كنَّا نأتي أمَّ الدرداء ، فنذكر الله عندها . وقال يونس بن ميسرة : كان النساء يتعبَّدن مع أمِّ الدرداء رضي الله عنها ، فإذا ضعفْنَ عنِ القيام تعلقنَ بالحبال !!

وبنت الإمام مالك تحفظ « الموطَّأ » :

وكان الإمام مالك يُقرأ عليه « الموطأ » ، فإذا لحن القارئ في حرف ، أو زاد ، أو نقص ؛ تدقُّ ابنتُه الباب ، فيقول أبوها للقارئ : ارجِعْ ، فالغلط معك . فيرجع القارئ ، فيجد الغلط[١] .

وجارية الإمام مالك :

وحُكي عن أشهب أنه كان في المدينة ، وأنه اشترى خضرة من جارية ، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلَّا بالخبز ، فقال لها : إذا كان عشيةً حين يأتينا الخبز فأتِنا نُعطِك الثمن . فقالت : ذلك لا يجوز . فقال لها : ولِمَ ؟ فقالت : لأنه بيْع طعام بطعام ، غير يدٍ بيدٍ . فسأل عن الجارية، فقيل له : إنها جارية مالك ابن أنس رحمه الله[٢] .

والدة الفقيه الواعظ المفسِّر زين الدين علي بن إبراهيم :

المعروف بـ « ابن نجيَّة » سبْط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي .

قال ناصح الدين بن الحنبلي : قال لي والدي : زيْن الدين سَعِد بدعاءِ والدته ؛ كانت صالحة حافظة تعرِف التفسير .

قال زين الدين : كنا نسمع من خالي التفسير ، ثم أجيء إليها فتقول : أيش فسَّر أخي اليوم ؟ فأقول : سورة كذا وكذا . فتقول : ذكَرَ قولَ فلان ؟

---

(١) المدخل : ٢١٥/١ .

(٢) المدخل .

وذكَر الشيخ الفلاني؟ فأقول: لا. فتقول: ترك هذا. وسمعتُ والدي يقول: كانت تحفظ كتاب « الجواهر » ، وهو ثلاثون مجلدة ، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج ، وأقعدتْ أربعين سنة في محرابها(١) .

أمُّ عليٍّ بن المديني .. لله درُّها :

قال علي بن المديني : « غبتُ عن البصرة في مخرجي إلى اليمن – ثلاث سنين – وأمي حَيَّة ، فلمَّا قدمتُ ، قالت : يا بنيَّ : فلانٌ لك صديق ، وفلان لك عدوٌّ . قلتُ : من أين علمت يا أُمَّهْ ؟ قالت : كان فلان وفلان – فذكرتْ منهم يحيٰى بن سعيد – يجيئون مُسَلِّمين ، فيعزُّوني ، ويقولون : اصبري ، فلو قدم عليك ، سرَّك بما ترَيْن . فعلمتُ أن هؤلاء أصدقاء . وفلان وفلان إذا جاءوا ، يقولون لي : اكتبي إليه ، وضيِّقي عليه ليقدم »(٢) .

فاطمة بنتُ عبَّاس بن أبي الفتح : تستحْضِر أكثر « المُغْني » :

قال عنها ابن رجب : « أُمُّ زينب الواعظة ، الزاهدة العابدة ، الشيْخة الفقيهة ، العالمة المسنِدة المفتية ، الخائفة الخاشعة ، السيدة القانتة ، المرابطة المتواضعة ، الدَّيِّنة العفيفة ، الخيِّرة الصالحة ، المتقنة المحقِّقة ، الكاملة الفاضلة ، المتفنِّنة البغدادية ، الواحدة في عصرها ، والفريدة في دهْرها ، المقصودة في كلِّ ناحية .

كانت جليلة القدْر ، وافرة العلم ، تسأل عن دقائق المسائل ، وتتقن الفقه إتقانًا بالغًا، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، حتى برعت . كانت إذا أشكل عليها أمرٌ سألت ابن تيمية عنه فيُفتيها ، ويتعجّب منها ومن فهمها ، ويبالغ في الثناء عليها .

وكانت مجتهدة ، صوَّامة قوَّامة ، قوّالة بالحقِّ ، خشنة العيْش ، قانعة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١ / ٤٤٠ .

(٢) السير ١١/٤٩ .

باليسير ، آمِرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، انتفع بها خلق كثير ، وعلا صِيتُها ، وارتفع محلُّها . تُوفيت ليلة عرَفة . رحمها الله »[١] .

قال عنها ابن كثير: «كانت من العالمات الفاضِلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية في مؤاخاتهم النساء والمردان ، وتُنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال . وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فاستفادت منه ذلك وغيره ، وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يُثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من « المُغني » أو أكثره ، وأنه كان يستعدُّ لها ؛ من كثرة مسائلها وحُسْن سؤالاتها وسرعة فهمها ، وهي التي ختَّمت نساءً كثيرًا القرآن ؛ منهنَّ أمُّ زوجتي عائشة بنت صدِّيق ، زوجة الشيخ جمال الدين المزِّي ، وهي التي أقرأتِ ابنتها زوجتي أمَةَ الرحيم زينب ، رحمهنَّ الله وأكرمهنَّ برحمته وجنَّته . آمين »[٢] .

« وكانت تصعد المنبر وتعِظُ النساء » .

خلع عليها أهل دهْرها ألقابًا عديدة ، وكلها صفات وصلت بها منتهى حدودها[٣] .

أُعجوبةُ النِّساء ، الأميرة المفسِّرة للقرآن ، زيب النساء ، بنت الملِك أورنك زيب عالمكير :

هي زيب النساء الهندية « بيكم »[٤] ابنة الشاه محيي الدين أورنك زيب عالمكير، سلطان الهند قاتِل الأسود وخير ملوك الأرض. وُلدتْ سنة ١٠٤٨ هـ ،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٦٧- ٤٦٨) .

(٢) البداية والنهاية ١٤ / ٧٢ .

(٣) عودة الحجاب ٢ / ٥٩٠ .

(٤) يعني : خاتون : وزيب كلمة فارسية معناها « زينة » ، ومعنى تفسيرها : زين التفاسير .

وتوفيت سنة ١١١٣ هـ . كانت حافظة لكتاب الله مفسِّرة له ، وهي المرأة التي تفخر بها النساء ؛ إذ هي المرأة الوحيدة التي لها تفسير للقرآن ، ويُسمَّى هذا التفسير « زيب التفاسير » . فلله درُّها أميرة ومفسِّرة !!

قال الأستاذ محمد خير يوسف : « في « معجم المفسِّرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر » ، لعادل نويهض ، الذي ضُمَّتْ محتوياته في مجلَّدَيْن ضخمَيْن .. لم أرَ فيه سوى ذِكْر امرأة واحدة لها تفسير ، وهي : زيب النساء بنت الشاه محيي الدين أورنك زيب عالمكير »[(١)] .

وكان للأميرة ديوان من الشعر .

العابدات :

وكم من نساءٍ عابداتٍ قانتات صائمات متهجِّداتٍ، تَعطَّرَ التاريخُ بذِكْرِهنَّ، وخيرهنَّ أمهات المؤمنين ثم نساء الصحابة.. ولا تكفي هذه الوُرَيْقات لذكْرهنَّ[(٢)] . وقد كنت تعرَّضت لهنَّ في « رهبان الليل » ، وأفردتُ لهنَّ فصلًا خاصًّا بعُنوان : « قيام الراكعات الساجدات » ؛ ذكرتُ منهنَّ : معاذة العدويَّة ، وابنة أمِّ حسان الأسْدية ، ورابعة العدوية ، ورابعة الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري ، وعجردة العمية، وحبيبة العدوية، وعفيرة العابدة، وعمرة امرأة حبيب العجمي، وجارية خالد الوراق ، وشعوانة ، وريحانة ، ومنيفة بنت أبي طارق ، وبردة الصريميَّة ، وأمّ طَلْق ، وأم حيّان ، وحسنة العابدة ، وزجلة العابدة ، وغصنة ، وعالية ، وغنضكة ، وامرأة أبي عمران الجوني ، وجارية عبيد الله بن الحسن العنبري ، والماوردية ، وماجدة القرشية ، ولبابة العابدة ، وفاطمة بنت عبد الرحمن الحرَّاني ، وهنيدة ، والبيضاء بنت المفضَّل ، وامرأة الهَيْثم بن جماز ،

---

(١) قارئات حافظات لمحمد خير يوسف صـ ١٩/٤٧- ٤٨ ، دار ابن خزيمة .

(٢) بعوْن الله وتوفيقه أفردت لهنَّ مجلَّدًا بعنوان : « ثمار الباسقات من حديث الصالحات » .

وجوهرة البراثية ، وفاطمة بنت بزيع ، وعبدة البصرية ، وجارية الحسن بن صالح ، وذؤابة زوجة رياح القيسي .

وهذه عاتكة المخزومية : لمَّا عُوتبتْ في كثرة بكائها ؛ قالت : « ما ينبغي للمخوَّف بالنار أنْ تجفَّ له دَمْعة ، حتى يعرف موقع الأمان من ذلك » .

لئنْ كان النساءُ كما ذكرْنا لفضِّلتِ النساءُ على الرجالِ

وعفيرة العابدة : تُعاتَبُ في قلَّة نومها وكثرة قيامها ، فتقول : « ربَّما اشتهيتُ أن أنام فلا أقدر عليه . وكيف ينام من لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا ؟! » .

وفاطمة النيسابورية: تقول: «الصادق المقرّب يدعو ربَّه دعاء الغريق، يسأل ربَّه الخلاص والنجاة » .

وعائشة بنت سعيد الحِيري ، عابدة نيسابور ومجابة الدعوة : سمعتْ ابنتَها تتكلَّم وهي فَرِحة ببعض ما لديها ، فقالت لها : « لا تفرحي بفانٍ ، ولا تجزعي من ذاهب ، وافرحي بالله عز وجل ، واجزعي من سقوطك من عيْن الله عز وجل». وقالت لابنتها: «الْزمي الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحدٌ باطنًا إلا عُوقِب باطنًا » .

ومُليْكة بنت المنكدر : تقول : « دعوني أبادر طيَّ صحيفتي » .

ولبابة العابدة : تقول عن لذَّة عبادتها في محرابها : « ما زلتُ مجتهدة في العبادة حتى صرتُ أستروح بها ، وإذا تعبتُ من لقاء الخلق آنسني بذكْره ، وإذا أعياني الخلْق روّحني للتفرُّغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته » .

ومخة أخت بشْر بن الحارث الحافي : تسأل الإمام أحمد وتدقِّق في مسائل الورع ، حتى قال لها : « من بيْتكم خرَج الورَعُ » .. كيف لا وهي تسأله : « أنينُ المرض شكوىٰ ؟ » ، فقال لها الإمام أحمد : « ما سُئلتُ عن مِثْل هذا السؤال من قبل قطُّ ، نرجو ألا يكون كذلك . فلمَّا كان في مرض موته قالوا له : إنَّ طاووس يقول : إنَّ أنين المرض شكوىٰ . فما أنَّ ابنُ حنبل حتى مات».

وماجدة القرشيَّة رحمها الله : قالت : « كفَىٰ المؤمنين والمؤمناتِ طولُ اهتمامهم بالمعادِ شُغُلًا » .

والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد : تقول عنها زينب بنت يحيَىٰ المتوَّج : خدمتُ عمتي فما رأيتُها نامتْ بالليل ، ولا أفطرت بنهار ، فقلت لها : أمَا ترفقين بنفسك ؟ فقالت : « كيف أرفق بنفسي وقُدَّامي عقباتٌ لا يقطعها إلا أهل الفوز »[1] .

وعصمت الدين خاتون : زوجة الملك الصالح نور الدين محمود بن زنكي ، ومِن بعده تزوَّجها صلاح الدين الأيُّوبي .. قامت ذات مرة غَضْبَىٰ من نومها ، فسألها نور الدين عن سرِّ غضبها ، فقالت : فاتني وِرْدي البارحة ، فلم أصلِّ من الليل شيئًا !!

لله درُّها.. مثْلُ هذه لا تكون إلا تحت نور الدين ومن بعده صلاح الدين.

« فهؤلاء هنَّ أمهاتنا الأُوليات ، كواكب السَّحَر في سماء العظائم ، وأروع الغرر في جَبين العزائم ، وذلك شيءٌ من حديثهنَّ ، لا يدع لقائلٍ قيلًا ولا لمفتخِرٍ سبيلًا »[2] .

وهذه أخت رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري : تقول عنها أختها رابعة : دخلتُ على أختٍ لي عاتِق تقرأ في المصحف ، فقالت لي : يا أختي ، بلغني أن زوْجَك قد تزوَّج عليك ؟ قلتُ : قد كان ذلك . قالت : والله لقد بلغني عنه عقل ، فكيف رضي مع عقله بِشُغل قلبهِ عن الله بامرأتيْن[3] ؟! أمَا بلغكِ تفسير هذه الآية : ﴿ **إلا من أتى الله بقلبٍ سليم** ﴾ [الشعراء : ٨٩] . قلتُ : لا. قالت: بلَىٰ ، القلب السليم الذي يلقَىٰ الله وليس فيه غيره . قال أحمد بن

---

(١) نساء في المحراب، مجدي فتحي السيد صـ ٦٥ ، دار الصحابة . بطنطا .

(٢) عودة الحجاب ٢ / ٥٦١ .

(٣) أفضل الهدي هدي محمد ﷺ .

أبي الحواري : فحدّثتُ به أبا سليمان ، فقال لي : يا أحمد ، لي ثلاثون سنة مذْ قدِمتُ الشام ، ما سمعتُ بحديثٍ أرفع من هذا[1] .

حتى الجواري ... أين رجال زماننا منهم ؟!

قال خالد الورَّاق : كانت لي جارية شديدة الاجتهاد ، فدخلتُ عليها يومًا ، فأخبرتها برفْق الله وقبوله يسيرَ العمل ، فبكتْ ، ثم قالت : يا خالد ، إني لأؤمِّل من الله تعالى آمالًا لو حملتْها الجبال لأشفقت من حمْلها ، كما ضعُفتْ عن حمل الأمانة ، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثًا لكلِّ مذنب ، ولكنْ كيف لي بحسرة السباق ؟ قال : قلتُ : وما حسرة السباق ؟ قالت : غداة الحشر إذا بُعْثِر ما في القبور ، ورَكِبَ الأبرارُ نجائبَ الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط ؛ وعزَّةِ سيِّدي،لا يسبق مقصرٌّ مجتهدًا أبدًا ، ولو حَبَا المجِدُّ حَبْوًا . أم كيف لي بموت الحزن والكَمَد إذا رأيتُ القوم يتراكضون وقد رُفعتْ أعلام المحسنين ، وجاز الصراطَ المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبُّون ، وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين .. ثم بكت .

كذاك الفخْرُ يا همَمَ الرجالِ تعالَيْ فانظري كيفَ التَّعالي

أخي : ليس بين الدارين دارٌ يدرك فيها الخُدَّام ما فاتهم من الخدمة مع مولاهم ، فويلٌ لمن قصّر عن خدمة سيِّده ومعه الآمال ، فهلا كانت الآمال توقظه إذا نام البطّالون ؟! .

أتسبقك وأنت رجلٌ نسوةٌ .. ؟!
أما لك بالرجالِ أسوة .. ؟!

* * *

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ، المخطوطة ٦٢٤/١٩ – دار البشير .

الفصل الخامس

مَعْشَرَ الأيْقاظ النِّيَام

هذه هِمَّة الكَافرين



□ مَعْشَرَ الأَيْقاظِ النِّيامِ ، هذِه هِمَّةُ الكَافرينَ □

قد صوَّر الله وأجلى ديْدنَ الكافرين ؛ إذْ قالوا : ﴿ **أنِ امشُوا واصبروا على آلهتكم** ﴾ [ص : ٦] . فماذا قال من سفلتْ همَّتُهم ، من رعاع العوامِّ الذين لا همَّ لهم إلَّا بطونهم وفروجهم ؟.

أصبح دين أحدهم لعقةً على لسانه، يقول: أومن بيوم القيامة.. وكذَب.. ومالكِ يوم الدين ..

ماذا يقول أحدهم.. ممَّن سفلت همَّته حين يسمع عن همَّة الصليبيين واليهود وعُبَّاد الأوثان من اليونان ، في نصرة دينهم وأوطانهم ؟

« إزابيل » صاحبة القميص العتيق :

إنها «إزابيل» بنت «خوان الثاني»، ملكة قشتالة وأسبانيا، تلك الملكة التي كرَّستْ أكثر من ثلاثين سنة من عمرها في سبيل النصرانية الكاثوليكية ، والتي قدَّمت الخدمات والتضحيات في سبيل أسبانيا ودينها .. ونسيت أنها امرأة ، وأقسمت وقطعت عهدًا على نفسها بعدم استبدال قميصها – ثوبها الداخلي – حتى تسقط غرناطة في يدها ، وذلك قبل سنوات عديدة من حدوث التسليم فعلًا ..

إنها إيزابيل التي اعتنت الكنيسة ببناء شخصيتها، ورعتها وحمتها وأوصلتها إلى الحكم ، وأمدَّتها بالمال والرجال .

إنها إيزابيل التي كتب عنها وعن سيرتها «فيرناندو فيثكايينو كاساس»– أشهر القصَّاصين الأسبان – ترجمته الشهيرة : « إيزابيل ... القميص العتيق » ، في نوفمبر سنة ١٩٨٧ ، وصدرت الطبعة الرابعة منه في ديسمبر من العام نفسه ، وطالب الكاتب فيه برفع إيزابيل إلى درجة قدِّيسة .

إنها إيزابيل التي أسقطت ملْك المسلمين لغرناطة والأندلس نهائيًا .

إنها إيزابيل التي وحدت جهود ملوك النصارى ضدَّ المسلمين .

إنها إيزابيل التي رهنتْ مجوهراتِها لدفْعِ مرتبات الجنود ، وكانت تُشرف على المعارك ضدَّ المسلمين بنفسها .

إنها إيزابيل التي أرغمتْ أبا عبد الله الصغير - آخر مَلِك بغرناطة - أن يدفع جزية سنوية قدرها اثنتا عشرة ألف قطعة ذهبية ، وأن يكون تابعًا وفيًّا للملوك الكاثوليك ، يَمثُل أمام البلاط في قشتالة متى استدعى ذلك ، وأن يسلِّم ابنه الصغير رهينة حتى يسلِّم لهم غرناطة ، وأن يقوم بتسليم أربعمائة أسير حالًا ، ومن بعدها ستين أسيرًا سنويًا ، ووُقِّعت معاهدة التسليم في ٢٥ نوفمبر ١٤٩١م، ودخلت إيزابيل ومعها القوات النصرانية إلى غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢م.

إنها إيزابيل صاحبة محاكم التفتيش في أسبانيا، حرَّقتِ المسلمين وهم أحياء.. بل وحرَّقتِ الموتى بعد إخراجهم من قبورهم ، وردَّتهم عن الإسلام ، وصادرت جميع ممتلكاتهم ، حتى لم يبق في الأندلس مئذنة ولا أذان ولا مسلم .

إنها إيزابيل التي موَّلت الرحلة الجنونية لكولومبس لاكتشاف القارة الأمريكية وتنصير العالم الجديد «أمريكا»، وضمِّ ثروات القارة الجديدة للخزينة الأسبانية، وإرسالها للمبشِّرين إلى العالم الجديد لإخضاع وتنصير شعوب أمريكا.

إنها إيزابيل ذات الأهمية العظمى في تاريخ أوربا وأمريكا من خلال المنظور الكاثوليكي[١] .

فهذه امرأة طردت المسلمين من الأندلس... ولو لم يكن لها إلَّا هذا لكفاها.

« جولدا مائير » الرجلُ الوحيد في دولة إسرائيل :

مرّ بنا قول بن غوريون عنها - لمّا عادت محمَّلة بخمسين مليون دولار ، بعد حملة تبرُّعاتٍ واسعة في أمريكا في بَدْءِ قيام دولة إسرائيل -: « سُيقال عند كتابة التاريخ:إن امرأة يهودية أحضرتِ المال ، وهي التي صنعت الدولة » .

---

(١) انظر « إيزابيل القميص العتيق » تأليف فيرناندو فيثكاييينو كاساس - دار النفائس .

بل قال عنها ثانية : « إنها الرجل الوحيد في الدولة » .

قالت هذه اليهودية: «لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني، تُجبرني على الإخلاص لها ، ونسيان همومي كلها، وأعتقد أن هذا الوضع لم يتغيَّر طِيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية » .

وتقول : لم يُقدَّم لنا الاستقلال على طبق من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك ، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومِن أخطائنا ، الثمن الغالي للتصميم والعزيمة .

وتقول : « لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا ، ومجابهة أيِّ طارئ بروح بطولية مسئولة » . ولا تعليق .

و « أوساهير » الياباني .. أُنموذج لعلوِّ هِمَّة الكافرين في الدنيا؛نقل قوة أوربا إلى اليابان ، ونقل اليابان إلى الغرب :

وهذه قصته التي حكاها الدكتور توفيق الراعي في مجلة « المجتمع » الكويتية . العدد ٩٩٨ ، قال حفظه الله : « أرسلتِ الدولة اليابانية في بدْءِ حضارتها بُعوثًا دراسية إلى ألمانيا ، كما بعثتِ الأمة العربية بعوثًا ، ورجعت بعوث اليابان لتحضِّر أمتها ، ورجعت بعوثنا خاوية الوفاض !! فما هو السِّرُّ ؟ لنقرأ هذه القصة حتى نتعرف على الإجابة :

يقول الطالب الياباني «أوساهير» الذي بعثتْه حكومته للدراسة في ألمانيا: لوَ أنني اتبعتُ نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبتُ لأدرس عليه في جامعة هامبورج ، لَمَا وصلتُ إلى شيء ؛ كانت حكومتي قد أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية ، كنتُ أحلم بأن أتعلَّم ، كيف أصنع محرِّكًا صغيرًا ؛ كنت أعرف أنَّ لكل صناعة وحدةً أساسية ، أو ما يُسمَّى : « موديل » ، هو أساس الصناعة كلها ، فإذا عرفتَ كيف تصنع وضعت يدك على سرِّ هذه الصناعة كلها ، وبدلًا من أن يأخذني الأساتذة إلى معملٍ ، أو مركز تدريب عمليّ ، أخذوا يعطونني كتبًا لأقرأها ، وقرأتُ حتى عرفتُ نظريات الميكانيكا كلها ،

ولكنني ظللتُ أمام المحرِّك- أيًّا كانت قوته- وكأنني أقف أمام لغز لا يُحلُّ، وفي ذات يوم ، قرأت عن معرض محرِّكات إيطاليةِ الصُّنع ، كان ذلك أول الشهر ، وكان معي راتبي ، وجدتُ في المعرض محرِّكًا قوةَ حصانين ، ثمنُه يعادل مرتبي كلَّه ، فأخرجت الراتب ودفعتُه، وحملتُ المحرِّك ، وكان ثقيلًا جدًّا ، وذهبتُ إلى حجرتي ، ووضعتُه على المنضدة وجعلت أنظر إليه ، كأنني أنظر إلى تاجٍ من الجوهر ، وقلتُ لنفسي : هذا هو سرُّ قوة أوربا ، لو استطعت أن أصنع محرِّكًا كهذا لَغيَّرت تاريخ اليابان ، وطاف بذهني خاطر يقول : إن هذا المحرِّك يتألف من قِطَعٍ ذات أشكال وطبائعَ شتَّى ؛ مغناطيس كحدوة الحصان ، وأسلاك ، وأذرُع دافعة ، وعَجَلَات ، وتروس ، وما إلى ذلك ، لو أنني استطعتُ أن أُفكِّكَ قطع هذا المحرِّك وأُعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركَّبوها بها ، ثم شغَّلتُه فاشتغل ، أكون قد خطوتُ خطوة نحو سرِّ « موديل » الصناعة الأوربية ، وبحثتُ في رفوف الكتب التي عندي ، حتى عثرتُ على الرسوم الخاصة بالمحركات وأخذت ورقًا كثيرًا ، وأتيت بصندوق أدوات العمل ، ومضيتُ أعمل ؛ رسمتُ المحرك ، بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمل أجزاءه ، ثم جعلتُ أفكِّكُه قطعةً قطعةً ، وكلما فككتُ قطعة ، رسمتُها على الورقة بغاية الدِّقَّة وأعطيتها رقمًا ، وشيئًا فشيئًا فككْتُه كله ، ثم أعدتُ تركيبه، وشغَّلْتُه فاشتغل ، كاد قلبي يقف من الفرح ، استغرقتِ العملية ثلاثة أيام ، كنتُ آكل في اليوم وجبة واحدة ، ولا أُصيب من النوم إلا ما يمكِّنني من مواصلة العمل .

وحملْتُ النبأ إلى رئيس بعثتنا ، فقال : حسنًا ما فعلتَ ، الآن لا بدَّ أن أختبرك ، سآتيك بمحرِّك متعطِّل ، وعليك أن تفكِّكه ، وتكشف موضع الخطأ وتصحِّحه ، وتجعل هذا المحرِّك العاطل يعمل . وكلفتْني هذه العملية عشرة أيام ، عرفتُ أثناءها مواضع الخلل ، فقد كانت ثلاثٌ من قِطَع المحرِّك بالية متآكلة ، صنعتُ غيرها بيدي ، صنعتها بالمِطْرقة والمبرد .

بعد ذلك قال رئيس البعثة ، وكان بمثابة الكاهن يتولى قيادتي روحيًا ، قال : عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ، ثم تركِّبها محرِّكًا . ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقتُ بمصانع صهْر الحديد ، وصهْر النحاس والألومنيوم ، بدلًا من أن أعدَّ رسالة الدكتوراه كما أراد مني أساتذتي الألمان ، تحولتُ إلى عامل ألبس بذْلةً زرقاء وأقف صاغِرًا إلى جانب عامِل صهْر المعادن ، كنتُ أُطيع أوامره كأنه سيد عظيم ، حتى كنتُ أخدمه وقتَ الأكل، مع أنني من أسرة ساموراي ، ولكنني كنتُ أخدم اليابان ، وفي سبيل اليابان يهون كلُّ شيء . قضيتُ في هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات ، كنتُ أعمل خلالها ما بين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم ، وبعد انتهاء يوم العمل كنتُ آخذ نوْبة حراسة ، وخلال الليل كنتُ أُراجع قواعد كلِّ صناعة على الطبيعة .

وعَلِم « الميكادو » - الحاكم الياباني - بأمري ، فأرسل لي من ماله الخاصِّ، خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهب،اشتريتُ بها أدواتِ مصنع محرِّكات كاملة ، وأدوات وآلات ، وعندما أردتُ شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت ، فوضعتُ راتبي وكلَّ ما ادخرتُه ، وعندما وصلتُ إلى « نجازاكي » ، قيل لي أن « الميكادو » يريد أن يراني ، قلتُ : لن أستحقَّ مقابلته إلا بعد أن أُنشئ مصنع محرِّكات كاملًا ، استغرق ذلك تسع سنوات ، وفي يوم من الأيام حملتُ مع مساعدي عشرة محرِّكات ، (صنع في اليابان) **قطعة قطعة** ، حملناها إلى القصر ، ودخل « الميكادو » وانحنينَا نُحيِّيه ، وابتسم وقال : هذه أعذب موسيقى سمعتُها في حياتي ، صوتُ محرِّكات يابانية خالصة . هكذا ملكنا « الموديل » وهو سرُّ قوة الغرب ، نقلناه إلى اليابان ، نقلنا قوة أوربا إلى اليابان ، ونقلنا اليابان إلى الغرب »[1] .

---

(١) مجلة « المجتمع » الكويتية . العدد ٩٩٨ .



الفصل السادس

عُلُوُّ هِمَّـةِ الحيـوانـاتِ

« الأُسْدُ لا تقعُ على الجِيَفِ ولا تأكُلُ البايتَ »



□ عُلُوُّ هِمَّةِ الحيوانات □

«قال تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يَطيرُ بجناحيه إلا أُممٌ أمثالكم ما فرَّطنا في الكتاب من شيءٍ ثم إلى ربهم يُحشرون** ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

قال سفيان بن عيينة : ما في الأرض آدميٌّ إلا وفيه شَبَهٌ من البهائم ؛ فمنهم مَنْ يهتصر اهتصار الأسد ، ومنهم مَنْ يعْدُو عَدْو الذئب ، ومنهم مَنْ ينبح نُباح الكلب ، ومنهم مَنْ يتطوَّس كفعل الطاووس ، ومنهم مَنْ يُشبه الخنازير التي لو أُلقي إليها الطعام الطَّيِّب عافته ، فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه ، فلذلك تجد من الآدميين مَنْ لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها ، وإن أخطأ رجل تروَّاه وحفظه .

قال الخطابي : ما أحسن ما تأول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة ! وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمُه مُطاوعًا لظاهره وجب المصير إلى باطنه ، وقد أخبر الله عن وجود المُماثلة بين الإنسان وبين كل طائر ودابة ، وذلك مُمتنِعٌ من جهة الخلقة والصورة ، وعَدَمٌ من جهة النطق والمعرفة ؛ فوجب أن يكون مُنصرفًا إلى المُماثلة في الطباع والأخلاق . وإذا كان الأمر كذلك فاعلمْ أنك إنما تُعاشر البهائم والسِّباع ، فليكنْ حذرُك منهم وتباعُدُك إياهم على حسب ذلك . انتهى كلامه .

« والله سبحانه قد جعل بعض الدوابِّ كسوبًا مُحتالًا ، وبعضها متوكِّلًا غير مُحتال ، وبعض الحشرات يدَّخر لنفسه قوت سنته ، وبعضها يتَّكل على الثقة بأن له في كل يوم قَدْر كفايته رزقًا مضمونًا وأمرًا مقطوعًا ، وبعضها يدَّخر ، وبعضها لا تكسُّبَ له ، وبعضها يؤثر على نفسه ، وبعضها إذا ظفر بما يكفي أمَّة من جنسه لم يدعْ أحدًا يدنو منه .

وهذا كله من أدلِّ الدلائل على الخالق لها سبحانه وعلى إتقان صُنْعه ، وعجيب تدبيره ولطيف حكمته ، فإنَّ فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحِيَل وحسْن التدبير والتأنِّي لما تريده ، ما يستنطق الأفواه بالتسبيح ، ويملأ القلوب من معرفته »[١] .

يا هذا ، إنَّ « النحل إذا رأتْ بينها نحلة مهينة بطَّالة قطَّعها وقتلها حتى لا تُفسد عليهنَّ بقية العمال وتُعديهن ببطالتها ومهانتها »[٢] .

يقول ابن القيم : « في النحل كرامٌ عمال ، لها سعيٌ وهِمَّة واجتهاد ، وفيها لئامٌ كسالى ، قليلةُ النفع ، مُؤثِرةٌ للبطالة ، فالكرام دائمًا تطردها ، وتنفيها عن الخليَّة ، ولا تُساكنها ؛ خشية أن تُعدي كرامها وتُفسدها » .

« وكلّ نحلة تُريد دخول الخليَّة بعد عودتها يشمُّها البوَّاب ويتفقَّدها ، فإنْ وجد منها رائحة مُنكَرة ، أو رأى بها لطخة من قذرٍ ، منعها من الدخول ، وعزلها ناحية إلى أن يدخل الجميع ، فيرجع إلى المعزولات الممنوعات من الدخول ، فيتفقدّهن ويكشف أحوالهن مرَّةً ثانية ، فمَنْ وجده قد وقع على شيءٍ مُنتن أو نجس قدَّهُ نصفين ، ومَنْ كانت جنايته خفيفةً تركه خارج الخليَّة . هذا دأبُ البوَّاب كلَّ عشيَّة » .

وقوم لوط كانوا أحقرَ هِمَّةً من هذه الحشرة . قال تعالى : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهَّرون** ﴾ [النمل : ٥٦] .

ومن عجيب أمْر النحل أنها تقتل الملوك الظَّلَمةَ المُفسدة ولا تدين لطاعتها ، وتكره النتن والروائح الخبيثة ... ومن بني آدم مَنْ لو كانت

(١) شفاء العليل لابن القيم ص٧٧ - ٧٨ دار المعرفة .

(٢) شفاء العليل ص٦٦ .

للذنوبِ رائحة ما استطاع أحدٌ أن يُجالسه ؛ من نتن رائحته التي لو فاحتْ لضجَّتْ منها المشام ، ومع هذا لا يُقلع عن الغيِّ والآثام .

النملُ وبعدُ هِمَّتِهِ :

« والنملة تخرج من بيتها تطلب قوتها وإنْ بعُدتْ عليها الطريق ، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طُرُقٍ مُعوجَّة بعيدة ، ذات صعود وهبوط ، في غاية من التوعُّر ، حتى تصل إلى بيوتها ، فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان ، ولا تتغذَّى منها نملة مما جمعه غيرها .

والنمل فطرها الله سبحانه على قُبْح الكذب وعقوبة الكذَّاب ، والنمل من أحرص الحيوان ، ويُضرب بحرصه المثل .

وهي على ضعْفها شديدة القوى ، فإنها تحمل أضعاف أضعاف وزنها وتجرُّه إلى بيتها . ولها صِدْقُ الشمِّ ، وبُعْدُ الهِمَّةِ ، وشِدَّةُ الحرصِ . وكلُّ نملة تجتهد في صلاح العامَّة منها غير مُخْتلِسة من الحَبِّ شيئًا لنفسها دون صواحباتها .

ومن عجيب أمْرها أن الرجل إذا أراد أن يحترز من النمل لا يسقط في عسل أو نحوه ، فإنه يحفر حفيرة ويجعل حولها ماءً ، أو يتخذ إناءً كبيرًا ويملؤُهُ ماءً ثم يضع فيه ذلك الشيء ، فيأتي الذي يطيف به فلا يقدر عليه ، فيتسلَّق في الحائط ويمشي على السقف إلى أن يُحاذي ذلك الشيء ، فتُلقي نفسها عليه ، وجرَّبنا نحن ذلك »[1].

المُبدِّلون وتابعوهم أخسُّ هِمَّةً من القرود :

« ومن عجيب أمْر القرد ، ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو

---

(١) شفاء العليل ص٦٨ - ٧٠ .

ابن ميمون الأودي قال : « رأيتُ في الجاهلية قِرْدًا وقردةً زنيا ، فاجتمع عليهما القرود ، فرجموهما حتى ماتا » . فهؤلاء القرود أقاموا حدَّ الله حين عطَّله بنو آدم »[١].

من لم يعرفْ لِمَ خُلق أشدُّ بلادةً من البقر :

وهذه البقرة يُضرب ببلادتها المثل . وقد أخبر النبي ﷺ : « بينما رجل يسوق بقرةً إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نُخلقْ لهذا ، إنما خُلقنا للحرْث » . فقال الناس : سبحان الله ! بقرة تتكلَّم !! فقال عليه الصلاة والسلام : « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر »[٢] .

ومَنْ لم يعرفُ الطريقَ إلى منزله أبلدُ من حمار :

قال ابن القيم : « ومن هداية الحمار – الذي هو من أبلد الحيوان – أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البُعد في ليلة مُظلمة ، فيعرف المنزل ، فإذا خُلِّي جاء إليه ، ويُفرِّق بين الصوت الذي يُستوقف به والصوت الذي يُحَثُّ به على السير »[٣] .

فمن لم يعرف الطريق إلى منزله – وهو الجنة – فهو أبلدُ من حمار !!

ومَنْ لم يُوقِّر العلماءَ فالحيتان أشرفُ منه :

قال ﷺ : « إنه لَيستغفر للعالِم مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ، حتى الحيتان في البحر »[٤].

وقال ﷺ : « إنَّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة

---

(١) شفاء العليل ص٨٤ .
(٢) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الأنبياء .
(٣) شفاء العليل ص٧٤ .
(٤) صحيح : أخرجه ابن ماجه .

في جُحْرها وحتى الحوت ، لَيُصلُّون على مُعلِّم الناسِ الخيرَ »[١] .

فكيف بمن صيَّر العالم النحرير زنديقًا ؟!!

ومَنْ لم يعلمْ كلامَ الأنبياءِ وصدْقَهم فهو أخسُّ من الذئاب :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة فأخذها . فطلبها الراعي فانتزعها منه . فأقعى الذئب على ذَنَبِه . قال : ألا تتَّقي الله ! تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ . فقال : يا عجبي ، ذئبٌ مُقعٍ على ذَنَبِه يُكلِّمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟! محمد ﷺ بيثرب يُخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : « أخبرْهم » . فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق والذي نفسي بيده »[٢] .

ففي هذا الحديث ما يُفيد بأن هذا الذئب كان بالمدينة ، وعلم بما يقوله عليه الصلاة والسلام ، وأدرك مما يقوله عليه الصلاة والسلام ، وحدّده بأنه كلام عن الأمم السابقة . فكيف بمن يعلمون كلَّ شيء عن تاريخ المشركين والفراعنة ، ولا يعلمون زِنةَ خردل ومثقال ذرَّة عن حياة أئمة الموحِّدين من أنبياء الله !! بل - والله - ويقولون في جريدتهم الأهرام : أول مَنْ دعا إلى التوحيد إخناتون ، وهو الذي كان يعبد الشمس ، وأنَّ مزامير داود مُقتبسةٌ من نشيد الرعاة لإخناتون ... كبرتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كذبًا .

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٢) .

مَنْ لم يُوحِّدْ ربَّه ويُبصر نورَ الوحي ، فالهُدهُدُ أرفعُ مكانةً منه :

فقد أنكر الهُدهد على قوم سبأ عبادتهم للشمس من دون الله . فقال تعالى : ﴿ **وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الخبءَ في السمٰوات والأرض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون** ﴾ [النمل : ٢٤ - ٢٥].

فكيف لو رأى الهُدهُدُ غاندي وقومَهُ وعَبَدَةَ الفئران ؟!

إن الهُدهُد أنكر على قوم بلقيس عبادتهم للشمس ، فكيف لو رأى غاندي زعيم الهند وقومَه الذين يعبدون البقر أشدَّ الحيوانات بلادةً ؟!

قال غاندي : « عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانًا ؛ لأني أعبد البقرة ، وسأُدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع » . وقال : « وأُمِّي البقرة تفضُلُ أمِّي الحقيقية من عدَّة وجوه: فالأم الحقيقية تُرضعُنا مُدَّة عام أو عامين وتتطلَّب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أُمّنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا ، ولا تطلب منّا شيئًا مُقابل ذلك سوى الطعام العادي » . وقال : « إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال ، وأنا أعدُّ نفسي واحدًا من هؤلاء الملايين »[1] .

قال الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر : « قد قرأتُ في مجلة العربي التي تصدُرُ في الكويت عن معبد فخم مكْسُوٍّ بالرخام الأبيض تُرسَل إليه الهدايا والألطاف من شتى أنحاء الهند،بقي أن تعلم أنَّ الآلهة التي تُقدَّمُ لها القرابين وتُرسَل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنما هي الفئران »[2].

---

(١) مقارنة الأديان ٣٢/٤ .

(٢) الرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر ص٣٧ - ٣٨ ، مكتبة الفلاح ، ودار النفائس .

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس . قال تعالى : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلًا** ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

قال أبو جعفر الباقر : والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضلّ سبيلًا .

الحيوان أعلى هِمَّةً وأعظمُ قدرًا من أغبياء بني آدم :

وذلك ؛ لأنه يُسبِّح مولاه ويُشفق منه .

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تستقلُّ الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبَّح الله بحمده ، إلا ما كان من الشياطين ، وأغبياء بني آدم »(١) .

وقال ﷺ : « ما من دابة إلا وهي مُصيخة(٢) يوم الجمعة ؛ خشية أن تقوم الساعة »(٣).

وقال ﷺ : « لا تطلعُ الشمس ولا تغربُ على أفضل من يوم الجمعة ، وما من دابة إلا وهي تفزع ليوم الجمعة ، إلا هذين الثقلين : الجن والإنس »(٤).

---

(١) حسن : أخرجه ابن السُّنِّي ، وأبو نعيم في الحلية ، وحسَّنه الألباني في الصحيحة رقم (٢٢٢٤) ، وصحيح الجامع رقم (٥٥٩٩) .

(٢) منصتة ومُستمعة ومُصغية ، تتوقع قيام الساعة .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد في مسنده ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٤٥٧) .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد في مسنده ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٤٨٦) .

الخُنْفُساءُ وعُلُوُّ الهمَّةِ في الصبر :

قيل لرجل : مَنْ علَّمك اللِّجاجَ في الحاجة والصبر عليها وإن استعصتْ ؟ قال : مَنْ علَّم الخنفساء إذا صعدت في الحائط ؛ تسقط ثم تصعد ثم تسقط ، مرارًا عديدة ، حتى تستمرَّ صاعدة !!

الغراب والبكور :

والغراب يُضرب به المثل في البكور . فيُقال : بكور كبكور الغراب.

وقيل لرجل:مَنْ علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخلُّ به ؟ قال: مَنْ علَّم الطَّيْرَ تغدو خماصًا كلَّ بُكرة في طلب أقواتها، على قُرْبها وبُعْدها ، لا تسأم ذلك ، ولا تخاف ما يعرض لها في الجوِّ والأرض !!

أبو أيوب (الجمل) وصبْرُه :

وقيل لآخر : مَنْ علَّمك الصبر والجلَدَ والاحتمال ؟ قال : مَنْ علَّم أبا أيوب صبْره على الأثقال والأحمال الثقيلة والمشي والتعب وغلظة الجمّال وضربه ، فالثِّقَلُ والكَلُّ على ظهره ، ومرارة الجوع والعطش في كبده ، وجهْد التعب والمشقَّة ملأ جوارحه ، ولا يعدل به ذلك عن الصبر !!

الدِّيك وحُسْنُ إيثاره :

وهذا الديك ، يُصادف الحبَّة في الأرض وهو يحتاج إليها فلا يأكلها ، بل يستدعي الدجاج ويطلبهن طلبًا حثيثًا ، حتى تجيء الواحدة منهن فتلقطها وهو مسرور بذلك طيِّب النفس به ، وإذا وُضع له الحَبُّ الكثير فرَّقه هاهنا وهاهنا وإن لم يكن هناك دجاج ؛ لأن طبعه قد أَلِفَ البذل والجود ، فهو يرى من اللُّؤم أن يستبدَّ وحده بالطعام .

بل واللهِ يسهر ليوقظ غيره !!

فعن زيد بن خالد رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام :

« لا تسبُّوا الدِّيك ؛ فإنه يدعو إلى الصلاة » . وفي رواية أبي داود : « فإنه يوقظ للصلاة »[(١)].

مَنْ لا يدعو عند الفَجْر ، فالخيلُ أكرمُ منه :

وإنْ تعجبْ لهِمَّة الخيل فاعجبْ :

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذن له مع كل فجر ، يدعو بدعوة ، يقول : اللهم إنك خوَّلتني مَنْ خوَّلتني من بني آدم ، فاجعلني من أحبِّ أهله وماله إليه »[(٢)] .

بل ويخبرنا ﷺ بإكرام الله له ، فيقول : « إنَّ هذا الفرس قد استُجيب له دعوته »[(٣)].

الأُسْدُ لا تقع على الجِيَفِ ولا تأكل البايت :

الأُسْدُ لا تأكل إلا من فريستها ، وإذا مرَّ الأسد بفريسة غيره لم يدنُ منها ولو جهده الجوع !

والذئبُ أعلى هِمَّةً من الجيفة بالليل ، النؤوم :

الرجل الذي يأكل كثيرًا وينام كثيرًا ويُميته ويُفقره نومُه ؛ الذئب أعلى هِمَّةً منه ، فالذئب إذا نام « جعل النوم نُوَبًا بين عينيه ، فينام بإحداهما ، حتى إذا نعست الأخرى نام بها وفتح النائمة ، حتى قال بعض العرب :

ينامُ بإحدى مُقلتيه ويتَّقي ... بأخرى المنايا فهو يقظانُ نائمُ »[(٤)]

---

(١) صحيح : رواه أحمد وأبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧١٩١) .

(٢) صحيح : رواه أحمد ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٤١٠) .

(٣) صحيح : رواه أبو داود ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٣) .

(٤) شفاء العليل ص٧٦ .

ومَن لا يُغيثُ الملهوفَ ، فالعصفورُ أشرفُ منه :

« فالعصفورة إذا سقط فرخُها تستغيث ، فلا يبقى عصفور بجوارها إلا جاء ، فيطيرون حول الفرخ ، ويُحرِّكونه بأفعالهم ، ويُحدِثون له قوةً وهِمَّةً حتى يطير معهم »[1].

من لم يكن عصاميًّا فليستح من الحَمَام :

فالحمام يزقُّ الحَبَّ لفرخه ، « فإذا أطاق اللقْط منعه أبواه الزقَّ على التدريج ، فإذا تكاملت قوَّتُه وسألهما الكفالة ضرباه »[2].

في الحيوانات أخيارٌ وأشرارٌ ، فالتقطْ خيرَ الخِلال ، وخلِّ خسيسها :

« إذا لم تنفع أخاك فلا تؤذِه ، وإن لم تُعطِه فلا تأخذْ منه ، لا تُشابهنَّ الحيَّة ، فإنها تأتي إلى الموضع الذي قد حفره غيرها فتسكنه .

ولا تتمثّلنَّ بالعُقاب ، فإنه يتكاسل عن طلب الرزق ، ويصعد على مرقب عالٍ ، فأي طائر صاد صيدًا اتبعه ، فلا تكون له هِمَّة إلا إلقاء صيده والنجاة بنفسه .

في الحيوانات ، أخيار وأشرار كبني آدم ، فالتقطْ خيرَ الخِلال ، وخلِّ خسيسها :

لا تكنِ العصافير أحسنَ منك مروءةً ، إذا أُوذي أحدها صاح ، فاجتمعن لنُصرته ، وإذا وقع فرْخُها ، طِرن حوله يُعلِّمنه الطيران .

يا هذا ، تخلَّقْ في إعانة الإخوان بخُلُق النملة ، فإنها قد تجد جرادةً لا تُطيقُ حمْلَها ، فتعود مُستغيثة بأخواتها ، فترى خلفها كالخيط الأسود قد جئن لإعانتها ، فإذا وصلن بالمحمول إلى بيتها رفَّهنه عليها .

هيهات ، إن الطبع الردي لا يليق به الخير :

---

(١)،(٢) شفاء العليل ص٧٦ .

هذه الخُنْفُساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرَّكْ ، فإذا أُعيدتْ إلى الرَّوث رتعتْ .

وما يكفي الحيَّة أن تشرب اللبن ، حتى تمجَّ سُمَّها فيه ، « وكُلٌّ إلى طبعه عائد » إلَّا أن الرياضة قد تُزيل الشرَّ جملةً ، وقد تُخفِّف .

إنْ دُمتَ على سلوك الجادة ؛ رجوْنا لك الوصول وإن طال السُّرى .

يا هذا ، الفيل والجَمَل يسبحان ، ولكنّ الفيل مليح السباحة ، والجمل يسبح على جنب ، فيفتضح عند سباحة الفيل ، ثم كلاهما يعبر »[1] .

هـو الكونُ حيٌّ يُحبُّ الحيـاةَ ... ويحتقـرُ الميْـتَ مهما كبُـرْ
فلأ الأُفْقُ يحضنُ ميْتَ الطيورِ ... ولا النحلُ يلثمُ ميْتَ الزَّهَـرْ

أخي :

كُنْ كالنســورِ على الـذُّرا ... تُصغي لوشـوشـةِ القمـرْ
إيــاك أن تكـنِ الغــرا ... بَ يُرمِّمُ الجِيفَ الحقيرةَ في الحُفَرْ

لله دَرُّك كالنسر نُريدك تصيح :

إنَّ المعاولَ لا تهدُّ مناكبي ... والنارُ لا تأتي على أعضائي
فارموا إلى النارِ الحشائش والعبوا ... يا معشرَ الأطفالِ تحت سمائي
وإذا تمرَّدت العواصفُ وانتشى ... بالهولِ قلبُ القُبَّةِ الزرقـاءِ
ورأيتمـوني طائـرًا مُترنِّمًـا ... فوق الزوابع في الفضاءِ النائي
فارموا على ظلِّي الحجارةَ واختفوا ... خوفَ الرِّياحِ الهُوجِ والأنواءِ
وهناك في أمنِ البيوتِ تطارحوا ... غثَّ الحديثِ وميِّتَ الآراءِ
وترنَّموا ما شئتمُ بشتائمـي ... وتجاهروا ما شئتـمُ بعـدائي
أما أنا فأُجيبُكم من فوقِكم ... والشمسُ والشفقُ الجميلُ إزائي

(١) المدهش لابن الجوزي ص٥٥٠ - ٥٥١ .

مَنْ جاشَ بالوحي المُقدَّسِ قلبُهُ ... لم يحتفلْ بحجارةِ الفلتـاءِ[1]

* * *

(١) « نشيد الجبار » لأبي القاسم الشابي ص١٨٠ - ١٨١ من ديوان « أغاني الحياة » .

الفصل السابع

دَنَاءَةُ الهِمَّـةِ

أتاني منكِ سبُّكِ لي فسُبِّي ... أليسَ جرىٰ بِفِيكِ اسْمي فَحَسْبِي

« مَنْ كانَ همُّهُ ما يأكُلُه ؛ فقِيمتهُ ما يُخْرِجُه »

□ دَنَاءَةُ الهِمَّـةِ □

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستأتي على الناس سُنونٌ خدَّاعة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتَمنُ فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطِق فيها الرُّوَيْبِضَةُ». قيل: وما الرُّوَيْبضة؟ قال : « السفيه يتكلَّم في أمْر العامَّة »[1] .

نعم .. يعلو التحوتُ الوعولَ .. كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « فُسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يُرْفَعون فوق صالحيهم . والوعول أهل البيوت الصالحة »[2] .

ومع دناءة الهِمَّة وخساستها ، لا تجد إلَّا قحطًا في الرجال بل في زماننا هذا يحيض الرجال .

دهرُنا هذا قد غربلَ أَهْلِيهِ أشدَّ غربلةٍ ، فسفسف أخلاقهم ، وسفّه أحلامهم ، وخبَّث ضمائرهم .

تمامًا مثل ما قال ابن حزم في ملوك الأندلس وحرصهم على عروشهم : « والله لو علموا أن في عبادة الصُّلبان تمشية أمورهم بادروا إليهم ، فنحن نراهم يستمدُّون النصارى ، فيُمكِّنوهم من حُرم المسلمين وأبنائهم ، وربَّما أعطوهم المدن والقلاع طَوْعًا ، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس »[3] .

هانت عليهم المنابر والمحاريب والجوامع ، فما لبثوا أن أُقيم بها الصلبان

---

(١) إسناده جيد : رواه أحمد ، وقال ابن كثير في « النهاية في الفتن والملاحم » (١/١٨١) : هذا إسناد جيد و لم يخرِّجوه من هذا الوجه . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده حسن ، ومتنه صحيح .

(٢) أشراط الساعة ، للشيخ يوسف الزامل صـ ١٨٠ - دار ابن الجوزي .

(٣) رسائل ابن حزم ٣ / ١٧٦ .

وثبتت بها القساوسة والرُّهبان ، كلُّهم يقول : رَعْيُ الخنازير أَوْلَى من رعي الجِمال .

كلُّهم صار أحطَّ من أبي عبد الله الصغير ، الذي ضاعت على يديه الأندلس، وقالت له أُمُّه: ابكِ بكاء النساء مُلكًا، لم تُحافظ عليه مثل الرجال.

يقول أحد ملوك العرب المعاصرين : « أنا لا أسعى لعقد صُلحٍ مع إسرائيل ، بل أُهروِل هرولةً » . نعم فهو من صانعي السلام في مدريد .

لم يَسْتَقِلُّوا الصَّافِناتِ وإنَّما ... ركِبُوا بغالًا سَعْيُهُنَّ ثقيلُ

جاءوا يَسُوقهمُ الأَعادي عَنْوةً ... فهمُ لهم بين الأنامِ ذُيُولُ

جاءوا ويا بئس المجيء كأنهم ... حُمُرٌ تُساقُ إلى الرَّدَى وعُجُولُ

ليست خيولهم بالعاديات ضبحًا ، ولا هي بالموريات قدحًا ، وما هي بالمغيرات صبحًا .

لهم شموخُ المُثَنَّى ظاهِرًا ولهم ... هَوى إلى بابك الخَرْمِيِّ يَنْتَسِبُ

الحاكمون وواشنطن حكومتُهم ... واللَّامِعُون وما شعّوا وما غربُوا

وما تزال بقلبي ألف مبكيةٍ ... من رهْبةِ البَوْحِ تستحيي وتضطرِبُ

يَكفيك أن عِدانا أهدروا دمنا ... ونحن من دَمِنا نحْسُو ونَحْتَلِبُ

في الماضي كان الجندي التتري يأمر المسلم دنيء الهمَّة « بالقعود مكانه ، ريثما يذهب فيُحضر حجرًا فيقتله به ، فيستسلم لذاك »[1] .

«وفي عصرنا هذا شاهدتُ - كما شاهد غيري في كلِّ مكان - الجندي العراقي المسلم الأسير في حرب الخليج ، وهو يُقبّل يد وقدم الجندي الأمريكي ، ويتذلَّل أمامه ويسأله العفو والمغفرة ، ويردّ العِلْج الصليبي على الجندي العراقي برطانةٍ صليبيَّةٍ وقحة : لا بأس عليك ، أو لا تخف »[2] .

---

(١) علو الهمة ، لمحمد أحمد إسماعيل صـ ٣٢٥ .

(٢) الجزاء من جنس العمل ١ / ٥٦٧ الطبعة الأولى .

في هذا العصر الذي قال فيه قائل العرب : « إني أعرف مكانة أُمّ كلثوم عند العرب.. وأعرف كذلك أن حبّ الكثيرين لها يُوازي حبَّهم لفلسطين»[(١)].

وحتى يقول صالح جودت شاعرهم ، في قصيدة عنوانها : « دور الشعر والفنّ في تعزيز أخلاق الأُمّة أو انحلالها » ، في الملتقى الفكري الإسلامي التاسع بمدينة تلمسان بالجزائر ، أول شهر رجب سنة ١٣٩٥ هـ .

وبئس ليل ما به آهةٌ   من أُمّ كلثوم ومن أسمهان[(٢)]

إي والله هكذا !!

« ودولة عربية تمنح غانية مِزْواجةً وماجنةً لعوبًا ، لقب « فارس » ... وقلَّدتْها في حفل رسميٍّ ضمَّ القادة والسادة .. أرفع وسام ! » .

أعجيبٌ أن تستبدَّ لَعُوبٌ   قد علا كعبُها على كلِّ هامِ
تُصدر الأمر للزعيم فَيَهْوِي   صاغرًا عند ساقِط الأقدام
يا بلادًا عزَّ الفوارسُ فيها   وخلا ساحُها من الضِّرغام
واستبدَّ البُغَاثُ في ذروةِ النَّسرِ   وقاد الأُسودَ سربُ النّعامِ[(٣)]

« في زمنٍ أصبحت راقصة فيه هي الرمز والقدوة والمثل .. تستطيع أن تُشعل حربًا أو تمنعها .. في وقتٍ يفشل الساسة .. أصبحت رمزًا لكلِّ شيءٍ ؛ السياسة ، والفكر،الأدب ، الكتابة .. حتى الاقتصاد »[(٤)] .

« في عصرنا هذا ، رأيتُ في الجرائد – كما رأى غيري – صورة وزير يهوديٍّ في الحكومة الإسرائيلية ، يدخل إلى الجامع الأزهر كسائح ، ويبلغ به الصلف والكِبْر أن لا ينحني ليفكَّ رباط حذائه ، ويركع تحت قدميه شيخٌ معمَّم

---

(١) في رحاب الأقصى ، ليوسف العظم صـ ٢١٢ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٩٤ .

(٤) زمن فيفي عبده ، لعماد ناصف صـ ١١ – المركز العربي للصحافة والنشر .

ممن يعملون بالمسجد ؛ ليفكّ له الرباط »[١] .

بل والله تدخل اليهوديات شبه عرايا إلى ساحة المساجد .

بنتُ صهيونٍ في المساجد تلهو قد تعرَّتْ أفخاذُها والنّهودُ
بنتُ صهيونٍ في المدائن تجري «ويهوذا» على القِبابِ يُشيدُ
وعلى «القدس» مِسْحَةٌ من ضياعٍ وبكى يومَها الترابُ الشهيدُ
ارقُصِي بنتَ صهيونٍ وتيهي فوقَ أشلائنا فنحن عبيدُ
مَلَكَ الخوفُ فِكْرَنا واستَبَاهُ واستبدَّ الخَنَا بنا والجحودُ
كيف تغشَى الوَغَى نفوسُ عبيدٍ أثقلتْها مظالمٌ وقيودُ
وتُطيلُ السجودَ في كلِّ حِينٍ ولغير الإلهِ ذاكَ السجودُ[٢]

ولا تعجب ؛ فنحن في عصر التطبيع بـ « المايوه » الإسرائيلي .. فها هو « مؤتمر يُعقد في القاهرة تحت رعاية المفوّضية الأوربية والغرفة التجارية الألمانية ، وشارك فيه (١٥٠٠) من رجال الأعمال وأصحاب الشركات الخاصة من مصر وإسرائيل والأردن وفلسطين ودول أوربية أخرى ، وشارك في المؤتمر عدد من المسئولين المصريين إلى جانب رجال الأعمال ، ومن الجانب الإسرائيلي شارك ميخا هاريش وزير الصناعة الإسرائيلي .. وقام الوفد الإسرائيلي بتوزيع «مايوهات» مثيرة فاضحة، مع كتالوج فاخر بالألوان لعددٍ من الفتيات الإسرائيليات يرتدين المايوهات ، ووزَّعت إحدى الشركات بيانًا أكَّدت فيه أنها ترغب في أن ترى على فتيات مصر المايوه الإسرائيلي.. ولم يستطعْ أحد أن يُجيب.. لماذا المايوهات في مؤتمر سياسي اقتصادي؟!! ولماذا توزيع صُوَر الداعرات الإسرائيليات على الوفود العربية في المؤتمر؟! وغار الوفد المصري !!! فدعا رجالُ الأعمال

(١) الجزاء من جنس العمل ١ / ٥١٧ .
(٢) قصيدة « بنت صهيون » من ديوان عصر الشهداء ، لنجيب الكيلاني صـ ٩٨ - ٩٩ ، مؤسسة الرسالة .

المصريون نظراءهم الإسرائيليين تحت سفح الهرم ، حيث أُقيم عشاء راقص في خيمة كبيرة أُقيمت على مساحةِ فدّان تحت سفح الهرم ، واصطفّت الموائد العامرة بكل ما لذَّ وطاب من الأطعمة والشراب والخمور .. فقد تمَّ ذبْحُ وطهْي عشرات الأطنان من الخِراف المشويَّة والدُّيوك الرُّوميَّة ، إلى جانب الموز والتفاح الإسرائيلي- تكامُلٌ حتى في الأكل!!- ودارت الكئوس، وبعدها دارت الرؤوس، ورقصت الراقصة الشهيرة للإسرائيليين قبل المصريين وسط سكارى التطبيع، ورقص الإسرائيليون ومعهم الفلسطينيون.. بل إن بعض الفلسطينيين كانوا يُغنُّون: وستبقى الراية منتصبة و.. فوجئ الجميع بالراقصة المشهورة تأخذها نوبة حماس ، وتختم الرقص في هذا الجوِّ الأزرق بأغنية: يا أحلى اسم في الوجود يا مصر!!»[1] .

وشواطئ العراة الخاصّة بالسياح من اليهود، والتي لا يدخلها المصريون ، وما يتمّ فيها من فُحشٍ وزنا وشذوذ ، لا عهد لقوم لوط به[2]، يَصْدُقُ فيهم قول القائل :

وكنتُ امرأًمن جُندِ إبليس فارتقى	بيَ الدَّهْرُ حتى صار إبليسُ من جُنْدي
فلوْ مات قبلي كنتُ أُحسِنُ بَعْدَهُ	طرائقَ فِسْقٍ ليس يُحسِنُها بعدي

انتصارات السَّاسة :

هذا عصرنا .. فلا تعجب حين يُسأل زعيمٌ سياسيٌّ قديم ، وقد رُئِي يومًا ضاحك الأسارير بادي السرور ، فلمَّا سُئل عن ذلك قال : « وما لي لا أكون كذلك ، وقد أحرزتُ في هذا اليوم ثلاثة انتصارات ؟! فقال له محدِّثُهُ : لك الحق إذن في تهلُّلِك وفرحك ، فنحن في زمنٍ لا نكاد نظفر فيه بانتصارٍ واحدٍ بين مئات الهزائم

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ٧٧ - ٧٩ .

(٢) ومن شاء أن يُطالع ، فليطالع كتاب « عرايا إسرائيل فوق أرصفة العرب » لعصام كامل - الطبعة الثانية - مصرية للنشر والإعلام صـ ١٠٣ ، وكلامه عن استعراض الإستربتيز في بعض الحفلات الخاصة جدًّا صـ ٥٦ .

ولكن قُل لي : ما هي هذه الانتصارات ، إن لم تكُن سرًّا من الأسرار ؟ قال : أمَّا الانتصار الأول ، فقد دخلتْ غرفة نومي من ثلاثة أيام ، ذبابةٌ أزعجت نهاري وأرَّقتْ ليلي ، وقد حاولتُ جهدي طرْدها أو قتْلها ، فلم أُفلح ، إلى أن ظفرتُ بها هذا اليوم فقتلتُها شرَّ قتْلةٍ ، وألقيتُها حيث لا يمكن أن تعود ، حتى لو عادت إليها الحياة . قلتُ : والانتصار الثاني ؟ قال : الانتصار الثاني شعرت به وأنا أزِنُ نفسي في الحمَّام ، إذ هبطَ وزني من تسعة وتسعين كيلو ، إلى ثمانية وتسعين ، وسبعمائة وخمسين جرامًا . قلت : والانتصار الثالث ؟ قال : لعبتُ اليوم بالنَّرد مع صديقنا فلان ، فغلبته مرتين متواليتيْن ، وهو الذي كان يغلبني باستمرار .. أفتراني بعد ذلك كلّه حقيقًا بما أنا عليه من السعادة والطلاقة والمرح ؟ قلت : بلى ، بلى »[1] .

بل وهناك انتصار آخر ، يحكيه الدكتور عبد الله عزام في كتابٍ له ، عمَّا حدث في الليلة السابقة لمعركة ٥ يونيو ، حيث جُمع كبار الطَّيَّارين ليلًا مع الداعرات والعاهرات طول الليل ، وكما قالوا : « انتصر الميج المصري على الميراج الإسرائيلي » . والميراج هنا هنَّ الداعرات البغايا :

أترعَ الماجنُ كأسًا من دِمانَا وسقاها لبغيٍّ أُرجُوانا
ليلةٌ حمراءُ ما أتْعسَهَا مُلئت ذُلًّا رهيبًا وهوانا
وإذا الدارُ بَنُوها فَرَّطُوا لا تلوموا الذئبَ أن يَرعى حِمانا

وأدنى الناس همَّةً علماء السوء .. علماء الضِّرار .. هذه العمائم الرمم لا القمم ؛ قال ﷺ : « أكثر منافقي أُمتي قُرَّاؤها». وقال ﷺ: «غير الدَّجَّال أخْوَف على أُمَّتي : الأئمة المُضِلُّون » .

كل حُسْنٍ شاهَ في مِرْآتِهِ في الجُسُومِ السُّمُّ من جُرعاتِهِ

---

(١) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٢٦، ٣٢٧- نقلًا عن مجلة «الرائد» العدد ١٥٧ صـ ٣٣-٣٤ . كتبه ع . حسان .

تِهنُ الأعصابُ من أفيونِهِ ويموت الحيُّ من تلحينِهِ
يَسلُبُ السَّروَ[١] جميلَ المَيَلْ ويَرُدُّ الصقرَ مِثْلَ الحَجَلْ
يُسْحَرُ الرُّبَّانُ منها باللُّحُونْ ولِقاعِ البحرِ تهوي بالسَّفِينْ
يُلْبِس النَّفْعَ لِباسَ الضَّررِ ويُري الحُسنَ قبيحَ الصُّوَرِ
في بحارِ الفِكرِ يُلقيك فَلا تشتهيه أو تُطيقُ العَمَلا
نوَّمتْ ألحانُهُ يقظتَنا أطفأتْ أنفاسُهُ شُعلتَنا
أنت للذُّلِّ أَرَحْتَ البَدَنا أنت للإسلام عارٌ في الدُّنا
عاجزُ الهِمَّة مِنْ ذِلَّتِكا وعليلُ الروح مِنْ عِلَّتِكا[٢]

وقال رحمه الله :

شيخُنا باعَ الدُّمَى مِلَّتَهُ جاعلًا زُنَّارَهُ سُبْحَتَهُ
شيَّخ الشيخَ بياضُ الشَّعَرِ وهو للأطفالِ مِثْلُ السُّخَرِ
أعينٌ عُمْيٌ حكاها النَّرجسُ وصدور من قلوبٍ تفلسُ
عبَّد الأشياخَ فينا المنصبُ حُرمةُ الأُمَّة منهم تذهبُ
واعظٌ عيناهُ شَطْرَ الوَثَنِ وفتاوى تُشتَرَى بالثمنِ
وَجههُ للحانِ ولَّى شيخُنا يا رفاقي بعدُ ما تَدْبيرنا

ولدناءة الهمَّة أسبابٌ، منها: الأوَّل: الوَهَن «حُبُّ الدُّنيا وكَرَاهِيَةُ الموت»:

قال الله تعالى : ﴿ **يأيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفرُوا في سبيل الله اثَّاقلتم إلى الأرض أرَضِيتُم بالحياة الدُّنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلَّا قليل** ﴾ [التوبة: ٣٨]. فثقْلة الأرض ومطامع الأرض وتصوُّرات الأرض .. ثقلة الخوف على الحياة والخوف على المال والخوف على اللذائذ والمصالح

---

(١) السرو : نبات طويل يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل .

(٢) ديوان الأسرار والرموز لمحمد إقبال ، صـ ٣٣- ٣٤، ٦٢- ٦٣ .

والمتاع .. ثقْلة الدَّعَة والراحة والاستقرار .. ثقلة اللذَّات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب .. ثقْلة اللحم والدم والتراب ، تشدُّ إلى أسفل ، وجاذبية الأرض تُقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنَّ هؤلاء يُحبُّون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا** ﴾ [الإنسان: ٢٧]. «إن هؤلاء ، القريبي المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصوُّرات .. هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون في العاجلة ... إن هؤلاء لا يُطاعون في شيء ، ولا يُتبعون في طريق ، ولايلتقون مع المؤمنين في هدفٍ ولا غاية، ولا يُؤبه لما هم فيه من هذه العاجلة؛ من ثراء وسلطان ومتاع، فإنما هي العاجلة، وإنما هو المتاع القليل، وإنما هم الصغار الزهيدون»(١).

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «سيكون في آخر الزمان قومٌ يجلسون في المساجد حِلَقًا حِلَقًا، إمامُهم الدنيا؛ فلا تجالسوهم، فإنه ليس لله فيهم حاجة»(٢).

يا زَمِنَ الهِمَّة ، يا مُقْعَدَ الهزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن ، لو كنتَ من رياش الدنيا أكْسى من الكعبة ؛ لم تخرُج منها إلَّا أعْرَى من الحَجَر الأسود !!

قيل لرجلٍ : ما الذي حبَّب إليك الخلْوة ، وطَرَدَ عنك الفتْرة ؟ قال : وثْبةُ الأكياس من فخِّ الدنيا . وقيل لآخر : لِمَ تخلَّيتَ عن الدنيا ؟ فقال : خوفًا والله من الآخرة أن تتخلَّى منِّي .

مَنْ غرسَ في نفسه شرف الهمَّة فنَبَت ، نَبَتْ عن الأقذار ، ومَن استقرَّ رُكن عزيمته وثبتَ ، وَثَبَتْ نَفْسُهُ عن الأكدارِ .

---

(١) الظلال ٣٧٨٦/٦ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني ، وأبو إسحاق الزكي في « الفوائد المنتخبة » ، وابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرك عن أنس ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١١٦٣) .

يا هذا ، خَسَّتْ هِمَّةُ فرعون ، فاستعظم الحقير : ﴿ **أليس لي مُلْكُ مصرَ** ﴾ . يا دني النفس ، حمارُك ينهق من كفِّ شعيرٍ يراه . الدنيا كلُّها بعوضةٌ ، فما نسبةُ مصر إليها .

يا هذا ، إنما خُلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبرها لا لتعمرها ، فاقتل هواك المايل إليها ، واقبل نُصحي لا تُعوِّلْ عليها .

يا هذا ، سبعة يُظلّهم الله في ظلّه ؛ منهم رجل دعتْه امرأة ذات منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخشى الله . اسمع يا مَنْ أجاب عجوزًا على مزبلة ! ويحك ، إنها سوداء ،ولكن قد غلبتْ عليك . من لا هِمَّة له سوى جمع الحطام معدودٌ في الحشرات .

واعجبًا لنفاسة نفْسٍ رُفعتْ بسجود الملك ، كيف نزلت بالخساسة حتى زاحمتْ كلابَ الشَّرهِ على مزابل الذُّلِّ! هيهات لن تُفلح الأُسدُ إذا أُنفقت عليها الميتاتُ الفسدُ .

يا ذا اللُّبِّ، حدِّثني عنك، أتنفقُ العمرَ الشريفَ في طلب الفاني الرذيل؟! إنّ الهوى مِرْعادٌ مِبْراق ، بلا مطر . الدنيا لا تُساوي نقْل أقدامِك في طلَبها . أرأيتَ غزالًا يغدو خَلْف كلب ؟! الدنيا مَجَاز ، والأُخرى وطن ، والأوطار في الأوطان أطوار . إيثار ما يفنَى على ما يبقَى ، بِرْسام[1] حادّ . يا أبناء الدنيا ، إنها مذمومة في كلِّ شريعة ، والولد عند الفقهاء يتبعُ الأُمَّ . يا مَنْ هو في حديثها أنطقُ من سَحبان[2]، وفي انتقاد الدنانير أنسبُ من دغفل[3]. فإذا ذُكرتِ الآخرة فأبلهُ من باقِل[4]. حيلتُك في تحصيلها أدقُّ من الشَّعر ، وأنت في تدبيرها أصنعُ

(١) بِرْسام : ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .
(٢) سَحْبان : بليغ يُضرب به المثل .
(٣) دغفل : اسم رجل ، وهو دغفل بن حنظلة النسَّابة ، من بني شيبان .
(٤) باقل : اسم رجل يُضرب به المثل في العيِّ والعجز عن الكلام .

من النحل ، ، وعينُ حرْصِك عليها أبصرُ من العُقاب[1]، وبطنُ أملِك أعطشُ من الرمل ، وفمُ شرهِك أشربُ من الهِيم[2]. تجمع فيها الدُّرَّ جمْع الذَّرّ. يا رفيقًا في البَلَهِ لِدُودِ القَزِّ ! واعجبًا ، ما انتفعتَ بموهبة العقل !!

كدودٌ كدودِ القَزِّ ينسجُ دائمًا ويهلكُ غمًّا وسطَ ما هو ناسجُهْ

ويْحكَ، إنّ سرورَها أقتلُ من السُّمِّ ، وإنّ شرورَها أكثرُ من النمل . إنها في قلبك أعزُّ من النفس ، وستصير عند الموت أهونَ من الأرض . حِرْصُك بعد الشيب أحرُّ من الجمر ، أبقي عُمْر ؟! يا أبردَ من الثلج ، يا مَنْ هو عن نجاته أنومُ من فهد . ضيَّعتَ عُمرًا أنفسَ من الدُّرِّ . أنت في الشرِّ أجرى من جواد ، وفي الخير أبطأُ من أعرج . تسعى إلى العاجل سعْيَ رخٍّ[3]، وتمشي في الآجل مشْي فرزان[4]. الزكاةُ عليك أثقلُ من أُحُد ، والصلاة عندك كنقل صخر على ظهر ، وطريق المسجد في حُسبان كَسَلِكَ كفرْسَخي دبر كعب . صدرُك عن حديث الدنيا أوسع من البحر ، ووقت العبادة أضيق من تسعين . معاصيك أشهر من الشمس، وتوبتُك أخفى من السُّهى[5]. إنْ عرضتْ خطيئة وثبتَ وثوب النمر ، فإذا لاحت طاعةٌ رُغتَ رَوَغان الثعلب . تُقدِمُ على الظُّلم إقدام السَّبُع ، وتخطف الأمانةَ اختطاف الحدأة . يا أظلم من الجلَنْدى[6]، ما تأمنك غزلان الحرم ، يا كنعان الأمل ، يا نمروذ الحيل ، يا نعمان الزلل ، أنت في حُبِّ المال شبه الحباحب ، وفي تبذير العمر رفيق حاتم . تمشي في الأمل على طريق أشعب ، وستندم ندامة الكسلى . يا عذريَّ الهوى في حُبِّ الدنيا ،

---

(١) العُقاب : طائرٌ حادُّ البصر .
(٢) الهِيم : الإبل العِطاش .
(٣) سعْي رخٍّ : أي سعيًا حثيثًا سهلًا .
(٤) مشْي فِرْزان : أي مشيًا بطيئًا .
(٥) السُّهى : كوكب خفيٌّ .
(٦) الجلَنْدى : الفاجر والعاجز .

يا كوفيَّ الفقه في تحصيلها ، يا بصريَّ الزهد في طلب الآخرة ؛ إنما يُتعبُ في تعليم البازي ليصيد ما له قدْر ، ولمَّا تعلَّم بازي فكْرك ؛ أرسلتَه على الجيَف .

إخواني ، احذروا الدنيا ؛ فإنها أسْحَر من هاروت وماروت ، ذانك يُفرِّقان بين المرء وزوجه ، وهذه تُفرِّق بين العبد وربِّه ! وكيف لا ، وهي التي سحرتْ سحرةَ بابل . إنْ أقبلتْ شغلتْ ، وإن أدبرتْ قتلتْ .

نظرتْ فأقصدتِ الفؤادَ بسهمِها ... ثم انثنتْ عنه فكاد يهيمُ

ويلاه إنْ عَرَضَتْ وإن هي أعرضتْ ... وقْعُ السِّهامِ ونزْعُهُنَّ أليمُ

كم في جَرْعِ لذَّاتِها مِن غصص ، طالبُها معها في نَغَص .

بكى عليها حتى إذا حَصَلَتْ بكى ... عليها خوفًا مِن الغيَر

إنها إذا صَفَتْ حَلالًا ؛ كدَّرتِ الدِّين ، فكيف إذا أُخِذتْ من حرام ؟! إن لحم الذبيحة ثقيل على المعاء ، فكيف إذا كان مَيْتة ؟! الظَّلَمة في الظُّلْمة يمشون في جمْع الحُطام ، يُصبحون ويُمسون على فراش الآثام ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ . من نبت جسمُه على الحرام ، فمكاسِبُهُ كِبريت به يُوقَد . الحجَرُ المغصوب في البناء ، أساسُ الخراب . أتراهم نَسُوا طيَّ الليالي سالفَ الجبَّارين ﴿**وما بلغوا مِعشارَ ما آتيناهم** ﴾ ؟! فما هذا الاغترار ﴿ **وقد خلتْ مِن قَبْلِهم المَثُلات** ﴾ فهل ينتظرون ؟! مَنْ لهم إذا طلبوا العَوْد ﴿ **فحِيلَ بينهم وبين ما يَشْتَهُون** ﴾ ؟! كم بَكَتْ في تنعُّمِ الظالم عينُ أرْمَلَة ، وأُحرقتْ كبدُ يتيم ﴿ **ولَتعلمُنَّ نبأهُ بعدَ حِين** ﴾ .

ويحك ؛ إنَّما تكون الحرب بين الأمثال ، ولذلك مُنع قتل النساء والصِّبيان ، فأيّ قَدْر للدنيا حتى يحتاج قلبُك إلى مُحاربةٍ لها ؟ أما علمتَ أنَّ شهواتها جيَفٌ مُلقاةٌ ، أفيَحسُنُ بباشِقِ المَلِك أن يطير عن كَفِّه إلى مَيْتةٍ ؟ مهْلًا ﴿ **لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** ﴾ .

أتشتري أخسَّ الخسائس يا أنْفَسَ النفائس ؟! أتُؤثِر لحظةَ لـذَّةٍ تجني حرب البسوس وداحس ؟! .

يا مُقتِّرين من حُبِّ الآخرة ، بل يا مفـالس !! اشتَرُوا نفوسكم من الدنيا ؛ تشتروا لها السنادِس .

قَدِمَ ابنُ عمٍّ لمحمد بن واسع عليه فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : مِنْ طَلَب الدنيا. فقال له: هل أدركتَها؟ فقال له: لا. فقال محمد: يا سبحان الله! أنت تطلبُ شيئًا ولم تُدركه ، فكيف تدرك شيئًا لم تطلبه ؟! .

وأمَّا كَراهية الموت ، فقد قال الطغرائي مُبيِّنًا أثر حُبِّ السـلامة في الانحطاط بالهمَّة :

حبّ السلامة يُثني عَزْم صاحِبِهِ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسل

« إن حبّ الدنيا ، وكراهية الموت صِنوانِ لا يفترقان ، وإن الهمَّة العالية لا تسكن القلب الجبان ، وتأمَّلْ حالَ خسيس الهمَّة ، الذي أورثتْهُ التربيةُ الفاسدةُ حِرصًا على حياةٍ ؛ أيّ حياةٍ ولو ذليلة ، وغرستْ فيه حُبَّ السلامة في موطن الجرأة والإقدام والمخاطرة .

أضحتْ تُشجّعُني هندٌ فقلتُ لها إن الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ
لا والذي حجَّتِ الأنصارُ كعبَتَهُ ما يشتهي الموت عندي مَنْ له أَرَبُ
للحربِ قومٌ أضلَّ الله سَعْيَهمُ إذا دَعَتهمْ إلى حَوْماتِها وَثَبُوا
ولستُ منهمْ ولا أهْوَى فِعالَهمُ لا القتْلُ يُعجبني منهم ولا السَّلَبُ[(١)]

وقال آخر :

يقول لَيَ الأميرُ بغيرِ جُرْمٍ تقدَّمْ حِينَ حلَّ بنا المِراسُ
فما لَيَ إنْ أطَعْتُك في حياةٍ ولا لي غيرُ هذا الراسِ راسُ[(٢)]

فأين هذا من ذلك العبد الصالح ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « طُوبى لعبدٍ آخِذٍ بعنانِ فَرَسِهِ في سبيل الله ، أشْعَث رأسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قدماهُ ،

(١،٢) المحاسن والأضداد ، للجاحظ صـ ٥٩ .

والمراس هنا : التضارب في الحرب ، والجَلَد والقوة في ممارسة القتال .

إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في السَّاقَةِ كان في الساقةِ ، إن استأذَنَ لم يُؤْذَنْ لَهُ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»[١] . والذي قال ﷺ في وَصْفِه : « رجلٌ آخذٌ بِعنَانِ فَرَسِهِ في سبيل الله ، كلَّما سمعَ بهَيْعةٍ[٢] استوى على مَتْنِهِ ، ثم طلب الموت مظَانَّهُ .. » الحديث »[٣][٤] .

ثانيًا : التَّمنِّي :

قال الشاعر :

واتْرُكْ مُنى النَّفْس لا تحسَبْهُ يُشبِعُها　　إن المنى رأسُ أموالِ المفاليس

وقال آخر :

إذا تمنَّيْتُ بتُّ الليلَ مُغْتَبِطًا　　إن المنى رأسُ أموالِ المفاليس

وبحر التمنِّي « بحر لا ساحل له ، وهو البحر الذي يركبه مفاليسُ العالم ، كما قيل : إن المُنى رأس أموال المفاليس . وبضاعةُ رُكَّابه مواعيد الشيطان وخيالات المُحال والبُهتان ، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة ، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة ، وهي بضاعة كلِّ نَفْسٍ مَهِينة خسيسةٍ سُفْلِيَّة ، ليست لها همَّة تنال بها الحقائق الخارجيَّة ، بل اعتاضتْ عنها بالأماني الذِّهْنِيَّة ، وكلٌّ بحَسَب حاله ؛من مُتَمَنٍّ للقدرة والسلطان وللضرب في الأرض والتِّطواف في البُلدان ، أو للأموال والأثمان ، أو للنسوان والمردان . فيمثِّل المتمنِّي صورة مطلوبِهِ في نَفْسِهِ وقد فاز بوصولها ، والتَذَّ بالظفر بها ، فبَيْنَا هو على هذه الحال ، إذ استيقظ ، فإذا يده والحصير .

وصاحب الهمَّة العَلِيَّة ، أمانِيّه حائمةٌ حول العلم والإيمان ، والعمل الذي

---

(١) رواه البخاري .
(٢) الهَيْعَة : الصَّوْت تَفْزَع منه وتخافه من عدوٍّ .
(٣) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .
(٤) علو الهمَّة ، لمحمد أحمد إسماعيل صـ ٣٣٣ – ٣٣٤ .

يُقربه إلى الله ويُدنيه من جواره . فأمانيُّ هذا إيمانٌ ونورٌ وحكمة ، وأماني أولئك خِدَعٌ وغرور »[1] .

« وما أحسنَ ما قال أبو تمام :

مَنْ كان مَرْعَى عزْمِهِ وهُمومِهِ رَوْضَ الأماني لَمْ يَزَل مَهْزُولا

وعن الحسن قال : المؤمن مَنْ يعلم أن ما قال الله عزَّ وجلَّ كما قال ، والمؤمن أحسنُ الناس عملًا ، وأشدُّ الناس خوفًا ؛ لو أنفَقَ جبلًا من مالٍ ، ما أمِنَ دون أن يُعاينَ ، لا يزدادُ صلاحًا وبرًّا وعبادةً ، إلَّا ازداد فَرَقًا ، يقول : لا أَنجو ، لا أنجو . والمنافق يقول: سَوادُ الناس كثيرٌ ، وسيُغفر لي ، ولا بأس عليَّ . يُسيءُ العمل ، ويتمنَّى على الله تعالى »[2] .

«ويقول المتنبي – مُنَزِّهًا نَفْسَه عن الاستغراق في أحلام اليقظة ، ومبيِّنًا كيف أَلِفَ الحقائق ، واعتاد ركوب المخاطر –:

وما كنتُ ممَّن أدركَ المُلكَ بالمُنى ولكنْ بأيَّامٍ أشَبْنَ النَّواصِيَا
لَبِسْت لها كُدْرَ العَجاجِ[3] كأنَّما تَرَى غَيْرَ صافٍ أن تَرَى الجوَّ صافِيَا[4]»

ويرحم الله من قال :

وما نيْلُ المطالبِ بالتَّمنِّي ولكنْ تُؤخَذ الدُّنيا غِلابًا

قال يحيى بن معاذ : « لا يزال العبد مقرونًا بالتَّواني ، ما دام مُقيمًا على وعد الأماني . وما اختار أحدٌ الأماني تقوده ، إلَّا كان أثقلَ ما يكون خَطْوًا، وَوَجَدَ ثَمَّ السراب الخادِع وعَدِم الماء وقت العطش ، وأمَّا المضيءُ النَّفْس، ومَنْ لا أُمنيةَ له من الدعاة ؛ فإنك تجدُهُ سبَّاقًا إلى الخير ، إلى كلِّ خير أبدًا ، وتجده على ريٍّ دومًا ؛ فإنه إن كان ذا قوةٍ ؛ استقىٰ لنفسه أو استسقىٰ ، فيُجيبه الله بهَطْلٍ من السماء ،

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٦- ٤٥٧ .
(٢) الزهد ، لابن المبارك صـ ١٨٨ .
(٣) كُدْر العجاج : غبار الحرب .
(٤) علو الهمَّة ، لمحمد إسماعيل صـ ٣٣٩- ٣٤٠ .

وإن كان مُستضْعَفًا ، وجدَ وريثًا لموسى عليه السلام ، يَسقي له ويُزاحم الرِّعاع »[١] .

ثالثًا : التسويف :

أنذرتكم « سوف » ؛ فإنها جُندٌ من جنود إبليس .

فواأسفًا لمُنْقَطعٍ دون الرَّكْب ، متأخِّر عن لحاق الصحب ، يعدُّ الساعات في «متى» و «لعل»، ويخلو بفكْرِ «عسى» و «هل» . فاحذَر التسويف يا أخي .

ولا تُرْجِ فِعْلَ الخيرِ يومًا إلى غَدٍ — لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدُ

إن النَّفَس قد يخرج ولا يعود ، وإن العين قد تطرف ولا تَطْرِف الأخرى إلَّا بين يدي الله عز وجل .

قال الشاعر :

ولا أدَّخِر شُغْلَ اليوم عن كَسَلٍ — إلى غدٍ إنَّ يومَ العاجِزينَ غدُ

رابعًا : إهدار الوقت في كثْرة الزِّيارة للأقارب والأصحاب ، بدون هدفٍ شرعيٍّ صحيح وفائدة معتبرة :

وذلك بدعوى الأُخُوَّة والتناصُح ، فيكثُرُ في المجلس اللَّغْو والمزاح ، وتقلُّ الفائـدة . قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى : « أعوذ بالله من صُحبة البطَّالين ؛ لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويسمُّون ذلك التَّردُّد : خدمة ، ويُطيلون الجلوس ، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ، ويتخلَّلُهُ غِيبة . وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس ، ورُبَّما طَلَبَه المَـزُور وتشوَّق إليه واستوحش الوحدة ، وخصوصًا في أيام التـهـاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان . فلمَّا رأيت أن الزمان أشرف شيء والواجب انتهابه بفعْل الخير ، كرهتُ ذلك ، وبقيتُ معهم بين أمرين :

---

(١) الرقائق ، لمحمد أحمد الراشد صـ ٤٥- ٤٦ .

إن أنكرتُ عليهم ، وقعتْ وحشة لموضع قطْع المألوف ، وإن تقبَّلْتُهُ منهم ، ضاع الزمان ، فصرتُ أُدافِع اللقاء جهدي ، فإذا غُلبتُ قصَّرتُ في الكلام لأتعجَّل الفراق »[1] .

قال ﷺ: «نعمتان مغْبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ » . متفق عليه .

والوقتُ أنْفَسُ ما عُنِيتَ بحِفْظِهِ   وأراه أسْهَل ما عليك يَضيعُ

يا هذا، العمر عمرٌ قليل، وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تُعرِّض البقية للتأويل ، وقد آن الآن أن يرحل النزيل .

ما أرْخص ما يُباع عمرُك ، وما أغْفَلَك عن الشِّرا ، والله ما بَيْعُ إخوةِ يوسف « يوسف » بثمنٍ بخْسٍ ، بأعْجَبَ من بَيْعِك نَفْسَك بمعصيةِ ساعةٍ وتضييع ساعةٍ، فمتى يرعوي الفؤاد، يا مسافرًا بلا زاد، ولا راحلة ولا جواد ، يا زارِعًا قد آن الحصاد ، يا طائرًا بالموت يُصاد ، احذر الفَوْت ؛ ضياع الوقت ، فالفوت أشدُّ من الموت ، فالموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ، والفوت يقطعك عن الله والدار الآخرة . جسمُك في واد ، وأنت في واد ، نُثر الدُّرُّ لديك ، وما تنتقي، وقُرِّبت المراقي إليك وما ترتقي.. يا واقفًا في الماء الغَمْر وما يُنقي ، لقد ضيَّعتَ ما مضى ، وشرعت في ما بقي .

إن قلتُ قُمْ قال رِجْلي ما تطاوعني   أو قلتُ خذ قال كَفِّي ما تُواتيني

خامسًا : كَثْرَة التمتُّع بالمباح ، والتَّرف الزائد ، والترفُّل في النعيم :

وكلُّ هذه الأمور من العوامل الفتَّاكة ، القاضية على الهمَّة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «قال لي يومًا شيخ الإسلام- قدَّس الله روحه- في شيءٍ من المباح: هذا يُنافي المراتب العالية ، وإن لم يكُن ترْكه شرطًا في النجاة، فالعارف يترك كثيرًا من المباح بَرْزَخًا بين الحلال والحرام »[2] .

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء صـ ٢٨ .

(٢) مدارج السالكين ٢/٢٦ .

هذا ، والذي لام عليه الإمامُ ابن تيمية تلميذهُ « شيء من المباح » ! فما بالكم بما نراه اليوم من تمتُّع الدُّعاة بمباحاتٍ ونعيمٍ لا يعرفه الملوك السابقون[١] .

ذكر ابن حجر العسقلاني، أن تاج الدين المراكشي- أحد فقهاء الشافعية- كان قد « انقطع بالمدرسة الأشرفية مُلازمًا للقراءة والاشتغال ، صبورًا على ذلك جدًّا ، بحيث يمتنع عن الأكْل والشرْب والملاذّ بسبب ذلك »[٢] .

وهذه الأمور من المباحات قطعًا ، ولكن ذلك الفقيه عَلِم أنَّ الإكثار منها والوَلَع فيها ، سببٌ لسقوط الهمَّة وضعْف العمل .

وذكَر السبكيُّ في « الطبقات » ، أن أباه الإمام تقيَّ الدين كان من الاشتغال على جانبٍ عظيمٍ ، بحيث يستغرق غالبَ لَيْلِهِ وجميعَ نهاره .. كان يخرج من البيت صلاة الصبح ، فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قُرَيْب الظهر ، فيجد أهل البيت قد عملوا له فَرُّوجًا فيأكله ، ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب ، فيأكل شيئًا حُلوًا لطيفًا ، ثم يشتغل بالليل، وهكذا لا يعرف غير ذلك ، حتى ذكَر لي أن والده قال لأُمِّه : هذا الشاب ما يطلُب قطُّ درهمًا ولا شيئًا ، فلعلّه يرى شيئًا يريد أن يأكله ، فضعي في منديله درهمًا أو درهمْين . فوضعت نصف درهم . قالت الجدة : فاستمرَّ نحو جمعتين وهو يعود والمنديل معه والنصف فيه ، إلى أن رمَى به إليَّ وقال : أيش أعملُ بهذا ؟! خُذُوه عني[٣] .

سادسًا : كثْرة الخلْطة وصُحْبة البَطَّالين الذين سَفُلتْ همَّتُهم :

وكثرة الخُلْطة وصُحبة البطَّالين تُطفئ نور القلب ، وتعوِّر عين بصيرته ، وتُثقل سمْعه ، إن لم تُصِمَّه وتُبْكِمه وتُضعف قُواه كلها ، وتوهن صحته وتُفتِّر

---

(١) الهمَّة طريق إلى القمة ، لمحمد بن حسن بن عقيل ، صـ ٦٣ دار الأندلس جدة .

(٢) الدُّرر الكامنة لابن حجر ٣/٣٨٧ .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ١٠/١٤٤، و « الهمة طريق إلى القمة » صـ ٦١- ٦٢ .

عزيمته ، وتُوقف همَّته ، وتُنكسه إلى ورائه ، ومَنْ لا شعور له بهذا فميِّتُ القلب ، وما لجُرحٍ بميِّتٍ إيلام ، فهي عائِقةٌ له عن نَيلِ كماله ، قاطعةٌ له عن الوصـول إلى ما خلق الله ، وجَعَل نعيمَهُ وسعادتَهُ وابتهاجَه ولذَّتَـه في الوصول إليه .

فأمَّا ما تؤثِّره كثرة الخُلْطة : فامتلاء القلب من دُخان أنفاس بني آدم حتى يسودَّ ويُوجب له تشتُّتًا وتفرُّقًا ، وهمًّا وغمًّا ، وضعْفًا ، وحَمْلًا لما يعجز عن حمْله من مؤنة قُرَناء السوء ، وإضاعة مصالحه ، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم ، وتَقَسُّم فكْره في أودية مطالبهم وإرادتهم ، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة ؟ هذا ، وكم جلبتْ خُلطة الناس من نقمةٍ ، ودفعت من نعمةٍ ، وأنزلت من محنة ، وعطَّلتْ من منحة ، وأحلَّتْ من رَزِيَّة ، وأوقعتْ في بَلِيَّة ، وهـل آفـة الناس إلا الناس ، وهل كان عَلَى أبي طالب - عـند الوفـاة - أضرُّ من قُرناء السُّوءِ؛ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمةٍ واحدةٍ تُوجِب له سعادة الأبد.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّما مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المِسْك ونافخ الكِير[1]؛ فحامِل المسك : إمَّا أن يُحْذِيَك[2]، وإمَّا أن تبتاع منه ، وإمَّا أن تجد منه رِيحًا طيِّبة . ونافخ الكير :إمَّا أن يحرق ثيابَك ، وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة »[3] .

فحذار من مُجالسة المُثبِّطين من أهل التبطُّل والتعطُّل واللهو والعَبَث ؛ فإن « طَبْعك يسرق منهم وأنت لا تدري ، وليس إعداءُ الجليس جليسَهُ بمقاله وفعاله فقط ، بل بالنَّظَر إليه ! والنظر في الصُّوَر يُورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخُلُق المنظور إليه! ومن المُشاهد أن الماء والهواء يَفْسُدان بمجاورة الجيفة، فما

---

(١) الكير : جلد غليظ يُنفخ فيه النار .

(٢) يُحذيك : يعطيك .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم .

الظَّنُّ بالنفوس البشرية ؟! »[١] .

ولا تجلسْ إلى أهل الدَّنايا فإن خلائقَ السُّفَهاءِ تُعْدِي[٢]

فالبطالون قُطَّاع الطريق إلى الله عز وجل والدار الآخرة ، ومعاشرتهم سُمٌّ ، والقُرب منهم هلاك .. كلٌّ منهم زَمِنٌ مريضٌ يسعى إلى زمْنَى مثله ، قبر يسعى إلى قبور مثله .

« وإن دعت الحاجة إلى خُلْطتهم ، فالحذر أن يوافقهم عالي الهمَّة ، وَلْيصبر على أذاهم ، والصبر على أذاهم خيرٌ وأحسن عاقبةً ، وأحمدُ مآلا ، وإن دعت الحاجة إلى خُلطتهم في فُضُول المُباحات ، فليَجْتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعةً لله إن أمكنه ، ويُشجِّع نفسه ويُقوِّي قلبه ، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك ، بأن هذا رياءٌ ومحبةٌ لإظهار عِلمك وحالك ، ونحو ذلك فَلْيُحارِبه ، وَلْيَسْتَعِنْ بالله ، ويُؤثِّر فيهم من الخير ما أمكنه . فإن أعجزته المقادير عن ذلك ، فَلْيَسُلَّ قلبَهُ من بينهم كَسَلِّ الشعرة من العجين ، ولْيَكُن فيهم حاضرًا غائبًا ، قريبًا بعيدًا ، نائمًا يقظانًا ، ينظر إليهم ولا يبصرهم ، ويسمع كلامهم ولا يَعِيهِ ، لأنه قد أُخِذ قلبه من بينهم ورُقِيَ به إلى الملأ الأعلى ، يَسْبَحُ حول العرش مع الأرواح العلوية الزَّكِيَّة وما أصعب هذا وأشقَّهُ على النفوس »[٣] .

وشُغِلتُ عن فَهْمِ الحديث سوى ما كان عنك فإنه شُغلي
وأُديمُ نحو مُحَدِّثي وجهي ليَرَى أنْ قد عَقِلْتُ وعندكم عقلي

سابعًا : العجز والكسل :

فيكون صاحبه من أصحاب الأماني المتأوهين: «يكون عالمًا بها ، ولا تنهض همَّتُهُ إليها ، فلا يزال في حضيضِ طبعه محبوسًا ، وقلبُه عن كماله الذي خُلق

---

(١) فيض القدير ٥/ ٥٠٧ .
(٢) علو الهمة ، لمحمد إسماعيل صـ ٣٤٠ .
(٣) مدارج السالكين ١/٤٥٥- ٤٥٦ .

له مصدودًا منكوسًا ، قد أسَامَ نَفْسَهُ مع الأنعام ، راعيًا مع الهَمَل ، واستطاب لُقيمات الراحة والبطالة ، واستلانَ فراشَ العجز والكسل ، لا كَمَنْ رُفع له عَلَمٌ فشمَّر إليه ، وبُورِك له في تفرُّده في طلبه فَلَزِمَهُ واستقام عليه ، قد أبَتْ غلباتُ شوقه إلَّا الهجرة إلى الله ورسوله ، ومَقَتَتْ نَفْسُه الرُّفقاء إلَّا ابن سبيل يُرافقه في سَيْره »[1] .

والعجز والكسل هما العائقان اللذان أكْثَر رسولُ الله ﷺ من التعوُّذ بالله سبحانه منهما ، وقد يعجز العاجز لعدم قدرته ، بخلاف الكسول الذي يتثاقل ويتراخى ممَّا ينبغي مع القدرة ، قال تعالى : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عُدَّةً ولكن كَرِهَ الله انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ [التوبة : ٤٦] .

قد ترى الرجل موهوبًا ونابغةً ، فيأتي الكسل فيُخذِّل هِمَّته ، ويمحق موهبتهُ ، ويطفي نور بصيرته ، ويشلّ طاقته ، قال الفرَّاء رحمه الله : « لا أرحم أحدًا كرحمتي لرجلَيْن : رجل يطلب العلم ولا فهْم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، وإني لأَعجب ممَّن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلَّم » . قال المتنبي :

وَلَمْ أَرَ في عُيوبِ النَّاس عيبًا كنقْصِ القادرينَ على التَّمامِ[2]

ثامنًا : الغفلة :

آهٍ لنفسٍ رَفَلَتْ من الغفلة في أثوابها ، فَثَوَى بها الأمرُ إلى عَدَم ثوابها ، آهٍ لعيونٍ أعشاها الأمل فسَرَى بها إلى سرابها ، آهٍ لقلوب قلَّبها الهوى عن القرآن إلى ربابها فرَبَا بها ، آهٍ لَمرْضَى عَلِمَ الطبيبُ قدْر ما بها ، وقد رمى بها .

يا غاديًا في غفلة ورائحًا إلى متى تستحسِنُ القبائحا

يا قلبًا مُشتَّتًا قلَّ نظيرُه ، كم هذا الهوى ؟ ولكَمْ هَوَى أسيرُه . أيُّها القاعد

---

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ١/٤٦ .
(٢) علو الهمَّة ، لمحمد أحمد إسماعيل ٣٣٦ .

عن أعلى المعالي ، سبقَ الأبطالُ ، والبطّال ما يبالي .

إذا أقفَرَ قلبُك من ساكِن: «ويَسَعُني»؛ فتحتِ النفْسُ بابًا لعناكب الغفلة ، فنسجتْ في زواياه من لُعابِ الأمل ، طاقاتِ المُنى . اللهم أجِرِ القلوبَ من جوْرِ النفوس . يا سلطان القلبِ ، نشكو إليك النُّزالَة .

يا غافلاً عن مصيره ، يا واقفًا في تقصيره ، سَبَقَك أهلُ العزائم ، وأنت في اليقظة نائم .

سجيَّتُك تُعلِّمني ؛ فاسمع أُحدِّثك ، فالطبيب لا يكذب : استكثرتَ من بُرُودات الغفلة ، فقعد نشاط العزم . أما تعلم أن مطاعم المطامع ، تولِّد سددًا في كَبِدِ الجدِّ .

فيا أسيرًا في قبضة الغفلة ، يا صريعًا في سكرة المُهْلة ، ويحك قد وهَن العظمُ وما شابتْ همَّة الأمل، أخْلَقَ بردُ الحياة وما انكفَّتْ كفُّ البطالة ، قدمتْ معابرُ العبور وأنت تلهو على الساحل .

العمر أنفاسٌ تسيرُ بل تطير ، والأمل منامٌ لا ترى فيه إلَّا الأحلام فانتبه من رُقاد الغفلة ، وتَيقَّظْ من نوم العُطلة ، وعرِّج عن طريق البطالة ، وابعد عن ديار الوحشة . الفَتْرة حَيْض الطِّباع ، ووقوع العزيمة رؤية النّقا .

قال عمر رضي الله عنه : الراحة للرجال غفْلةٌ .

وسأل سائلٌ ابن الجوزي : أيجوز أن أُفسح لنفْسي في مباح الملاهي ؟ فقال له : عند نفْسك من الغفلة ما يكفيها .

وقال الشيخ حسن البنا ، رحمه الله : دقائق الليل غالية ، فلا تُرخصوها بالغفلة .

وانتبهْ من رقدةِ الغفْـــ ـــلةِ فالعمْـرُ قليــلْ
واطَّرحْ سوف وحتى فهمــا داءٌ دخيـــلْ

يقول ابن القيم : « لا بُدَّ من سِنَةِ الغفلة ، ورُقاد الغفلة ، ولكن كُنْ خفيفَ النوم » .

يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد : « والمراد تقليل الراحة إلى أدنى ما يكفي الجسم ، كلٌّ حَسَب صحته وظروفه ، خاصَّة وأن المؤمن في هذا الزمان أشدُّ حاجةً للانتباه ومعالجة قلبه وتفتيشه ، ممَّا كان عليه المسلمون في العصور الماضية ، ذلك أنهم كانوا يعيشون في محيط إسلامي تسوده الفضائل، ويسوده التواصي بالحق، والرذائل تُجهد نفسها في التستُّر والتَّواري عن أعيُن العلماء وسيوف الأمراء ، أمَّا الآن ؛ فإن المدنية الحديثة جعلتْ كفر جميع مذاهب الكفار، مسموعًا مُبصرًا بواسطة الإذاعات والتلفزة والصحف، وجعلتْ إلقاءات جميع أجناس الشياطين قريبة من القلوب ، وبذلك زاد احتمال تأثُّر المؤمن من حيث لا يريد ولا يشعر بهذا المسموع والمنظور ، فضلًا عن ارتفاع حُكم الإسلام عن الأرض الإسلامية التي يعيش فيها ، فوجب عليه شيءٌ من المجاهدة والمراقبة لوقته ، أكثر مما يجب على السلف . وما أصدق تصوير إمام تركيا « بديع الزمان النورسي » - رحمه الله - لهذه الحقيقة حين يقول : إن هذه المدنية السفيهة ، المصيِّرة للأرض كبلدةٍ واحدة، يتعارف أهلها، ويتناجون بالإثم وما لا يعني بالجرائد صباحًا ومساءً، غَلُظَ بسببها وتكاثَفَ بملاهيها حجابُ الغفلة ، بحيث لا يُخرق إلَّا بصرْف همَّةٍ عظيمة »[1] .

إلى كم أقولُ ولا أفعلُ ... وكم ذا أحومُ ولا أنزلُ
وأزْجُرُ عيني فلا ترعوي ... وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ
وكم ذا تُعلِّلُ لي وَيْحَها ... بـ«علَّ» و «سوف» وكم تمطُلُ
وكم ذا أُؤمِّلُ طولَ البقا ... وأغفلُ والموتُ لا يَغْفُلُ

تاسعًا : الفُتُور :

ما أشدَّه من داء تعوَّذ منه رسولنا ﷺ صباحًا ومساءً .

---

(١) الرقائق صـ ٥٧- ٥٩ .

عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ ويقول : « اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم والمأثم والمغرم »[١] .

وقد ذكر أنسٌ رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ كثيرًا يقول : « اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن ، والعجز والكسل ، والبُخل والجُبن ، وغَلَبَة الدَّيْن وقهر الرجال »[٢] .

وقد استعاذ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من الخور الذي ينتاب المسلمين ، في دعائه المشهور : « اللهمَّ إني أعوذ بك من جَلَد الفاسق وعجْز الثقة »[٣] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « إن لكلِّ عملٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرة[٤]، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي فقد اهتدى ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك »[٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لكلِّ شيءٍ شِرَّةً ، ولكلِّ شِرَّة فتْرة ، فإنْ صاحبها سدَّد وقارَب ، فارجوه ، وإن أُشير إليه بالأصابع ، فلا تَعُدُّوهُ »[٦] .

وعن عبد الله بن عمرو قال: ذُكر عند النبي ﷺ قوم يجتهدون في العبادة اجتهادًا شديدًا ، فقال : « تلك ضرورة الإسلام وشِرَّتُهُ ، ولكلِّ عملٍ شرَّةٌ ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) الفتور ، لجاسم مهلهل صـ ١١ – دار الدعوة – الكويت .

(٤) شِرَّة : نشاط وقوة . فتْرة : ضعف وفُتُور .

(٥) صحيح : رواه أحمد وابن أبي عاصم في السُّنَّة ، وابن حبان ، والبيهقي في الشعب ، وصححه الألباني .

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٥١) .

فمن كانت فترْته إلى اقتصادٍ ، فنِعْمَ ما هو ، ومن كانت فترْته إلى المعاصي ، فأولئك هم الهالكون »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، لا تكُن مِثْل فلان ، كان يقوم الليل فتَرَكَهُ »[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت لعبد الله بن قيس : « لا تَدَع قيام الليل ؛ فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مَرِض أو كَسِل ، صلَّى قاعدًا »[٣] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيُّها الناس ، خذوا من الأعمال ما تُطيقون ، فإن الله لا يمَلّ حتى تَملُّوا ، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قَلَّ »[٤] .

لكلٍّ إلى شأوِ العُلا حَرَكَاتُ ولكنْ عزيزٌ في الرِّجالِ ثباتُ

قال ابن القيم رحمه الله : « فتخلُّل الفَتَرات للسالكين أمرٌ لازمٌ لا بُدَّ منه ، فمن كانت فترْتُه إلى مُقارَبةٍ وتسديدٍ ، ولم تُخرجه من فرضٍ ، ولم تُدخله في محرَّمٍ ، رُجِيَ له أن يعود خيرًا مما كان ، مع أن العبادة المحبَّبة إلى الله سبحانه هي ما داوم العبد عليها »[٥] .

عن حنظلة الأسيدي - وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ - قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافَقَ حنظلةُ . قال :

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، وأحمد بنحوه ، ولفظه : « تلك ضراوة الإسلام وشدَّته » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٦٢) : ورجال أحمد ثقات .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) صحيح : رواه أحمد وأبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١١٨٠).

(٤) متفق عليه .

(٥) مدارج السالكين ٣/١٢٦ .

سبحان الله ! ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رَأْي عينٍ ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات ؛ فَنَسينا كثيرًا . قال أبو بكر : فوالله إنَّا لَنلقى مثل هذا . فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلْنا على رسول الله ﷺ ، ثم قال له مثلما قال لأبي بكر ،فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكْر ، لَصَافَحَتْكم الملائكة على فُرُشكم، وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة- ثلاث مرات-»[1].

فلا تجعلها يا أخي - أنت - ساعة وشهورًا ، بل ساعة وأعوامًا .

وفي الفتور حرمان الخير ، وتشبُّهٌ بالمنافقين ، فهم أشدُّ الناس كسلًا وفُتُورًا ونُفورًا ، قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُراءون الناس ولا يَذْكُرون الله إلَّا قليلًا** ﴾ [النساء : ١٤٢] . وقد أثنى الله على الملائكة فقال : ﴿ **يُسبِّحون الليل والنهار لا يَفْتُرُون** ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، فاختر لنفسك وتقرَّب إلى أيّ الفريقين :

أنت القتيلُ بكلِّ مَنْ أحْبَبْتَهُ ... فاخْتَرْ لنَفْسكَ في الهوى مَنْ تصطفي

وانظر إلى السادة ؛ فهذا ابن مسعود رضي الله عنه ، قال لمَّا بكى في مرض موته : إنما أبكي لأنه أصابني في حال فتْرةٍ ولم يُصبني في حالِ اجتهادٍ . وعنه رضي الله عنه قال : لا تُغالبوا هذا الليل فإنكم لن تُطيقوه ، فإذا نعسَ أحدُكم فَلْيَنْصرف إلى فراشه فإنه أسْلَمُ له[2] .

« ومن أبرز مظاهر الفتور ، عدمُ استشعار المسئولية المُلقاة على عاتقه ، والتساهُل والتهاون بالأمانة التي حمَّله الله إيَّاها ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنَّا عرضْنَا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقنَ**

(١) رواه مسلم .

(٢) مجمع الزوائد ٢/ ٢٦٠ .

منها وحملها الإنسان إنه كان ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . وقد تُحدِّثه ساعة، فلا تجد أن همَّ الدعوة يجري في عروقه أو يُؤرِّق جفونه ويقضُّ مضجعه،.. تجد هذا الفاتِر أصبح يعيش بلا هدفٍ أو غاية سامية ، فهبطتِ اهتماماتُهُ وسفُلتْ غاياتُهُ ، وذلَّتْ مطامحُهُ ومآربُهُ ، فلا قضايا المسلمين تشغله ، ولا مصائبهم تُحزنه ، ولا شئونهم تعنيه ، وإن حدث شيءٌ من ذلك ؛ فعاطفة سرعان ما تَبْرُد وتَخْمَد ثم تزول »[1] .

فالعاقل إن كانت له فتْرة ، فلتكُن استراحة مقاتلٍ يعود بعدها إلى العطاء والجهاد ، فوقوفه في الظاهر ، وعدم استكمال نموه، هو في حقيقته انهيار ونزول إلى الأسفل ؛ قال الأستاذ الرافعي : « كل يوم لا أزداد فيه أنا زائد على هذا اليوم » . ومن صَحَّتْ بدايتُهُ صحت نهايتُهُ ، ومن يُقصِّر في البدايات يَذْهَل عن الغايات ، وفي تذكُّر أوقات البداية شحْذٌ للهمم وعونٌ على المُواصلة « قال الجُنيد : واشوقاه إلى أوقات البداية . يعني لذَّة أوقات البداية ، وجمع الهمَّة على الطلب والسير إلى الله ، فإنه كان مجموعَ الهمة على السَّير والطلب .

ومرَّ أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه وأرضاه - على رجل وهو يبكي من خشية الله ، فقال : هكذا كنَّا حتى قستْ قلوبُنا »[2] .

« قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - إن لهذه القلوب إقبالًا وإدبارًا ؛ فإذا أقبلتْ فخُذوها بالنوافلِ ، وإن أدبرتْ فألزمُوها الفرائض .

وفي هذه الفترات والغيوم والحُجُب - التي تعرض للسالكين - مِن الحِكَم ما لا يعلم تفصيلهُ إلَّا الله ، وبها يتبيَّن الصادق من الكاذب ؛ فالكاذب : ينقلب على عَقِبَيْهِ ، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه . والصادق : ينتظر الفرج ولا ييأس من روح الله ويُلقي نَفْسَهُ بالباب طريحًا ذليلًا مسكينًا مستكينًا ،

---

(١) الفتور ، للدكتور ناصر سليمان العمر صـ ٣٧ - دار الوطن .

(٢) مدارج السالكين بتصرف ١٢٥/٣ .

كالإناء الفارغ الذي لا شيءَ فيه ألبتة ، ينتظر أن يَضَع فيه مالكُ الإناء وصانِعُه ما يصلح له ، لا بسببٍ من العبد ، وإن كان هذا الافتقار من أعظم الأسباب ، لكن ليس هو منك ، بل هو الذي مَنّ عليك به ، وجرَّدك منك ، وأخلاك عنك ، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه . فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام ، فاعلم أنه يريد أن يرحمك ، ويملأ إناءك ، فإن وضعتَ القلب في غير هذا الموضع ، فاعلم أنه قلبٌ مُضيَّع ، فسَلْ ربَّه ومنْ هو بين أصابعه ، أن يَرُدَّه عليك ويجمع شملك به ، ولقد أحسن القائل :

إذا ما وضعتَ القلبَ في غير مَوْضعٍ ... بغير إناءٍ فهو قلبٌ مُضَيَّـعُ»[1]

فالجدّ الجدّ ، فما تحتمل الطريق الفتور .

لا تمضوا في طريق اليأس ، ففي الكون آمال .. لا تتَّجِهُوا نحو الظلمات ؛ ففي الكون شموس .

بَقيت مَدَى الدَّهْرِ وعِلْمُك راسخٌ ... وخيرُكَ ممدودٌ وليلُك عامـرُ
يَوَدُّ سناك البدرُ والبدر زاهـر ... ويَقْفُو نداك البحرُ والبحرُ عامرُ
وهُنِّئت أيَّامًا تـوالى نشاطهـا ... كما تتوالى في العقودِ الجواهـرُ

العاشر : الفناء في مُلاحظة حقوق الأهل والأولاد ، واستغراق الجهد في التوسُّع في تحقيق مطالبهم :

وذلك «نظرًا إلى قوله ﷺ : « وإن لأهلك عليك حقًّا » ، مع الغفلة عن قوله ﷺ : « وإن لربِّك عليك حقًّا » ، وقوله : « فأَعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ »[2] .

وقد عدّ القرآن الكريمُ الأهلَ والأولادَ أعداء للمؤمن إذا حالوا بينه وبين طاعة الله عز وجلّ، روى ابن جرير ، عن عطاء بن يسار ، في قوله تعالى :

---

(١) مدارج السالكين ٣/١٢٦ .
(٢) أصل الحديث رواه البخاري والترمذي والبيهقي .

﴿ يأَيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحْذَرُوهـم ﴾ [التغابن : ١٤] . قال : نزلتْ في عوف بن مالك الأشجعي ، كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو بَكَوْا إليه ورقَّقُوه، فقالوا: إلى مَنْ تَدَعُنَا؟ فيَرِقّ ويقيم، فنزلت: ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم﴾»[1] .

وقد ورد عن ابن عباس ، وقد سأله عنها رجل ، فقال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم ، فلمَّا أتوْا رسول الله ﷺ رأوُا الناس قد فقهوا في الدين ، فهَمُّوا أن يُعاقبوهم ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾. وهكذا رواه الترمذي بإسنادٍ آخر، وقال: حسن صحيح. وهكذا قال عكرمة مولى ابن عباس .

فهذا التحذير من الأزواج والأولاد كالتحذير الذي في الآية التالية من الأموال والأولاد معًا : ﴿ إنَّما أموالكم وأولادُكم فتنة ﴾ .. وهذه حقيقة عميقة في الحياة البشرية ... فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله كما أنهم قد يكونون دافعًا للتقصير في تبعات الإيمان ، اتِّقاءً للمتاعب التي تحيط بهم لو قام المؤمن فلقي ما يلقاه المجاهد في سبيل الله .. وقد يحتمل العَنَت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده، فيبخل ويجبُن ليوفِّر لهم الأمن والقرار أو المتاع أو المال ، فيكونون عدوًّا له ، لأنهم صدُّوه عن الخير وعوَّقُوه عن تحقيق غاية وجوده الإنساني العُليا ، كما أنهم قد يقفون له في الطريق يمنعونه من النهوض بواجبه ، ويعجز هو عن المُفاصَلَة بينه وبينهم والتجرُّد لله ، وهي كذلك صوَرٌ من العداوة متفاوتة الدرجات .

فَلْيَحْذَر الإنسان ، فإن هذه الوشائج الحبيبة قد تفعل ما يفعل العدوُّ المُكايد ... فإيَّاك والعداوة المستَتِرَّة في بعض الأبناء والأزواج ، وقد قال

---

(١) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٤١ .

ﷺ: «الولد مَحْزَنَةٌ مَجْبَنَةٌ مجْهَلَةٌ مَبْخَلَةٌ»[١]. فأخبثُ الأمراض أخفاها، وشرُّ الأعداء أحلاها ... تحرص على تأمين مستقبل الأولاد ، وتخاف عليهم بعد وفاتك ، ولا تخاف على نفسك وهي الأحقُّ بذلك ؟! فيضيع عمركَ بين زوجةٍ وولدٍ ، بل لا تخاف على دينك .

نُرقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننــا فلا دينُنا يبقى ولا ما نُرقِّعُ

وصدق الرسول ﷺ حين قال لأبي الدرداء : « قد صدق سلمان ؛ إن لربِّك عليك حقًّا ، وإن لنَفْسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ »[٢] . وابدَأ بما بَدَأ به رسولُ الله ﷺ .

الحادي عشر : اتِّباع الهوى :

قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتَّخذ إلهه هواه** ﴾ [الجاثية : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ **فاعلم أنَّما يتَّبعون أهواءهم ومن أضلُّ ممَّن اتَّبع هواهُ بغير هُدًى من الله** ﴾ [القصص : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ **ولا تتَّبع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله** ﴾ [ص : ٢٦] .

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفرأيتَهُ ؟! إنَّه كائنٌ عجيب يستحقُّ الفرجة والتعجيب ،وهو يَستحقُّ من الله أن يُضِلَّه ، فلا يتداركه برحمة الهُدى ، فما أبقى في قلبه مكانًا للهُدى وهو يتعبَّد هواه المريض .

قال قتادة : إذا هوى شيئًا ركبه . وقال الحسن : المنافقُ يعبد هواه ؛ لا يَهْوَى شيئًا إلَّا رَكِبَهُ .

ومن تذكَّر وصحا وتنبَّه ، وتخلَّص من ربقة الهوى ، فلن يضلَّ ؛ قال رسول الله ﷺ : « ثلاث مُنجيات : خشية الله في السرِّ والعلانية ، والعدل

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن الأسود بن خلف ، والطبراني في الكبير عن خولة بنت حكيم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٨٦) .

(٢) رواه البخاري .

في الرِّضا والغضب ، والقصْد في الفقر والغنى.وثلاث مُهلكات : هوًى مُتَّبع ، وشُحٌّ مُطاع ، وإعجابُ المرء بنفسه »[(١)] .

قال سليمان بن داود عليه السلام : الغالب لهواه أشدُّ من الذي يفتح المدينة وحده .

وقال مالك بن دينار من غلبَ شهوات الدنيا ، فذلك الذي يَفْرَقُ الشيطانُ من ظِلِّه . وقال : بئس العبدُ عبدٌ همّهُ هواهُ وبطنُهُ .

وقال صفوان بن سليم : ليأتينَّ على الناس زمان تكون همَّةُ أحدِهم فيه بطنه ، ودينُهُ هواهُ .

وقال بشر: اعلم أن البلاء كلَّه في هواك، والشفاء كلَّه في مخالفتك هواك.

وقال الفُضيل: من استحوذتْ عليه الشهواتُ انقطعتْ عنه موادُّ التوفيق.

وقال يحيى بن معاذ : أصحُّ الناس عزمًا الغالبُ لهواه . وقال: من أرضى الجوارح في اللَّذَّات ، فقد غرس لنفسه شجر الندامات .

وقال الحسن بن علي المطوّعي : صنمُ كلِّ إنسانٍ هواه ، فإذا كَسَره بالمخالفة استحقَّ اسم الهوى .

وقال أبو سليمان الداراني : أفضل الأعمال خلافُ هوى النَّفْس .

وقال السَّريُّ : لن يكمُل رجل حتى يُؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يُؤثر شهوته على دينه .

وقال آخر : الهوى مَلِك عَسُوف ، وسلطان ظالم ، دانت له القلوب ، وانقادت له النفوس .

وقال آخر : إن لكلِّ شيءٍ أباجاد ، وإن أباجاد الحكمة طرْد الهوى ووزْن الأعمال . وعن عيسى بن مريم – عليه السلام – لمَّا سُئل : كيف ندرك جماع

---

(١) حسن : رواه أبو الشيخ في « التوبيخ »، والطبراني في الأوسط عن أنس ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٢)، وصحيح الجامع رقم (٣٠٣٥) .

الصبر ؟ قال : اجعلوا عزمكم في الأمور كلِّها بين يدي هواكم ، ثم اتخذوا كتاب الله عز وجل إمامًا لكم في دينكم .

وقال الشاعر :

نونُ الهواية من الهوى مسروقةٌ ... فإذا هويتَ فقد لَقيتَ هَوَانًا

وقال آخر :

وكلُّ امرئٍ يدري مواقع رُشده ... ولكنَّه أعمى أسيرُ هَـوَاهُ

يُشير عليه الناصحون بجُهدهم ... فيأبى قبول النُّصْح وهو يراهُ

هوى نَفْسِهِ يُعميه عن قصْد رشده ... ويُبصر عن فَهْم عيوب سواهُ[1]

تالله إن جوهر معناك يتظلَّم من سوء فعْلك ؛ لأنك قد ألقيتَهُ في مزابل الذُّلّ ، ماء حياتك في ساقية عمرك قد اغدودك ، فهو يسيل ضائعًا إلى مهاوي الهوى ، وينسرب في أسراب البطالة ، فقد امتلأتْ به خَرِباتُ الجهل ومزابل التفريط ، وشربتْه أدغالُ الغفلات ، ويحك ارْدُدْهُ إلى مزارع التقوى ، لعلَّه يُحدق نور حديقة ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغفلة ؟ متى تأتي تباشير الصباح ؟!

زمانٌ تقضَّى وعيشٌ مضى ... بنَفْسيَ والله تلكَ العُهُـودُ

ألَا قُلْ لسُكَّانِ وادي الحَبيبِ ... هنيئًا لكمْ في الجِنَان الخلودُ

أفيضوا علينا من الماء فَيْضًا ... فنحن عَطاشى وأنتمْ ورودُ

حفلات الشكولاتة :

انظر إلى ما صنع الهوى بأهله في زمن يَحيض فيه الرجال :

يقول عماد ناصف في كتابه : « دعاني أحد الأصدقاء وهو نجْل مليونير معروف ولكنه مليونير صغير ، دعاني إلى حفلة أقامها أحد أصدقاء والده بمناسبة نجاح إحدى صفقاته التجارية ، وقال لي ونحن في الطريق : سترى مشهدًا ما

---

(١) ذم الهوى ، لابن الجوزي صـ ١٦ – ٣٥، تحقيق: مصطفى عبد الواحد- دار الكتب الإسلامية .

رأيتَه في عمرك ولا تتخيَّل أن تراه .. ووصلنا إلى الفيللا الهادئة .. دَخلتُ الفيللا وهي أنيقة غارقة في الفخامة ؛ التُّحف النادرة تتكاثر في كل مكان ، يكفي ثمن قطعة واحدة منها لشراء شقة كاملة ؛ حمام سباحة أنيق يتوسَّط الفيللا، موسيقى هادئة وأضواء حالمة وعطور باريسية نسائية مثيرة تعبق المكان ، رجال يرتدون ملابس أنيقة ونساء يرتدين ملابس تُظهر أكثر ممَّا تُخفي .. تناولتُ العشاء الفاخر في البوفيه المفتوح ، ولكنَّ صورة طفلة من البوسنة تبكي كنت قد طالعتُها في جريدة الصباح قفزتْ إلى ذاكرتي وأنا أشاهد هذه الأطعمة والفواكه والحلوى التي يكفي ثمنها لتسليح جيش البوسنة !!! صورة هذه الطفلة جعلتني أكف عن الأكل .. وأهمس في أذن صديقي : أين هذا المشهد ؟ فقال لي مداعبًا : اصبرْ .. وبعد أن تناول المدعوون الطعام ، بدءوا يشربون أنواعًا شهيرة من الخمور الفرنسية المعتَّقة ذات الماركات الشهيرة .. ثم خِفضتِ الأضواء ومعها الموسيقى .. وجاء صوت امرأة ناعم وهو يقول : والآن جاءت اللحظة المرتَقبة .. لحظة سعداء الحظ . وفجأة وجدتُ فتياتٍ ونساءً شبه عاريات فقط يرتدين ملابِسَهُنَّ الداخلية .. وعلى أجسادهنَّ سائل لَزِجٌ عرفتُ أنه شيكولاتة .. ثم توسَّطتْ كلُّ فتاة مجموعة من الرجال ، ثم بدأ رجال كل مجموعة يلحسون هذه الشيكولاتة من فوق أجساد الفتيات .. وأخذني صديقي من دهشتي القاتلة وقال لي : هذه هي المفاجأة التي يطالعها الكبار كلَّ يوم .. والرجل الذي يلتهم الشيكولاتة أولًا من فوق جسد الفتاة أو السيدة ينالها هذه الليلة ، فهو سعيد الحظِّ من بين مجموعته !!! لم أصدق نفسي وأنا أرى هذه المشاهد التي ألجمتني صدمة رؤيتها .. قلتُ : إنه شذوذ.قلت : إنها حالة عارضة أو عابرة .. ولكنِ اكتشفت أنها حفلات شهيرة يعرفها أصحاب المليارات والأثرياء الكبار تعرَف باسم حفلات الشيكولاته .. وهي متفشِّية بين هذه الأوساط ؛ في المقطَّم والمهندسين وكنج مريوط بالإسكندرية ومعظم القُرىٰ

السياحية ، وبعض الأماكن التي لا يرتادها إلا الكبار .. »[(١)] .

وما تزالُ بقلبي ألفُ مُبكيةٍ   من رهْبةِ البوح تستحيي وتضطربُ

وتسوق إلينا جريدة « المساء » في ١٩٩٦/٨/٢٥ إعلانًا كبيرًا عن كتاب يُسمَّى « نساء العرب » وخلال هذا الإعلان تقرأ : « ٢٠٠ ألف امرأة عربية بملابس خليعة يجتمعن من مختلف الأقطار العربية في حديقة «هايد بارك» البريطانية؛ ليرويَ الرجالُ ظمأهنَّ وشَبَقَهُنَّ » .

وما تزالُ بقلبي ألفُ مبكيَةٍ   من رهْبةِ البوحِ تستحيي وتضطربُ

الثاني عشر : العِشْق :

«العِشْق من أغراض البطَّالين ، وأمراض الفارغين ، يَنْحَل الأشباح النحول ، فيُنْحِل الأرواح بالذُّبول، فالدَّمْع هاطِل، والرأي عاطل، والحسَرَاتُ تتتابع، والزفرات تتتابع ، والأنفاس لا تمتدُّ ، والوسواس يشتدُّ ، والعيون طول الليل ساهرة ، والقلوب قد نسيت الآخرة .

وصاحبه يحصرُ هِمَّته في حصول معشوقه ، فَيُلهيه عن حُبِّ الله ورسوله ﴿ **بئس للظالمين بدلًا** ﴾ . إن عالي الهمَّة لا يستأسر للعشق الذي « يمنع القرار ، ويسلب المنام ، ويولِّه العقل ، ويُحدث الجنون ، وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعِرْضه ونَفْسَهُ ، وأتلف دينه ودنياه . والعشق يترك المِلِكَ مملوكًا ، والسلطان عبدًا ، ترى الداخل فيه يتمنَّى منه الخلاص ، ولات حين مناص ، وكم أكبَّت فتنة العشق رؤوسًا على مناخرها في الجحيم ، وأسلمتْهم إلى مقاساة العذاب الأليم ، وجرَّعتهم بين أطباق النار ، كؤوس الحميم »[(٢)] .

ولو فكَّر الإنسان في عيوب المحبوب ، وأنه أنذل من أن تُبذل في مثله

---

(١) زمن فيفي عبده ، لعماد ناصف صـ ٢٩- ٣٢، المركز العربي للصحافة والنشر والإعلام .

(٢) علو الهِمَّة صـ ٣٤٠- ٣٤١ ، روضة المُحبين لابن القيم صـ ١٨٢ - ١٩٠ .

القلوب ، ما هو إلا جسد مبنيٌّ من صلصال ، إن قلت له : صل ؛ صال .
قال المتنبي :

لو فكَّرَ العاشق في منتهى حُسْنِ الذي يُسْبِيهِ لم يسبهِ

وأنجع من هذا : زجْرُ الهِمَّة الأبيَّة عن المقامات الدنيَّة ، مع تفويتها المراتب العليَّة ، وما أحسن قول أبي فراس ، وقد أحسن فراس :

لقد ضلَّ مَنْ تحوي هواه خريدةٌ وقد ذلَّ مَنْ تقضي عليه كعابُ

ثم أين الأَنَفَة من الذلِّ ، والحبّ على الحقيقة كالغُلِّ .

قال أعرابي : ما أشدَّ تحويل الرأي عند الهوى ، هو الهوان وإنما غُلط باسمه فاشتقَّ له من جنسه ، وإنما يعرف ما أقول مَنْ أبكَتْه المنازل والطُّلول .

يا هذا ، قسْ لقمة آدم وعفاف يوسف على أمرك .

وأيُّ ذُلٍّ ورقٍّ أنكى من ذُلِّ رجل يقول لمعشوقته :

أتاني منك سبُّك لي فسبِّي أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

هل هذا يُعدُّ من الرجال .. لا والله .. أو قول الآخر :

لو كان لي قلبان عشتُ بواحدٍ وتركتُ قلبًا في هواكِ يُعذَّبُ

وقول الآخر :

ألستَ وعدتني يا قلبُ أني إذا ما بنتُ عن ليلى تتوبُ
فها أنا تائبٌ عن حُبِّ ليلى فما لك كلما ذُكرتْ تذوبُ

وانظر إلى العشق كيف يجعل من رجل أشقى الآخرين :

فعن عبيد الله أنَّ النبي ﷺ قال لعليٍّ : « يا علي ، مَنْ أشقى الأوَّلين والآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أشقى الأوَّلين عاقرُ الناقة ، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي . وأشار إلى حيث يطعن »[1] .

---

(١) صحيح : أخرجه ابن سعد في الطبقات ، وله شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير والحاكم ، وأحمد والبزار ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٨٨) .

فما قتل عبد الرحمن بن ملجم علي بن أبي طالب إلا بسبب عشقه لقطام ، وهي امرأة من تيم الرباب ، كانت ترى رأي الخوارج ، فلما أبصر بها عبد الرحمن عشقها فخطبها ، فقالت : لا أتزوَّجُك إلا على ثلاثة آلاف ، وقتْل علي بن أبي طالب . فتزوَّجها على ذلك ، وقتل عليًّا رضي الله عنه .

ولقد جرت على العشاق محنٌ لا تُطاق ؛ كان مجنون ليلى لا يعرف نهارًا ولا ليلًا ، غلب على قلبه الوسواس ، فهرب إلى الوحش من الناس ، فهو القائل :

إني لَأجلسُ في النادي أُحدِّثُهم ... فأستفيقُ وقد غالتني الغولُ
يهوى بقلبي حديث النفس نحوكُمُ ... حتى يقول جليسي أنت مخبولُ

ومرَّ المجنون على زوجها وهو يصطلي بجمر ، فقال له : يا عمرو .

بربِّك هل ضممت إليك ليلى ... قُبيل الصُّبحِ أو قبَّلتَ فاها
وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلى ... رفيفَ الأقحوانة في نداها

فقال له : نعم . فقبض من الجمر الذي لديه بيديه ، فما رماه حتى سقط لحمُ كفَّيْه ، وخرَّ مغشيًّا عليه . وكان إذا رأى الجبل قال : ليلى ، وإذا رأى البحر قال : ليلى.ولقد قدَّم ذات يوم طعامًا لذئب ، ولما عوتب : لِمَ منحتَ الذئب نيلا ؟ فقال : سامحوني ، فإنَّ عيني رأتْه مرَّةً في حيِّ ليلى . وهو الذي تقع ظبية في الأسر ، فينظر إلى الظبية طويلًا ، ويُطلق سراحها ، ويقول :

أيا شِبْه ليلى لن تُراعي فإنني ... لكِ اليومَ من بين الوحوش صديقُ
فما أنا إذ أشبهتها ثم لم تؤُبْ ... سليمًا عليها في الحياة شفيقُ
ففِرَّ فقد أطلقتُ عنك لحُبِّها ... فأنت لليلى ما حييتُ طليقُ

ويبكي . ولمَّا يُعاتَب يقول :

أتلحى مُحبًّا هائم القلبِ أن رأى ... شبيهًا لمن يهواه في الحبل موثقَا
فلمَّا دنا منه تذكَّر شجْوَهُ ... وذكَّره مَن قد نأى فتشوَّقا

وهو القائل :

تعلَّقَ رُوحي رُوحَها قبل خلقها ... ومن بعد ما كنا نطافى وفي المهدِ
وإني لمُشتاقٌ إلى ريح جيبها ... كما اشتاق إدريس إلى جنة الخلد

وهو القائل :

ولا سُمِّيتْ عندي لها من سَمية ... من الناس إلَّا بلَّ دمعي ردائيا
وددتُ على طيبِ الحياةِ لو انه ... يُزاد لليلى عمرها من حياتيا
على مثل ليلى يقتلُ المرءُ نَفْسَهُ ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا

وهو القائل :

عجبتُ لعروة العُذري أمسى ... أحاديثًا لقومٍ بعدَ قومِ
وعروةُ مات يومًا مستريحًا ... وهأنذا أموتُ بكلِّ يومِ

ويقول :

إذا صليْتُ يَمَّمْتُ نحوها ... بوجهي وإن كان المُصَلَّى ورائيا

وهو القائل :

وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ ... لعلَّ خيالًا منك يلقى خياليا
إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بذكراك هاديا

ويقول :

وإني لمجنونٌ بليلى موكَّلٌ ... ولستُ عزُوفًا عن هواها ولا جَلدا
إذا ذُكِرتْ ليلى بكيتُ صبابةً ... لِتذْكارها حتى يَبُلَّ البكا الخدَّا

أمَّا جميل بُثينة ، فيقول :

يقولون جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ ... وأيُّ جهادٍ غيرهنَّ أريدُ

وهو القائل :

أُصلي فأبكي في الصلاة لِذِكْرِها ... لي الويلُ ممَّا يكتبُ الملكانِ

وأمَّا العباس بن الأحنف فهو القائل :

وضعتُ خدِّي لأدنى مَنْ يُطيف بكم ... حتى احتُقِرتُ وما مثْلي بمُحتَقر

وهو القائل :

« سـيِّـدتي سـيِّـدتي إنـــه ليس لما بالعاشقين اكتتـامْ
سيّدتـــي سيّدتـــي إننـــي أعجزُ عن حَمْل البلايا العظامْ
سيّدتـــي سيّدتـــي فاسمعـــي دعوة ميتٍ عاشقٍ مُسْتَهَـامْ

ومرّ في أبيات كثيرة ؛ أوَّلُ كلِّ بيتٍ : سيّدتي سيّدتي ، فقال له أبو نواس : لقد خضعت لهذه المرأة خضوعًا ظننتُ معه أنك تموت قبل تمام هذه القصيدة(١).

وعروة بن حزام وهو القائل :

بنا من جوى الأحزان في الصدر لَوْعةٌ تكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيق تذوبُ
وإني لتَعْروني لذِكْراكِ هِـزَّةٌ لها بين جِلْدي والعظامِ دبيب

هـذا الذي قتله حبُّ ابنة عمته عفراء، فما زال يَنْحَل ويذوب حتى مات ... ومات وهو يُردِّد الشعر فيها :

جعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعرَّافِ نجد إن هُما شَفَيَاني
فما تركا من رُقْيَةٍ يَعْلَمانِها ولا سَلْوةٍ إلَّا بها سَقَيَـاني
فقالا: شفاك الله والله ما لنا بما حملتْ منك الضلوعُ يَدَانِ

فكيف بِدَنيِّ همّةٍ يُحبُّ القَيْنات والمُمثِّلات والراقصات ، وكم أسَرْنَ من عِلْية القوم :

ألا يا عاشقَ القَيْناتِ جَهْلا أردتَ بأن تكون أبا البُغُولِ

والساقطات هؤلاء يصدُق فيهنَّ قول القائل :

فيا مَنْ ليس يُقْنِعُها مُحِبٌّ ولا أَلْفَا مُحِبٍّ كلَّ عـامِ
أظنُّكِ من بقيَّةِ قومِ موسى فهم لا يصبرون على طعامِ
أتيتُ فؤادهـا أشكـو إليـــه فلم أخْلُصْ إليه من الزِّحامِ

---

(١) ذم الهوى صـ ٤٢٠ .

وقول القائل :

الخانُ يعجزُ عن قومٍ إذا كثُروا   لكنَّ قلْبك مثْل الخانِ أضعافُ
في كلِّ يومٍ له خمسون يعشقهم   في كلِّ شهرٍ له ألفٌ وآلافُ[1]

فإن كان هذا حال رؤوس القوم مع القيان والساقطات ، ممَّا يزكُم سيرتُه الأنوف .. فهل تقوم لهذه الأُمَّة قائمة وكبارُها يُقبِّلن أقدام الساقطات ؟! .

ممّا أضرَّ بأهلِ العِشْقِ أنَّهمُ   هَووا وما عرفوا الدنيا ولا فَطَنُوا
تَفْنَى عيونهم دَمْعًا وأنفُسُهمْ   في إثْر كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكم كُلُّ ناجِيَةٍ   فكلُّ بَيْنٍ عليَّ اليومَ مُؤْتَمَنُ
ما في هَوَادِجِكم من مُهْجتي عِوَضٌ   إنْ متُّ شوقًا ولا فيها لها ثمنُ
سَهِرتُ بعد رحيلي وَحْشَةً لكُمُ   ثم استمرَّ مَريري وارْعَوَى الوَسَنُ

يا هذا أتبيت من العَزْم في شعار أُوَيْس ، فإذا أصبحت أخذتَ طريق قيس ؟! تنقُض عُرَى العزايم عُرْوَةً عروة ، وكلّ صريعٍ في الهوى رفيقُ عروة ، كم تدفن كثيرًا من الأعزَّة ، وما يرجع كثيرٌ عن حُبِّ عَزَّة .

جنونك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ   طبيبًا يُداوي مِن جنونِ جنونِ

«والعشق الشَّهويُّ عبوديةٌ على عبوديةٍ، وذلَّة على ذلَّةٍ ، والبهيمة أحسنُ حالًا ممَّن ابتُلي به؛ لأنها إذا أسقطتِ الأذى عن نفسها بالسِّفادِ، سكنتْ فصارتْ إلى الراحة، وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها، ومن أثارَ شهوتهُ فهو كمن يُثير بهائم عادية وسباعًا ضارية .

قيل لبعض الحكماء : ما العشق ؟ قال : جنونٌ لا يُؤْجَر صاحبُهُ عليه . وسُئل آخر عنه فقال : نَفْسٌ فارغة لا هِمَّة لها . وقال غيره : هو سوءُ اختيار صادَفَ نَفْسًا فارغةً »[2] .

---

(١) الموشى للوشاء صـ ١٧٠ دار صادر .

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ٣١٦- ٣١٧ طبع دار الوفاء .

الثالث عشر : التعلق بغير الله :

ليس أضرّ على العبد من ذلك ، ولا أقْطع له عن مصالحه وسعادته منه ؛ فإنه إذا تعلَّق بغير الله ، وَكَلَهُ الله إلى ما تعلَّق به ، وخَذَلَه من جهة ما تعلَّق به ، وفاتهُ تحصيلُ مقصودهِ من الله عز وجل ، بتعلُّقه بغيره ، والتفاتِهِ إلى سواه ، فلا على نصيبه من الله حَصَل ، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلَّق به وَصَل .

فأعظم الناس خذْلانًا من تعلَّق بغير الله ؛ فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعظمُ ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به ، وهو معرَّض للزوال والفوات . ومثل المتعلّق بغير الله كمثل المستظِلِّ من الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت ، أوْهَن البيوت[1] .

الرابع عشر : تعلق الهمة بالأكل :

لمَّا قال الحطيئةُ للزَّبرقان بن بدر حين ذَمَّه :

دَعِ المكارمَ لا ترْحلْ لبُغْيتها　　　واقْعدْ فإنَّك أَنْتَ الطَّاعمُ الكاسِي

ولمَّا سأل عمر بن الخطاب حسان بن ثابت : أهجاه ؟ قال : لا أقول هجاه بل سَلَحَ عليه . أي بال عليه .

وعالي الهمَّة رجل عظَّمه صِغَرُ الدنيا في عينيْهِ ، فيكون خارجًا من سلطان بطنِهِ فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يُكثر إذا وجَد ، وكبير الهمَّة لا يرضَى بالهمم الحيوانيَّة ، فلا يصير عَبْدَ عاريةِ بطنِهِ وفرجِهِ .

وعالي الهمَّة يتناول الأكل تناوُلَ مضطرٍّ عالمٍ بقذارة مآله ، ويتحقَّق أن نسبة الإنسان إلى الثمار والفواكه ، نِسْبة الجُعْل إلى الرَّوْث ، فلو نطقَ الشجرُ لَقال لك : أنت تأكُلُ فُضالَتي كما يأكل الجعلُ فُضالتك ، والخنزير إذا استطاب لُفاظة الإنسان فما هو إلا كاسْتِطابَتنا لُفاظة الشجر . فألق يا إنسان عن مَنَاكبك الدِّثار ، وجَلِّ البصيرةَ واستعمل الاعتبار ، تجدْ صدْق ما قُلتُ .

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٧- ٤٥٨ .

وامتلاء البطن مُقوٍّ للشهوة، وقوّة الشهوة داعية للهوى، والهوى أعظم جند الشيطان، ومن آثر هواه وانتشر في بدنه؛ حلَّ في كلِّ عضو منه جزء بقدر وسعه له، فكثُرَ جنود الشيطان، والشيطان إذا تسلَّط على الإنسان، سباه من ربِّه وصرفه عن بابه.

عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاتٍ يُقمن صُلْبه، فإن كان لا محالةَ؛ فثُلثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنَفَسه»[1].

ودنيء الهِمَّة وسافلها الأكول، ذمَّه ربُّه؛ فقال تعالى: ﴿ **ذَرْهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلههمُ الأملُ فسوف يعلمون** ﴾ [الحجر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾ [محمد: ١٢].

نصيب سافل الهمَّة متاعٌ وأكْلٌ كما تأكل الأنعام.. أكْلٌ حيوانيٌّ شَرِهٌ، ومتاعٌ حيوانيٌّ غليظ .. حيوانية تتحقَّق في المتاع والأكل، تحسب الحياة كلَّها مائدة طعام، وفرصة متاع.

ومن الدلالة على خِسَّة كثرة الأكل؛ ادِّعاء العامَّة الاستغناء بالقليل، وقلَّة وجود المفتخر بكثرة الأكل، وقد قيل: مَنْ كانت هِمَّته ما يدخل بطنَه ويأكله، فقيمته ما يُخرجه.

فإنك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَهُ ... وفرجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا[2]

«حَسْبُ ابنِ آدم لُقيْماتٍ يُقمنَ صُلْبَهُ ..»، وقد قال ﷺ: «المؤمن

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وابن المبارك وابن سعد وابن عساكر، وصححه الألباني في الإرواء رقم (٢٠٤٣)، والسلسلة الصحيحة (٢٢٦٥)، وصحيح الجامع (٥٥٥٠).

(٢) ديوان حاتم الطائي - دار صادر - بيروت صـ ٦٨.

يأكل في مِعًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[١] .

فنبَّه في الخبرين أنه لا يُستحبُّ للإنسان إلا الأكل في سُبع بطنه ، وهو ما ذكره من اللُّقَيْمات، وذلك دون عشر لُقيمات؛ لأن جمع القِلَّة بالألف والتاء لِمَا دون العشرة ، ثم رخَّص لمن غلب عليه النَّهَمُ أن يبلغ إلى ثُلُث بطنه ، وإن جاز له أن يشبع أحيانًا .

يا هذا ، كيف تُطيق السهر مع الشبع ؟ كيف تُزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل !

إنَّ للحربِ رجالًا خُلقوا ورجالًا لقصعةٍ وثريدِ

يا غافل القلب ، ما هذا الكلام لك ؟ ليس على الخراب خراج ، لا يعرف البَرَّ إلا سائح ، ولا البحر إلا سابح ، ولا الزِّناد إلا قادح .

لمَّا عشقت اللبلابة الشجر تقلقلت طلبًا لاعتناق الرُّوس ، فقيل لها : مع الكثافة لا يُمكن ؛ فرضيتْ بالنحُول .

«سُئل سهلٌ التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلةً؟ قال: أكْلُ الصِّدِّيقين. قال له : فأكلتيْن ؟ قال : أكل المؤمنين . قيل له : فثلاث أكلات ؟ فقال : قل لأهله يبنوا له معْلفًا »[٢] .

ولله درُّ القائل :

إذا المرء لم يتركْ طعامًا يحبُّهُ ولم يَنْهَ قلبًا غاويًا حيثُ يمَّما
قضىٰ وَطَرًا منهُ وغادَر سُبَّةً إذا ذُكرتْ أمثالها تملأ الفما[٣]

الخامس عشر : همَّة لا تتعدَّى اللِّباسَ والمظهر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعِسَ عبدُ

---

(١) رواه البخاري وأحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر، وأحمد ومسلم عن جابر، وأحمد ومسلم والبخاري عن أبي هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى .

(٢) الفوائد لابن القيم صـ ٢٣٦ .

(٣) ذمّ الهوى صـ ٣٣٠ .

الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ؛ إن أعطي رضيَ ، وإنْ لم يُعطَ سخِط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبدٍ آخِذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرَّة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في السَّاقَة كان في الساقة ، إن استأذن لم يُؤْذَن له ، وإن شفع لم يُشفع »[1] .

فانظر كيف جعله رسول الله ﷺ عبدًا للخميصة ؟! هل بعد هذا دناءة في همته ؟!

يا لاحِقًا بآبائه وأُمَّهاته، لا بدَّ أن يصير الطَّلا إلى مَهَاتِه، يا من جلَّ هِمَّته شغل خياطِه وطُهَاتِه ، يغلبه الهوى وهو غالب دُهَاتِه ، إن كان لك عذر في تفريطك فهاتِه.

يا هذا ، أفضل الملبوس : الحرير ، وهو صُنْع دودةٍ ، فبِمَ تفتخر ؟!

قال طاوس لعمر بن عبد العزيز : ما هذه مشية مَن في بطنه خراء !! إذْ رآه يتبختر ، وكان ذلك قبل خلافته .

هل نسي الذي ما تتجاوز همته ثيابه والمظهر ، هل نسي الرجيعَ في أمعائه ، والبول في مثانته ، والمخاط في أنفه ، والبزاقَ في فيه ، والوسخ في أذنيه ، والدم في عروقه ،والصديد تحت بشرته ، والصنان تحت إبطه؟! ولينظرِ الإنسان إلى أصله حتى يَفيق مِن سَكْرته .

السادس عشر : تعلُّقُ الهمَّة بالمَال والجاه :

الهمة السافلة إذا تعلَّقت بتمكين السلطان وولايته ، فهي مبنيَّة على أمر أشدّ غلَيانًا من القِدْر في تقلُّبه ، فإن تغيَّر كان أذلّ الخلْق . وهذه الهمة المتعلِّقة بالمال والجاه ، لو رأى صاحبها أن في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمُّل؛ لأَفاق من سكرته. فأفٍّ لشَرفٍ يسبقك به اليهودي!! وأفٍّ لشرفٍ

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه .

يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلًا مفلِسًا !!

أما ترى إلى فرعون وقوله : ﴿ **أليس لي ملْك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي....**﴾[الزخرف : ٥١] ؟! ولسان الحقيقة يقول : يا هذا ، حمارك ينهق من كفٍّ شَعير، ما تساوي مصرُ مِن جَناح البعوضة،ورسول الله ﷺ يقول: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»؟![1] .

والمال أخسُّ القُنْيات ، والمال خادم لغيره من القُنْيات ، وإن كان كثير من الناس لجهلهم يجعلون جاهَهم وأبدانهم ونفوسهم خدَمًا للمال وعبيدًا له ، وهم الذين ذمَّهم النبي ﷺ في قوله: «تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم». وقال تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نُمدُّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾[المؤمنون : ٥٥-٥٦] .

صاحب الهمة الدنية التي لا تتجاوز همته المال ؛ لئيم صغير النفس ، يُؤْتَى المالَ فتسيطر نفسه به ، حتى ما يُطيق نفسه !! يروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة، القيمة التي تهون أمامها جميعُ القيم وجميع الأقدار ؛ أقدار الناس ، وأقدار المعاني ، وأقدار الحقائق !! وأنه وقد ملك المال فقد ملك كراماتِ الناس وأقدارهم بلا حساب !! كما يروح يحسب أن هذا المال إله قادر على كلِّ شيء ، لا يعجز عن فعْل شيء ، ومن ثَمَّ ينطلق في هَوَس بهذا المال يَعدُّه ويَستلذّ تَعداده ، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم ، فما أهبطه وألأَمَه حين يخلو من المروءة ويتعرَّى من الإيمان ؟!

وقبيح بالحُرِّ المترشِّح لنيْل الفضائل - وهو يأمل الوصول إلى الغنىٰ الأكبر - أن يتهافت على المال ويتناول أكثر ممَّا يحتاج إليه ، ويجعل نفسه أقلَّ رقيق له وأخسَّه،فرِقُّ ذوي الأطماع رقٌّ مُخلَّدٌ ، يكون معتكِفًا فيه على حجَر يعبده ، كما قال تعالى : ﴿ **يعكفون على أصنامٍ لهم** ﴾[الأعراف : ١٣٨] .

(١) صحيح : رواه الترمذي والضياء عن سهل بن سعد .

قال رسول الله ﷺ : « يقول ابن آدم : مالي ، مالي . وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيت؟»[1].

وقال ﷺ : « يقول العبد : مالي ، مالي . وإن له من ماله ثلاثًا : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس »[2].

يا عُبيْدَ فِلْسِه يا عدوَّ نفسِه ، تُعانِقُ الدنيا بيد الحِرص عِناقَ اللام للألف ، وتُنزِل الدرهمَ من القلب ، منزلةَ البرْءِ من الدَّنِف ؟!

يا جامِعًا مانِعًا والدهرُ يرْمُقُهُ مقدِّرًا أيّ بابٍ عنهُ يُغلقُهُ
جمعتَ مالًا فُقلْ لي : هل جمعتَ لَهُ يا غافِلَ اللُّبِّ أيَّامًا تُفرِّقُهُ ؟
المالُ عندك مخزونٌ لوارثِهِ ما المالُ مالُك إلا يومَ تُنفِقُهُ

في كل زمان ومكان تستهوي زينة المال والجاه بعض القلوب ، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ، ولا يتطلَّعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها ، فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته ؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عَرَض الحياة ؟ من مال أو منصب أو جاه . ومن ثَمَّ تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحَلوىٰ ويتهاوى ، ويَسيل لُعابُهم طَمَعًا فيما في أيدي المحظوظين من متاع ، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدّوه ، ولا إلى الطريق الدَّنِس الذي خاضوه ، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها !!.

فأما عُلاةُ الهمَّة المتصلون بالله ؛ فلهم ميزانٌ آخر يقيِّم الحياة ، وفي نفوسهم قِيَمٌ أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع ، وهم أعلى نفسًا ، وأكبر قلبًا من أن يتهاوَوْا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعًا ، ولهم من استعلائهم بالله عاصِمٌ من التخاذُل أمام جاه العباد .

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عبد الله بن الشخير .
(٢) رواه أحمد ، ومسلم عن أبي هريرة .

ولله درُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال للسلطان : مُلْكُك ومُلك مَلِك المغلّ ، لا يساوي عندي فِلسًا .

يا دنيء الهمة، أين قارون؟ أما هلكتْ في الزمان جديسُه وطَسْمُه؟![1] . ولقد ذهب مَن كان وكان اسمُه ، فلا عينه تُرىٰ ولا رسمُه ، ولا جوهره يُحسُّ ولا جسمُه ، تبدَّد .. والله .. بالممات نظمُه ، ولحِق بالرفات عظمُه !!

السابع عشر : حبُّ الرَّاحة وكثْرة النَّوْم :

وكثرة النوم تميت القلب ، وتثقل البدن وتضيع الوقت ، وتورث كثرة الغفلة والكسل .

يا مشغولًا باللـذَّات الفانيات ، متى تستعدُّ لمُلِمَّاتِ الممـات ؟! متى تستدرك هفوات الفوات ؟! أتطمع مع حبِّ الوسادات في لِحاق السادات ؟! وأنىٰ تجعلك مثلهم ؟ أنَّى وهيهات ؟!

لا يطمعَنَّ البطَّال في منازل الأبطال . إن لذَّة الراحة لا تُتَناول بالراحة . من زرع حصَد ، ومَن جَدَّ وجَد .

وكيف يُنالُ المجدُ والجسمُ وادِعٌ   وكيف يُحازُ الحمدُ والحمد وافِرُ

رحلتْ رُفْقَةُ ﴿ **تتجافى** ﴾، ومطرودُ النوم في حَبْس الرقاد ، فما فكَّ عنه السجَّان قَيْدَ الكَرَىٰ حتى استقرَّ بالقوم المنزِل ، فقام يتلمَّح الآثار بباب الكوفة ، والأحباب قد وصلوا إلى الكعبة .

أفٍّ لك ، أما تأنف من بوْل الشيطان في أُذنيْك ؟! كيف ترضىٰ بأن يكون الشيطان حاديك: « عليك ليلٌ طويل فارقدْ». «ذاك رجلٌ بالَ الشيطان في أذنيْه » . إنه – والله – بوْل ثقيل !!

يا دنيء الهمة ، رياح الأسحار لا يشمُّها مزكومٌ غفلةً ، ولو شممت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور .

---

(١) جديس وطَسْم : اسما قبيلتين انقرضوا قديمًا .

يا ثقيل النوم، يا بطيء اليقظة، أما يُنبِّهك الأذان؟! أمَا تُزعجك الحُداة؟! أترى نخاطب عَجمًا ، أو نكلم صُمًّا ؟! لا تكنْ دني الهمَّة كرجل :

عكفتْ عليهِ المُخزياتُ فما لهُ   متأخَّرٌ عنها ولا مُتزحْـزَحُ
وإذا رأىٰ الشيطانُ غرَّة وجهِهِ   حيًّا وقال: فديتُ مَن لا يفلحُ

خلَتْ والله الديار وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر وبقي أهل النوم، واستبدل الزمان آكِلي الشهواتِ بأهل الصوْم !!

يا هذا ، لستَ والله منهم .. سل الليلَ عنِ الأحباب ؛ فعنده الخبر .

أتـرىٰ حبَّكـمْ لمَّــا سرَىٰ   أخَذَ النومَ وأعطىٰ السهَـرَا
حبَّـذا فيكَ حـديثٌ باطِـنٌ   فطِـنَ الدمـعُ بـهِ فانتشـرا

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالدُّلْجة؛ فإن الأرض تُطوىٰ بالليل»[1].

وقال رسول الله ﷺ : « مَن خَاف أدْلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سِلْعَةَ الله غالية ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة »[2] .

يا كثيرَ النوم .. يا بعيدًا عن القوم .. تنبَّه ، أما تسمع الحادي ينادي في الدياجي : « عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرىٰ » .

الثامن عشر : الانحراف عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة :

عدَّها من الأسباب شيخنا الذي أخرجنا بفضل الله ورحمته وربَّانا على الطاعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة - الشيخ محمد إسماعيل - فيقول : « لا سيما مسألة القضاء والقدر ، وعدم تحقيق التوكُّل على الله سبحانه وتعالى ، وبدعة

---

(١) صحيح : رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٤٣)، والصحيحة رقم (٦٨١) .

(٢) صحيح : رواه الترمذي ، والحاكم عن أبي هريرة ، وعبد بن حميد ، والعقيلي في الضعفاء ، وأبو نعيم والقضاعي ، وأخرجه الحاكم عن أُبيّ ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٩٨) .

الإرجاء » .

«وفي باب التوكل يكثر اشتباه الدعاوى فيه بالحقائق، والعوارض بالمطالب، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة » .

يقول ابن القيم : « وكثيرًا ما يشتبه في هذا الباب ، المحمود الكامل بالمذموم الناقص ؛ فيشتبه التفويض بالإضاعة ، فيضيِّع العبد حظه ؛ ظنًّا منه أن ذلك تفويض وتوكُّل، وإنما هو تضييعٌ لا تفويض . فالتضييع في حق الله ، والتفويض في حقك .

ومنه : اشتباه التوكل بالراحة ، وإلقاء حمْل الكَلِّ ، فيظن صاحبه أنه متوكل ، وإنما هو عامل على عدم الراحة .

وعلامة ذلك أن المتوكِّل مجتهدٌ في الأسباب المأمور بها غاية الاجتهاد، مستريحٌ من غيرها لتعبه بها . والعامل على الراحة آخذٌ من الأمر مقدار ما تندفع به الضرورة وتسقط به مطالبة الشرع ؛ فهذا لون ، وهذا لون .

ومنه : اشتباه خلع الأسباب بتعطيلها ؛ فخلعها توحيد ، وتعطيلها إلحاد وزندقة . فخلْعُها : عدم اعتماد القلب عليها ، ووثوقه وركونه إليها مع قيامه بها . وتعطيلها إلغاؤها عن الجوارح .

ومنه : اشتباه الثقة بالله بالغرور والعجز . والفرق بينهما : أن الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به ، ووثق بالله في طلوع ثمرته ، وتنميتها وتزكيتها، كغارس الشجرة وباذر الأرض ، والمغتر العاجز قد فرَّط فيما أُمِر به ، وزعم أنه واثق بالله ، والثقة إنما تصح بعد بذْل المجهود .

ومنه : اشتباه الطمأنينة إلى الله والسكون إليه بالطمأنينة إلى المعلوم وسكون القلب إليه ، ولا يميِّز بينهما إلا صاحب البصيرة ؛ كما يُذكر عن أبي سليمان الداراني : أنه رأى رجلا بمكة لا يتناول شيئًا إلا شربة من ماء زمزم ، فمضى عليه أيام . فقال له أبو سليمان يومًا : أرأيت لو غارت زمزم ، أي شيء كنت تشرب ؟ فقام وقبَّل رأسه ، وقال : جزاك الله خيرًا ، حيث

أرشدتني ، فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى »[١] .

«أما الفهم للتوكُّل وترك الأسباب جملة والتواكل ، فهذا أبعد شيءٍ عن حال أولي التوكل حقًّا من الصحابة وسلف الأمة ، وأكمل المتوكِّلين بعدهم هو من اشتمَّ رائحةَ توكُّلهم من مسيرة بعيدة ، أو لِحقَ أثرًا من غبارهم ؛ فحالُ النبي ﷺ وحالُ أصحابه مَحَكُّ الأحوال وميزانها ، بها يُعْلم صحيحها من سقيمها . فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم ؛ فإن توكُّلَهم كان في فتْح بصائر القلوب ، وأن يُعبد الله في جميع البلاد ، وإن يُوحِّده جميعُ العباد ، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملئوا بذلك التوكُّل القلوب هدى وإيمانًا ، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان، وهبَّت رياحُ روح نسمات التوكُّل على قلوب أتباعهم فملأتها يقينًا وإيمانًا . فكانت همم الصحابة رضي الله عنهم أعلى وأجل من أن يصرف أحدُهم قوة توكُّله واعتماده على الله في شيءٍ ممَّا يحصُل بأدنىٰ حيلة وسعي ، فيجعله نِصب عينيه ، ويحمل عليه قوى توكُّله »[٢] .

« ولما انتشرت فكرة الجبر بين المسلمين في العصور المتأخرة ، عن طريق الطرق الزائغة والمتصوفة ؛ أضرَّت إضرارًا عظيمًا سيما مع ترْك الأسباب ، قال بعضهم :

جرىٰ قلمُ القضاءِ بما يكونُ فسيّان التحرُّكُ والسكـونُ
جنونٌ منك أنْ تسْعىٰ لرزقٍ ويُرزَقُ في غيابتـه الجنين[٣]

ومن آثارها أن أصحابها تركوا الأعمال الصالحة الخيرة التي توصلهم إلى الجنة وتنجِّيهم من النار وارتكبوا كثيرًا من الموبقات بدعوىٰ أن القدر آتٍ ،

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣- ١٢٤ .
(٢) مدارج السالكين ١٣٥/٢ .
(٣) شفاء العليل لابن القيم صـ ٥ .

وكلُّ ما قُدِّر للعبد سيصيبُه ؛ فلماذا العمل والتعب والنصب ؟!!

لقد ترك هؤلاء الأخذ بالأسباب ؛ فتركوا الصلاة والصيام ، كما تركوا الدعاء والاستعانة بالله والتوكُّل عليه ؛ لأنه لا فائدة منها ، فالذي يريده الله ماض قادم لا ينفع معه دعاء ولا عمل !! ورضي كثير من هؤلاء بظلم الظالمين وإفساد المفسدين ؛ لأن ما يفعلونه قدرُ الله وإرادته .

وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يهتموا بإقامة الحدود والقصاص ؛ لأن ما وقع من المفاسد والجرائم مقدرٌ لا مفرَّ منه »[١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فمن أثبت القدر واحتجَّ به على إبطال الأمر والنهي، فهو شرٌّ ممَّن أثبت الأمر والنهي و لم يثبت القدر »[٢] .

يقول ابن القيم في وصْف هذا المبتدع دني الهمة : « لو علم هذا الجاهل أنه هو القاعد على طريق مصالحه ، يقطعها عن الوصول إليه ، فهو الحجر في طريق الماء الذي به حياته ، وهو السَّكْر الذي قد سدَّ مجرىٰ الماء إلى بستان قلبه ، ويستغيث مع ذلك: العطش، العطش؛ وقد وقف في طريق الماء، ومنع وصوله إليه ، فهو حجاب قلبه عن سرِّ غيبه ، وهو الغيم المانع لإشراق شمس الهدى على القلب ، فما عليه أضرّ منه ، ولا له أعداء أبلغ في نكايته وعداوته منه .

ما تبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهلُ من نفسهِ

فتبًّا له ظالمًا في صورة مظلوم، وشاكيا والجناية منه، قد جدَّ في الإعراض وهو ينادي : طردوني ، وأبعدوني . ولّى ظهره الباب ، بل أغلقه على نفسه وأضاع مفاتيحه وكسرها ، ويقول :

دعاني وسدَّ الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيلٌ بيِّنوا لي قصَّتي

فيا ويله ظهيرًا للشيطان على ربِّه، خصمًا لله مع نفسه، جَبْري المعاصي،

---

(١) القضاء والقدر للشيخ عمر سليمان الأشقر صـ ٧٣ - دار النفائس بالكويت .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٠٠ .

قذَرِّي الطاعات ، عاجز الرأي ، مضياع لفرصته ، قاعد عن مصالحه ، معاتب لأقدار ربِّه ، يحتجُّ على ربِّه بما لا يقبله من عبده وامرأته وأَمَته إذا احتجُّوا به عليه في التهاون في بعض أمره ؛ فمن أولى بالظلم والجهل ممن هذه حاله ؟! »[1] .

وللسحر مملكة ونفوذ :

وانظر إلى دناءة الهمة .. والشرك الذي يقع فيه مَنْ يُديرون دفَّة الأمور في بلاد العرب، وكيف تسيطر «الساحرة العالمية»- «كريستين داجواي»- نائبة رئيس الاتحاد العالمي للروحانيين والفلكيين بباريس ، على مجاري الأمور ...... هذه الساحرة التي كان لها أكبر تأثير على الرئيس الفرنسي ميتران ، والأمريكي بوش، ورئيس وزراء بريطانيا جون ميجور، وكارلوس منعم، بل والملك حسين ، وأمير المؤمنين الملك الحسن ملك المغرب !! تقول هذه الساحرة الكافرة ، عن انتشار السحر بالمغرب ونفوذه الكامل على ملكه : « من أعجب أسرار مملكة السحر التي يديرها أحدُ الزعماء .. هي مملكة كاملة تحت الأرض عبارة عن مدينة كاملة.. في بلد عربي كبير.. يعيش فيها آلاف من السَّحرة العُتاة الأشداء، تقريبًا من يدخل هذه المملكة لا يخرج منها مرة أخرى إلى الحياة فوق سطح الأرض ، ويستمر يعمل بها حتى الموت .. هذه المملكة هي أقوى مملكة للسَّحرة موجودة في الكرة الأرضية، وتم تأسيسها منذ أكثر من ٥٠ عامًا، وهي تستخدم لتسيير دفَّة أمور الحُكْم والحياة اليومية في هذه الدولة . وأهم عمل يشغل السَّحرة في هذه المملكة الغامضة ؛ هو تأمين حياة زعيم هذه الدولة ، وانقاذه من تعرُّضه لأي خطر . وقد تمكن هؤلاء السحرة ذات يوم منذ حوالي ١٨ عامًا، من إنقاذ هذا الزعيم عندما قام وزير داخليته – في ذلك الوقت – بمؤامرة للقضاء على حياته بنسْف طائرته في الجو ، وتمَّ الاستعانة « بمملكة » السحر

---

(١) مدارج السالكين ١/١٩٢ .

لإزالة هذا الخطر بسرعة فائقة أدهشت العالَمَ كلَّه في ذلك الوقت »[١] .

ثم بعد ذلك يريدون نصرًا على إسرائيل !!!

التاسع عشر : التأثُّر بالصوفية :

قال الشيخ محمد بن إسماعيل : « ومنها المناهج التربوية والتعليمية الهدَّامة التي تثبِّط الهمم، وتخنق المواهب، وتكبت الطاقات، وتخرب العقول، وتنشئُ الخنوع، وتزرع في الأجيال ازدراء النفس، وتعمِّق فيها احتقار الذات، والشعور بالدونية ؛ كقول بعض الصوفية : « الفقير : هو الذي يأكله القمل ، ولا يكون له ظفر يَحُكُّ به نفسه » . وقولٍ ثانٍ : « الصوفي من يرى دمه هدرًا ، وملكه مباحًا». وقولٍ ثالث: «إنه ما سُرَّ في إسلامه إلا ثلاث مرات: كنتُ في سفينة، فلم أجد أحقر مني فيها، وكنت مريضًا في المسجد، فجرَّني المؤذِّن إلى خارجه، وكان عليَّ فرو فنظرت فيه، فلم أميِّز بين شعره وبين القمل من كثرته».

ومن ذلك : منهج بعض الصوفية في الإعراض عن علوم القرآن والسنة ، وترهيب مريديهم من طلب العلم الشرعي ؛ حتى سقط من كُمِّ أحدهم يومًا قلم كان يخفيه ؛ خشيةَ أن يُفتضح بينهم بطلب العلم ، فقال له شيخه : « اسْتُرْ عورتك ». يمنعون من سماع الحديث ، وهذا ينبئ عن باطنٍ خبيث. العلوم الشرعية عندهم حجاب ، والهذيان في علم الصوفية لباب »[٢][٣] .

العشرون : اضطهادُ العاملين للإسلام ، والشعور بالإحباط في النفوس التي لا تفقه حقيقة البلاء :

إن لله سننًا في خلقه وفي الدعوة ، ولا يُمَكَّن الرجل حتى يُبتلى ، وقد يستطيل قوم الطريق ، فيضعف السير إلى الله عز وجل ، وهم يرون الشَّر نافشًا

---

(١) أسرار أهل السياسة والفن مع السحر والجن ، لصابر شوكت صـ ١١٢ – الناشر مدبولي الصغير .

(٢) علو الهمة ٣٤١– ٣٤٢ .

(٣) مقامات ابن الجوزي صـ ٣٢١ – ٣٢٢ .

والخير ضاويًا ، ولا شعاعَ في الأفق ، ولا معلم في الطريق .. فأين وعد الله عز وجل : ﴿ **ولقد سبقتْ كَلِمَتُنا لعبادنا المرسلين إنَّهم لهُمُ المنصورون وإنَّ جندنا لهُمُ الغالبون** ﴾ [الصافات : ١٧١- ١٧٣] ، وقول الله عز وجل : ﴿ **وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكنن لهم دينهمُ الذي ارتضىٰ لهم وليُبدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [النور : ٥٥] .

وإني على ثقةٍ من طريقي إلى الله ربِّ السَّنا والشروقِ
فإن عاقني السير أو عقَّني فإني أمينٌ لعهدي الوثيـقِ
أخي ستبيد جيوش الظلام ويشرق في الكون فجرٌ جديدْ
فأطْلِـقْ لـروْحِك إشراقَهـا تَرَ الفجر يرمقُنا من بعيدْ

يقول محمد عواد رحمه الله ، وتقبَّله الله في عداد الشهداء :

لماذا رهبتَ نزال الرجـال وأنتَ المحنَّكُ والحاذقُ
لـماذا ذرفتَ دمـوع الخنوعِ وأنت المبـرَّزُ والسابـقُ
لماذا سلكتَ دروب الظلامِ ودَرْبُك في نـوره يفـرقُ
لماذا ركنتَ لدنيا الـزوالِ تُرقِّـعُ فيمـا غـدًا يُخْـرَقُ
فكُنْ يا أخي زفرةً تَحْرِقُ وكن يا أخي لفحةً تصْعَقُ
فكُنْ فيهمُ مثلَ ليثٍ هصور يغيـرُ ويمرقُ لا يفـرق
أتخشىٰ الرجالَ وفقْرَ العيالِ فربُّ العيالِ هـو الـرازقُ
وعُمْرك رهنٌ لموتٍ قريبٍ فإن جاء في حينهِ تَزْهَقُ
يساقُ الجبانُ لـذلِّ الهوانِ وسَيْفُ الصغارِ لَهُ سائقُ
ومَن يمنعِ النَّفسَ جُبْنًا وخَوفًا يُمتْـه المنـون ولا يُشْفِـقُ
فلوْ صدقوا الله أو صدَّقوا بقـرآن ربِّك أو طبَّقُـوا
لنالوا الثريَّـا وقـدرًا عليًّـا وخيرًا سخيًّا بهمْ يُغـدَق

ولو رجعوا اليومَ ثم استنابوا لبرُّوا الجميع وما أخفقُوا[1]

إن لله سُنَّةً سوف تمضي فاملئوا الأرض ضَجَّةً واحتجاجًا

أَوْقِفُوا الفجرَ إنْ قدرتم وصدُّوا الشـــــمس أن ترسل السَّنا الوهَّاجا

وامنعوا الزهرَ أن يفوحَ شذاه وامنعوا البحرَ يقذفُ الأمواجا

المسلمون قادمون :

لَنْ تُطفئوا شمسَ الضّحىٰ .. بنفخةٍ .. يا جاهلون

لن تَهْزموا جنودَ ربِّي .. إن جندَ الله دَوْمًا غالبون

فالفجرُ لاحْ

والديكُ صاحْ

والعطرُ – عطرُ الحقِّ – فاح

والنهارُ قادم .. والمسلمون قادمونْ

فقل لأنصارِ الظلام : ما لكم لا تعقلون

مَنْ ذا يُؤخِّر النهارَ ؟

مَنْ يُصارع الأقْدارَ

مَنْ يُعاندُ القَهَّارَ ؟

مَنْ يُناطحُ المريخ ؟

من يوقِّفُ التاريخ ؟

ليعلموا عِلْمَ اليقين .. إننا لقادمون

أجَلْ أجَلْ المسلمون قادمون

نَعَمْ نَعَمْ

---

(١) محمد عواد الشاعر الشهيد لجابر رزق صـ ٥٢- ٥٤ من قصيدة مصارحة – الوفاء للطباعة والنشر .

أنا شمسٌ ليس تُطْفا بهبوبِ العاصفاتِ
ذاك سِرِّي يا زماني فليمُتْ غيظًا عداتي(١)

الحادي والعشرون: التقليد الأعمى، والتبعيَّة المطلقة للغرب والتمسُّح بأعتابه :

لله درُّ القرضاوي وهو يقول :

من كان للغرب عبدَ الفكرِ خاضعَهُ فليسَ منَّا ولسنا منه في نسبِ

ولله درُّه وهو يقول عن الغرب :

كيف نرجو من السجين معينا وهو في القيد ينشُدُ الإفراجا
سُبُل الغربِ كلُّها جُحْرُ ضبٍّ وسبيلُ الإسلام كانت فجاجا

ألف مُبْكيةٍ ومُبْكية :

أميرُ دولةٍ عربية يدفع ٤ مليون دولار لحديقة حيوان بريطانيا ؛ شفقةً منه على حيوانات حديقة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .. فهلَّا أنزلوا أطفال البوسنة منزلة حيوانات بريطانيا ؟!!

وانظر إلى مطربة الجنس الأولى في إسرائيل ، والرمز والمثل الأعلى للشواذ في إسرائيل ، وما يقوله محمد الغيطي في كتابه : « إن صديقًا لي من إحدى الدول الخليجية أول شيء سألني عنه وأنا أستقبله في المطار : هل وصل عندكم شريط دانا ؟! وكنتُ لم أعرف اسمها المزدوج ، فقلت له : من هي دانا ؟ فقال لي : أنتم متأخرون جدًّا، إنها المطربة الأُولى المفضَّلة لدى الشباب الآن !!.. وهي بلا شك تحظى على تقدير واحترام زعماء وقادة إسرائيل ؛ لأنها استطاعت في مدة قصيرة جدًّا – لا تتجاوز العام – السيطرة على آذان ما لا يقل عن عشرين مليونًا من الشباب العربي يحفظون أغانيها في المنطقة العربية كلها »(٢) .

---

(١) من ديوان المسلمون قادمون للقرضاوي، بتصرف – دار الوفاء .

(٢) فضيحة اسمها سعيدة سلطان لمحمد الغيطي، صـ١٢، ١٣، ١٥– الناشر عماد ناصف .

ويقول عن أشرطة أغانيها: «إن النسخة الواحدة وصل سعرها لخمسين جنيهًا ، وحسب منفذ توزيع سِرِّي لهذه الأغاني في العتبة ، يقول : إنَّ الشركة التي أعطته « أول طرحة » من الشريط الأول – حسب قوله – طبعت منه في مرة واحدة خمسة مليون نسخة .. أَيَّة دائرة جهنمية ، يحرِّك خيوطها أبناء إبليس ؟! »[1] .

« في مصر رسميًّا أكثر من ٢٥٠ ألف راقصة ، والاشتراك السنوي لبعض النوادي الرياضية بلغ ٢٥ ألف جنيه، وإحدى شركات السيراميك طرحت مؤخرًا بانيو للحمام ثمنه ١١٥ ألف جنيه ، وهناك مئات اشتروا هذا البانيو !!

ولمبة جاز على الطراز القديم مصنوعة من بنورة أوبالين ثمنها ٢٣ ألف جنيه ، اللمبة تُستخدم كديكور فقط ، وثمن وجبة عشاء بعض فنادق الخمس نجوم وصل ١٥٠٠ جنيه فقط !!

وفي سويسرا أُعلِن عن أسماء مائة أغنى رجل في العالم منهم ثلاثة من مصر.

وفي مصر ٥٠ فردًا تبلغ ثروة كل واحد منهم ما بين مائة مليون دولار إلى ٢٠٠ مليون دولار أي حوالي ٧٠٠ مليون جنيه ، ومائة فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٨٠ ومائة مليون دولار ، و ١٥٠ فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٥٠ : ٨٠ مليون دولار ، و ٢٢٠ فرد ثروة كل منهم ما بين ٣٠ : ١٥ مليون دولار و ٣٥٠ فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ١٥ : ٣٠ مليون دولار ، و ٢٨٠٠ فرد ثروة كل منهم ما بين ١٠ : ١٥ مليون دولار ، وفي مصر أيضًا ٧٠ ألف فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٥ : ١٠ مليون دولار ، على مسئولية الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل بالإشارة إلى تقرير أعدَّه خبراء من عدد من الدول .

---

(١) فضيحة اسمها سعيدة سلطان لمحمد الغيطي، صـ ١٢، ١٣، ١٥ – الناشر عماد ناصف .

وفي مصر ٤٠٠٠ مطعم للأثرياء فقط، وأحد بيوت التجميل المعروفة، والذي تمتلكه سيدة ، يحصل على عشرة آلاف جنيه في الشهر من مئات السيدات ؛ معظم السيدات راقصات أو فنانات أو زوجات مليونيرات »[(١)] .

« وشارع الهرم هذا الشارع الذي وصفه مسئول عربي كبير يومًا – بشكل عَفْوي– وهو يلقي خطبة قائلًا: «إن شارع الهرم هو وطننا الثاني»[(٢)].

وهنا في مصر أكثر من ٥٠ شقة باعها الملياردير المصري المعروف صاحب الشركات الضخمة (أ . ك) ، قيمة الشقة ١٥ مليون دولار ، أي ما يعادل ٥٠ مليون جنيه مصري ؛ الشقة مساحتها أكثر من ألف متر ، مجهزة بحمام سباحة وبار ، أكثر من عشر غرف نوم وثلاث حمامات .. حمام خاص بالسَّوْنا ، مكان خاص بالسيارة داخل الشقة !!

١٥ مليون دولار ثمن الشقة التي أسموها سوبر كلاس لماذا ؟! قالوا : لأن البرج الموجود به أسانسير خاصٌّ بالسيارة ، تستطيع أن تدخل بالسيارة حتى داخل شقتك !! وأيضًا هناك مهبط للطائرات أعلى البرج ، وحمَّامات سباحة أعلى وأسفل البرج ، ودوائر تلفزيونية مُجهَّزة بكاميرات دقيقة ووسائل تأمين وأقمار صناعية وجهاز كمبيوتر يتحكَّم في كل شيء بالشقة بدايةً من فتحها وحتى سيفون الحمام »[(٣)] .

« واحتلت مصر في هذا الزمن المرتبة الأولى في العالم استيرادًا للسيارة المرسيدس رسميًّا عام ١٩٩٤ ، في حين أنها كانت الدولة رقم ١٧ في استيراد هذه السيارة عام ١٩٨٣ ، ثم جاءت السيارة الشَّبح لسرعتها الفائقة ، ثم البودرة وثمنها مليون و ٤٠٠ ألف جنيه وأول مُلَّاكها الراقصة الشهيرة .

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ١٩– ٢٠ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢٣ .
(٣) المصدر السابق ٦٥ – ٦٨ .

وفي مصر ٥٠٠ سيارة شبح ، ثمن السيارة الواحدة ٨٠٠ ألف جنيه .
وفي مصر ١٥ سيارة «مرسيدس ٦٠٠» والتي يُطلق عليها : البودرة .
وهناك ٥١٥ فردًا اشتروا ٥١٥ سيارة قيمتها ٤٢٢ مليون جنيه »[١] .

قال رسول الله ﷺ : « تكون إبل للشياطين ، وبيوت للشياطين ؛ فأما إبل الشياطين فقد رأيتها : يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرًا منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أرها»[٢].

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٨/١) : « والظاهر أنه ﷺ عنى بـ « بيوت الشياطين » : هذه السيارات الفخمة ، التي يركبها بعض الناس مفاخرةً ومباهاة ، وإذا مَرُّوا ببعض المحتاجين إلى الركوب لم يُرْكِبوهم ، ويرون أن إركابهم يتنافىٰ مع كبريائهم وغطرستهم » .

زفاف أسطوري لقطَّة يتكلَّف ١٢٠ ألف دولار !! :

وصلت «بلوى» العروس الجميلة لحفل زفافها أمس بطائرة هليكوبتر بينما وصل « فيت » عريسها سعيد الحظ بسيارة رولزرويس ، وسط دقّ الطبول وقَرْع الأجراس. ولم تكن العروس سوى القطة المدلَّلة لـ «فيتشاران تشاراشارتشا» صاحب شركة ميراكل انترناشيونال لاستيراد مستحضرات التجميل الأوروبية .

ومن أجل عيون «بلوى» التي كانت فألًا حسنًا على أعماله؛ أخذ «فيتشاران» يبحث عن العريس المناسب ، حتى عثر على « فيت » وأقام لهما حفل زفاف يحلم به كثيرٌ من أبناء البشر ، تكلَّفِ ١٢٠ ألف دولار !![٣] .

الكلاب أغلىٰ وأرفع من الإنسان :

« وفي مصر عيادات بيطرية خاصة لعلاج الكلاب ، معظمها في المناطق

---

(١) زمن فيفي عبده ٥٧- ٦٠ .
(٢) حسن : رواه أبو داود ، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٣ .
(٣) من جريدة أخبار اليوم ١٩٩٦/١٠/٦ ، الصفحة الثانية .

الراقية وأهمها المهندسين والزمالك ومصر الجديدة ، ولكن الأكثر غرابة أن تقام إحدى هذه المستشفيات وتحمل اسم « مستشفى الشعب » إمعانًا في السخرية من شعبنا الطَّيِّب المطحون .

أمَّا هذا المستشفى فهو مستشفى راقٍ ، توجد به غرفة عمليات مجهَّزة تمامًا ومكيَّفة ، واستقبال وغرفة كشْف وأطباء وممرضات .. وعادة ما يمكث الكلب المريض – شفاه الله ، وشفى أصحابه – في المستشفى عدَّة أيام لا سيما بعد العمليات الجراحية للراحة ، ولذلك تمَّ إقامة فندق متكامل للكلاب معظمهم من المرضى الذين يقضون فترة نقاهة .. هذا الفندق تمَّ بناؤه على أحدث طراز لِيُناسب أولاد الكلاب !! وهو مكيَّف بالكامل !! وتوجد به أَسِرَّة صُنعت خصِّيصًا لراحة الكلاب ، وأجهزة تسلية ، وجهاز تلفيزيون في كل غرفة !! الشيء الوحيد الذي تخلو منه الغُرف هو التليفون الذي لا يُناسب الهوهوة !!!

وإمعانًا في الراحة تمَّ إنشاء كوافير للكلاب مُلْحَق بالفندق .. وفيه أشهر الكوافيرات ، لديهم ابتكارات يومية في أحدث القصَّات سواء بالنسبة للكلب الذكر أو بالنسبة للكلبة الأنثى ، كما يوجد بداخل هذه الكوافيرات حمام زيت واستشوار ومقاعد مجهزة على مقاس الإخوة الكلاب !! وطبعًا كل هذه الأمور تُضاف على فاتورة الحساب ، الذي يكفي ثمنها لعلاج ألف مريض من أولاد الغلابة !!

أما فُسَح الكلاب فهي لا تختلف كثيرًا عن فُسَح أصحابهم ، فهم يصطحبون كلابهم معهم في كل مكان ، في النوادي ، في الفنادق الخمس نجوم ، في دور السينما ، في المصايف »[1] .

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ٤٨ – ٥٠ .

مماتُ الكلاب أيضًا فايف ستارز Fivestars :

« وإذا كانت حياة الكلاب في مصر بهذه الصورة ، والتي تؤكِّد الإحصائيات غير الرسمية أن عددهم وصل أكثر من مليون كلب .. فكان لابد من أن يكون مماتهم أيضًا فايف ستارز ، أي خمس نجوم . ولذلك فقد تم إنشاء مقبرة مُكيَّفة لأولاد الكلاب داخل نادي الجزيرة .. وتستطيع أن تشاهد هذه المقبرة وهي غارقة وسط الزهور الجميلة والورود المتناثرة في كل مكان ، وتستطيع أن تذهب إلى هذه المقابر في أحد يومي الجمعة أو الأحد ، لتشاهد سوزي ولولو وميمي وجي جي ، وهم يبكون بحرقة ولوعة وأسى ومرارة على حياة الكلب سولي أو الكلبة لولي ، وهم ينثرون الورود على قبورهم الطيبة!!

أما عن جنازة الكلب فهي جنازة مهيبة ؛ حيث تقف السيارة الفارهة وعادة ما تكون مرسيدس سوداء .. لماذا ؟ لا أدري !! وينزل جثمان الكلب الفقيد ملفوفًا في حرير عادة يكون أخضر أو أحمر قرمزي .. ووسط جنازة مهيبة .. ودموع وبكاء .. يا حبيبى يا لولو .. ياماي لاف ... « إمبو سيبل لولي إذ دايت .. أو مامي ..بوجي مات !! » .

ولا تتعجب إن وجدت فتاة تُهدِّد بالانتحار بعد وفاة كلبها الصغير!ثم يتم دفن الكلب في مقبرة أنيقة ثم توضع الورود والرياحين فوق قبره ، وتعزف الموسيقى الهادئة وليست الجنائزية .. ثم ينصرف المُعَزُّون في ركْبٍ حزين . وعلى فكرة كل هذه الأحداث الحزينة والذكريات المؤلمة يتم تصويرها بالفيديو »[١] .

ولا تزال بقلبي ألف مبكية :

يقول عماد ناصف في كتابه « زمن فيفي عبده » : « في جولة مع كلاب

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٩ - ٥٢ .

الأثرياء ، ستتمنى أنا وأنت أن نصبح مثل الكلب سوسو أو الكلبة لولو !! عياذًا بالله .

ونبدأ من أسعار الكلاب ، حيث يبدأ سعر أقل كلب - ذو السلالة غير المكتملة أو المعروفة - من ٢٠٠ جنيه للكلب ويصل في الأنواع الأخرى إلى خمسة آلاف جنيه . أما عن أكْل الكلاب ؛ فهو يبدأ من عظام الضَّأن ، والتي تتراوح الثلاث وجبات اليومية له بين سبعة جنيهات إلى عشرين جنيهًا ، إلى الكباب والذي يصل ثمن الوجبات الثلاثة في اليوم للكلب الواحد إلى ٢٠٠ جنيه .

أمَّا ملابس الكلاب فتنتشر محلَّاتُها الشهيرة في منطقتي مصر الجديدة والمهندسين ، وهي عادة تكون بربتوز أو فستان أو برنيطة أو فيونكه أو شريط حلية ، ويتراوح ثمن كسوة الكلب الذكر من ٧٥ جنيهًا إلى ١٥٠ جنيهًا ، أما الكلبة يرتفع الحد الأقصى إلى ٢٠٠ جنيه ، بخلاف الإكسسوارات الجلد والخَرَز التي تُستخدم كحلية . وفي بعض الأحيان تصل برنيطة الكلاب إلى ١٢٠ جنيه وفستان الكلبة إلى ١٥٠ جنيه ، وتستطيع أن تشاهد أمام أحد هذه المحلات الشهيرة بملابس الكلاب ، عشراتٍ من هذه النوعية من الكلاب وأبنائهن »[1] .

زواج كلاب الأثرياء دنيئي الهمم :

« أما الزواج فهي أهم مرحلة بالنسبة للكلبة والكلب ولأصحابهم أيضًا فلا بد أن يتم التوصل إلى سلالة الكلب وهل تناسب عائلة الكلبة أم لا .. ويتم عمل فرح أسطوري يُدعىٰ فيه كل أصدقاء الكلب والكلبة وطبعًا أصدقاء أصحابهم .. ويتم عمل فرح كامل ، وفستان زفاف مقاس الآنسة الكلبة ، وبدلة شيك مقاس الكلب باشا ، وكذلك الأمر في أعياد الميلاد والسبوع !!

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٧ .

ملحوظة : كل حرف كُتب في السطور الماضية يحدث يوميًّا في الواقع، وقد كتبته بلا أدنى مبالغة »[١] .

وإن تعجب فلا تعجب ، فنحن في زمن فيفي عبده !! أقسم بالله لو أن قوم لوط خرجوا إلى دار الدنيا ما زاد صنيعهم فوق هذا ، إن لم يكن دونه بمراحل !!

« مَثَل هؤلاء النسوة الأعلى « مادونا » الشاذة في أبشع صور الشذوذ عند المرأة .. مادونا التي يعشقها الآلاف المؤلفة من نساء العرب ، والتي تقول : « إن سعادتي الوحيدة وأنا مع كلبي ، « بابيتو » أو « سكر » ، فهو الذي يعوِّضني عن كل رجال العالم ، ونجح فيما لم ينجح فيه أي رجل ؛ لأنني أمارس حياتي ورغباتي ، حتى الجنسية منها ، بحرية تامَّة » . أرأيتم يا معشر الرجال المهووسين بمفجِّرة ثورة الجنس في العالم .. إن كلبها أفضل منكم جميعًا »[٢] .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « من اقتنى كلبًا ، إلا كلب ماشية أو ضاريا ؛ نقص من عمله كلَّ يوم قيراطان »[٣] .

وقال ﷺ : « من اقتنى كلبًا ، ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض ؛ فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم »[٤] .

وقال ﷺ : « من اقتنى كلبًا ، لا يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا ؛ نقص من عمله كلَّ يوم قيراط »[٥] .

يا ابنة الإسلام ، احْذريهم :

هذه نقطة من بحرٍ يطفح بفجورهم وفجورهن، فاحْذريهم يا ابنة الإسلام.

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٢ .

(٢) الإيدز والفنانات لمحمد الغيطي صـ ١٠٥ - الناشر ثري إم للصحافة والنشر .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر .

(٤) رواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والنسائي وابن ماجه عن سفيان بن أبي زهير .

يا دُرَّة حُفِظَتْ بالأمس غاليةً ... واليوم يبغونها للَّهو واللعبِ
يا دُرَّةً قد أرادوا جَعْلها أَمَةً ... غربيَّة العقل لكن اسمها عربي
هل يستوي مَنْ رسولُ الله قائده ... دَوْمًا وآخرُ هاديه أبو لهبِ
وأين مَنْ كانت الزهراءُ أُسوتَها ... ممَّن تقفَّتْ خطى حمَّالةَ الحطبِ
فلتحْذَري مِن دُعاةٍ لا ضميرَ لهم ... مِن كلِّ مُسْتغرِبٍ في فِكْرِهِ خَرِبِ
أسْمَوْا دعارَتهم حُريَّةً كَذِبًا ... باعوا الخلاعة باسم الفنِّ والطَّرَبِ
هُمُ الذِّئابُ وأنتِ الشاة فاحتَرسي ... من كل مفترسٍ للْعِرْض مُستَلِبِ
أختاهُ لَسْتِ بنَبْتٍ لا جُذُورَ لهُ ... ولَسْتِ مَقْطوعةً مجهولةَ النَّسَبِ
أنت ابنة العُرب والإسلام عشتِ به ... في حضْنِ أطهر أمٍّ من أعزِّ أب
فلا تُبالي بما يُلقونَ مِنْ شُبَهٍ ... وعندكِ العقلُ إن تدعيه يستَجبِ
سليه مَنْ أنا ما أهلي لمنْ نَسبي ... للغربِ أم أنا للإسلام والعربِ
لمن ولائي لمن حُبِّي لمِنْ عملي ... لله أم لدعاة الإثم والكذبِ
وما مكاني في دنيا تموجُ بنا ... في موضع الرأس أم في موضع الذَّنَبِ
هما سبيلانِ يا أختاهُ ما لهما ... من ثالثٍ فاكسبي خيرًا أو اكتسبي
سبيلُ ربِّك والقرآنُ منهجه ... نورٌ من الله لم يُحْجب ولم يغبِ
في رَكْبِه شَرَفُ الدنيا وعزَّتُها ... ويوم نُبعثُ فيه خيرُ مُنْقلبِ
فإنْ أَبيْتِ سبيلَ الله فاتَّخذي ... سبيل إبليس رأس الشَّر والحَرَبِ[1]

الثاني والعشرون : الرِّياءُ وعدم تجرُّد النيَّة :

قال العلامة ابن قيم الجوزية : « لِقاح الهمة العالية : النية الصالحة ، فإذا اجتمعا، بلغ العبد غاية المراد »[2] .

---

(١) «إليك يا ابنة الإسلام» للقرضاوي صـ٣٩- ٤٣ من ديوان «المسلمون قادمون » - الوفاء للطباعة والنشر .

(٢) الفوائد صـ ٢٦١ .

اعلم - رحمك الله - أن العزْم مجرَّدُ فضل الله وإيثاره وتوفيقه . « وإن العزائم لم تُورِث أربابها ميراثًا أكرم مِن وقوفهم على عِلَل العزائم ، ومدار علل العزائم على ثلاثة أشياء :

أحدها : فُتورها وضعْفها .

الثاني : عدمُ تجرُّدها من الأغراض وشوائب الحظوظ .

والثالث : رؤية العزائم وشهودها ، ونسبتها إلى أنفسهم .

فإذا عرف هذه الثلاثة عرف علل العزائم »[1] .

والرياء يُغلُّ القلب ويُضعف سيْره إلى الله عز وجل ، فما ظنُّك بالهمة بعد ذلك ؟!

الثالث والعشرون : كَذِب العزيمة وتردُّدها :

عزيمة الصدق تمنع العبد من ضعف الإرادة والهمَّة؛ والصدق في العزيمة: جمْعها وجزْمها وعدم التردُّد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردُّد ولا تلوُّمٌ .

الرابع والعشرون : ضعْف العقل :

قال ابن الجوزي: « العقل غريزة ، كأنها نور يُقذَف في القلب فيستعدُّ لإدراك الأشياء ، فيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمّح عواقب الأمور . وذلك النور يقلُّ ويكثر ، وإذا قوي ذلك النور قمع - بملاحظة العواقب-عاجل الهوى .

قال وهب بن منبّه : ولَإزالةُ الجبل صخرةً صخرةً وحجَرًا حجَرًا ؛ أخفُّ على الشيطان من مكابدة المؤْمن العاقل ، فإذا لم يقدر عليه تحوَّل إلى الجاهل فيستأسره ويستمكن من قياده ، حتى يُسلمه إلى الفضائح التي يتعجَّل بها في الدنيا؛الجلْد والحلْق وتسخيم الوجْه ، والقطع والرجْم والصَّلْب ، وإنَّ الرجلَيْن

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٣- ٣٦٤ .

يستويان في أعمال البرِّ ، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد ، إذا كان أحدهما أعقل من الآخر ، وما عُبِد الله بشيء أفضل من العقل .

وقال الحسن : ما يتمُّ دين الرجل حتى يتمَّ عقله ، وما أودع الله امرأً عقلًا إلا استنقذه به يومًا .

وقيل لعطاء بن أبي رباح : ما أفضل ما أُعطي الإنسان ؟ قال : العقلُ عنِ الله تعالى .

وقال معاوية بن قرَّة : إن القوم لَيحجُّون ويعتمرون ويجاهدون ويُصلُّون ويصومون ، وما يُعطوْن يوم القيامة إلا على قدر عقولهم .

وقال يوسف بن أسباط: العقل سراجُ ما بطَنَ، وملاكُ ما علَن، وسائسُ الجسد ، وزينة كلِّ أحد ، ولا تصلح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

وسُئل ابن المبارك : ما خير ما أعطي الرجل ؟ قال : غريزة عقل .

قال ابن الجوزي : إنما تتبيَّن فضيلةُ الشيء بثمرته وفائدته ، وقد عُرفتْ ثمرةُ العقل وفائدته ؛ حثَّ على الفضائل ونهى عن الرذائل ، وشدَّ أسْرَ الحزْم وقوَّى أزْر العزْم ، واستجلب ما يزين ونفى ما يَشين ، فإذا ترك وسلطانه أسر فضول الهوى ، فحصرها في حبس المنْع . وكفى بهذه الأوصاف فضيلةً .

ولا ينبغي أن يُدال الهوى عليه؛ فإنه عدوُّه، فيحطُّه عن رتبته، ويستنزله عن درجته ، ولا يجوز أن يُجعل - وهو الحاكم عليه - محكومًا ، ولا أن يصير - وهو الزمام - مزمومًا ، ولا أن يعود - وهو المتبوع - تابعًا . فمَن صبر على مضيض مشاورته ؛ اجتنى حلاوة المنى في عواقبه »[(١)] .

الخامس والعشرون : ضعْفُ البصيرة :

والبصيرة نور في القلب ، يُبصر به الوعدَ والوعيدَ ، والجنة والنار . وضعيف البصيرة مَن لا يستكمل درجاتها ، ويكون عنده :

---

(١) ذمّ الهوى لابن الجوزي . بتصرف صـ ٨ - ١١ .

١ - ضعف بصيرة في الأسماء والصفات : فيتأثَّر إيمانه بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ، ولا يعلم فساد الشبَه المخالفة لحقيقة النصوص القرآنية والنبوية ، بل وتتمكَّن الشبه الباطلة من قلوبهم .

٢- وضعْف بصيرة في الأمر والنهي: فيعارضه بتأويل وتقليد وهوى، ويقوم بقلبه تعارض العلم بأمر الله ونهيه، وشهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به.

٣ - وضعف بصيرة في الوعد والوعيد .

السادس والعشرون : طُولُ الأَمَلِ :

قال الله تعالى: ﴿**ذَرْهُمْ يأكُلُوا ويَتمتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فسوفَ يَعْلَمونَ**﴾ [الحجر : ٣] .

وقال علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم: اتِّباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة»(١) .

وجاء في الأثر : « أربعة من الشقاء : جُمود العيْن ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا » .

«ويتولّد من طُول الأمل : الكسل عن الطاعة ، والتسويف بالتوبة ، والرغبة في الدنيا ، والنسيان للآخرة ، والقسوة في القلب ؛ لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة ، كما قال تعالى : ﴿**فطال عليهم الأمَدُ فقستْ قلوبهم**﴾ [الحديد: ١٦]. وقيل : من قصر أمله قلَّ همُّه وتنوَّر قلبُه ؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة »(٢) .

السابع والعشرون : الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة :

وفي قول الله تعالى : ﴿ **فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم**

---

(١) فتح الباري ٢٣٦/١١ .

(٢) فتح الباري ٢٣٧/١١. انظر كتاب: ظاهرة ضعف الإيمان ، للشيخ محمد صالح المنجد صـ ٣٠- ٣١، مكتبة العلم .

فاسقون ﴾ما يدلُّ على أن طول الوقت في البعد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لضعف الإيمان وضعف الهمَّة ؛ ذلك لأنه يفتقد الجوّ الإيماني الذي كان يتنعَّم في ظلاله ، ويستمدُّ منه قوة قلبه ، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه ؛ يقول الحسن البصري – رحمه الله –: « إخواننا أغلى عندنا من أهلينا ؛ فأهلونا يذكِّروننا الدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة » .

وهذا الابتعاد إذا استمر يُخلِّف وحْشة ، تنقلب بعد حين إلى نُفْرة من تلك الأجواء الإيمانية، يقسو على أثرها القلب ويُظلم ويخبو فيه نور الإيمان.

الثامن والعشرون : الابتعاد عن القدوة الصالحة :

فالشخص الذي يتعلَّم على يديْ رجل صالح يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح وقوة الإيمان ، يتعاهده ويحذيه مما عنده من العلم والأخلاق والفضائل ، لو ابتعد عنه فترة من الزمن فإن المتعلم يُحسُّ بقسوة في قلبه ؛ ولذلك لمّا تُوفي رسول الله ﷺ ووُري التراب ، قال الصحابة : « فأنكرْنَا قلوبَنا » . وأصابتهم وحشة ؛ كما جاء وصْفهم أيضًا : « كالغنم في الليلة الشاتية المطيرة ». ولكنه ﷺ ترك فيمن ترك وراءَه جبالًا ، كلٌّ منهم يسيِّر دنيا بأكملها ، فما ظنُّك بأيَّامنا هذه وحالتنا هذه ؟! والقدوة يحملك حمْلًا إلى الدار الآخرة ، لا غيره الذي يقول فيه الشاعر :

ولا تتخذْ في السيرِ رفقةَ قاعدٍ ودعْهُ فإنَّ الشوْقَ يكفيك حاملًا

التاسع والعشرون : هجْرُ القرآن وترْكُ تدبُّره :

قال ابن القيم رحمه الله : « حقيقٌ بالإنسان أن ينفق ساعاتِ عمره – بل أنفاسه – فيما ينال به المطالب العالية ، ويخلص به من الخسران المبين ، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن ، وبفهمه وتدبُّره واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه ، وصرْف العناية إليه ، والعكوف بالهمة عليه ؛ فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد ، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالحقيقة والطريقة ، والأذواق

والمواجيد الصحيحة ، كلها لا تُقتبس إلا من مشكاته ولا تستثمر إلا من شجراته .. »[١] .

وهجْرُ القرآن يعمي الإنسان عن حقيقة وجوده ، ويُسفل همَّته ، ويُنسيه نفسه .

الثلاثون : ضَعْف الإيمان وأُلْفَة المعاصي :

قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم »[٢] . يعني بذلك أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلى الثوب إذا اهترأ وأصبح قديمًا .

وتعتري قلب المؤمن في بعض الأحيان سحابة من سُحب المعصية فيظلم ؛ كما قال ﷺ : « ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر مضَى إذ علتْه سحابة فأظلم ، إذ تجلَّتْ عنه فأضاء »[٣] .

ومن فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أو ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنَّى تأتيه ؟ .

والرجل إذا ضعف إيمانه تكاسل عن الطاعات وأضاعها ؛ كما قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى**﴾ [النساء: ١٤٢].

السبب الأخير : ضعفُ الغيْرة ، وضعْفُ تعظيم الحرمات :

إذا انطفأ لهب الغيرة في القلب وتعطَّلت الجوارح عن الإنكار ، و لم يتمعَّر

---

(١) مدارج السالكين ١/٦- ٧ .

(٢) إسناده حسن : رواه الحاكم في المستدرك ، والطبراني في معجمه الكبير ، وحسَّن إسناده الهيثمي ، والألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم ١٥٨٥ .

(٣) صحيح : رواه أبو نعيم في الحلية ، وصحَّح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٢٦٨ .

الوجه قطُّ في الله عز وجل والرسول ﷺ ، فلْينتظر العبد من دناءة الهمة وسفولها ما لا يتخيَّله العقل؛ قال ﷺ: «تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأيُّ قلب أُشرِبَها نُكِتَ فيه نكتة سوداء ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكتَت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبيْن : قلب أسود مُرْبادًّا كالكوز مُجَخِّيًا ، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر مُنكرًا إلا ما أُشرِبَ من هواه . وقلب أبيض ، فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض »[1] .

أي مسلم يرىٰ الواقع المُرَّ والخزيَ المرّ للمسلمين ولا يتحرَّكُ قلبه ، هل يبقى فيه من الخير شيء ؟! هل تكون له إلا أحقر الهمم ؟!

نامت ليالي الغافلينَ ولَيْلُنا ... أَرَقٌ يُذيبُ قلوبَنا وسهادُ
سُلَّتْ سُيوفُ المعتدينَ وعربَدَتْ ... وسُيوفُنا ضاقتْ بها الأغمادُ

وقال الشاعر :

قالوا سهِرْتَ وفي فؤادكَ حرْقةٌ ... تُدمي وألفُ تساؤلٍ يتردَّدُ
وعلى جبينِكَ قصَّةٌ مكلومةٌ ... تروي المآسيَ للجميع وتسردُ
ودموعُك الملأىٰ بألفِ حكايةٍ ... رَسَمَتْ على خدَّيْكَ نارًا تُوقدُ
أنا يا صِحابُ قضيَّةٌ مسلوبةٌ ... لَعِبَ الدَّعِيُّ بها وغابَ السيدُ
أنا يا صِحابُ مشاعِرٌ موتورةٌ ... للثأر تسعىٰ والمسالِكُ تُوصَدُ
أنا يا صحابُ مدامعٌ محمومةٌ ... تَهْمي من الألمِ المميتِ فتبردُ
أنا يا صحابُ منَ الجراح معذَّبٌ ... في كلِّ أرض جُرْحُنا يتمددُ
في كلِّ أرضٍ تُستَبَاحُ دماؤنا ... في كلِّ أرضٍ يُستباحُ المسْجدُ

هذه الجراح ألا تحرّك ساكنًا وتعلي هِمَّة ؟! هذا امرؤ القيس ، وكان ليلَه ونهارَه مع الخمر ، فلما قُتل والده ؛ قال:اليوم خمر .. وغدًا أمر ! أفما نُفيق ؟!

قال ﷺ : «إذا عُمِلَتِ الخطيئة في الأرض، كان مَن شهدها فكرِهها

---

(١) رواه مسلم عن حذيفة ، والمُرْبادُّ: هو المسودُّ ، ومجخِّيا : أي منكوسًا مائلًا .

- وقال مرة : أنكرها - كمن غاب عنها ، ومنْ غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »[١] .

دنيءُ الهمَّة :

« عَقْله مسْبِيٌّ في بلاد الشهوات ، وأمَلُه موقوفٌ على اجتناء اللذَّات ، وسيرتُه جاريةٌ على أسوأ العادات ، ودينُه مُسْتَهْلَكٌ بالمعاصي والمخالفات ، وهِمَّته واقفةٌ مع السُّفْليَّات، وعقيدته غيرُ مُتلقَّاة من مشكاة النبوات ؛ فهو في الشهوات منغمس، وفي الشُّبهات منتكس، وعن الناصح مُعْرِض، وعلى المرشد مُعْترِض، وعن السَّرَّاء نائم ، وقلبُه في كلِّ واد هائم »[٢] .

رغب في مشاركة أبناء جنسه ، وخرج من فضاء العلم إلى ضيق الجهل ، وقبع في سجن الهوى و لم يخرج إلى ساحة الهدى ، لم يخرج من نجاسة النفس إلى طهارة القدس .

دنيء الهمَّة ، حُجُبُه كثيفة :

ودنيء الهِمَّة مَحجوبٌ وحُجُبُه كثيفة ، إن انفلت من حجاب منها لا يفلت من الآخر ، وهي عشرة :

«الأول: حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات، وهو أغلظها؛ فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله ، ولا يصل إليه ألبتة ، إلا كما يتهيأ للحَجَر أن يصعد إلى فوق .

الثاني : حجاب الشرك ، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله .

الثالث: حجاب البدعة القولية، كحجاب أهل الأهواء والمقالات الفاسدة على اختلافها .

الرابع : حجاب البدعة العملية ، كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم

---

(١) صحيح : رواه أبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٨٩ .

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٦ .

وسلوكهم .

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، كحجاب أهل الكِبْر والعجب، والرياء والحسد ، والفخر والخيلاء ، ونحوها .

السادس : حجاب أهل الكبائر الظاهرة ، وحجابهم أَرَقُّ من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كَثرة عباداتهم، وزهاداتهم واجتهاداتهم؛ فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك؛ فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشَوْن من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة . فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم ، وقلوبهم خير من قلوبهم .

السابع : حجاب أهل الصغائر .

الثامن : حجاب أهل الفضلات .

التاسع : حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خُلقوا له وأُريدَ منهم ، وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته .

العاشر : حجاب المجتهدين السالكين المشمِّرين في السّير عن المقصود .

وهي تنشأ من عنصر النفس وعنصر الشيطان ، وعنصر الدنيا وعنصر الهوى . وهذه العناصر تُفْسد القول والعمل والقصد والطريق ؛ بحسب غلبتها وقِلَّتها ، فتقطع طريق القول والعمل أن يصل إلى القلب ، وما وصل منه إلى القلب قطعت عليه الطريق أن يصل إلى الرب . فبين القول والعمل وبين القلب مسافة يسافر فيها العبد إلى قلبه ليرى عجائب ما هنالك . وفي هذه المسافة قطّاع الطريق المذكورون »[1] .

يقول الإمام ابن القيم في « مدارج السالكين» (١/ ٤٠٠- ٤٠٣)، مصوِّرًا حال أهل المعاصي – سافلي الهمم –: « الجهال الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان، إلا في اعتدال القامة ونُطْق اللسان، ليس همُّهم إلا مجرَّد نَيْل الشهوة

---

(١) مدارج السالكين ٣/٢٢٣- ٢٢٤ بتصرُّف يسير .

بأي طريق أفضت إليها. فهؤلاء نفوسُهم نفوسٌ حيوانية، لم تترق عنها إلى درجة الإنسانية ، فضلًا عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم أخسّ من أن تذكر ، وهم في أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات ، التي هم على أخلاقها وطباعها .

فمنهم : مَنْ نَفْسُه كلبية ؛ لو صادف جيفة تُشْبع ألف كلب لوقع عليها ، وحماها من سائر الكلاب ، ونَبَح كل كلب يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب إلا على كُرْهٍ منه وغلبة ، ولا يسمحُ لكلبٍ بشيءٍ منها . وهَمُّه شبع بطنه من أي طعام اتفق ؛ ميتة أو مُذكّى ، خبيث أو طيِّب ، ولا يستحي من قبيح ؛ إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن أطعمته بَصْبَصَ بِذَنَبِهِ ودار حولك ، وإن منعتَه هَرَّك ونَبَحكَ .

ومنهم : مَن نَفْسُه حمارية ؛ لم تُخلق إلا للكدِّ والعَلَف ؛ كلَّما زيد في عَلفه زيد في كَدِّه ، أبكمُ الحيوان وأقلُّه بصيرة .

ولهذا مَثَّل الله سبحانه وتعالى به مَن حَمَّله كتابه ؛ فلم يحمله معرفةً ولا فقهًا ولا عملًا . ومَثَّل بالكلب عالم السوء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، وأخلد إلى الأرض واتَّبع هواه .

ومنهم : مَنْ نفْسُه سبعيَّة غضبيَّة ؛ هِمَّتُه العدوان على الناس ، وقهرهم بما وصلت إليه قدرته .

ومنهم : مَنْ نَفْسُه فأْرِيَّة ، فاسق بطبعه ، مفسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال : سبحان من خلقه للفساد .

ومَن نَفْسُه على نفوس ذوات السموم والحُمات ؛ كالحيَّة والعقرب ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه ؛ فيُدخل الرَّجل القبرَ ، والجَملَ القِدْرَ .

ومن الناس مَن طبعه طبع خنزير ؛ يمُرُّ بالطِّيِّبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمَّه . وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه .

فإذا رأى سَقْطةً أو كلمة عوراء وجد بُغْيته وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونُقْله .

ومنهم : مَنْ هو على طبيعة الطاووس ؛ ليس له إلا التَّطوُّس والتزيُّن بالريش وليس وراء ذلك شيء .

ومنهم : مَن هو على طبيعة الجمل ؛ أحقد الحيوان وأغلظه كبدًا .

ومنهم: مَنْ هو على طبيعة الدُّب؛ أبكم خبيث، وعلى طبيعة القرد».

حياةُ مَنْ سفلت هممهم وتدنَّت :

« صحبوا الدنيا صُحْبة الأنعام السائمة ؛ لا ينظرون في معرفة مُوجدهم وحقِّه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكَّرون في قلَّة مقامهم في الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية. قد ملكهم باعث الحِسِّ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرَّتهم الأماني الباطلة والخدع الكاذبة؛ فخدعهم طولُ الأمل، وران على قلوبهم سوءُ العمل ، فهم في لذَّات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصَّلُوها ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ [الروم : ٧] . ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ »(١) .

فإذا نزل بهم الموت اشتدَّ قلقُهم لخراب ذاتهم وذهاب لذَّاتهم ، لا لما سبق من جناياتهم وسَلَف من تفريطهم ، حيث لم يقدِّموا لحياتهم .

أخي : إنما يُقطع السفر ويَصِلُ المسافرُ بلزوم الجادَّة وسَيْر الليل ، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله ؛ فمتى يصل إلى مقصده ؟

قال رسول الله ﷺ : « لا يزال قوم يتأخَّرون حتى يؤخِّرهم الله »(٢).

---

(١) حادي الأرواح صـ ٥ .

(٢) أخرجه مسلم وابن خزيمة في صحيحه .

أخي :

« إذا رأيتَ النفوس المبطلة الفارغة من الإرادة والطلب لهذا الشأن قد تشبَّث بها هذا العالمُ السفليُّ ، وقد تشبثت به ؛ فَكِلْهَا إليه ؛ فإنه اللائق بها لفساد تركيبها، ولا تنفس عليها ذلك، فإنه سريع الانحلال عنها، ويبقى تشبُّثها به مع انقطاعه عنها عذابًا عليها بحسب ذلك التعلُّق ، فتبقى شهوتها وإرادتها فيها وقد حيل بينها وبين ما تشتهي ، على وجهٍ يئست معه من حصول شهوتها ولذَّتها . فلو تصوَّر العاقل ما في ذلك من الألم والحسرة ؛ لبادَر إلى قَطْع هذا التعلق، كما يبادر إلى حَسْم مواد الفساد . ومع هذا فإنه ينال نصيبه من ذلك ، وقلبه وهمُّه متعلِّق بالمطلب الأعلى والله المستعان »[1] .

أخي :

إن الطبع الردي لا يليق به الخير.. هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرَّك، فإذا أُعيدَت إلى الرَّوث رتعت، وما يكفي الحية أنْ تشرب اللبن حتى تمجَّ سمَّها فيه؛ وكلٌّ إلى طبعه عائد .

يا أطفال الهوى ، أين أنتم والرجال ؟!

لمن أُصَفِّي وأَصِف ؟ أفي عزمك اتباعي فأقف ؟ الليل يضجُّ من طول نَوْمك،والنهار يستغيث من قبيح فِعْلِك .

قد قيَّد الطَّرْد قدميْك، وغلَّ الإبعاد يديْك، أفما لك عين تبكي عليْك؟!

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنوعًا سبيل المواردِ

* * *

(١) الفوائد صـ ١٧٩ لابن القيم .



الفصل الثامن

كَيْفَ تَعْلُو الهِمَمُ ؟؟

ولا تتخذْ بالسَّير رُفقةَ قاعدٍ   ودعْهُ فإنَّ الشَّوْقَ يكفيكَ حامِلَا



□ كيفَ تعلُو الهِمَمُ ؟؟ □

ولعُلوِّ الهمَّة ورُقيِّها أسبابٌ .. نذكر منها :

الأول : الإخلاص :

قال ابن القيـم في «الفوائد» (صـ ٢٦١) : لِقاحُ الهِمَّة العالية: النيَّـةُ الصحيحة ، فإذا اجتمعا بلغ العبدُ غاية المراد .

ونسيان رؤية المخلوقين بدوام النظر إلى الخالق يَحُثُّ على الأخذ بمعالي الأمور ، لأن الناقد بصيرٌ . والفقه كلُّ الفقه هو الفقه في مذاهب الإخلاص وتصفية العمل من شوائبه .

الثاني : الصدق :

قال ابن القيم في «الفوائد» (صـ ٢٤٤-٢٤٥) : « ليس للعبد شيء أنفع من صِدْقِهِ ربَّه في جميع أموره مع صدق العزيمة ، فيصدق في عزمه وفي فعله ؛ قال تعالى : ﴿ **فإذا عزَمَ الأمرُ فلو صدقوا الله لَكَانَ خيرًا لهم** ﴾[محمد : ٢٢] ، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعْل ؛ فصدقُ العزيمة : جمعُها وجزْمُها وعدم التردُّدِ فيها بل تكون عزيمة لا يَشوبها تردُّد ولا تلوُّم، فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعْل ؛ وهو استفراغ الوُسْع وبذْلُ الجهد فيه ، وألا يتخلَّف عنه بشيء من ظاهره وباطنه ، فعزيمة الصدق تمنعه من ضعْف الإرادة والهمة ، وصِدْق الفعْل يمنعه من الكسَل والفتور . ومَن صدَق الله في جميع أموره ، صَنَع الله له فوق ما يصنع لغيره ، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحَّة الإخلاص وصدْق التوكُّل ، فأصدق الناس مَن صحَّ إخلاصُه وتوكُّله » .

الثالث : البصيرة :

قال ابن القيم في «الفوائد» (٢٦٠-٢٦١): « العزيمة لِقاح البصيرة ، فإذا

اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة ، وبلغت به همَّته من العلياء كل مكان . فتخلُّف الكمالات ؛ إما من عدم البصيرة ، وإما من عدم العزيمة .

والصبر لِقاح البصيرة، فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما. قال الحسن: «إذا شئت أن ترى بصيرًا لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرًا لا بصيرة له رأيته ، فإذا رأيت صابرًا بصيرًا فذاك » .

والبصيرة نور في القلب يُبصر به الوعْد والوعيد والجنة والنار ، وما أعدَّ الله في هذه لأوليائه ، وفي هذه لأعدائه ، فينفتح في قلبه عينٌ يرى بها ذلك ، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها .

فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب ، يرى به حقيقة ما أخبرتْ به الرسل ، كأنه يشاهده رأْي عينٍ ، فيتحقَّق مع ذلك انتفاعُه بما دعت إليه الرسل ، وتضرُّره بمخالفتهم .

والبصيرة على ثلاث درجات ، من استكملها فقد استكمل البصيرة ؛ بصيرة في الأسماء ، وبصيرة في الأمر والنهي ، وبصيرة في الوعد والوعيد :

فالبصيرة في الأسماء والصفات : أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ، ووصَفه به رسوله ، بل تكون الشُّبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشُّبه والشكوك في وجود الله ، فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر . وتفاوت الناس في هذه البصيرة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية وفهْمها، والعلم بفساد الشُّبه المخالفة لحقائقها .

والمرتبة الثانية : **البصيرة في الأمر والنهي** : وهي تجريده عن المعارضة بتأويل أو تقليد أو هوى ؛ فلا يقوم بقلبه شبهة تعارِض العلم بأمر الله ونهيه ، ولا شهوة تمنع تنفيذه وامتثاله والأخذ به ، ولا تقليد يُريحه عن بذْل الجهد في تلقِّي الأحكام من مشكاة النصوص .

والمرتبة الثالثة : **البصيرة في الوعْد والوعيد** : ومن البصيرة أنك تستدلُّ

بتوفيقه لك ، وجَذْبك نفسَك ، وجَعْلِك متمسِّكًا بحبله - على تقريبه لك ، تشاهد ذلك ليكون أقوى في المحبة والشكر ، وبذْل النصيحة في العبوديَّة . وهذا كله من تمام البصيرة . فمن لا بصيرة له فهو بمعْزِلٍ عن هذا .

والبصيرة تفجِّر ينابيع المعارف من القلب . وبالبصيرة يُميِّز العبد بين الحق والباطل ، والصادق والكاذب . وفراسة الصادقين العارفين بالله وأمره وبصيرتهم متصلة بالله ، متعلقة بنور الوحي مع نور الإيمان ، تميِّز بين ما يحبه الله وما يُبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال ، وتميِّز بين الخبيث والطيِّب ، والمحِقِّ والمُبْطل ، والصادق والكاذب ، ويعرف بها مقادير استعداد السالكين إلى الله ، فحملت كل إنسان على قدر استعداده ، علمًا وإرادة وعملًا .

ففراسة الصادقين وبصيرتهم دائمًا حائمة حول كشْف طريق الرسول وتعرُّفها وتخليصها من بين سائر الطرق ، وبين كشف عيوب النفس ، وآفات الأعمال العائقة عن سلوك طريق المرسلين. فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة، وأنفعها للعبد في معاشه ومعاده »[1] .

الرابع : العلم :

فمَن استوى عنده العلم والجهل ، أو كان قانعًا بحاله وما هو عليه ؛ فكيف تكون له همَّة أصلًا فالعلم يرتقي بالهمَّة ، ويرفع طالبه عن حضيض التقليد ، ويُصفِّي النية .

قال ابن حجر رحمه الله يصف حال الإمام جلال الدين البلقيني : «ما رأيت أحدًا ممَّن لقيته أحرصَ على تحصيل الفائدة منه ، بحيث إنه إذا طرَق سمْعَه شيء لم يكن يعرفه؛ لا يَقرُّ ولا يهدأ ولا ينام حتى يقف عليه ويحفظه، وهو على هذا مكِبٌّ على الاشتغال ، محبٌّ في العلم حقَّ المحبة »[2] .

(١) مدارج السالكين ١/١٢٣- ١٣١ .
(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٠٩/٤، للحافظ السخاوي .

« والعلم يُورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال ، فيتقي فضول المباحات التي تشغله عن التعبُّد ، كفضول الأكل والنوم والكلام ، ويراعي التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات ؛ امتثالًا لقوله ﷺ : « أعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه » ، ويبصِّره بحيل إبليس وتلبيسه عليه ، كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثوابًا . قال أبو سليمان : يجيئك - أي إبليس - وأنت في شيء من الخير ، فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة »[١] .

قال ابن القيم : « إن السالِك على حسب علْمِه بمراتب الأعمال ونفائس الكَسْب ؛ تكون معرفته بالزيادة والنقصان في حاله وإيمانه » .

الخامس : اليقظة :

قال ابن القيم رحمه الله : هي انزعاج القلب لروْعة الانتباه من رقْدة الغافلين . ولله ما أنفع هذه الرَّوْعة !! وما أعظم قدرها وخطرها !! وما أشدَّ إعانتها على السلوك !! فمن أحسَّ بها فقد أحسَّ - والله - بالفلاح ، وإلا فهو في سكراتِ الغفْلة ، فإذا تنبَّه شمَّر لله بهمَّته إلى السفر إلى منازله الأولى ، وأوطانه التي سُبي منها :

فحيَّ على جناتِ عدنٍ فإنها ... منازِلُكَ الأولى وفيها المخيَّمُ
ولكنَّنا سَبْيُ العدوِّ فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونُسَلِّمُ ؟[٢]

قال شيخ الإسلام الهروي : « هي القومة لله المذكورة في قوله : ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى** ﴾ » . وقال : « القومة لله هي اليقظة من سِنَة الغفلة والنهوض من ورطة الفترة ، وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه . وهي على ثلاثة أشياء :

لحظ القلب إلى النعمة : على اليأس من عدِّها ، والوقوف على

(١) علوُّ الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٤٤ .
(٢) مدارج السالكين ١/١٢٣ .

حدِّها ، والتفرُّغ إلى معرفة المنَّة بها ، والعلم بالتقصير في حقِّها » .

« والثاني : مطالعة الجناية ، والوقوف على الخطر فيها ، والتشمير لتداركها ، والتخلُّص من رِقِّها ، وطلب النجاة بتمحيصها .

والثالث[1]: الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام ، والتنصُّل من تضييعها والنظر إلى الظنِّ بها لتدارك فائتها ، وتعمير باقيها » .

أخي :

لا يكون المؤمن العامر القلب إلَّا متحرِّكًا مُحرِّكًا ، أمَّا المتباطئ الذي يَعِدُ بالالتحاق بعدما تظهرُ بوادر النجاح ، فإنما يعدُ وعْد الضِّعاف .

صاحِ ما الحرُّ من يثورُ على الظلْـ ـمِ وقدْ ثارتْ لحقِّها الأقوامُ
إنما الحرُّ من يسيرُ إلى الظلْـ ـمِ فيصميهِ والأنام نِيامُ

فلا تؤجل الانضواءَ تحت لواءِ الحقِّ ، وإلَّا عضضتَ أسِنَّة الندم .

دعا رسول الله ﷺ « ذا الجوشن الضبابي » بعد « بدر » ، فقال له : « هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر ؟ » قال : لا . قال : « فما يمنعُك منه ؟» قال: رأيتُ قومك كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك، فأنظر : فإن ظهرت عليهم آمنت بكَ واتَّبعْتُك ، وإن ظهروا عليك لم أتبعك .. فكان ذو الجوشن يتوجَّع على ترْكه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله ﷺ[2] .

إذا ما علا المرءُ رام العلا ويقنع بالدُّونِ مَن كان دونا

السادس : خروجه عن المألوفات والعادات :

وتوطين النفْس على مفارقتها ، والغربة بين أهل الغفلة والإعراض ، وما على العبد أضرُّ من ملْك العادات له . وما عارض الكفَّار الرسل إلا بالعادات المستقرّة الموروثة لهم عن الأسلاف الماضين ، فمن لم يوطِّن نفسه على مفارقتها

---

(١) يعني من مراتب اليقظة .

(٢) المنطلق صـ ١٩١ .

والخروج عنها والاستعداد للمطلوب منه ، فهو مقطوع ، وعن فلاحه وفوزه ممنوع : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾(١) .

السابع : التفكُّر :

قال ابن القيم : « إذا استحكمت يقظته أوجبت له الفكرة ، وهو تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماسًا له » .

قال الهروي : « وهي ثلاثة أنواع : فكرة في عين التوحيد ، وفكرة في لطائف الصنعة ، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال » .

قال ابن القيم : « الفكرة فكرتان : فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة ، وفكرة تتعلَّق بالطلب والإرادة . فالتي تتعلَّق بالعلم والمعرفة : فكرة التمييز بين الحقِّ والباطل ، والثابت والمنفي . والتي تتعلق بالطلب والإرادة : هي الفكرة التي تميِّز بين النافع والضار . ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها ، والطريق إلى ما يضرّ فيتركها .

فهذه ستة أقسام لا سابع لها ، هي مجال أفكار العقلاء »(٢) .

« عن سالم بن أبي الجعْد قال : سألت أمَّ الدرداء رضي الله عنهما : ما كان أفضل عمَل أبي الدرداء ؟ فقالت : التفكُّر .

قال الحسن : التفكُّر مرآةٌ تُريك حسناتك وسيئاتك .

وقال أبو جعفر الأدمي: كان يُقال : الهمُّ بالعمل يُورث الفكرة ، والفكرةُ تُورث العِبْرة ، والعِبرة تورث الحزْم ، والحزم يُورث العزْم ، والعزم يُورث اليقين ، واليقين يُورث الغِنى، والغنى يُورث الشكر ، والشكر يُورث المزيد ،

---

(١) مدارج السالكين ١ / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) مدارج السالكين ١ / ١٤٦ .

والمزيد يورث الجنة .

وقال عبد الرحمن بن زيد : ما رأس هذا الدين وصلاحه إلا التفكُّر ؛ تتفكر فتنظر أنه أخذ منك قليلًا من العمل ، ورضي به لنفسه ، وهو الربُّ تبارك وتعالى !! فأنت العبد .. ما كلَّفك من ثنتيْن ، ما كلّفك قدر حقِّه فلا تطيقُه ، وما كلّفك ما لا تستطيع فقال : اعملْ على قدْر حقِّي .. فأعطاك الثواب على قدْر كرمه وتوسُّعه ، وقَبِلَ منك العمل على ضعْف ابن آدم !!

وقال أحمد بن أبي الحواري:سمعتُ أبا سليمان يقول: إنما يُعاينون[1]إذا تفكَّروا .

قال أحمد بن أبي الحواري : قلتُ لأبي صفوان – عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان –: أيما أحبُّ إليك : يجوع الرجل فيجلس يتفكر ، أو يأكل فيقوم فيصلِّي ؟ قال : يأكل ويقوم ويتفكَّر في صلاته أحبُّ إليَّ ، فحدّثتُ به أبا سليمان فقال : صدق ؛ الفكرة في الصلاة أفضل من الفكرة في غير صلاة ؛ لأن الفكرة في الصلاة عملان ، وعملان أفضل من عمل .

قال وهب بن منبه : المؤمن مفكِّر مُذَّكر مُزدَجِر، تفكَّر فَعَلَتْه السكينة، فسَكَن فتواضع ؛ قنع فلم يهتمَّ، رفض الشهوات فصار حرًّا ، ألقى الحسدَ فصارت له المحبَّة ، زهِد في كل فانٍ فاستكمل العقل ، فقلبه متعلّق بهمِّه ، وهمُّه موكَّل بمعاده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه سَرْمد ، فهو دهرَه محزون ، وفرحُه إذا نامتِ العيون ، يتلو كتاب الله تعالى يردِّده على قلبه ، فمرةً يَفزع قلبُه ، ومرَّة تهمل عيناه ، يقطع عنه الليل بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلوة مفكِّرًا في ذنوبه ، مستصغرًا لأعماله . قال وهب : هذا يُنادىٰ يومَ القيامة في ذلك الجمْع العظيم على رؤوس الخلائق : قمْ أيُّها الكريم ، فادخلِ الجنَّة .

---

(١) أي يَصلون إلى مرتبة الإحسان ، كأنهم يؤمنون بعد مشاهدتهم الله ومعاينته .

وقال الحسن : أوصيكم بتقوىٰ الله وإدمان الفِكْر ، فإن الفكر أبو كُلِّ برٍّ وأمُّه ، مَفتح خِلالِ الخير كلّه ، وبه يَحضر تسديدُ الله عز وجل كلَّ موفَّق .

وقال لسفيان بن عيينة : التفكُّر مفتاح الرحمة ، ألا ترى أنه يتفكَّر فيتوب ؟!

قال الفُضيْل : كلام المؤمن حِكَم ، وصَمْته تفكُّر ، ونَظره عِبرة . إذا كنتَ كذلك لم تزل في العبادة .. ثم قرأ: ﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقال خليفة العبدي - وكان متعبِّدًا -: لو أن الله تبارك وتعالى لم يُعبد إلَّا عن رؤيةٍ ؛ ما عبده أحد ، ولكن المؤمنون تفكَّروا في مجيء هذا الليل إذا جاء ، فملأ كلَّ شيء وغطَّى كل شيء ، وفي مجيء سلطان النهار إذا جاء ، فمحا سلطان الليل ، وفي السحاب المسخَّر بين السماء والأرض ، وفي النجوم ، وفي الشتاء والصيف ؛ فوالله ما زال المؤمنون يتفكَّرون فيما خَلَق ربُّهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربِّهم عز وجل ، وحتى كأنما عبدوا الله تبارك وتعالى عن رؤية .

وقال كعبُ الأحبار : من أراد أن يبلغ شرف الآخرة فلْيُكْثِرِ التفكُّرَ ، يكنْ عالمًا .

وقال وهب بن منبّه : ما طالت فكرةُ امرئ قطُّ إلّا فهِم ، وما فهم امرؤٌ قطُّ إلا عَلِم ، وما علم امرؤ قط إلا عمل »[1] .

الثامن : الاجتهاد في حَصْر الذهْن ، وتركيز الفِكر في مَعالي الأمور :

قال الحسن البصري : « نفسك إن لم تشغلها بالحقِّ شغلتْك بالباطل » .

«قال « وليم مولتون مارستن » المتخصص في علم النفس : « والعقل

---

(١) انظر كتاب : العظمة ، لأبي الشيخ الأصبهاني . تحقيق : رضا الله بن محمد المباركفوري صـ ٢٢١ - ٣١٢ ، دار العاصمة . الرياض .

الإنساني يصبح أداة مُدهِشة الكفاءة إذا رُكِّز تركيزًا قويًّا حادًّا » .

ونُقل عن « وليم جيمس » - وهو أبو علم النفْس الحديث - أنه قال : « إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من الناس العاديِّين ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل، بل إلى الموضوعات والغايات التي يوجِّهون إليها هممهم، وإلى درجة التركيز التي يسعُهم أن يبلغوها » .

ثم يقول « وليم مولتون » : وهذه القدرة تُكتسب بالمرانة ، والمرانة تتطلب الصبر ؛ فإن الانتقال من الشرود إلى حصْر الذهن حصْرًا بيِّنًا محكَمًا - هو ثمرة الجهد المُلِحّ ، فإنِ استطعتَ أن تُردَّ عقلك مرَّة بعد أخرى وخمسين مرة ومائة مرة إلى الموضوع الذي اعتزمت معالجته؛ فإنَّ الخواطر التي تتنازعك لا تلبث أن تخلِّي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار ، ثم تلقى نفسك آخر الأمر قادرًا على حصْر ذهْنك بإرادتك فيما تختار »[1] .

ويحفل التاريخ الإسلامي بأمثلة عَطِرة :

فالتابعي الجليل قتادة بن دعامة أفناه شغلُه بالعلْم عن نفسه ؛ فقد قال مرَّة لغلامه : يا غلام : ناولني نعلي . قال : نعلُك في رجلك .

والإمام مسلم : كان سبب موته حصْر فكْره في حديث ؛ قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح عن الإمام مسلم : « وكان لموته سبب غريب ، نشأ من غمرة فكرية علميَّة ، فقرأتُ بنيسابور - حرسها الله ، وسائر ديار الإسلام وأهله - فيما انتخبته من « تاريخها » للحاكم النيسابوري على الشيخ الزكي أبي الفتح منصور بن عبد المنعم .

قال أحمد بن سلمة - رفيق مسلم في الرحلة -: عُقِد لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج مجلس للمذاكرة ، فذُكر له حديث لم يعرفه ، فانصرف إلى

---

(١) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٤٧، ٣٤٨ نقلًا عن « رُوح الصلاة في الإسلام » للشيخ عفيف طبارة صـ ٣٢ .

منزله ، وأوقد السراج ، وقال لمن في الدار : لا يدخلنَّ أحد منكم هذا البيت . فقيل له : أُهديتْ لنا سَلة فيها تمر . فقال : قدِّموها إليَّ ، فقدَّموها إليه ، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة يمضغها ، فأصبح وقد فنِيَ التمر ، ووجد الحديث . قال الحاكم : زادني الثقة مِن أصحابنا أنه منها مرِض ومات »[١] .

ومن قبله شيخه البخاري :

يقظاتُه ومنامُه شِرَعٌ[٢] كلٌّ بكُلٍّ فهوَ مشتبهُ

يتذكر الحديث في منامه ، فهل سمعتَ بشغَف للعلم مثل هذا ؟!

قال محمد بن يوسف البخاري : كنت مع محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة ، فأحصيتُ عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يُعلِّقها في ليلة ثمان عشرة مرة[٣] .

وقال محمد بن أبي حاتم الورَّاق : كان أبو عبد الله إذا كنتُ معه في سفر ، يجمعنا بيت واحد ، إلَّا في القيْظ أحيانًا ، فكنتُ أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة ، في كل ذلك يأخذ القدّاحة فيوري نارًا ويُسرج ، ثم يُخرج أحاديث فيُعلِّم عليها[٤] .

وما قصَّه الإمام ابن سحنون مع سُرِّيته أمِّ مدام - التي ذكرناها في علو همته في طلب العلم - منا ببعيد ، فارجع إليها ففيها العجب العُجاب !!

والإمام أبو بكر الباغندي من شغله بالحديث وحصر فكره فيه ؛ قال عنه عمر بن شاهين : « قام أبو بكر الباغندي ليصلّي ، فكبَّر ، ثم قال : أخبرنا محمد بن سليمان لُوَيْن ، فسبَّحنا به ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٦٤/١٢، و « صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط » صـ ٦٤ .

(٢) الشرع : جمع الشِّرع ، وهو المِثْل والشبيه .

(٣) تاريخ بغداد ٧/٢، والسير ٤٠٣/١٢ .

(٤) طبقات السُّبكي ٢٢٠/٢، وتهذيب الكمال ١١٧٠ .

لله رب العالمين »[١] .

والإمام المحدِّث أبو العباس الأصمّ ؛ قال عنه الحاكم : « حضرتُ أبا العباس يومًا في مسجده فخرج ليؤذِّن لصلاة العصر ، فوقف موضع المئذنة ، ثم قال بصوت عالٍ: أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي.. ثم أذّن»[٢].

ومن قبلهم شيخ بيت النبوة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما : قال أبو نوح الأنصاري : « وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله ، النار . فما رفع رأسه حتى طُفئت ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألهتني عنها النار الأخرى »[٣] .

التاسع : القصْدُ وصدْق الإرادة :

قال ابن القيم : « إذا انتبه العبد وأبصر ، أخذ في « القصد » وصدق الإرادة ، وأجمع القصد والنية على سفَر الهجرة إلى الله ، وعلِمَ وتيقَّن أنه لا بدّ له منه ، فأخذ في أُهْبَة السفر ، وتعبِئة الزاد ليوم المعاد ، والتجرُّد عن عوائق السفر ، وقطْع العلائق التي تمنعه من الخروج » .

قال الهروي : « الدرجة الأولى : قصد يبعث على الارتياض ، ويخلِّص من التردُّد ، ويدعو إلى مجانبة الأغراض » .

قال ابن القيم : « فذكر له ثلاث فوائد : أنه يبعث على السلوك بلا توقُّف ولا تردُّد ، ولا غير العبودية ، من رياء أو سمعة ، أو طلب محمدة ، أو جاهٍ ومنزلة عند الخلق » .

قال الهروي : « الدرجة الثانية : قصد لا يلقى سببًا إلا قطعه ، ولا حائلًا إلا منعه،ولا تحامُلًا إلا سهَّله » .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق ١٥ / ٤٥٨ .

(٣) السير ٤ / ٣٩١ - ٣٩٢ .

قال ابن القيم : « يعني أنه لا يلقى سببًا يُعَوِّق عن المقصود إلا قطعه ، ولا حائلًا دونه إلا منعه ، ولا تحاملًا إلا سهَّله » .

قال الهروي : « الدرجة الثالثة : قصد الاستسلام لتهذيب العلم ، وقصد إجابة داعي الحكْم » .

قال ابن القيم : « يريد أنه ينقاد إلى العلم ليتهذّب به ويصلُح ، ويقصد إجابة داعي الحكْم الديني الأمري كلَّما دعاه ؛ فإن للحكم في كلِّ مسألة من مسائل العلم مناديًا ينادي للإيمان بها عِلمًا وعملًا ، فيقصد إجابة داعيها . ولكن مراده بداعي الحكم : الأسرار والحِكَم الداعية إلى شرع الحكم . فإجابتها قدْر زائد على مجرَّد الامتثال ؛ فإنها تدعو إلى المحبَّة والإجلال والمعرفة والحمد ، فالأمر يدعو إلى الامتثال ، وما تضمَّنه من الحِكم والغايات تدعو إلى المعرفة والمحبَّة » .

العاشر : العزْم على الكمالات :

قال ابن القيم في « الفوائد » (صـ ٢٦٠) : « العزْم لِقاح البصيرة ، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة ، وبلغت به همته من العلياء كلَّ مكان. فتخلُّف الكمالات إمَّا من عدم البصيرة ، وإمَّا من عدم العزيمة » .

قال ابن القيم في « مدارج السالكين » (١٢٣/١) : « العزم : هو العقْد الجازم على المسير ومفارقة كلِّ قاطِع ومُعوِّق ، ومرافقة كلِّ معين وموصل . وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده».

والعزم نوعان : أحدهما: عزم على الدخول في الطريق ، والثاني : عزم في حال السير معه . وهو أخصُّ من هذا .

فلا تتوقْف متردِّدًا أو قلقا ، ولا تضيِّع نفسك بالشكوك التي لا تلد إلا الشكوك .

ومشتَّت العزَماتِ يُنفق عمرَهُ حيرانَ لا ظفرٌ ولا إخفاقُ

وقال آخر :

إذا كنت ذا رأيٍ فكُن ذا عزيمةٍ فإنَّ فساد الرأي أن تتردَّدا

وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿ **فإذا عزمَ الأمْر فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم** ﴾ .

أخي : ألفْتَ عجْزَ العادة ، فلوْ عَلَتْ بك همَّتك ربىٰ المعالي ؛ لاحتْ لك أنوار العزائم .

إذا طلع نجمُ الهمَّة في ظلام ليل البطالة ، وردفَهُ قمرُ العزيمة أشرقت الأرض بنور ربها .

« رأى بعض الحكماء بِرْذَونًا[1] يُسقىٰ عليه ، فقال : لو هَمْلَج هذا لَرُكِب.إقدام العزم بالسلوك اندفع من بين أيديها.سدُّ القواطع محَنٌ يتبيّن بها الصادقُ من الكاذب ، فإذا خُضتَها انقلبتْ أعوانا تُوصلك إلى المقصود »[2] .

قال ابن القيم : « إذا عزم العبد على السفر إلى الله تعالى وإرادته ؛ عرضت له الخوادع والقواطع ، فينخدع أولًا بالشهوات والرياسات ، والملاذِّ والمناكح والملابس ، فإن وقف معها انقطع ، وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ، ابتُلَي بوطء عَقِبه وتقبيل يده ، والتوسعة له في المجلس ، والإشارة إليه بالدعاء ورجاء برَكته ... ونحو ذلك ، فإن وقف معه انقطع به عن الله وكان حظّه منه ، وإن قطعه ولم يقف معه ؛ ابتُلي بالكرامات والكشوفات ، فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظَّهُ، وإن لم يقف معها ابتُلي بالتجريد والتخلِّي ، ولذة الجمعية ، وعزة الوحدة ، والفراغ من الدنيا ، فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود . وإن لم يقف معه وسار ناظرًا إلى مراد الله منه وما يحبه منه ؛ بحيث يكون عبدَه الموقوف على محابِّه ومراضيه أين كانت وكيف كانت ، تعبَ

(١) ضرْب من الدوابِّ دون الخيل وأقدر من الحُمُر .

(٢) الفوائد صـ ٦٠ .

بها أو استراح ، تنعَّم بها أو تألَّم ، أخرجتْه إلى الناس أو عزلته عنهم ، لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليُّه وسيِّده ، واقف مع مراده ينفذه بحسب الإمكان ، ونفْسُه عنده أهون عليه أن يقدِّم راحتها ولذَّتها على مرضاة سيده وأمْره - فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ ، ولم يقطعه عن سيِّده شيء ألبتة . وبالله التوفيق »[(١)] .

الحادي عشر : الغيْرة :

والغيرة من تمام البصيرة ؛ « لأنه على قدر المعرفة بالحق ومستحقِّه ومحبته وإجلاله تكون الغيرة عليه أن يُضيَّع ، والغضب على من أضاعه ؛ فإن ذلك دليل على محبَّة صاحب الحق وإجلاله وتعظيمه ، وذلك عين البصيرة ؛ فكما أن الشك القادح في كمال الامتثال مُعْمٍ لعين البصيرة ، فكذلك عدم الغضب والغيرة على حقوق الله إذا ضُيِّعتْ ومحارمه إذا انتُهكت؛ مُعْمٍ لعين البصيرة»[(٢)] .

والغضب لمحارم الله إذا استُحلَّت - كما يغضب النَّمِر إذا حَرِب -[(٣)] من صفات عُلاة الهمم .

« وغيرة العبد من نفسه على نفسه ، كغيرته من نفسه على قلبه ، ومن تفرقته على جمعيَّته ، ومن إعراضه على إقباله ، ومن صفاته المذمومة على صفاته الممدوحة . وهذه الغيرة خاصيَّة النفس الشريفة الزكيَّة العلوية ، وما للنفس الدنيَّة المهينة فيها نصيب»[(٤)] .

وعلى قدر هذه الغيرة يكون شرف النفْس وعلو همتها .

ولم أرَ في عُيوب الناسِ عيبًا   كنقْصِ القادرين على التمامِ

---

(١) الفوائد صـ ٢٢٧ .
(٢) مدارج السالكين ١ / ١٢٧ .
(٣) حَرِب النمرُ وغيرُه : إذا اشتدَّ غضبه .
(٤) مدارج السالكين ٣ / ٤٣ - ٤٤ .

وحين ينتكس الإنسان يهوي إلى الدرْك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قطُّ ، حين تصبح البهائم أرفع منه وأقوم ، حين يرتكس مع هواه إلى درْك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه ، يرتكس في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين ، ويتمخض للسُّفول ، وإذا ماتت فيه الغيْرة على نفسه وعلى المحارم ؛ يصبح أسفل من البهائم .

ولا يقيم على ضيْمٍ يُرادُ بِهِ ... إلَّا الأذلَّان عِيرُ الحيّ والوتدُ
هذا على الحبْل مربوطٌ برمّتِهِ ... وذا يُشجُّ فما يدري بِهِ أحدُ

الثاني عشر : الدعاء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أبخل الناس مَن بخل بالسلام ، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء »[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء »[٢] .

فإذا أردتَ بابًا أقرب إلى مولاك وأوسع ولا مزاحِمَ فيه ؛ فادخلْ من باب الذلِّ والافتقار ؛ فإن لانكسار القلب تأثيرًا عجيبًا في المحبة وعلوِّ الهمة لا يُعبَّر عنه ، هذه الذلة والكسْرة الخاصَّة تدخلك على الله ، وترميك على طريق المحبَّة ، فيُفتح لك منها باب لا يُفتح لك من غير هذا الطريق ، وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تفتح للعبد أبوابًا من المحبة . لكن الذي يُفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار ، وازدراء النفس ، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم ، بحيث تشاهدها ضيعة وعجزًا وتفريطًا وذنبًا

---

(١) صحيح : رواه أبو يعلى في مسنده ، ورواه ابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٥١٩ .

(٢) حسن : رواه أحمد ، والبخاري في الأدب ، والترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٣٩٢ .

وخطيئة - نوع آخر وفتح آخر ، وطريق إلى علو الهمة عجيب . ومَنْ ذاق عرف .

والسالك بهذه الطريق غريب في الناس ، وهم في وادٍ وهو في وادٍ ، وهي تسمَّى طريق الطيْر ، يسبقُ النائم فيها على فراشه السُّعاةَ ، فيصبح وقد قطع الطريق وسبق الركْب .

من لي بمِثْل سيْرك المُدَلَّلِ تمشي رُوَيْدًا وتجي في الأوَّلِ

والدعاء والذل والانكسار ، والخضوع والافتقار للربِّ جلّ جلاله ؛ غايةٌ شمّر إليها السالكون ، وأمَّها القاصدون ، ولحظ إليها العاملون ، كيفَ لا والعبد يشهد في كل ذرَّة من ذرَّاته الباطنة والظاهرة ، ضرورة تامَّة ، وافتقارًا تامًّا إلى ربِّه ووليِّه ، ومن بيده صلاحه وفلاحه ، وهداه وسعادته ، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وإنما تُدرَك بالحصول .

فيحصل لقلبه كسْرة خاصَّة لا يشبهها شيءٌ ، بحيث يرى نفسه كالإناء المرضوض تحت الأرجل ، الذي لا شيء فيه ولا به ، ولا منه ولا فيه منفعة ، ولا يُرغب في مثله ، وأنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبْرٍ جديد من صانعه وقيِّمه . فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما مَنَّ ربه إليه من الخير ، ويرى أنه لا يستحقُّ قليلًا منه ولا كثيرًا ، فأيُّ خير ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلمَ أن قَدْره دونه ، وعلم أن رحمة ربِّه هي التي اقتضت ذكْرَه به وسياقته إليه ، واستقلَّ ما مِن نفسه من الطاعات لربِّه ، ورآها - ولوْ ساوَتْ طاعات الثقَليْن - من أقلِّ ما ينبغي لربِّه عليه ، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه .

فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ، وما أدنىٰ النصر والرحمة والرزق وعلو الهمة منه !! وما أنفع هذا الذلّ له وأجراه عليه !! وذرَّة من هذا ونَفَس منه أحبُّ إلى الله من طاعاتٍ أمثالِ الجبال ، من المدلِّين المعجَبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم .

وأحب القلوب إلى الله سبحانه : قلب قد تمكّنت منه هذه الكسْرة ،

وملكتْه هذه الذلَّة؛ فهو ناكسُ الرأس بين يدي ربِّه، لا يرفع رأسه حياءً من الله.

قيل لبعض العارفين : أيسجُدُ القلب ؟ قال : نعم ، يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

فهذا سجود القلب .. فقلب لا تباشره هذه الكسْرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . وإذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى ؛ سجدت معه جميعُ الجوارح ، وعَنَا الوجهُ حينئذ للحيِّ القيوم ، وخشعتِ الجوارح والأصوات كلها ، وذلَّ العبد واستكان ، ووضع خدَّه على عتَبة العبودية ؛ ناظرًا بقلبه إلى ربِّه ووليِّه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم ، فلا يُرىٰ إلَّا متملِّقًا لربِّه خاضعًا له ، ذليلًا مستعطفًا له ، يقول : كيف أُغضِبُ مَنْ حياتي في رضاه ؟! وكيف أعدل عمَّن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه ؟!

وما الظنُّ بمَنْ هو أرحمُ بعبده من الوالد بولده ومن الوالدة بولدها ، إذا فرَّ عبدُه إليه ، وهرب من عدوِّه إليه ، وألقى بنفسه طريحًا ببابه ، يمرِّغ خدَّه في ثَرَىٰ أعتابه باكيًا بين يديه يقول : يا ربِّ ، يا ربِّ ، ارحمْ مَن لا راحِم له سواك ، ولا ناصِر له سواك ، ولا مأوى له سواك ولا مُغيثَ له سواك ، مسكينك وفقيرك ، وسائلك ومؤمِّلك ومُرجيك ، لا ملجأ له ولا منجا له منك إلَّا إليك ، أنت مَعاذُه ومَلاذه !!

يا مَن ألوذ به فيما أؤمِّلهُ　　　ومَن أعوذ به ممّا أحاذرُهُ

لا يَجبرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره　　　ولا يهيضون عظمًا أنتَ جابِرُهُ

مولاي وسيدي وربي وإلهي ، أنت أصلحتَ الصالحين وأعليْت من هممهم ، فاجعلنا من الصالحين .. اجعلْنا لك كما تريد لا كما نريد ، سَخِّ أنفسنا عن الدنيا وهمِّها ، واجعلْ أنفاسَنا وحركاتِنا وسَكَناتنا وَقْفًا عليك أنت وحدك .

يا عيْنُ سُحِّي أبدًا　　　يا نفْسُ موتي كَمَدَا

وَلا تحبِّي أحـدَا　　　إلَّا الجليلَ الصَّمَدَا

الثالث عشر : التنافُس والتنازُع بين الشخص وهمَّتِه :

فعلى « مريد تطوير همَّته أن يُضيف أعباءً وأعمالًا يوميَّة لنفسه ، لم تكن موجودة في برنامج حياته السابق ؛ بحيث يحدث نوع من التحدِّي داخل الإنسان لإنجاز ما تحمَّله من أعباء جديدة ، ويجب أن تكون هذه الإضافة مدروسة بعناية وإحكام ، حتى لا يُصاب الشخص بالإحباط واليأس .

ويجب عليه كذلك أنْ يحسن اختيار هذه الأعمال والأعباء الجديدة ، بحيث تكون مُبلِغة له إلى الكمال ؛ « فمن كانت همته حفظَ جميعَ ما كتب محمد ابن الحسن - الشيباني - فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها »[(١)] . فالتحدي الذي نشأ في نفسه بسبب، رغبته في حفظ كُتب معيَّنة ؛ سيُوصله إلى حفظ أكثرها . والله أعلم »[(٢)] .

الرابع عشر : الحرص على الوقت :

حياتك أنفاسٌ تُعدُّ فكلَّما ... مضى نفسٌ منها انتقصت به جزءًا
فتصبحُ في نقْصٍ وتُمسي بمثلِهِ ... أما لك معقول تُحِسُّ به رُزءًا
يميتُك ما يحييكَ في كلِّ ساعةٍ ... ويحدوك حادٍ ما يريد بك الهُزْءَا

عُلاة الهمم يحرصون على « الثانية » من أوقاتهم حرْص الجَمُوع المنوع .. وحتى المصائب لا تلهيهم عن استغلال وقتهم والحرص عليه .

« واليُتْمُ والعمىٰ ، والغربة والفقر ؛ قد تكون أسبابًا للنبوغ والإنجاز والتقدُّم والعطاء .

قد يُنعمُ الله بالبلوىٰ وإنْ عظُمتْ ... ويَبتلي الله بعضَ القوم بالنِّعم

ألف ابن الأثير كتبَه الرائعة ، كـ « جامع الأصول» و «النهاية في غريب

---

(١) تعليم المتعلم في طريق التعلم ، للإمام برهان الدين الزرنوجي . تحقيق صلاح الخيمي ونذير حمدان - نشر : دار ابن كثير .

(٢) الهمة طريق إلى القمة صـ ٥٦ .

الحديث » ؛ بسبب أنه مُقعَد .

وألَّف السرخسيُّ كتابه الشهير « المبسوط » خمسة عشر مجلدًا ؛ لأنه محبوس في الجُبِّ !!

وكتب ابن القيم « زاد المعاد » وهو مسافر !!

وشرح القرطبي « صحيح مسلم » وهو على ظهر سفينة ، وجُلُّ فتاوىٰ ابن تيمية كتبها وهو محبوس .... وأخبرني أحد الصالحين أنه سُجن فحفظ في سجنه القرآن كله وقرأ أربعين مجلدًا »[١] .

لله درهم من أئمة !!

شمس الأئمة السرخسي في الجُبِّ :

« لقد أملىٰ شمس الأئمة كتابه « المبسوط » - نحو خمسة عشر مجلدًا - وهو في السجن بـ « أوزجند » ، وكان محبوسًا في الجبِّ بسبب كلمة نصَحَ بها الخاقان، وكان يملي من خاطره من غير مطالعة كتاب وهو في الجبِّ، وأصحابه من أعلىٰ الجبِّ، وقال عند فراغه من شرح العبادات: هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات ، أملاه المحبوس عن الجُمَع والجماعات .. !!

وقال في آخر شرح « الإقرار » : انتهى شرح « الإقرار » ، المشتمِل من المعاني على ما هو من الأسرار ؛ أملاه المحبوس في محبس الأشرار .

وللسرخسي كذلك كتاب في أصول الفقه ، وشرح « السير الكبير » أملاه وهو في الجب !! »[٢] .

الخامس عشر : اعتراف المرء بقصُور همَّته :

«اعتراف الشخص بقصور همته وأنه لا بد له أن يطوِّرها ويعلو بها، أمْرٌ

---

(١) « لا تحزن » لعائض القرني صـ ١٠٠ ، توزيع مكتبة ابن تيمية .

(٢) كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء ، لمحمد فهمي عبد اللطيف صـ ٣٠ - دار الاعتصام .

أوَّليٌّ نفسيٌّ لا مناص منه في هذا الباب ، ومِنْ ثَمَّ لا بد أن يعتقد أنه قادر على أن يكون من أهل الهمّة العالية ، فهذان الأمران - الاعتراف بقصور الهمَّة ، واعتقاد إمكانية تطويرها - عاملان مهمَّان لا بدَّ منهما في محاولة تطوير الهمّة ، وبدونهما لا يكون الشخص قد خطا خطوات صحيحة »[1] .

السادس عشر : مجاهدة النفس :

من لم يباشر حَرَّ الهجير في طلب المجد لم يَقِلْ في ظلِّ الشرَف .. خُلِق الإنسان في كَبَد ونصَب .. وهناك مَن يكدح في سبيل نزوة وشهوة ، والعظيم يكدح في سبيل عقيدة ودعوة ، وليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة «طوبى»، ولا للمحبِّ قرار إلا يوم المزيد ، فاشتغلْ به في الحياة يَكفِك ما بعد الموت .

هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد ، وحَلَتْ لهم مرارات البِلى حُبًّا لعواقب السلامة ، فيا بشراهم يومَ ﴿ **هذا يومكم** ﴾ .

قفْ بالديار فهذه آثارُهمْ ... تبكي الأحبَّة حسْرةً وتشوُّقا
كمْ قد وقفتُ بها أسائلُ مخبِرًا ... عن أهلها أو صادِقًا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوىٰ في رسْمِها ... فارقتَ مَن تهوى فعزَّ الملْتقىٰ

أخي ، أول الطريق بذل الروح ، هذه الجادَّة فأين السالك ؟

بِدَمِ المُحبِّ يُباعُ وَصْلهمُ ... فمنِ الذي يَبتاع بالثَّمن

يا طفلًا في حِجْر العادة، محصورًا بقماط الهوى، ما لك ومزاحمة الرجال؟! تمسَّكتَ بالدنيا تمسُّك المرضع بالظئر ، والقومُ ما أعاروها الطرْف !! ما لك والمحبَّة ، وأنت أسيرُ حَبَّة ؟! كم بينك وبينهم !! وهل تدري أين هم ؟!

يا هذا ، مَن جاهد نفسه وَجَدَّ وَجَدَ، وليس مَن سَهِر كمَن رقد ، والفضائل تحتاج إلى وثْبة أسد .

---

(١) الهمة طريق إلى القمة صـ ٥١ - ٥٢ .

ونحنُ أناسٌ لا توسُّطَ عندنا لنا الصدرُ دونَ العالمين أو القبرُ

أخي ، لو قدْ طلعت شمس العزيمة في نهار اليقظة ، لأُنبتَ عالم النشاط في صحراء المجاهدة .

إلَّا تمُتْ تحتَ السيوفِ مُكرَّمًا تمُتْ وتُقاسِ الذُّلَّ غيْرَ مُكرَّمِ
فثِبْ واثقًا باللهِ وثْبةَ ماجدٍ يرىٰ الموتَ في الهيجا جَنى النحل في الفمِ

قال ابن القيم رحمه الله : « أَعْرِف مَن أصابه مرضٌ من صداع وحمَّى ، وكان الكتاب عند رأسه ، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه ، فإذا غُلب وضَعَه ، فدخل عليه الطبيبُ يومًا وهو كذلك ، فقال : إنَّ هذا لا يحلُّ لك ؛ فإنك تُعين على نفسك وتكون سببًا لفوات مطلوبك »[1] .

وقال الإمام عيسى بن موسى : « مكثتُ ثلاثين سنة أشتهي أن أشارك العامَّة في أكْل هريسة السوق ، فلا أقدر على ذلك ، لأجل البكور إلى سماع الحديث »[2] .

جاهدْ بقلبك قبْل جوارحك؛ فالاعتبار عندنا بالأعمال القلبية.. غلبت حراراتُ الخوف قلب داود فصار كفُّهُ كِيرًا ، ﴿ **وألنَّا له الحديد** ﴾ ، وقويت رُوحانية محمد ﷺ فنبع الماء من بين أصابعه !!

لولا مدامعُ ساداتٍ ولوْعَتُهمْ لَبَان في الناس عِزُّ الماء والنارِ
فكلُّ نار فمنْ أنفاسهم قُدِحَتْ وكلُّ ماء فمِن طرْفٍ لهمْ جاري

جاهد يا أخي.. لتكنْ عبدَ الله وحدَه، فحقيقة الحرية في كمال العبودية..

أتمنى على الزمانِ مُحَالًا أنْ ترىٰ عينايَ طلعة حُرِّ

قل لقيود الأرض وزُخرفها : لا ، لا يا قيود الملك ؛ فالمِلك يدعوني إلى جواره في فِرْدوسه .. فجاهِدْ نفسك يا أخي تصل إلى الشرف كل الشرف ، كما قال يحيى بن معاذ : أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم

---

(١) روضة المحبِّين لابن القيم صـ ٧٠ .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢٩٨/١ .

الأحرار والأبرار .

قال ابن أدهم : إن الحرَّ الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يُخرج منها .

وسُئل الجنيد عمَّن لم يبقَ عليه من الدنيا إلا مقدار مَصّ نواة ؟ فقال : المكاتِبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم .

قال بشر بن الحارث : « لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد » .

وقال أبو سليمان الداراني : أفضل الأعمال : خلافُ هوىٰ النفْس .

وقال السري السقطي : لن يكمل رجلٌ حتى يُؤْثِر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يُؤْثر شهوته على دينه .

قيل للمرتعش : إن فلانًا يمشي على الماء ! فقال : إنّ مَن مكَّنه الله من مخالفة هواه ، لهو أعظم من المشي على الماء .

وقال حاتم الأصمُّ : الموتُ الأحمر : مخالفة النفْس .

وقال السري : أقوىٰ الفتوة : غَلَبَتُك نفْسك .

وقال أحمد بن خضرويه : أَمِتْ نفسَك تُحْيِها .

وقال محمد بن أحمد بن سالم البصري : مَن صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أُنْسِه .

وقال أبو بكر بن الضرير المقّري : دافعتُ الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة .

وقد كان أهل الحزْم يعوّدون أنفسهم مخالفة هواها وإن كان مباحًا ، ليقع التمرين للنَّفْس على ترك الهوى مطلقًا ؛ وليطلب الأرباح في المعاملة بترْك المباح .

السابع عشر : قِصَر الأمل ، وكثْرة ذكْر الموت :

وقصر الأمل يدفع إلى علوِّ الهمة وحُسْن العمل :

فهذه أمُّ الصَّهْباء معاذة العدويَّة زوجة صِلة بن أشيم ؛ « كانت إذا جاء

النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه .. فما تنام حتى تُمسي ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتي التي أموت فيها .. فلا تنام حتى تصبح »[١] .

وكانت حفصة بنت سيرين إذا قامت إلى مصلَّاها من الليل لبستْ كفَنَها.

وقال الربيع بن خُثيم : لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعةً واحدة ؛ لفسد قلبي .

وكانت ماجدة القرشية تقول : طوىٰ أملي طلوعُ الشمس وغروبُها ، فما مِن حركة تُسمع ولا مِن قدم تُوضع ؛ إلا ظننتُ أنَّ الموت في أثرها .

وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطَوَوا الآمال ؛ خفَّتْ عليهم الأعمال[٢] .

عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسَدي فقال : « كنْ في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، وعُدَّ نفسك في أهل القبور »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : مرَّ بنا رسول الله ﷺ وأنا وأمي نُطيِّنُ شيئًا ، فقال : ما هذا يا عبد الله ؟ قلتُ : شيء نصلحه . قالَ : « الأمر أسرع من ذلك »[٤] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذْ بصُر بجماعة فقال : « عَلامَ اجتمع عليه هؤلاء ؟» . قيل : على قبر يحفرونه . قال : ففزع رسول الله ﷺ ، فبَدَر من بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر ، فجثا عليه . قال : فاستقبلتُه من بين يديه لأنظر ما يصنع ، فبكى

---

(١) صفة الصفوة ٤ / ٢٢ .

(٢) صفة الصفوة ٧٤/٤ .

(٣) رواه البخاري .

(٤) صحيح : رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٧٨٦ .

حتى بلّ الثَّرىٰ من دموعه ، ثم أقبل علينا ، قال : « أيْ إخواني ، لِمثْل هذا اليوم فأعدُّوا »[١] .

إن كنت تفهمُ ما أقولُ وتعقِلُ   فارحلْ بنفسِك قبلَ أن بكَ يُرحَلُ
وذَر التشاغُل بالذنوب وخلِّها   حتى متى وإلى متى تتعلَّلُ[٢]

قال أبو العباس الدوري : أنشدنا يحيى بن معين هذا البيت :

نؤمِّل أنْ نبقى طويلًا وإنما   نعدُّ من الأيام طرفًا وأنفاسا

وقال ذو النون المصري: توسَّدوا الموتَ إذا نمتم، واجعلوه نصْبَ أعينكم إذا قمتم ، كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة .

وعن أبيِّ بن كعب قال : كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل ، قام فقال : « يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه »[٣] .

قال اللبيدي: وجدتُ بعد موت أبي إسحاق الجبنياني رحمه الله رقعةً تحت حصيرة مكتوبة بخطه : « رجل وقف له هاتِف ، فقال له : أحسنْ ، أحسنْ عملك ، فقد دنا أجلُك ».فقال لي ولده عبد الرحمن : « إنه كان إذا قصَّر في العمل ، أخرج الرقعة ، فنظر فيها ورجع إلى جِدِّه »[٤] .

ما زال يلهجُ بالرحيل وذِكْرِهِ   حتَّى أناخَ ببابهِ الجَمَّـالُ
فأصابهُ مستيقظًا متشمِّـرًا   ذا أهْبَةٍ لم تُلهِه الآمـالُ

وكان عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما يتمثَّل :

---

(١) حسن : رواه البخاري في التاريخ ، وابن ماجه وأحمد، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٧٥١ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقي صـ ٢٨٠ ، دار القلم .

(٣) حسن : رواه أحمد والترمذي ، والحاكم ، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم ٩٥٢، وصحيح الجامع رقم ٧٨٦٣ .

(٤) ترتيب المدارك ٥١٦/٢ .

نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُك نومٌ والردىٰ لكَ لازِمُ
وتعمل فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

وقال عبد الرحمن بن عمرو : أدركت امرأة لا أقدِّم عليها رجلًا ولا امرأة ممن أدركت؛ كانت إذا أصبحت قالت: يا نفس، هذا اليوم ، ساعِدِيني يومي هذا ؛ فلعلَّك لا ترَيْن بياض يومٍ أبدًا . وإذا أمست قالت : يا نفسُ ، هذه الليلة ، ساعِدِيني ليلتي هذه ؛ فلعلك لا ترين سواد ليلةٍ أبدًا . فما زالت تخدع وتدفع يومها بليلها وليلها بنهارها ، حتى ماتت على ذلك[1] .

كم من مستقبل يومًا ليس بمستكمِله ، ومنتظِر غدًا وليس بمستدركه !!

وقال إبراهيم بن أدهم : إخواني،عليكم بالمبادرة والجدِّ والاجتهاد ، وسارعوا وسابقوا ؛ فإنَّ نعْلًا فُقِدتْ ، أختُها سريعة اللِّحاق بها .

وقيل للربيع بن خثيم : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا .

وقال قُبيصة بن عتبة : ما جلستُ مع سفيان الثوري مجلسًا إلا ذكَر فيه الموت ، وما رأيت أحدًا كان أكثر ذكْرًا للموت منه .

وقال مطرِّف: أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : « أمَّا بعد ، فمَنْ كان آخر علَّته الموت؛ قد مات » . فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تنل . والسلام عليك » .

وقال الفضيل : كفى بالله مُحبًّا ، وبالقرآن مُؤنسًا ، وبالموت واعظًا ، وكفى بخشية الله علمًا والاغترار بالله جهلًا .

فحقيق على من كان الموت موعده والقبر مورده والحساب مشهده ؛ أن يَقصُر أملُه ، وتعلو همَّته ويَحسُن عمله ؛ فهيِّئ جهازك ، وقدِّم زادك ،

---

(١) الزهد الكبير صـ ٢٥٤ .

وكن وصيَّ نفسِك .

وكان إبراهيم بن أدهم يقولُ كثيرًا : دارنا أمامنا ، وحياتنا بعد موتنا إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار .

وكان إبراهيم يقول : مثِّل لبَصر قلبك حضور ملَكِ الموتِ وأعوانه لقبْض روحك ، فانظرْ كيف تكون ، ومثِّل له القيامة وأهوالها وأفزاعها ، والعَرْض والحساب والوقوف ، فانظرْ كيف تكون .

وكان رحمه الله يقول : « إن للموت كأسًا لا يقوىٰ على تجرُّعها إلا خائف وَجِل طائع كان يتوقَّعُها » .

وكان الربيع بن أبي راشد يقول : لو فارق ذكْر الموت قلبي لَخشيتُ أن يفسد ، ولولا أن أخالف من كان قبلي لَسكنتُ الجبَّانة حتى أموت .

وقال شقيق البلخي : استعِدَّ إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجْعة .

وقال حاتم الأصمُّ : ما من صباح إلا والشيطان يقول لي : ما تأكل ؟ وما تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت ، وألبَسُ الكفن ، وأسكن القبر .

وقال الفضيل بن عياض : قال ابن المبارك : استعد للموت ولما بعد الموت .. فشهق علي بن الفضيل شهقة فلم يزل مغشيًّا عليه عامَّة الليل .

وقال أحمد بن أبي الحواري عن زوجته رابعة وأحوالها : سمعتُ رابعة تقول : ما رأيتُ ثلجًا قطُّ إلا ذكرتُ تطايُرَ الصحف ، وما رأيتُ جرادًا قطُّ إلا ذكرتُ الحشر ، ولا سمعتُ أذانًا قط إلا ذكرتُ منادي القيامة . قالت : وقلتُ لنفسي : كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاؤه .

رحمها الله،هذا قِصَر أملها!! لقد كان الموت منها على بالٍ؛ فاجتهدت في العبادة ، حتى قال عنها زوجها : ربما نظرتُ إلى وجهها ورقبتها فيتحرَّك قلبي على رؤيتها ، ما لا يتحرَّك مع مذاكرتي أصحابنا ؛ لما أرى عليها من أثر العبادة .

وعن محمد بن أبي توبة : أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي : تقدَّم . فقلتُ : إنْ صليتُ بكم هذه الصلاة ، لم أُصل بكم غيرها . فقال معروف : وأنت تحدِّث نفسك أن تصلِّي صلاة أخرى ؟! نعوذ بالله من طول الأمل ؛ فإنه يمنع خير العمل له[١] .

نعم يا أستاذنا .. نعم يا أبا فيروز .. نعم يا ريحانة بغداد .. صلّ صلاة مودِّع !!

قال داود الطائي : يا داود ، من خاف الوعيد قصُرَ عليه البعيد ،ومن طال أمله قصر عمله ، وكلُّ ما هو آتٍ قريب .

وقال محمد السمين : كونوا من الله على حذَر ، ومن دنياكم على خطَر ، ومن الموت على وجَل ، ولقدوم الآخرة على عجَل .

وكتب الأوزاعي إلى أخٍ له : أما بعد ؛ فإنه قد أُحيط بك من كل جانب ، واعلمْ أنه ليُسارُ بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأنْ يكون آخر عهدك به . والسلام .

وقال أبو يوسف الغسولي : اعلمْ يا أخي أن اختلاف الليل والنهار وممرّهما يُسرعان في هدْم بدنك وفناء عمرك وانقضاء أجلك ، فينبغي لك يا أخي أن لا تطمئنَّ ولا تأمن حتى تعلم أين مستقرُّك ومصيرك ، وساخطٌ عليك ربُّك بمعصيتك وغفلتك أو راضٍ عنك بفضله ورحمته .

وقال السري : اجعلْ قبرك خزانتك ، احشُها من كل عمل يمكنك ، فإذا وردتَ على قبرك سرَّك ما ترىٰ فيها .

ولمَّا عُوتب عطاء السليمي في الرفق بنفسه قال: أتامرونني بالتقصير،والموت في عنقي، والقبر بيتي، وجهنم أمامي، ولا أدري ما يصنع بي ربي عز وجل؟![٢] .

---

(١) الزهد الكبير صـ ٢٣٧ .

(٢) صفة الصفوة ٣ / ٢٤٥ .

فقلْ مع كلِّ نفَسٍ : الآن تُطوىٰ صحيفتي .. وقلْ مقالة يحيى بن معاذ الرازي مع كل نفس :أدمْ جهازك ، وهيِّئْ زادك ، وتهيَّأ للعَرْض على ربك جلَّت عظمتُه .

وقال الفضيل : إنما أمسِ مَثَل، واليوم عمل ، وغدًا أمل .

وقال : ما أطال رجل الأمل إلَّا أساء العمل .

وقال ابن عمر لمجاهد: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذْ من صحتك لمرضك ، وخذْ من حياتك لموتك » .

فأكيسُ الناس : أكثرهم للموت ذكرًا ، وأحسنهم له استعدادًا .

الثامن عشر : الزُّهْد في الدنيا :

قال ذو النون المصري : لو وصلوا إلى الله ما رجعوا ، فازهدْ يا أخي ترىٰ العجب !!

وقال الحسن : رحم الله عبدًا جعل العيْش عيشًا واحدًا ، فأكل كِسْرةً ، ولبس خَلقًا ، ولزق بالأرض ، واجتهد في العبادة ، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة ابتغاء الرحمة ، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك .

قال الجنيد : الزهد : استصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب .

وقال الحسن : الزهْد راحة للقلب والبدن .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : عظني وأوجِزْ . فكتب إليه : إن رأس ما هو مصلحك ومُصلح به على يديك : الزهد في الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكُّر ، والتفكُّر بالاعتبار ، فإذا أنت فكَّرت في الدنيا لم تجدْها أهلًا أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلًا أن تُكرمها بهوان الدنيا ، فإن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلْعَة[1] .

قال بشر بن الحارث: مساكينُ أهل الدنيا هم – والله – موضع رحمة .

---

(١) منزل قلعة : المراد أن الدنيا دار رحيل وانقلاع .

عن سعد بن أبي وقَّاص قال : أتى النبيَّ ﷺ رجل ، فقال : يا رسول الله ، أوصني وأوجزْ . فقال النبي ﷺ : « عليك بالإياس ممَّا في أيدي الناس ، وإياك والطمعَ ؛ فإنه فقر حاضر ، وإذا صليتَ فصلِّ صلاة مودِّعٍ ، وإياك مما يُعتذر منه »[1] .

والهمَّة الأبيَّة العلية تأنف أن تتعلَّق بخرابات البِلَى وأعطانٍ ضيِّقة آخرها الخراب والبوار .. كيف لا يأنف الإنسان من دنيا أعلى شيء فيها : صنْع دودة ، وبزْقة ذبابة ، ومُبال في مبال ، ما الدنيا إلَّا مأكول أو ملبوس أو مشموم أو مركوب ؛ أما المأكول فأفضله العسَل وهو بزْقة ذبابة ، وأما المشموم فأفضله المسْك وهو دَمُ فأْرةٍ ، وأما الملبوس فأفضله الحرير وهو صُنْع دودة ، وأما المركوب فالخيل وعليها يُقتل الرجال ، والنساء مُبال في مبال تتزين بأجملها يُراد به أقبحها ، فمن زهِد في هذا ؛ رنا بطرْفه وقلبه إلى نعيم الجنات وجوار الكبير المتعال .

التاسع عشر : معرفة قيمة النفْس :

أخي ، أنت في الخليقة شيء آخر لا يُشبهك أحد ، فاقرأ نفسك واعرف ماذا تقدم .

فليحرصْ العبدُ على أن يرفع قيمته ، ويُغلي ثمنه بعمله الصالح ، وبعلمه ونبوغه ، واطلاعه ومثابرته وبحثه ، وتثقيف عقله وصقْل ذهنه ، وإشعال الطموح في رُوحه ، والنبل في نفسه ؛ لتكون قيمته غالية عالية .

يا هذا،عندك بضائع نفيسة؛ دموع ودماء، أنفاس وحركات، وكلمات ونظرات؛ فلا تبذلْها فيما لا قدر له . أيصلح أن تبكي لفقْد ما لا يبقى ؟ أو تتنفس أسفًا على ما يفنى ؟ أو تبذل مهجة لصورة عن قليل تمحى ؟ ويحك !!

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك . وقال : صحيح الإسناد . وأقرَّه الذهبي ، ووافقه العراقي .

دمعة منك تُطفىء غَضَبَ ربِّك ، وقطرة من دمٍ في الشهادة تمحو زللك ، ونَفَسٌ أسَفٍ يَنسِفُ ما سلف ، وخطوات في مرضاتهم تغسل الخطيئات ، وتسبيحة تغرس لك أشجار الخُلْد في الجنات ، ونظرةٌ بعِبْرةٍ تُثمرُ الزهْدَ في الفاني .

يا من هو من أرباب الخبرة ، هل عرفتَ قيمة نفْسك ، إنما خُلقت الأكوانُ كلُّها لك ، يا من غُذي بلبان البرِّ وقُلِّب بأيدي الألطاف ، يا زرْعًا تهمي عليه سحائب الإنعام ؛ كل الأشياء شجرة وأنت الثمرة ، وصورة وأنت المعنى ،وصَدَفٌ وأنت الدُّرُّ ، ومخيضٌ وأنت الزُّبْد . منشور اختيارنا لك واضِحُ الخط ، ولكنَّ استخراجك ضعيف ، لو عرفت قدْر نَفسك عند مولاك ؛ ما أهنتها ، إنما أُبعِد إبليس إذ لم يسجد لأبيك وأنت في صُلبه .

يا مختار الكون ، وما يعرف قدْرَ نفسه ؛ أما أسجد الملائكة بالأمس لك ، وجعلهم اليوم في خدمتك ؟!

كم من ملَك في السماوات ما ذاقوا غمضًا؛ ليست لهم مرتبةُ ﴿**تتجافىٰ جُنُوبهم عن المضاجع**﴾ !!

كم من ملَك في السماوات ما ذاقوا طعامًا ولا شربوا شرابًا؛ ليس لهم مدْحةُ « ولَخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسْك » . الملائكة تصلّي عليك ما استقمت ، وحملة العرش يستغفرون لك ، وسَبَق دعاءُ النبيِّين لك وأنت في بطْن أُمِّك ، هذا قدْرك فأقبِلْ ترَ العَجب !!

يا هذا،كنتَ تدَّعي حُبَّهم ، وتُؤْثر القرْب منهم ، فما هذا الصبر الذي قد عَنَّ عنهم ؟! كنت تستطيبُ ريحَ الأسحار وما تُغيِّر المُحَبَّ ؟! كنتَ في الرعيل الأول ، فما الذي ردَّك إلى السَّاقة ؟! قف الآن على جادَّة التأسُّف ، والزم البكاء على التخلُّف، فأحقُّ الناس بالأسىٰ من خُصَّ بالتعويق دون الرُّفَقَاء.

فتِّش عن نفسك ، واعرفْ قدْرك ، تَسْمُ بهمَّتك إلى العظيم .

أُسائلكمْ عنها فهلْ مِن مُخبِّرٍ   فما لي بدَعْدٍ مَن نأت دارُهم عِلْمُ

ولو كنتُ أعلمُ أين خَيَّمَ أَهلُها　　وأيَّ بلادِ الله مذ ظعنوا أمُّوا
إذن لسلكنا مَسْلكَ الريح خلفَهَا　　ولو أصبحتْ دَعْدٌ ومن دُونها النَّجمُ

العشرون : الابتعاد عن كلِّ ما شأنُه الهُبوط بالهمَّة :

من أسباب دناءة الهمة التي ذكرناها في الفصل السابق .

الحادي والعشرون: مراجعة جَدْول الأعمال اليوميِّ، والعزلة قليلًا، ومراعاة الأولويَّات الأهمِّ فالمهم :

وهذا أمر مفيد في باب تطوير الهمة ، إذ كلَّما كان ذلك الجدول بعيدًا عن الرتابة والمَلَلِ ؛ كان أجدىٰ في معالجة الهمَّة .

ومثال ذلك : شخص اعتاد أن يزور أقاربه أو صحبه كلَّ يومٍ ، ويقضي الساعات الطِّوال معهم بغير فائدةٍ تُذْكَر ؛ فمراجعة مثل هذا الشخص لجدول عمله تفيده أيَّما فائدة ؛ بحيث يقلِّل من تلك الزيارات لصالح أعمال أخرى تعود على همته بالفائدة .

والعزلة قليلًا تجمعُ على الإنسان أمْره وهمَّته :

قال عمر بن الخطاب : « خُذوا بحظِّكم من العزلة » .

وقال الجنيد : « مكابدة العزْلة أيسر من الخلطة » .

وكان ابن المبارك يُكثر الجلوس في بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه ؟!

الثاني والعشرون : كمال العقل :

« قال الحسن : ما يتمُّ دين الرجل حتى يتمّ عقله .

وقال وهب : إن الرجلين يستويان في أعمال البر ، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد ؛ إذا كان أحدهما أعقل من الآخر ، وما عُبِد الله بشيء أفضل من العقل .

وقال يوسف بن أسباط : العقل سراج ما بَطَن وملاك ما علن ، وسائس

الجسد وزينة كل أحد ، ولا تصلح الحياة إلّا به ولا تدور إلا عليه .

وسُئل ابن المبارك : ما خير ما أُعطي الرجل ؟ قال : غريزة عقل . قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسَن . قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخٌ صالح يستشيره . قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل . قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »[1] .

قال ابن الجوزي عن العقل : « قاوَم الهوىٰ فردّ غَرْبَه ، وشدَّ أسْر الحزْم ، وقوَّى أزْر العزْم،واستجلبَ ما يَزين ، ونفىٰ ما يَشين ، فإذا تُرك وسلطانه ، أسَر فضول الهوىٰ فحصَرها في حبْس المنْع ، وكفى بهذه الأوصاف فضيلة .

ولا ينبغي أن يُدال الهوىٰ عليه؛ فإنه عدوُّه؛ فيَحطُّه عن رُتْبته ويستنزله عن درجته ، ولا يجوز أن يُجعل - وهو الحاكم عليه- محكومًا ، ولا أن يصير - وهو الزِّمام - مزمومًا ، ولا أن يعود - وهو المتبوع - تابعًا . فمَن صبر على مضيض مشاورته ؛ اجتنى حلاوة المنى في عواقبه »[2] .

« قال أبو جعفر القرشي :

نسبُ ابــنِ آدم فعلُـــهُ   فانظر لنفسْكَ في النَّسَبْ

زَيْـنُ ابــنِ آدم عقلُـــهُ   والعقـــلُ زينتـــهُ الأدبْ

وقال الله تعالى : ﴿ **أولي الأيدي والأبصار** ﴾ قال مجاهد : الأبصار : العقل .

وقال عروة بن الزبير : أفضل ما أُعطي العباد في الدنيا : العقل ، وأفضل ما أُعطوا في الآخرة : رضوان الله عز وجل »[3] .

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ، بتصرف صـ ٩ - ١٠ .

(٢) ذم الهوى صـ ١٠ - ١١ .

(٣) كتاب العقل وفضله ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق : لطفي الصغير ، صـ ٤٢ - دار الراية .

وعن وهْب بن منبّه قال : مكتوب في حكمة آلِ داود ﷺ : حقٌّ على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يُناجي فيها ربَّه ، وساعة يُحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يُخبرونه بعيوبه ويصدق عن نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذَّتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن في هذه الساعة عونًا على تلك الساعات وإجمامًا للقلوب » .

وقال وهب بن منبه رحمه الله : كما تتفاضل الشجر بالأثمار ، كذلك تتفاضل الناس بالعقل .

نعم يا ابن منبه رحمك الله ؛ فلكل شيء غاية وحدٌّ ، والعقل لا غاية له ولا حدّ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة الطيبة .

وقال عامر بن عبد قيس : إذا عقلك عقلُك عمَّا لا ينبغي فأنت عاقل .

وقال وكيع بن الجرّاح: العاقل مَن عقل عن الله- عز وجل- أمْره، وليس مَن عقل تدبير دنياه .

وقال سفيان بن عيينة: لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه، ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره .

وقال رحمه الله : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتَّبعه ، ويعرف الشرَّ فيجتنبه .

والقلوب أوعية ، والعقول معادن ، فما في الوعاء ينفد إذا لم يمدَّه المعادن .

وقال ابن جريج : قوام الرجل عقله ، ولا دين لمن لا عقل له .

وقال بشر بن الحارث : النظر إلى الأحمق سُخْنة[1] عيْن .

رحمك الله يا بشر،إذن فالنظر إلى العاقل قرَّة عين !!

أما حديث العاقل والحديث عنه :

---

(١) سُخنة العين : نقيض قرَّتها .

فقد قال المغيرة بن شعبة : الحديث عن عاقل أحبُّ إليّ من الشهد بما رضفه بمخض الأرفى[١]. فقال زياد: كذلك فلَهُو أعجبُ إلى العاقل من رثية فنين بسلالِهِ ثغبٌ ، في يوم شديد الوديقة ، ترقص فيه الآجال .

قال الشعبي : « إنما كان يطلب هذا العلم مَنِ اجتمعتْ فيه خصلتان : العقل والنسُك . فإن كان ناسكًا و لم يكن عاقلًا ، قال : هذا أمْر لا يناله إلا العقلاء...فلم يطلبه ، وإن كان عاقلًا و لم يكن ناسكًا ، قال : هذا أمر لا يناله إلا النُّسَّاك . فلم يطلبه ، فقال الشعبي : ولقد رَهبتُ أن يكون يطلبه اليوم من ليست فيه واحدة منهما ، لا عقل ولا نسك » .

و كمال العقل: حُسن المعرفة بالله، وحُسن الطاعة، وحُسن الصبر على أمره.

وعقلك يا أخي لا يتسع لكل شيء، ففرِّغه لأول المهم من أمرك ، وليس من العقل أن تذَرَمن الخير ما لا بدّ منه .. فاللهم ارزقنا عقلًا تنفعنا به ، واجعلنا نعقل عنك .

الثالث والعشرون : التحوُّل عن البيئة المثبِّطة :

قال شيخي المكرّم – ومن هو أحبُّ إليَّ من سواد عيني – محمد بن أحمد بن إسماعيل : « إن للبيئة المحيطة بالإنسان أثرًا جسيمًا لا يخفى ، فإذا كانت بيئة مثبِّطة داعية إلى الكسَل والخمول وإيثار الدُّون ؛ فإن على المرء أن يهجرها إلى حيث تعلو همته ، كي يتحرَّر من سلطان تأثيرها ، وينعم بفرصة الترقِّي إلى المطالب العالية .

تقول ابنةُ السعْدي وهْي تلومني ... أمَا لكَ عنْ دارِ الهوانِ رحيلُ
فإنَّ عناء المستنيم إلى الأذىٰ ... بحيث يَذلُّ الأكرمون طويلُ

---

(١) قال ابن أبي الدنيا : الرضفة : الصخرة ، المخض : اللبن ، الأرفى : الظِّباء ، الرافية : اللبن الذي لم يخرج زبدُه .

وعندك محبوكُ السَّراةِ مطهّمٌ وفي الكف مطرورُ الشباةِ صقيلُ[١]

وأشدُّ الناس حاجةً إلى تجديد البيئة المحيطة وتنشيط الهمة : الحديثُ العهْدِ بالتوبة ؛ فإن من شأن التحوُّل من بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة : أن ينسيه ما يجذبه إلى صُحبة السوء وأماكن السوء ، فيجتمع قلبه ، ويلتئم شمله ، وتتوحَّد همته ، وتتوجَّه بصدقٍ وعزم إلى أسلوب من الحياة جديد ، وهذا عين ما أشار به « العالم » الواعي علىٰ قاتِل المائة حين شفَّع قوله : « نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة » ؛ بقوله : « انطلق إلى أرض كذا وكذا ؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ؛ فإنها أرض سوء » . ولما جاءه الموت ، واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، كان قربه إلى القرية الصالحة بالنسبة إلى بلد السُّوء سببًا في قبض ملائكة الرحمة إياه ، ففي بعض الروايات : « فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبرٍ ، فجُعل من أهلها » .

وفي رواية : « فأوحىٰ الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقرَّبي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر ، فغفر له » .

وفي رواية : « فنأى بصدره نحوها » .

ولعلَّ هذا المعنى كامن أيضًا في تشريع نَفْي الزاني غير المُحصن وتغريبه سنة بعيدًا عن وطنه ، كي تجتمع عليه عقوبة بدنية بالجَلْد ، وعقوبة قلبية بالنفي ، وفي الوقت نفسه يُبْعَد عن مسرح الجريمة كي ينسىٰ ذكراها ، ولا يبقى حيثُ يُعامَل باحتقار وإهانة ، ويتعرَّض للمضايقات ، ويُعْطىٰ فرصة كافية لاستئناف التوبة الصادقة والحياة الكريمة »[٢] .

---

(١) فرس محبوك : قوي شديد ، سراة الفرس : أعلى متنه ، والمطهَّم : التامّ المتناهي في الحسن ، والمطرور : ذو المنظر والرواء والهيئة الحسَنة ، والشَّباة : حَدُّ طَرَف السيف ، والصقيل : المجلوّ .

(٢) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٥٠ – ٣٥١ .

أخي ، إن الماء يَفسد بقربه من الجِيَف وكذا الهواء ، وإذا بعدت قليلًا عن مكان الجِيف ، يزول ما كنتَ تجده ، فكيف بأنفاس العُصَاة .. ألا تنظر إلى فعْل المعصية بآبار ثمود بعد آلاف السنين ؟! لمّا مرّ عليها الصحابة وأرادوا أن يستقوا منها فمنعهم رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يلقوا بعجينهم إلى النواضح.

فالفرارَ الفرارَ من بيئة الكسَل والركود ودناءة الهمم.

ولا تتخذْ بالسَّير رُفقةَ قاعدٍ ودعْهُ فإنَّ الشوْق يَكفيكَ حاملَا

«فنَزْع المدعو من بيئته وغَمْسه - لفترة كافية - في بيئة أخرى ؛ يسهِّل تطبيع هذا التائب بغَرْسِ قِيم ومفاهيم جديدة ، مع تطهيره من القيم المراد نزْعها من قلبه ، وبصورة سَلِسَة وتلقائية وفعّالة ، فالجوهرة إذا سقطت في مكان نَجِس فيحتاج ذلك إلى كثير من الماء حتى تُنَظَّف ، إذا صببناه عليها وهي في مكانها ، ولكن إذا أخرجناها من مكانها سهل تنظيفها بالقليل من الماء »[1] .

الرابع والعشرون : مصاحبة صاحب الهمة العالية :

أخي : اعلم أن الرجل بلا خَدِين ، كذي الشمال بلا يمين ، فاتخذْ ذوي الهمم العالية أعوانًا ، واخلط نفسك مع الأبرار ، وطهِّرها من الفجَّار واجتنب الصغار الأخطار ، اللئام الأقذار ؛ فالمرء يُعرف بقرينه . فاصحب من يحملك في سيرك إلى الله عز وجل لا مَن تحمله

ولا تتخذ بالسَّير رُفقة قاعد وَدعْه فإنَّ الشَّوْقَ يكفيك حاملا

أخي : قد سمعتَ أخبار المتقين فسِرْ في سرْبهم ، وقد عرفت جدّهم فتناول من شربهم ، ثم سل من أعانهم يُعنك .

لا يُؤيِّسنَّك من مجْدٍ تباعُدُه فإنَّ للمجدِ تدريجًا وترتيبا
إنَّ القناةَ التي شاهدتَ رِفْعَتَها تنمى وتنْبُتُ أنبوبًا فأنبوبا

فاسلك طريقهم تكن رفيقهم، وانزل بواديهم يصوِّت بك صوت حاديهم،

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٥٢ .

إن كنت في جوارهم حملوك إلى ديارهم ..

أخي : اصحبْ مَن يعظك بلحظه قبل وعظه بلفظه ، ومن كان بعالي الخير موصوفًا لا وصَّافا ، فإن الواو والراء والدال لا تشمُّ منها رائحة الورد ، فاصحب أهل المعاني ودع أرباب الدعاوي .

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا — بانوا عنها فليتهم ما بانوا

ناديتُ وفي حشاشتي نيرانُ — يا دارُ متى تحوَّل السُّكانُ

رؤية وجوه الصالحين تشحذ الهمم فكيف بكلامهم ونُصْحهم .

كان الناس إذا رأوا وجه وكيع بن الجراح قالوا : هذا مَلك . وإذا رأوا وجه محمد بن سيرين سبحوا الله ؛ لمخايل النور التي على وجهه .

قال رسول الله ﷺ: «أولياء الله تعالى الذين إذا رُؤا ذكر الله تعالى»[1] .

إن لم تكن مع القوم في السَّحَر ، تلمَّحْ آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ، ترى في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه زهاها الحسن أن تتبرقعا » . .

قال جعفر بن سليمان : « كنتُ إذا وجدت من قلبي قسوة ، غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع ، كان كأنَّه ثكلى »[2] .

وقال الفضيل بن عياض : نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب ، ونظر الرجل إلى صاحب بدعة يُورث العمى ، من جلس مع صاحب بدعة ، لم يُعط الحكمة . وقال عبد الله بن المبارك : « إذا نظرتُ إلى الفضيل جدَّد لي الحزن ، ومَقَتُّ نفسي . ثم بكى »[3] .

---

(١) حسن : رواه الحكيم عن ابن عباس والطبراني في الكبير ، والمروزي ، وأبو نعيم ، والضياء وابن المبارك عن سعيد بن جبير مرسلا ، وحسَّنه الألباني في الصحيحة رقم ١٧٣٢ ، والسلسلة رقم (٢٥٥٤) .

(٢) السير ٦ / ١٢٠ .

(٣) السير ٨ / ٤٣٨ .

إن كان هذا نظر الأكابر من شيوخ الإسلام إلى العُبَّاد.. وكيف يؤثِّر في علوِّ همَّتهم ويشحذها ، فما فعله في غيرهم ؟!!

هذا قول ابن المبارك في الفضيل بن عياض ، فما يقول الفضيل بن عياض عن أبي إسحاق الفزاري ؛ قال الفضيل بن عياض : « ربما اشتقتُ إلى المِصِّيصَة ، ما بي فضل الرِّباط إلا أن أرى أبا إسحاق رحمه الله »[١] .

وإن كان الأكابر من العُبَّاد والعلماء يحتاجون إلى من يفتِّش ويُخرج لهم الخبايا من الدقائق التي قد تذهب بنور العمل فما الظن بغيرهم ؟!!

« قال ابن شوذب : قسَّم أميرُ البصرة على قُرَّائها ، فبعث إلى مالك بن دينار فأخذ ، فقال له ابن واسع : قبلتَ جوائزهم ؟! قال : سلْ جلسائي . قالوا : يا أبا بكر ، اشترى بهم رقيقًا فأعتقهم . قال : أنشدك الله ، أقلبُك الساعة على ما كان عليه ؟ قال : اللهم لا ، إنما مالك حمار ، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع »[٢] .

«قال أبو عبد الله الأنطاكي : اجتمع الفضيل والثوري فتذاكرا ، فرقَّ سفيان وبكى ، ثم قال : أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة . فقال له الفضيلُ : لكني يا أبا عبد الله أخاف أن لا يكون أضرَّ علينا منه ؛ ألستَ تخلَّصتَ إلى أحسن حديثك ، وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي ، فتزيَّنتَ لي وتزيَّنتُ لك؟ فبكى سفيان وقال: أحييتني أحياك الله»[٣].. فإن كان سفيان وهو من هو يحتاج إلى توجيه الفضيل ، فكيف بمن لا يساوي غبار نعْل الثوري ؟!!

« فيا أطروش الهوى ، صاحب مَنْ يسمع .. يا أعمى البصيرة ، امش

---

(١) السير ٨ / ٥٤١ .
(٢) السير ٦ / ١٢٠ .
(٣) السير ٨ / ٤٣٩ .

مع من يبصر.. تشبّه بالصالحين تُعدّ في الجملة؛ هذا الطاووس يحبُّ البساتين فهو يوافق الأشجار ، إذا ألقت ورقها ألقى ريشه ، فإذا اكتست اكتسى .

لو سِرْتَ في حزب المتقين لعرفوا لك حقَّ الصُّحبة .

يا من كان لهم رفيقًا ، فأصبح لا يعرف لهم طريقا . اطلب اليوم أخبارهم واتبع في السلوك آثارهم. فإن وقعت ببعضهم حملك إلى أرضهم»[1].

محتْ بعدكم تلك العيونَ دموعُها ... فهل مِن عيونٍ بعدها نستعيرُها
رحلنا وفي سِرِّ الفؤاد ضمائرٌ ... إذا هبَّ نجديّ الصّبا يستثيرُها
ترفَّقْ رفيقي هل بدت نار أرضهم ... أم الوجد يذكي نارَه ويثيرُها
سقى الله أيامًا مضت ولياليا ... تضوَّع ريَّاها وفاح عبيرُها

يا من كثر تردُّده إلى المجلس و لم يزل بعيدًا عن همم القوم ، لا تضجر فللدوام أثر ، جَالِس البكّائين يتعدَّ إليك حزنهم ؛ فتأثير الصحبة لا يخفى ، أما ترى دودَ البقول أخضر ؟!

يا من يشاهد ما يجري على الخائفين ولا ينزعج ، أقلُّ الأقسام أن يبكي رحمة لهم .

ولمَّا وقفنا في الديار تشابهتْ ... جسومٌ براهُنَّ البلىٰ وطلولُ
فباكٍ بداءٍ بين جنبيه عارف ... وباكٍ بما جَرَّ الفراق جهولُ

« صاحبْ علاة الهمم وصافهم ، واستفدْ من أخلاقهم وأوصافهم . إن لم يكن لك مكنة البذر ، و لم تطق مراعاة الزرع ، فقف في رفقة ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى** ﴾ .

إن صدقت في طلابهم فانهض وبادرْ ، ولا تستصعبْ طريقهم فالمعين قادر ، تعرّضْ لمن أعطاهم ، وسلْ فمولاك مولاهم ، رُبَّ كنز وقع به فقير ،

(١) المدهش لابن الجوزي ٤٥١ .

ورُبَّ فضل فاز به صغير.. علمَ الخضر ما خفي على موسى، وكُشف لسليمان ما غُطِّي عن داود .

لا تلتفت إلَّا إلى من دلّك على الله وعلى الطريق الموصِّلة إليه.اسلكوا جادَّة القوم لعلَّ مشاعلهم تلوحُ لكم ؛ تعلَّقوا بغبارهم لعلَّ الحادي يُنَوِّه بكم ، صَوِّتوا بالقوم عسى يقف بعض الساقة لكم ، ابكوا على تأخُّركم لعلَّ عطف الرحمة تنعطف نحوكم .

ويا حُداة الظَّعن قد أسلمني إلى الضَّنا فراقكم لي فقفوا
لعلني أن أشتفي بنظـرة يبلُّ منها المستهامُ المُدنَفُ
ففي الضُّلوع جمرةٌ ما تنطفي وفي الشئون عبرة ما تُنزفُ

أخي: زاحمِ التائبين، وادخل في حزب البكَّائين، وكل غريب للغريب نسيب.

قال محمد بن يوسف: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرَّد بجَدَثك يدعو لك وأنت بين أطباق الثرى »[1] .

وقال الحسن البصري : « إخواننا أحبُّ إلينا من أهلنا وأولادنا ؛ لأن أهلنا يذكِّروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكِّروننا بالآخرة » .

قال إبراهيم النخعي : « جالسوا التوابين ؛ فإنهم أرقُّ الناس قلوبًا،ورحمة الله إليهم أقرب »[2] .

كان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاحٌ أو زهدٌ أو قيامٌ بحقٍّ أو اتباعٌ للأمر، سأل عنه، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

«قال رحمه الله : لقد رأيت أقوامًا صالحين ؛ رأيتُ عبدَ الله بن إدريس وعليه جبَّة من لبود قد أتت عليها سنون ، ورأيتُ أبا داود الحفري وعليه جبَّة مُخرَّقةٌ، قد خرج منها القطن، وهو يُصلِّي فيترجَّح من الجوع، ورأيتُ أيوب

---

(١) روضة الزاهدين لعبد الملك الكليب صـ ٩١ .
(٢) والموعد الله ، لخالد محمد خالد صـ ٣١ .

النجار وقد خرج من كل ما يملكه ، وكان في المسجد شابٌّ مصفر يقال له : العوفي ؛ يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي »[١] .

قال إسماعيل الديلمي : كنتُ في البيت عند أحمد بن حنبل ، قال : فدخلت إليه فقلت : يا أبا عبد الله ، بالباب شابٌّ عليه أطمارُ شعر يطلبك . قال : فخرج إليه فسلَّم عليه ، فقال له الفتى : يا أبا عبد الله ، ما الزهد في الدنيا ؟ فقال له أحمد : ثنا سفيان عن الزهري : أن الزهد في الدنيا قصر الأمل . فقال له : يا أبا عبد الله ، صِفْه لي . قال : وكان الفتى قائمًا في الشمس والفيءُ بين يديه، فقال : هو أن لا تبلغ من الشمس إلى الفيءِ. قال: ثم ذهب ليولِّي، فقال له أحمد : قِفْ . قال : فدخل ، فأخرج له صُرَّة فدفعها إليه ، فقال : يا أبا عبد الله ، من لا يبلغ من الشمس إلى الفيء أيّ شيء يعمل بهذه ؟! ثم تركه وولَّى[٢] .

لله درُّك يا أحمد .. إن كان هذا حال مَنْ يسأله ، فكيف حال من دنا منه وخالطه ؟!

وإخوانه الأدْنَونَ كلُّ موفَّقٍ   بصيرٍ بأمْر الله يسمو إلى العُلا

انظر إلى علو همة من يجالس الأكابر كإمام أهل السنة أحمد بن حنبل :

فهذا أبو بكر المروذي تلميذ أحمد بن حنبل ، وكان خصيصًا بخدمة أحمد ، كان يبعثه في حوائجه ويقول : كل ما قلت فهو على لساني وأنا قلته . وكان أحمد يقدمه ويأكل من تحت يده ، ولما قدم أحمد من العسكر كان يقول : جزى الله أبا بكر المروذي خيرًا . وهو الذي تولَّى إغماض أحمد لمَّا مات وغسَّله .

قال أبو بكر الخلال : خرج أبو بكر المروذي إلى الغزو فشيَّعه الناس إلى سامرَّا ، فجعل يردُّهم فلا يرجعون ، قال : فحرزوا فإذا هم بسامرَّا- سوى

---

(١) المدهش صـ ٣١٢ .

(٢) مناقب الإمام أحمد صـ ١٩٤ .

من رجع - نحو من خمسين ألف إنسان . فقيل : يا أبا بكر ، احمد الله فهذا علم قد نُشِر لك . فبكى ثم قال : ليس هذا العلم لي ، وإنما هذا علم أحمد ابن حنبل[(١)] .

وبدر بن أبي بدر - أبو بكر المغازلي - كان الإمام أحمد يقدمه ويكرمه ويقول : من مثل بدر قد ملك لسانه ، وكان صبورًا على الفقر والزهد .

وزكريا بن يحيى الناقد : كان عابدًا ، وكان أحمد يقول عنه : هذا رجل صالح وكان يقول : اشتريتُ من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلمَّا كان آخر ختمة سمعت الخِطَاب من الحوراء وهي تقول : وفيّتَ بعهدك ، أنا التي اشتريتني . فيُقال : إنه مات عن قريب[(٢)] .

« وعبد الوهاب الورَّاق جمع بين العلم والتُّقى ، وقيل لأحمد : مَن نسأل بعدك ؟ فقال : سلوا عبد الوهاب ؛ فإنه رجل صالح،مثله يوفَّق لإصابة الحق »[(٣)] .

وإسحاق بن منصور الكوْسج تلميذ أحمد بن حنبل ، وهو الذي دوَّن عن الإمام أحمد المسائل في الفقه ، فبلغه أنَّ الإمام رجع عن تلك المسائل التي علَّقها عنه ، فجمع رحمه الله تلك المسائل في جراب وحملها على ظهره وخرج ماشيًا من نيسابور إلى بغداد ، وعرض خطوط أحمد عليه في كلِّ مسألةٍ استفتاه بها ، فأقرَّ له بها ثانيًا ، وأُعجب أحمد بذلك من شأنه[(٤)] .

من أراد أن ينظر إلى علو الهمَّة ، وكيف تُكتسب بمرافقة الأئمة علاة الهمة ، فلينظر إلى الأئمة وتلاميذهم وإخوانهم الذين رافقوهم .

فابن عباس يضع الكبل في رِجْل عكرمة ليتعلم القرآن والسُّنن ، ومغيرة

---

(١) المصدر السابق صـ ٦١١ .

(٢،٣) المصدر السابق صـ ٦١٦ .

(٤) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١ / ١١٤ .

الضبي يذاكر إخوانه الفقه إلى الفجر ، وكذا القاضي التابعي ابن شبرمة يذاكر إخوانه إلى الفجر ، والزهري يلازم ابن المسيب ثماني سنين فتعلو همَّته بصحبته ، يقول عنه ابن أخيه : « جمع عمِّي القرآن في ثمانين ليلة » .

وابن القاسم تلميذ مالك بن أنس ، يأتي مالكًا سَحَرًا ، فيسأله عن المسألة والمسألتين والثلاثة ، وكان يتوسَّد عتبتَهُ، وأناخ بباب مالك سبع عشرة سنة .

وأبو يوسف يموت ابنه فيترك جهازه ودفنه لأهله ويحضر درس أبي حنيفة .

ومحمد بن الحسن الشيباني تعلو همته بصحبته لأبي حنيفة ، فلا ينام إلا القليل ، ويقول : نامت عيونُ المسلمين تعويلًا علينا ، فإذا نمنا ففيه تضْييعُ الدين .

وقد مرت بك قصة أسد بن الفرات مع أستاذه محمد بن الحسن الشيباني.

والمزني تلميذ الشافعي .. من قال فيه الشافعي : « المزني ناصر مذهبي .. » يؤلّف مختصره في عشرين سنة ، يجمع ما تفرَّق من كلام الشافعي ، وإذا فرغ من تبييض مسألة أودعها مختصره صلَّى ركعتين !!.

من أراد أن ينظر كيف تُشحذ الهمم بمرافقة الصالحين وخدمتهم ، فلينظر في العراقي وتلميذيْه الهيثمي وابن حجر ، وفي النووي وتلميذه وخادمه علاء الدين علي بن العطار :

كان ابن العطار لشدة ملازمته - للنووي - وتحققه به ، يقال له : « مختصر النووي » ولشدة إعجاب ابن العطار بشيخه النووي - ويحق له ذلك - انقطع للتلمذة عليه ست سنوات ، فيقول رحمه الله : وكانت مدة صحبتي له مقتصرًا عليه دون غيره ، من أول سنة سبعين وستمائة وقبلها بيسير إلى حين وفاته .

يقول ابن العطار عن شيخه النووي : « وكان رحمه الله تعالى رفيقًا

بي ، شفيقًا علي ، لا يُمكِّن أحدًا من خدمته غيري ، على جهْد مني في طلب ذلك منه ، مع مراقبته لي - رضي الله عنه - في حركاتي وسكناتي ، ولطفه بي في جميع ذلك ، وتواضعه معي في جميع الحالات ، وتأديبه لي في كلِّ شيءٍ حتى الخطرات ، وأعجز عن حصر ذلك » .

قال النووي عن تلميذه وخادمه ابن العطار : « قد أخبرني من أثق بخبره وصلاحه وكراماته وفلاحه» ... فللخادم والتلميذ كرامات .. فما أحلاها من علامات لعلوِّ الهمَّة !!

قال ابن العطار : « وأذن لي - رضي الله عنه - في إصلاح ما يقع لي في تصانيفه ، فأصلحتُ بحضرته أشياء ، فكتبه بخطه ، وأقرَّني عليه ، ودفع إليَّ ورقةً بعدَّة الكتب التي كان يكتب منها ويصنِّف بخطه ، وقال لي : إذا انتقلت إلى الله تعالى ، فأتممْ « شرح المهذَّب » من هذه الكتب . فلم يقدَّر ذلك لي »[(١)] .

وكان ابن العطار يأخذ على شيخه في الدرس ، فقيل له في ذلك ، فقال : « لا تسقط الثمرة من الشجرة إلا بهزِّ الأفنان ، أو التقطُّف بالبنان »[(٢)] .

وأيضًا سيرة ابن تيمية مع تلاميذه : الذهبي وابن كثير وابن القيم خاصة :

يقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية : « كان أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا ، وأقواهم قلبًا ، وأسرَّهم نفسًا ، تلوحُ نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كلّه ، وينقلبُ انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة »[(٣)] .

---

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين لابن العطار صـ ٥٥ .

(٢) طبقات الشافعية لابن هداية الله صـ ٢٢٨ .

(٣) الوابل الصيب صـ ٧٦ .

ولله درُّ يحيى بن معاذ إذ يقول : « ولِيُّ الله ريحان في الأرض ، فإذا شمّه المريدون ووصلت رائحته إلى قلوبهم اشتاقوا إلى ربهم »[(١)] .

وكان أحمد بن حرب يقول : « ليس شيءٌ أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم ، وليس شيء أضرَّ على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم » . قال ابن عباس : النظر إلى وجه الرجل يدعو إلى السُّنَّة عبادة .

وانظر إلى صُحبة الأخيار من طلَّاب العلم كيف تُعلي الهمم :

قال الحافظ جعفر بن درستويه : « كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس غدٍ ، فنقعد طوال الليل ؛ مخافة ألا نلحق من الغد موضعًا نسمع فيه ، فرأيتُ شيخًا في المجلس يبول في طيلسان ، ويُدرج الطيلسان ؛ مخافة أن يُؤخذ مكانه إن قام للبول »[(٢)] .

قال ابن عقيل الحنبلي : « عصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة ، وقصر محبتي على العلم وأهله ، فما خالطتُ لعَّابًا قطُّ » .

وعلى المرء أن «يحترز عن مجالسة صاحب السوء ؛ ليقصي ولاية شياطين الجن والإنس من صحْن قلبه ، فيصفَّى عن لوثة شيطانية »[(٣)]، كما قال الغزالي فنعوذ بالله من صحبة البطَّالين .

أنت في الناس تقاسُ   بالذي اخترتَ خليلا
فاصْحَبِ الأخيارَ تعلو   وتنلْ ذكْرًا جميلا

فصاحبْ يا أخي أهل المعاني المتيقِّظين للدقائق والثواني ؛ فإن صحبة هؤلاء تعلِّمُ منافسة الزمان .. ولله درُّ إقبال إذ يقول :

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني صـ ١٧ .
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢ / ١٣٨ .
(٣) أيها الولد المحب ، للغزالي صـ ١٣٠ .

هبْ نجيًّا يا ولي النعمةِ   محرمًا يدرك ما في فطرتي
هبْ نجيًّا لَقِنًا ذا جِنَهْ   ليس بالدنيا له مِن صِلَهْ

«قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رزقكم الله - عز وجل - مودَّة امرئ مسلم فتشبَّثوا بها .

وقال رضي الله عنه : لقد أحببت في الله - عز وجل - ألف أخ ، كلهم أعرف اسمه واسم أبيه واسم قبيلته ، وأعرف مكان دارهم»[1] . أي أنه كان يزورهم ويأتيهم لقوله : « أعرف مكان دارهم » .. رضي الله عن الفاروق فلا حياة لمن لا إخوان له .

وكان الثوري يتمثَّل :

ابْلُ الرجَال إذا أردت إخاءَهم   وتوسَّمَنَّ أمورَهم وتفقَّد
فإذا وجدتَ أخَ الأمانةِ والتُّقى   فبه اليديْن قريرَ عيْن فاشْددِ

وكتب الأحنف بن قيس إلى صديق له : « أما بعد : فإذا قدم عليك أخ لك موافق ، فليكنْ منك مكان سمعك وبصرك ... فانظر إلى هذا وأشباهه فاجعلهم كنوزك وذخائرك ، وأصحابك في سفرك وحضرك ؛ فإنك إن تقرّبهم تقرَّبوا منك ، وإن تباعدهم يستغنوا بالله - عز وجل - والسلام » .

ولله درُّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذ يقول: «عليك بإخوان الصدق، فعشْ في أكنافهم ؛ فإنهم زيْن في الرخاء وعدَّة في البلاء » . ولا تكن أخي مناخَ البطَّالين .

الخامس والعشرون : قراءة تراجم وسِيَر سَلَف الأمة :

لله درُّهم من سادة علماء السلف وعُبَّاده .

ومن عجب أني أحِنُّ إليهمُ   وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهمْ في سوادها   ويشكو النوى قلبي وهمْ بين أضلُعي

---

(١) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا صـ ١١٢ طبع دار الاعتصام .

ولله درُّ القائل :

إذا حضر الشتاءُ فأنتَ شمْس ... وإن حَلَّ المصيفُ فأنتَ ظِلُّ
جُزيت عن البريَّة كلَّ خير ... فأنت الماجدُ البطلُ الأجَلُّ
بوجهك نستضيءُ إذا سَرَيْنا ... جبينٌ في الليالي مُشْمعِلُّ
وذِكركُ في المسامع خيرُ هادٍ ... يُكرَّرُ في الجموع فلا يُمَلُّ
فدتْك نفوسُنا عن كل هولٍ ... ويفديك الحجيجُ إذا أهلُّوا

ولله درُّ القائل :

حالت لفقدكمُ أيَّامُنا فغدت ... سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا
ليُسق عهدكمُ عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

وقول القائل :

تضيقُ بنا الدنيا إذا غبتمُ عنا ... وتزهق بالأشواقِ أرواحُنا منَّا
بعادكمُ موتٌ وقربكمُ حيا ... ولو غبتمُ عنَّا ولو نفَسًا مُتْنا
نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبةِ يُنعِشُنا

ماذا يفعل الرجل منا وقد تبدل الزمانُ وأهله .. إن البعد - ولو قليلًا - عن الطيبين وذكرهم؛موتٌ لا يكاد يطيقه عاقل .

فهذا الصحابي عثمان بن أبي العاص يقول عنه الحسن : « تزوَّج عثمان ابن أبي العاص امرأةً من نساء عمر بن الخطاب فقال : والله ما نكحتُها رغبة في مال ولا ولد ، ولكني أحببتُ أن تخبرني عن ليل عمر »[١] .

وعن ابن أبي ليلى : تزوَّج رجل امرأة ابن رواحة ، فقال لها : تدرين لم تزوجتك ؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته[٢] .

---

(١) الزهد لابن حنبل صـ ١١٨ ، ١١٩ ، ورجاله ثقات .
(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٦ / ١٧٨ - ١٧٩ ، وصحَّح سنده ، ورواه الذهبي في السير ١/٣٣ .

وقال أحمد بن سلمة النيسابوري : « تزوَّج إسحاق بن راهويه بامرأة رجل كان عنده كتُب الشافعي ، مات ، لم يتزوَّج بها إلا للكتب[1] ، فلما قرأ كتبه قال : ما كنت أعلم أنَّ الشافعي في المحل ، ولو علمت لم أفارقه » .

ولله درّ من قال :

تعلّلا أن حُرمنا طيبَ رؤيتِهِ مَن فاته العينُ هدَّ الشوق بالأثرِ

« فإن أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس ، وتدفعها إلى تحمُّل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثُها إلى التأسِّي بذوي التضحيات والعزمات؛ لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف المقامات .

و « الحكايات جندٌ من جنود الله تعالى يثبِّت الله بها قلوبَ أوليائه » .

قال أبو حنيفة رحمه الله:« الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه ؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم » .

وقال مالك بن دينار : الحكايات تحفُّ الجنة .

وقال الجنيد : الحكايات جند من جنود الله عز وجل ، يُقوِّي بها إيمان المريدين . فقيل له : هل لهذا من شاهد ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **وكلّا نقُصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبتُ به فؤادك** ﴾ .

وقال آخر : استكثروا من الحكايات فإنها دُرَرٌ ، وربما كانت فيها الدرَّة اليتيمة .

وسماع أخبار الصالحين لذَّة ما تفوقها لذة ، وخيرُ وسيلة لإشعال العزائم ، وإثارة الروح الوثَّابة ، وقدْح المواهب ، وإذْكاء الهمم ، وتقويم الأخلاق ، والتسامي إلى معالي الأمور ، والترفُّع عن سفسافها ، والائتساء بالأسلاف الأجلاء – هو قراءة سِير نبغاء العلماء الصلحاء ، والوقوف على أخبار الرجال

---

(١) السير ١٠/ ٧٠، وتاريخ ابن عساكر ٢/٤/١٥ ، والحلية ٩ / ١٠٢ .

العظماء، والتملّي من اجتلاء مناقب الصالحين الربّانيين، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدين ؛ فذلك خير مهماز لرفْع الهمم ، وشدِّ العزائم ، وسمو المقاصد، وإنارة القلوب، وإخلاص النيّات، وتفجير النبوغ والطاقات المدفونة ، والصبر على اجتياز العقبات الصعاب ، واحتلال ذرا المجد الرفيع ، وكسْب الذكر الحسن ، واغتنام الباقيات الصالحات »[١] .

ولسنا نريد بذكر التراجم قصصًا وحكاياتٍ ، دون فقه وعلم نافع يُعرف الناس بدينهم فيحملهم على العمل ، كبني إسرائيل قال عنهم ﷺ : « إن بني إسرائيل لمَّا هلكوا قصُّوا »[٢] . أي لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص وعوَّلوا عليها . قاله المناوي .

لا نريد هنا .. لا نريد أن نتبع سَنن من كان قبلنا ... إنما نريد تطبيق الأئمة العاملين وفهمهم للكتاب والسنة .. أناس سِيط الحقُّ بدمائهم ، وامتزج حبُّ القرآن والسنة بلحومهم ودمائهم ، وكان الاتباع أحبَّ إليهم من سواد أعينهم .. فكانوا قدوة في العلم والعمل .

ومطالعة التراجم ، وسَبْر مواطن العظة في حياة العظماء ؛ وسيلة هامة من وسائل التربية،فإن الحيّ لا تُؤمن عليه الفتنة .

ما في الخيام أخو وجد يريحك إنْ بَثَثْتَه بعض شأن الحبِّ فاغْتربِ

« قال نُعيم بن حماد : كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه »[٣] .

قال ابن الجوزي : سبيلُ طالب الكمال في طلب العلم ، الاطلاعُ على الكتب التي قد تخلَّفت من المصنفات ،فليكثر من المطالعة ؛ فإنه يرى من علوم

(١) صفحات من صبر العلماء صـ ١٧ – ١٨ .
(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، والضياء ، وأبو نعيم في الحلية ، والأشبيلي في الأحكام عن خباب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٤١) .
(٣) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٨٢ .

القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ، ويحرِّك عزيمته للجد ، وما يخلو كتاب من فائدة .

وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم ، لا نرى فيهم ذا همَّة عالية فيقتدي بها المبتدي، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم، وأخبارهم؛ فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم ، كما قال :

فاتني أنْ أرى الديار بطرفي فلعلِّي أرى الديارَ بسمعي

قال ابن الجوزي : « لو قلتُ : إني قد طالعت عشرين ألف مجلد ، كان أكثر ، وأنا بعدُ في الطلب ؛ فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم ، وقدر هممهم ، وحفظهم ، وعباداتهم ، وغرائب علومهم ؛ ما لا يعرفه من لم يُطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب.ولله الحمد»[١] .

السادس والعشرون : الصبر والمثابرة :

فإنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

« وطالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحَبْس قلبه في طلبه ومطلوبه ، وحبْسه عن الالتفات إلى غيره ، وحبس لسانه عمَّا لا يفيد ، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته ، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات ، وحبسها على الواجبات والمندوبات ، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربَّه فيخلِّصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه . ومتى لم يصبر على هذين الحبسيْن وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات ، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند الخروج من الدنيا ؛ فكل خارج من الدنيا إما متخلِّص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس »[٢] .

---

(١) صيد الخاطر ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) الفوائد صـ ٧٢ .

وقل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعةً فعند اللقا ذا الكدّ يصبحُ زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبحُ ذا الأحزانِ فرحانَ جاذلا

ومن تلمَّح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصبر .

أخي : هان سهر الخدَّام لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك ، أما نحن فألفنا عجز العادة ، فلو علتْ بنا هممنا رُبى المعالي؛ للاحتْ لنا أنوارُ العزائم ..

أخي : نزول همَّة الكساح دلَّاه في جُبِّ العذرة ، وصبْرُ أهل اليقين جعلهم أئمة الدين . من استطال الطريق ضعف مشيه .

وما أنت بالمشتاق إن قلت بيننا طوال الليالي أو بعيد المفاوز

قد علمتَ أين المنزل فاحدُ لها تَسِرْ ، وأعلى الهمم همَّة مَنِ استعد للقاء الحبيب وصبر ، وقدَّم التقادم بين يدي الملتقى .

لا بدَّ من مرابطة على الحقِّ الذي عرفت جماله ، والإيمان الذي ذقت حلاوته ، فحذار من التلوُّن .

كل يوم تتلوَّنْ غير هذا بك أجملْ

جمع فيك عقل المَلَك وشهوة البهيمة وهوى الشيطان ، وأنت للغالب عليك من الثلاثة؛ إنْ غلبتَ شهوتك وهواك زدت على مرتبة ملَك ، وإن غلبك هواك وشهوتك نقصت عن مرتبة كلب .

علَّمت كلبَك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احترامًا لنعمتك ، وخوفًا من سطوتك ، وكم علَّمك معلِّمُ الشرع وأنت لا تقبَل !!

أتى الكلبُ إلى الأسد فقال له : : يا ملك الغابة غيِّر لي اسمي ؛ فإن كلب اسم قبيح . فأعطاه قطعة من اللحم وقال : احتفظ بها إلى الليل ؛ فإن احتفظت بها غيَّرنا لك اسمك . فلما كانت الظهيرة واشتدَّ به الجوع ورأى اللحم لم يصبر ولم يجاهد نفسه ، وجعل ينظر إلى اللحم ويقول : وما كلب .. إن « كلب » اسم جميل .. كلب كلب.ثم أتى إلى السبع ليلا فقال : غيِّر لي اسمي . فقال له السبع : ائتمناك على قطعة من اللحم إلى الليل فلم تصبر ؛ فكيف نأتمنك

على الاسم الجميل ؟!!

ياسائرين إليه الدَّرْب لا تقفوا طابَ الوصولُ لمحرومٍ تمنَّاهُ

قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا وإن الله لَمَعَ المحسنين**﴾ [العنكبوت : ٦٩] . فعلّق سبحانه الهداية بالجهاد ؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا ، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سُبُل رضاه .

ولا يتمكَّن من جهاد عدوِّه في الظاهر إلَّا من جاهد هذه الأعداء باطنًا ، فمن نُصر عليها نُصِر على عدوه .

وفاز بالوصل مَنْ قد جدَّ وانقشعتْ عن أفقه ظلمات الليل والسُّحبِ

فعادِ كلَّ أخي جبنٍ ومَعجَزةٍ وحاربِ النفس لا تلقيك في الحَرَبِ

واسْرِ في غمرات الليل مهتديًا بنفحةِ الطِّيب لا بالعود والحَطَبِ

وخذْ لنفسك نورًا تستضيءُ به يومَ اقتسام الورى الأنوارَ بالرُّتَبِ

قال رسول الله ﷺ : « أحب الأسـماء إلى الله:عبد الله وعبد الرحمـن والحارث »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همَّام وحارث ، وشرُّ الأسماء حرب ومُرَّة »[٢] .

قال المناوي: «أصدق الأسماء همام وحارث، وذلك لمطابقة الاسم لمعناه؛ إذْ كلُّ عبدٍ متحرك بالإرادة ، والهم مبدأ الإرادة ، ويترتب على إرادته حرْثُه وكسْبه ، فإذًا لا ينفكُّ مسماهما عن حقيقةِ معناهما »[٣] .

---

(١) صحيح : رواه ابن عدي عن أنس ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٠٤) .

(٢) صحيح : رواه ابن وهب في الجامع عن عبد الوهاب بن بُخْت ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٤٠) .

(٣) فيض القدير للمناوي ١ / ١٦٩ .

السابع والعشرون : الخلوة :

« الخلوة مَهْرُ بِكْر الفِكْر ، وسُلَّمُ معراج الهمة ، حريمُ العزلة مَصون من عيْبِ غيْثِ عَبَثٍ ، إذا خلت دار الخلوة عن الصور ؛ تفرَّغ القلبُ لملاحظة المعاني .

أوْحَشتْني خَلَـواتي بكَ مِن كلِّ أنيسِ
وتفـرّدتُ فعاينْـــ ـتُكَ بالغيب جليسي
ودعاني الوجـدُ والحَـــ ـبُّ إلى المعنى النفيسِ
فبدا لي أن مهْرَ الْـ ـحب أنفاسُ النفوسِ
فكتبتُ العهدَ للحـــ ـبِّ على طِرْسِ الرَّسيسِ

يا هذا ، إذا رُزقت يقظة ، فصنها في بيت عزلة ، فإن أيدي المعاشرة نهَّابة . احذر معاشرة الجُهَّال فإن الطبع لص ، لا تصادقنَّ فاسقًا فإن من خان أوّل منعم عليه لا يفي لك .

الأنس بالأنس ريق، المخالطةُ تُوجب التخليط، وأيسرُ تأثيرها تشتيتُ الهمِّ.

أقل ما في سقوطِ الذئب في غنم إن لم يُصبْ بعضَها أن ينفر الغنم

قطْع العلائق أصل الأصول ، تأمَّلوا إلى الفرس إذا قدم إلى الماء الصافي كيف يضرب بيديه فيه حتى يتكدّر ، أتدرون لم ؟ لأنه يرى صورة نفسه في الماء الصافي وصورة غيره ، فيكدّره حتى لا تتبين في الصور فيتهنّى بالشرب . لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق ؛ كان أويس يهرب من الناس فيقولون : مجنون »[(١)] ، وهو كما قال رسول الله ﷺ : « سيد التابعين » .

الثامن والعشرون : واقع المسلمين المُرُّ والمؤلم يصنعُ الرجال ويُعلي الهمم :

وآه من ذلَّة تُرادُ للجباه ..

أين يا قلبُ أسكبُ الدمع أنَّى طُفتُ ألقى مذلَّة وخُنوعا

(١) المدهش ٤٤٢ - ٤٤٣ .

آهٍ وألف آه من قوافل الضياع المشرَّدة .

قوافلُ تمضي بين أفواجِ رُضَّعٍ وأحزانِ ثكلى أو تباريحِ أيِّمِ

وبين صبايا يا لَذلٍّ دموعِها وأفواجِ أطفال وأمواجِ يُتَّمِ

قوافلُ تمضي وهْي تسحبُ خَطْوها ذليلًا على شَوْكٍ مُدَمٍّ وَمُوضِمِ[1]

تكادُ عيونُ الطفل تسأل مَن أنا إلى أين أمضي يا فيافي تكلّمي

أتحملني دورُ النصارى وبيعةٌ وساحاتُ شِرْكٍ أو منازلُ سُوَّمِ

لتُنْزع مني فطرةٌ وطهارةٌ ويُغرَسَ بي شرك وفتنةُ مأثمِ

آهٍ وألفُ آهٍ من واقعنا المرّ !!

اسألوا الأرض عن رُفات الضحايا واسألوا الليل عن ظلام السجونِ

إنما رُزء أمتي في رجالٍ همُّهم في فروجهم والبطونِ

يتعالون فوقنا ونراهم سُجَّدًا عند أرجل التنِّينِ

وبَلَوْنا شئونهم فرأيْنا أنهم أتخموا إلى الغرب مَيْلا

كشياهِ الجزّارِ تسعى إليه أو كمن يُنكحُ الثريَّا سُهَيْلا

وقبيحٌ من الفتى أن يكونَ الـ ـرَّأسَ في قومه فيصبحُ ذيْلا

أُمّتي يا أعزَّ شيءٍ بقلبي رحل العمرُ والجناحُ مهيضُ

رحل العمرُ والمآسي خِضَمٌّ جازه غيرُنا ونحن نخوضُ

رحل العمرُ والليالي اكتئابٌ معتم لم يُشرْ إليه وميضُ

أُمَّتي هذه المصائب زنْدٌ يُشعلُ العزمَ حين يغفو النهوضُ[2]

من آلامنا تبزغ آمالنا .. والرجال تصنعهم المِحَن .. وابتسامة الفجر الوليد تبزغ من أشد ظلمة في الدياجي ..

---

(١) مُوضِم : مؤلم .

(٢) نقوش على واجهة القرن الخامس عشر ، لعبد الرحمن العشماوي صـ ٨١ – مكتبة العبيكان .

متى يفيق النائمون ؟!

هل بقي شيءٌ من الذّل لم نتجرعه على أيدي إخوان القردة والصليبيين..
القدس ويا لذل القدس .. البوسنة ويا لذل البوسنة ..

أضِيعُوها كما كنتم أضعتم قبلها القُدسا
وسيروا في جنازتِها فقد أتقنتمُ الدَّرْسا
وأصبحتم لقاتِلِها جنودًا تحفرُ الرِّمْسا
وأصبحتم لقاتِلِها نعالًا تتْقِن الدَّوْسا
وصِرْتم يا لجَهْلكُمُ عبيدًا بُلَّهًا خُرْسا
أنسلمُها لقوَّادٍ يُقوِّمُ حسنها شوْسا
لقد دُفنَتْ شهامتُكم وقيل لأُمِّكم تَعْسا

متى يفيق النائمون ؟! :

شهداؤنا بين المقابر يهْمسونْ
والله إنَّا قادمونْ
في الأرض ترتفع الأياديْ
تنبتُ الأصوات في صمْتِ السُّكونْ
والله إنَّا راجعونْ
تتساقط الأحجارُ يرتفع الغبارْ
تضيءُ كالشمس العيونْ
والله إنَّا عائدونْ
شهداؤنا خرجوا من الأكفانْ
وانتفضوا صفوفا ثم راحوا يصْرخونْ
عارٌ عليكم أيها المستسلمونْ
وطنٌ يُباعُ وأمة تنساق قطعانًا

وأنتم نائمونْ
شهداؤنا فوق المنابر يخطبونْ
قاموا إلى لبنان صلوا في مساجِدِها
وزاروا المسجد الأقصى
وطافوا في رحاب القدس واقتحموا السُّجونْ
في كلِّ شبرٍ من ثرىٰ الوطن المكبَّل ينبتونْ
من كل ركن في رُبوع الأمة الثكْلىٰ
أراهم يخرجونْ
شهداؤنا وسط المجازر يصرخونْ
الله أكبرُ منك يا زمن الجنونْ
الله أكبرُ منك يا زمن الجنونْ
الله أكبرُ منك يا زمن الجنونْ
شهداؤنا يتقدمون
أصواتهم تعلو على أسوار بيروت الحزينة
في الشوارع في المفارق يهدرونْ
إني أراهم في الظلام يُحاربونْ
رغم انكسار الضوء في الوطن المكبَّل بالمهانة والدمامة والمجون
والله إنَّا عائدونْ
أكفاننا ستضيء يومًا في رحاب القدس
سوف تعود تقتحم المعاقل والحصونْ
شهداؤنا في كلِّ شبْر يصْرخونْ
يا أيُّها المتنطِّعونْ
كيف ارتضيتم أن ينامَ الذئبُ في وسط القطيع وتأمنونْ
وَطَنٌ بعَرْضِ الكونِ يُعرَض في المزادْ

وطغمة الجرذان في الوطنِ الجريح يُتاجرونْ
أحياؤنا الموتى على الشاشات
في صَخَبِ النهاية يَسْكرونْ
مَن أجهض الوطن العَريقَ
وكبَّل الأحلام في كلِّ العيونْ
يا أيها المتشرذمونْ
سنخلص الموتى من الأحياء
من سَفَهِ العميلِ العابث المجنونْ
والله إنَّا قادمون
﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون ﴾
شهداؤنا في كل شبرٍ في البلاد يُزمْجرونْ
جاءوا صفوفًا يسألون
يا أيُّها الأحياءُ ماذا تفعلونْ ؟
في كلِّ يوم كالقطيع على المذابح تُصْلبونْ
تتسرَّبون على جناح الليل
كالفئران سرًّا للذئاب تهَرْولونْ
وأمام أمريكا تُقامُ صلاتُكم فتسبِّحون
وتطوفُ أعينُكم على الدولار
فوق ربوعه الخضراء يبكي الساجدونْ
صورٌ على الشاشات
جرذان تصافح بعضها
والناسُ من ألم الفجيعة يضحكونْ
في صورتيْن تُباع أوطان وتسقط أُمَّة
ورؤسكم تحت النعالِ وتركعون

في صورتين تُسلَّمُ القدس العريقة للذئاب
ويسكرُ المتآمرونْ
شهداؤنا في كلِّ شبرٍ يَصْرخونْ
بيروت تسْبحُ في الدماء وفوقها الطاغوت يهدرُ في جنونْ
بيروتُ تسألكم أليس لِعِرْضِها حقٌّ عليكم
أين فَرَّ الرافضونْ
وأين غاب البائعونْ
وأين راح الهاربونْ
الصامتون .. الغافلون ..
الكاذبون ؟
صمتوا جميعًا
والرصاصُ الآن يخترقُ العيونْ
وإذا سألتَ سمعتَهم يتصايحونْ
هذا الزمانُ زمانهم
في كلِّ شيءٍ في الورى يتحكمونْ
لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص فإنكم
في كل شيء خاسرونْ
لن يترك الطوفانُ شيئًا كلكم في اليمِّ يومًا غارقونْ
تجْرون خلف الموت
والنخَّاس يجري خلفكم
وغدًا بأسواق النخاسة تُعْرَضونْ
لن يرحم التاريخ يومًا من يفرِّط أو يخونْ
كهَّانُنا يترنَّحونْ
فوق الكراسي هائمون _

في نشوةِ السُّلطان والطغيان راحوا يسكرونْ
وشعوبنا ارْتاحتْ ونامتْ
في غياباتِ السجونْ
نام الجميع وكلّهم يتثاءبونْ
فمتى يُفيق النائمون ..
متى يفيق النائمونْ ؟!(١)

ولله درُّ من قال :

أرى البلايا تُحيطُ المرءَ تحصنُه ... حتى لَئنْ صحَّ ذوبُ الصَّخرِ لم يذُبِ
أوْ صحّ أن قناة الصلْب قد وَهنت ... فلا يلين إذا ما صُبّ في اللّهبِ
ما حصحصَ الحقُّ إلا بعد ما انسلخت ... مِن عمر يوسف أعوامٌ من النَّصَبِ

يقول الدكتور « صالح آدم بيلو » في قصيدته « عرفتُ الطريق » :

كلما ازدادت عليَّ المِحَنُ
وتوالتْ إحنٌ لا تَهِنُ
وكُروبٌ يصطفيها الزمنُ
وظلامٌ كافرٌ أو فِتَنُ
فلتطهير وتدريب عميق
واختبار الذهب الصِّرّف الحقيقي
وإذا عاندت يومًا يا « رفيقي »
فلأني قد تبيَّنت طريقي
إنْ ذَوَتْ في الغُصْنِ بعضُ الوَرَقاتِ
وتهاوتْ للثرى مستبقاتِ
ورمتْها الريحُ في وادي الشَّتاتِ

(١) « متى يفيق النائمون » قصيدة لفاروق جويدة .

فعلى الأغصان زاهي الزهراتِ
وهنا طلع رضيٌّ النفحاتِ
فتعلَّمْ .. ذاك عنوانُ الحياةِ
خَسِئَ السَّاقطُ مِن ماضٍ وآتِ
إنْ مضى فَلْيمض ملعونَ المماتِ
وإذا ما جِرْتَ يومًا يا صديقي
لنمائي ولإيماني الوثيقِ
فاعتبرْ .. إني تبيَّنت طريقي

التاسع والعشرون : سبْرُ فقه الابتلاء والدعوة :

لله سنن ماضية في الدعوات وفي الابتلاء ، ومن سُنة الله في الابتلاء امتحان المؤمنين بالشدائد قال تعالى : ﴿ **أمْ حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مثلُ الذين خلَوْا من قبلكم مسَّتْهم البأساءُ والضرَّاءُ وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألَا إنَّ نصرَ الله قريب**﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وقال تعالى : ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ في أموالِكم وأنفسكم ولتسْمعنَّ من الذين أوتوا الكتاب مِن قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك مِن عزْم الأمور** ﴾ [آل عمران : ١٨٦] . فمن عزائم الأمور الصبر على الأذى والالتزام بالتقوى ، « فهذا مما يجب أن يعزمَ عليه المؤمنون ، من الأمور التي تُزْهِقُ الباطل وتنصرُ الحقَّ وأهله »[١] .

وأشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ومع هذا يحذرُ الإنسان من جلْب المِحَن أو الحرص عليها . واستعجال المحن ناشئٌ من جهْل الجماعة المسلمة ؛ قال رسول الله ﷺ : « لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ وسَلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا »[٢] .

---

(١) السنن الإلهية لعبد الكريم زيدان صـ ٨٨ ، مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى .

ومن فقه البلاء أن المرء لا ينبغي له أن يذلَّ نفسه ؛ لقول رسول الله ﷺ : « لا ينبغي للمؤمن أن يذلَّ نفسه » . قالوا : كيف يذلُّ نفسه ؟ قال : « يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق »(١) .

والاستعجال جرَّ كثيرًا من المستعجلين إلى مصارعهم، مما أدَّى إلى تراجُع الدعوة في كثير من الأقطار سنين عددا .

وهذا خباب بن الأرت يلاقي ما يلاقي من الأعداء ، وقد كان يُوضع على الحديد المحمي ، فما ينطفئُ لهبُه إلا بما يسيلُ من وَدَك ظهره ، فيأتي إلى رسول الله ﷺ يسأله : ألا تستنصر لنا ؟ فعدَّ رسول الله ذلك استعجالًا ؛ لأنه مأمور بعدم الاستعجال : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرُّسل ولا تستعجل لهم** ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

إن طريق الدعوة شاقٌّ طويل.. وطريق مرير، حتى لتحتاج نفسٌ كنفس رسول الله ﷺ في تجرُّدها وانقطاعها للدعوة ، وفي ثباتها وفي صلابتها وفي صفائها ؛ تحتاج إلى هذا التوجيه الربَّاني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنِّتين .

ومن سنن الله نصر أوليائه: ﴿**إنا لننصرُ رُسُلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقوم الأشهاد**﴾ [غافر: ٥١]. وقال تعالى: ﴿**ولقد سبقتْ كلمتُنا لعبادنا المرسلين إنهم لهُمُ المنصورون وإنَّ جندَنا لهُمُ الغالبون**﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

ولا بد من فهْمٍ لمظاهر الانتصار حتى تُشحذ الهمم ؛ فقد يكون النصر بالغلبة المباشرة والقهر للأعداء ، وقد يكون النصر بإهلاك المكذِّبين .

وقد يكون النصر بما يتصوّره الناس هزيمة؛ من قتْل وسجْن وطرْدٍ وأذى. وقد يكون النصر بانتصار المنهج وظهوره ، كما قال سيد قطب رحمه

---

(١) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم (٦١٥) .

الله : « إن كلماتنا وأقوالنا تظلُّ جثثًا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها وغذَّيناها بالدماء عاشتْ وانتفضتْ بين الأحياء »[١] .

وقد يكون الانتصار بانتصار الداعية على نفسه ، بأن يعرف أن رهبة السجن أكبر من حقيقته ، وينكشف له الباطل وزيفه .

ولله درُّ ابن تيمية حين يُسْجن فيقول : « ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رُحت فهي معي ، إن معي كتاب الله وسنة نبيه ؛ إن قتلوني فقتلي شهادة ، وإن نفوني عن بلدي فنفيي سياحة ، وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي . إن المحبوس مَن حُبس عن ربِّه ، وإن الأسير من أسره هواه » . ولما أغلقوا عليه باب القلعة بدمشق قال : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنُه فيه الرحمة وظاهرُه مِن قِبَله العذاب** ﴾ ، لو يعلمون ما أسْدوا إلَيَّ من الجميل بسجنهم إيَّاي في القلعة ما كافأتهم عليها بملء القلعة ذهبًا . وتفرَّغ شيخ الإسلام للتفسير وقال : « لو استقبلتُ من عمري ما استدبرتُ لجعلت حياتي وقفًا عليه » . وأخذوا أقلامه ، فكان يكتُب بالفحم على جُدران السجن ، ولما أخذوا منه كل شيء تفرَّغ لتلاوة القرآن ، ومات وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ **إن المتقين في جناتٍ ونهر في مقعدِ صِدْق عند مليك مقتدر** ﴾ [القمر : ٥٤- ٥٥] . ويومَ موته سجن شيخُ الإسلام ابنُ تيمية مَن سجنوه .. إي والله .. من مات سجينًا في سجنهم يسجنُ ظالميه يوم موته !! فلم يستطيعوا أن يخرجوا يوم موته من بيوتهم ؛ خوفًا من بطْش العامة بهم .

ويعلمُ الداعي أن ثباته على مبدئه انتصار باهر ، وأن النصر قد يكون بقوَّة الحُجَّة وصِحَّة البرهان ، وأن الانتصار غير محصور في زمان أو مكان ، فزمانه الحياة الدنيا ثم الآخرة ؛ مات ابن تيمية في سِجْنه ، وانتصرت دعوته أعظم الانتصار بعد عدَّة قرون من وفاته .

---

(١) حقيقة الانتصار للدكتور ناصر سليمان العمر صـ ٢١ ، طبع دار الصفوة .

ويعلمُ الداعية أن النصرَ قد يكون بالمنع ، أي منع أعدائه من الوصول إليه .

إذا فقه الداعي حقيقة الانتصار ؛ جدَّ وسعى في هداية الناس للإيمان ، وعلتْ به همَّتُه ، وأيقن أن الكاذب لا بد أن يُفتضح ، ومتى علم الداعي قول الله: ﴿ **إنَّ الله لا يُصلحُ عملَ المفسدين** ﴾ ، و ﴿ **وأن الله لا يهدي كيدَ الخائنين** ﴾ .

مَن فقه وعلم الثوابت والسنن في الدعوة ، علمَ أن المستقبل لهذا الدين ، وأن أهل الباطل مهما انتفخوا فهم هباء ..

الداعية بفقهه هذا تعلو همَّته ويكون من صُنَّاع الحياة بشموخه وضربه المثل العالي ، « كذاك الذي انقطع به حبل المشنقة لحظة إعدامه بالباطل فقال : كلُّ جاهليتكم رديئة .. حتى حبالكم رديئة !! »[(١)] .

وليس وراء صنعة الشموخ حبةُ خردلٍ من معنى دعوة .

عائدٌ أنا من حيث أتيت
عائدٌ أنا لمسجدي
عائدٌ إلى الصلاة والركوع والسجودْ
عائدٌ إلى الطريق خلف أحمدَ الرسول
أُطلق الخطى حزينة في إثره
عرفتُ قصَّة الطريقِ كلّها
محافل تضمُّ ألف سوط
والموتُ قادم .. يدوس فوق موت
عرفتُ قصَّة الطريق كلّها
وعائدٌ أنا برغْمها

---

(١) صناعة الحياة لمحمد أحمد الراشد صـ ٦٠ ، دار المنطلق بدبي .

كالفجر .. كالصباح .. مغدقٌ وباسمُ
والخطو كالرياح .. عاصفٌ وعارم
لا بديلَ للخلود
لا بديل للجنان
لا بديل
لا بديلَ غير ذلَّة الرُّغامْ
لا بديل غير خدعةِ السرابْ
لا بديل غير وهْدةِ الظلامْ
لا بديل للإقدام .. غير سحقة الأقدامْ
عرفت قصَّة الطريق كلّها
الموتُ أول المطاف
لكنَّ خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف
قادمٌ .. وقادمٌ .. وقادمُ
إشراقة مضيئة تجيء في الختام
تقدَّموا .. تقدَّموا .. تقدَّموا
فبعد لحظةٍ من المسير
ينتهي الزحامْ
ينتهي الزحامْ

الثلاثون: كَوْنُ الداعية على عقيدة أهل السنة والجماعة، وفهمه لمعنى التوكُّل:

متى صحَّ اعتقاد الرجل وسار على درْب أهل السنة والجماعة ، علتْ همته وسمت أن يكون مُرجئًا أو صوفيًّا يُنكر الأسباب ويتواكل، وما يجر ذلك من عظائم .

والرجل من أهل السنة يعلم حقيقة التوكل وربْط الأسباب بالمسببات ، ويعلم أنه إذا لم يأت بالسبب امتنع المسبب ، وأن مَن أنكر الأسباب لم يستقم

منه التوكل ، وهذا سلوك البطالين .

ويعلم الداعية أنَّ من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطْع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها ؛ فالأسباب محلُّ حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكُّل متعلِّق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يستوي ساق التوكل إلا على قدم العبودية . وينبغي للعبد أن لا يُبقي في قلبه اضطرابًا من تشويش الأسباب ولا سكونًا إليها ، بل يخلع السكون إليها من قلبه ، ويُلبسه السكون إلى مسبب الأسباب .

وعالي الهمَّة يعلمُ أن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، لقول رسول الله ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء »[1] . ويعلم أن مشيئة الله شاملة وقدرته نافذة ؛ ﴿ **إنَّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كُن فيكون** ﴾ [يس : ٨٢] . فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ فلا حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بمشيئته ، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد ، له الأمر وله الحكم في الدنيا والآخرة ؛ فيفرِّغ العبدُ قلبَه لربِّه ويعلم أن البشر لا يملكون نفعه ولا ضرَّه ، فتعلو همَّتُه لطلب مَن بيده النفع والضر ، يرجو رحمته ويخاف عذابه .

فتعرَّفْ يا ابن أمي في العقيده
يا أخا الإسلام في الأرضِ المديدهْ
وتجرَّدْ لانطلاقاتٍ بعيده
وتوقَّعْها جراحاتٍ جديده
فهْي طوبى واختبارات مجيدهْ

---

(١) رواه مسلم .

وتساءلْ .. غَنِّها اليوم قصيدهْ :
ما حياةُ المرءِ من غير عقيدهْ ؟!
ما حياة دون أهدافٍ بعيده ؟!
ما حياة دون أرواحٍ شهيده ؟!
وكفاح وصراعاتٍ عنيدهْ ؟!(١)

الحادي والثلاثون : وصايا الربَّانيِّين ونصائحهم :

«إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة: ميثاق إسلامي، أخذه الله ورسوله على الجيل القدوة الأول ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ قال عزَّ ثناؤه : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصبر** ﴾[العصر : ١ - ٣] . وقال تعالى : ﴿ **ثم كان مِنَ الذين آمنوا وتواصَوْا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة** ﴾[البلد : ١٧ - ١٨] .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاءِ الزَّكاة والنُّصح لكل مسلم »(٢) .

والنصيحة كلمةٌ جامعة ، وليس في الكلام كلمة مفردة تُستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة ؛ ولذلك جعلها رسول الله ﷺ الدِّينَ كلَّه ، فعن تميم الداري أن النبيَّ ﷺ قال : « الدينُ النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم »(٣) .

---

(١) من قصيدة « عرفت الطريق » للدكتور صالح آدم بيلو من كتاب « من الشعر الإسلامي الحديث » صـ ٩٤ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا ، ومسلم . وروى الشطر الأول منه البخاري في التاريخ عن ثوبان، والبزار عن ابن عمر، والدارمي وابن نصر عن ابن عمر، وأحمد ومسلم وأبو عوانة، وأبو داود، والنسائي، وابن نصر عن تميم ، وأحمد ، والنسائي ، =

فمن خلال لفظ النصيحة المتضمِّن كلمة التواصي ومعناه وطبيعته وحقيقته؛ تبرُز صورة الأمة المتضامنة المتضامّة ، الخيِّرة الواعية ، القيِّمة في الأرض على الحقِّ والعدل والخير .

وهي أنصع وأرفع صورة للأمة المختارة ، التي أرادها الله أن تكون قائمة على حراسة الحقِّ والخير ، متواصية بالخير والصبر في مودَّةٍ وتعاونٍ وتآخٍ ، تتَّضحُ بها كلمة التواصي .

إنَّ التواصي بالحقِّ ضرورة للنهوض بالحق ؛ لأن المعوقات كثيرة ؛ هوى النفس ، ومنطق المصلحة ، وتصوُّرات البيئة .

والتواصي تذكيرٌ وتشجيعٌ وإصلاحٌ، وإشعارٌ بالقربى في الهدف والغاية، والأخوَّة في العبء والأمانة ؛ فهو حصيلة الاتجاهات الفرديَّة كلِّها ، حيث تتفاعل معًا فتتضاعف أضعافًا كثيرة ، ويقوىٰ أمرُها ، وتستغلظ فتستوي على سوقها ؛لتؤتي أُكلها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها .

والتواصي بالصبر ضرورة ؛ لتتضاعف المقدرة على الثبات على الحق ، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ووحدة المسار وتعاضُد الجميع، وتزوّدهم بالحبِّ والعزم والإصرار . فهو معيارُ تماسك الأمة المسلمة ، فهي أعضاء متجاوبة الحسِّ، تشعرُ شعورًا واحدًا، فيوصي بعضُها بعضًا بالصبر على العبءِ المشترك ، ويثبِّتُ بعضُها بعضًا فلا تتخاذل ، ويقوِّي بعضُها بعضًا فلا تولِّي يومَ الزحف .

وهذا غير الصبر الفردي وإن كان قائمًا عليه، فهو إيحاءٌ جَلِيٌّ بواجب المؤمن في الأمةِ المسلمة ، بألَّا يكون عنصر تخذيل وتثبيط بل عنصر تثبيت ، ولا يكون داعية هزيمة بل داعية اقتحام ، ولا يكون مثارَ جزع بل مهبط سكينة وطمأنينة .

= والترمذي ، وابن نصْر ، وأبو نعيم عن أبي هريرة ، وأحمد ، والضياء ، والبخاري في التاريخ عن ابن عباس .

وكذلك التواصي بالمرحمة أمر فوق المرحمة ، لأنه إشاعة الشعور بواجب التراحُم والتعاطُف والتوادِّ في الصفوف المؤمنة؛ ليزداد البنيانُ تماسكًا؛ حيث يكون التحاضُّ على المرحمة واجبًا فرديًّا جماعيًّا في الوقت نفسه ، يتعارف عليه الجميع ، ويتعاون عليه الجميع[١] .

لقد مارس الجيلُ القدوة الأول النُّصحَ على أعلى المستويات وأدناها ، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وطبَّق التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، والتواصي بالمرحمة .

وأصدق الوصايا وأنفعُها ما ورد في الكتاب العزيز من أوامر الحق ونواهيه، المنزَّل من حكيم حميد نزل به الروح الأمين على قلب نبينا: **﴿فاستبقوا الخيرات﴾**، **﴿فاذكروني أذكركم﴾**، **﴿وأحسنوا﴾**، **﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾**، **﴿وتزودوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى﴾**، **﴿وقاتِلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله﴾**، **﴿واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله﴾**، **﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾**، **﴿وبعهد الله أوفوا﴾**. ثم وصايا الحبيب ﷺ : « كُن في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيل»، «كن ورعًا تكن أعبد الناس » .

ووصايا العلماء الربانيين تفعل في القلوب الأعاجيب ، وتشحذُ الهممَ :

«قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني. قال : أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة . قال : كيف ؟ قال : ازهد في الدنيا »[٢] .

وقول عثمان رضي الله عنه : «أنتم إلى إمامٍ فعَّالٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ قوَّال » .

وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الناس من خوف الذل في الذل».

---

(١) نقلًا عن الظلال ، الجزء السادس بتصرُّف ، وكتاب « من وصايا السلف » للشيخ سليم الهلالي .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ١٢٠ .

وقول عمرو بن العاص رضي الله عنه :

إذا المرء لم يترك طعامًا يحبُّه ولم ينهَ قلبًا غاويًا حيثُ يمَّما
قضى وطرًا منه وغادر سُبَّةً إذا ذكرتْ أمثالُها تملأُ الفما

وقول القائل :

وأنتَ إذا أعطيتَ بطنَك سُؤْلَهُ وفرجَك نالا مُنتهى الذمِّ أجمعا

وقول القائل ناصحا : « أنفعُ اليقين : ما عظَّم الحقّ في عينك ، وصغَّر ما دونه عندك ، وأثبتَ الرجاءَ والخوفَ في قلبك » .

وقول بندار بن الحسين الشيرازي موصيًا وناصحًا : « مَن مشىٰ في الظلمة إلى ذي النعم أجلسه على بساطِ الكرم، ومَن قطع لسانه بشفرة السكوت بُنِيَ له بيتٌ في الملكوت ، ومَن واصل أهل الجهالة أُلبِس ثوبَ البطالة ، ومن هربَ من الذنوب هُرِبَ به من النار ، ومَن رجا شيئًا طلبه » .

وقال رجل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : أوصني يرحمك الله . فقال : « اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنتَ إلى نصيبك من الآخرة أفقر ؛ فابدأ بنصيبك من الآخرة ، فإنه سيمرُّ بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه ، ثم يزول معك أينما زلت » .

وقال أبو الدرداء : « اعبد الله كأنك تراه ، وعُدَّ نفسَك في الموتى » .

وقال : « اذكر الله في السَّراء يذكرك في الضرَّاء ، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم » .

وقال هرم بن حيان : « أوصيكم بخواتيم سورة النحل » . وقال : « أوصيكم بخواتيم سورة البقرة » .

وقال الشيخ الموفَّق ابن اللَّباد : ينبغي أن تكون سيرتُك سيرةَ الصدر الأول ، ومَن لم يكدح لم يفلح ، وإذا حدث لك فرح بالدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال ، واعلم أن للدين عبقةً وعرقًا ينادي على صاحبه ، ونورًا وضيئًا يُشرقُ عليه ويدلُّ عليه .

وقال عبد الله بن إدريس لداود الطائي: أوصني. فقال له: ارْضَ باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين . قلت : زدني. قال: اجعل الدنيا كيوم صمته ثم أفطر على الموت. وقال: ليكن كاتباك محدثيك .

وقال : كفى باليقين زهدًا، وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلًا.

وقال أيضًا رحمه الله – لرجل قال له : أوصني –: « يا أخي ، إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة مرحلة ، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تُقدِّم في كلِّ يوم مرحلةٍ زادًا لما بين يديك فافعل ؛ فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزوَّد لسفرك ، واقض ما أنت قاضٍ من أمرك ، فكأنك بالأمر قد بَغَتك !! إني لأقول هذا وما أعلم أحدًا أشدَّ تضييعًا مني لذلك . ثم قام » .

وقال لرجل آخر : عسكر الموتى ينتظرونك .

وقال الجنيد يوصي إخوانه : عليكم بحفظ الهمة ؛ فإن حفظ الهمَّة مقدمة الأشياء .

وسأل رجلٌ الجُنيد: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: توبة تحُلُّ الإصرارَ، وخوفٌ يزيل الغرَّة ، ورجاءٌ مزعجٌ إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب .

وقال لرجل : لا تكن عبدَ الله حقًّا وأنت لشيءٍ سواه مُسترَقًّا .

وقال أبو عبد الله السجزي لأخ له : كمال الفتوة أن لا يشغلك الخلقُ عن الله .

ولله درُّ القائل :

لا تبغينَّ جاهًا وجاهُك ساقط عند الإله وكُنْ للموتِ حَذَّارا

وقال ممشاد الدينوري موصيًا : الهمَّة مقدمة الأشياء ؛ فمن صلحت له همتُه وصدق فيها ، صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال .

وقال آخر موصيًا إخوانه : قيمةُ كلِّ إنسان بقدر همته ؛ فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له ، وإن كانت همتُه رضاء الله فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها .

وقال ابن الكاتب موصيًا : « الهمَّة مقدّمةٌ في الأشياء ، فمن صحح همته بالصدق أتت توابعها على الصحة والصّدق ؛ فإن الفروع تتبع الأصول ، ومَن أهمل همته أتت عليه توابعها مهملة ، والمهمل من الأفعال والأحوال لا يصلح لبساط الحق » .

وانظر إلى نصح سفيان الثوري الذي قال فيه حفص بن غياث : كنا نتعزَّىٰ عن الدنيا بمجلس سفيان .

« قال سفيان رحمه الله : لو أن اليقين ثبت في القلب ؛ لطار فرحًا ، أو حزنًا ، أو شوقًا إلى الجنة ، أو خوفًا من النار .

وقال ابن المبارك : قال لي سفيان : إياك والشهرة ؛ فما أتيتُ أحدًا إلَّا وقد نهى عن الشهرة »[1] .

وقال بشر بن الحارث : اكتمْ حسناتِك كما تكتم سيِّئاتك .

وقال : من أراد أن يلقَّن الحكمة ؛ فلا يعصِ الله .

وقال : لا تعملْ لتُذكَرَ ، وَرِدْ لله ما يريد .

وقال: إذا أعجبك الكلام فاصمُت، وإذا أعجبك الصمْت فتكلَّمْ ..

وقال : قلْ لمن طلب الدنيا : تهيَّأْ للذلِّ .

وسُئل ابن المبارك : مَنِ الناس ؟ فقال : العلماء . قيل : فمَنِ الملوك ؟ قال : الزهَّاد . قيل : فمن الغوغاء ؟ قال : خزيمة وأصحابه . يعني مِن أمراء الظلمة . قيل : فمن السَّفِلة ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم .

وقال ابن المبارك رحمه الله : لو اتقى الرجل مائة شيء و لم يتق شيئًا

---

(١) السير ٧ / ٢٦٠ .

واحدًا ؛ لم يكُ من المتقين ، ولو تورَّع عن مائة شيء سوى شيء واحد ؛ لم يكن وَرعًا ، ومَن كانت فيه خُلَّة من الجهل كان من الجاهلين ، أمَّا سمعتَ الله يقول لنوح عليه السلام من أجل ابنه: ﴿**إني أعظُك أن تكون من الجاهلين**﴾ [هود : ٤٦] ؟!

وكتب سفيان الثوري إلى عبَّاد بن عبَّاد الخوَّاص : « عليك بالأمر الأول والتمسُّك به، وعليك بالخمول ؛ فإن هذا زمن الخمول . وإياك وحبّ الرئاسة ؛ فإن الرجل تكون الرئاسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة . وهو باب غامض ، لا يبصره إلا العلماء السماسرة ، فتفقَّدْ نفسَك ، واعملْ بنيَّة ، واعلمْ أنه قد دنا من الناس أمْر يشتهي الرجل أن يموت.والسلام »(1) .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز : « إن الذي بقي من العمر لا ثمن له ولا عِدْل ، فلو جمعتَ الدنيا كلها ما عدلت يومًا بقي من عمر صاحبه ، فلا تبعِ اليوم وتعدله من الدنيا بغير ثمنه ، ولا يكونَنَّ المقبور أعظمَ تعظيمًا لما في يديك منك وهو لك،فلعمري لو أن مدفونًا في قبره قيل له : هذه الدنيا - أولها إلى آخرها - تجعلها لولدك من بعدك يتنعَّمون فيها من ورائك ؛ فقد كنتَ وليس لك همٌّ غيرهم - أحبّ إليك ، أمْ يومٌ تُترك فيه تعمل لنفسك ؟ لاختار ذلك ، وما كان ليجمع مع اليوم شيئًا إلا اختار « اليوم » عليه ؛ رغبة فيه وتعظيمًا له ، بل لو اقتصر على ساعة خُيِّرها وما بين أضعاف ما وصفتُ لك وأضعافه يكون لسواه ؛ إلَّا اختار الساعة لنفسه على أضعاف ذلك يكون لغيره. بل لو اقتصر على كلمة يقولها تُكتب له وبين ما وصفتُ لك وأضعافه ؛ لَاختار الكلمة الواحدة عليه .

فانتقِد اليوم لنفْسِك ، وأبصر الساعة ، وأعظم الكلمة ، واحذر الحسرة عند نزول السَّكرة ، ولا تأمن أن تكون لهذا الكلام حُجَّة ، نفعنا الله وإياك

---

(1) من وصايا السلف ، لسليم الهلالي صـ ٢٠ - ٢٥ ، دار ابن الجوزي .

بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وقال الفضيل بن عياض : لا تجعل الرجال أوصياءك ، كيف تلومهم أن يضيِّعوا وصيتك ، وأنت قد ضيَّعتها في حياتك ؟

وقال الفضيل : إنما أمس مثَل ، واليوم عمَل ، وغدًا أمَل .

وقال رحمه الله : رهبةُ العبد من الله على قدْر علمه بالله ، وزهادته في الدنيا على قدْر رغبته في الآخرة .

«وقال علي بن المديني : ودَّعتُ أحمد بن حنبل فقلت له : توصيني بشيء ؟ قال : نعم ؛ اجعلِ التقوى زادك ، وانصبِ الآخرة أمامك .

وقال رحمه الله : كلُّ شيء من الخير تهتمُّ به ، فبادِرْ به قبل أن يُحال بينك وبينه .

وقال عبد الله بن أحمد : قلتُ لأبي يومًا : أوصني يا أبَهْ . فقال : يا بنيَّ ، انوِ الخير ، فإنك لا تزال بخير ما نويتَ الخير .

وكتب الإمام أحمد إلى سعيد بن يعقوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب ، أما بعد : فإن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طبيب ، فإذا رأيت الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه ، فاحذرْه ، والسلام عليك »[1] .

كلمات التثبيت وشحْذ الهمم ، قالها الربَّانيُّون لأحمد بن حنبل في المحنة :

إن كان الإمام أحمد قوَّى الله عزمه بنصيحة الصادقين في محنته فما بال غيره؟!

عن أبي جعفر الأنباري قال: « لمَّا حُمِل أحمد إلى المأمون أُخبرتُ ، فعبرتُ الفرات ، فإذا هو جالس في الخان فسلَّمتُ عليه ، فقال : يا أبا جعفر ، تعنَّيتَ.فقلت : يا هذا ، أنت اليوم رأس ، والنَّاس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبتَ إلى خلْق القرآن ليجيبنَّ خلْقٌ ، وإن لم تُجِبْ ليمتنعَنَّ خلْق من الناس كثير،

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٢٥٨ - ٢٦٧ .

ومع هذا فإن الرجل إنْ لم يقتلك ؛ فإنك تموت ، لا بد من الموت ، فاتق الله ولا تُجبْ . فجعل أحمد يبكي ويقول : ما شاء الله . ثم قال : يا أبا جعفر ، أعِدْ . فأعدت عليه وهو يقول : ما شاء الله » اهـ[١] .

قال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: «صرنا إلى « الرَّحْبة » ، ورحلنا منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل فقال : أيُّكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا . فقال للجمَّال : على رِسْلك .. ثم قال : « يا هذا ، ما عليك أن تُقتَل هاهنا ، وتدخل الجنة ؟ » . ثم قال : أستودعك الله . ومضى . فسألت عنه ، فقيل لي : هذا رجل من العرب من ربيعة ، يعمل الصوف في البادية ، يُقال له : جابر بن عامر ، يُذكر بخير »[٢] .

وفي « البداية والنهاية » : « أن الأعرابي قال للإمام أحمد : يا هذا ، إنك وافد الناس فلا تكن شؤمًا عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا فتحمل أوزارهم إلى يوم القيامة ، وإن كنتَ تحبُّ الله ، فاصبر على ما أنت فيه ؛ فإنه ما بينك وبين الجنة إلّا أن تُقتل . قال الإمام أحمد : وكان كلامه ممَّا قوَّى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه »[٣] .

وفي رواية أن الإمام أحمد قال : « ما سمعتُ كلمة منذ وقعتُ في هذا الأمر أقوىٰ من كلمة أعرابيٍّ كلَّمني بها في «رحبة طوق»[٤]؛ قال: يا أحمد، إنْ يقتلك الحق متَّ شهيدًا ، وإن عشتَ عشتَ حميدًا .. فقوَّىٰ قلبي »[٥] .

---

(١) السير ١١ / ٢٣٨ .

(٢) السير ١١ / ٢٤١ .

(٣) البداية والنهاية (٣٣٢/١)، ووسائل الثبات على دين الله لمحمد صالح المنجد صـ ٣٢-٣٣ ، دار الوطن .

(٤) اسم بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات .

(٥) السير ١١ / ٢٤١ .

وقال الإمام أحمد عن مرافقة الشابِّ محمد بن نُوح الذي صمد معه في الفتنة: ما رأيت أحدًا - على حَدَاثة سنِّه، وقدْر علمه- أقومَ بأمْر الله من محمد بن نوح ؛ إني لأرجو أن يكون قد خُتِم له بخير ؛ قال لي ذات يوم : « يا أبا عبد الله ، الله ، الله . إنك لستَ مثلي ؛ أنت رجل يُقتدىٰ بك ، قد مدَّ الخلْقُ أعناقَهم إليك ؛ لِمَا يكون منك . فاتق الله ، واثبتْ لأمْر الله.فمات وصلَّيت عليه ودفنته »[1] .

وحتى أهل السجن الذين كان يُصلِّي بهم الإمام أحمد وهو مقيَّد ؛ قد ساهموا في تثبيته . فقد قال الإمام أحمد مرَّة في الحبْس : « لستُ أبالي بالحبْس - ما هو ومنزلي إلا واحد - ولا قتلًا بالسيف ، وإنما أخاف فتنة السَّوْط . فسمعه بعض أهل الحبس فقال : لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي .. فكأنه سُرِّي عنه »[2] .

وهذا ذو النون المصري يقول: لا يتفكَّر القلب لغير الله إلا إذا كان عليه عقوبة .

«وقال يوسف بن الحسين:قُلتُ لذي النون -لمَّا أردتُ توديعه-:أوصني رضي الله عنك ، بوصية أحفظها عنك . فقال : لا تكنْ خصمًا لنفسك على ربك،مستزيده في رزقك وجاهك ، ولكن خصمًا لربك على نفسك »[3] .

وكانت أمُّ سفيان الثوري تقول: «يا بُنيَّ لا تتعلَّم العلم إلا إنْ نويتَ العملَ به ، وإلَّا فهو وَبَالٌ عليك يوم القيامة » .

ولله درُّ ذات النطاقين وهي توصي ابنها عبد الله بن الزبير ، فتقول له : «الله الله يا بُني، إن كنتَ تعلم أنك على حقٍّ تدعو إليه فامض عليه، ولا تُمكِّنْ

---

(١) السير ١١ / ٢٤٢ .
(٢) السير ١١ / ٢٤٠ .
(٣) الحلية ٩ / ٣٨٢ .

من رقبتك غلمانَ بني أُمَيَّة فيلعبوا بك ، وإن كنتَ أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ، أهلكت نَفْسك ومَن معك ، وإن قلتَ : « إني كنتُ على حقّ ، فلمَّا وهَن أصحابي ضعفتْ نيَّتي » ؛ فليس هذا فعْل الأحرار ولا من فيه خير ، كم خلودُك في الدنيا ؟! القتل أحسَنُ ما يقع بك يا ابن الزبير ، والله لَضَرْبَةٌ بالسيف في عِزٍّ أحبُّ إليَّ من ضرْبٍ بالسَّوْط في ذلٍّ » . فقال : يا أُمَّاه ، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثِّلوا بي ويصلبوني . قالت : « يا بُنيَّ، إنَّ الشَّاةَ لا يضرُّها السلخُ بعد الذَّبْح ، فامض على بصيرتك ، واستعن بالله » .

وهذه رابعة بنت إسماعيل الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري ؛ تقول له : لستُ أنا وأنت ممَّن ينغَّص عليه العيْش بذكْر الآخرة .

وعَمْرة زوجة أبي محمد حبيب العجمي تحثُّه على القيام ، فتقول له : قمْ يا سيدي ؛ فهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، وبين يدينا طريق طويل وزاد قليل ، وهذه قوافل الصالحين قد سارت قُدَّامنا ونحن قد بقينا .

وهذه الزوجة الصالحة « مَوْضي بنت أبي وهطان » زوجة الأمير محمد ابن سعود رحمه الله، والتي كان لنصيحتها أكبر الأثر في نصرة أعظم حركة تجديدية شهدتها الأمة ، منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى يومنا هذا ، فإنها هي التي حثَّت زوجها على مناصرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله، وشدِّ أزره، وإشهار سيفه من غمْده؛ نصرةً لدعوة التوحيد [(١)].

ومن وصايا الجُنيد رحمه الله : « متى أردت أن تشرُف بالعلم وتُنسب إليه وتكون من أهله قبل أن تُعطي العلمَ ما له عليك ؛ احتجَب عنك نورُه ، وبقي عليه وسْمه وظهوره ، ذلك العلم عليك لا لك » [(٢)] .

ومن وصايا السَّري رحمه الله : « خمس مَنْ كُنَّ فيه فهو شجاع بطل :

---

(١) علو الهمة صـ ٣٥٨ .
(٢) الحلية ١٠ / ٢٦٩ .

استقامة على أمْر الله ليس فيها رَوَغَان، واجتهاد ليس معه سهْوٌ، وتيقُّظ ليس معه غفلة، ومراقبة الله في السرِّ والجهْر ليس معه رياء، ومراقبة الموت بالتأهُّب»[١].

وكتب الأوزاعي إلى أخ له : « أما بعد ؛ فإنه قد أُحيط بك من كل جانب ، واعلمْ أنه يُسارُ بك في كل يوم وليلة ، فاحذرِ الله والمقامَ بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به . والسلام » .

ودخل سابق البربريّ على عمر بن عبد العزيز فقال له : عِظْني يا سابق وأوجزْ . قال : نعم يا أمير المؤمنين وأبلُغُ إن شاء الله . قال عمر : هات . فأنشده سابق :

إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ من التُّقَى ... ووافيتَ بعدَ الموتِ من قدْ تزوَّدا
ندِمتَ علَى أن لا تكونَ شركْتَهُ ... وأرصدت قبل الموتِ ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشيًّا عليه [٢] .

وأوصى أبو سليمان الداراني ابن أبي الحواري فقال : « خالفْ نفسَك في كل مراداتها فإنها الأمّارة بالسُّوء ، وإياك أن تحقر إخوانك المسلمين ، واجعل طاعة الله دثارًا ، والخوفَ منه شعارًا ، والإخلاص له زادًا ، والصدق حسنة ، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ، ولا تفارقْها ، ولا تغفل عنها : مَن استحيا مِن الله في كلِّ أوقاته وأحواله وأفعاله، بلَّغه الله إلى مقام الأولياء من عباده»[٣].

ونختم بقول القائل ونصْحه الذي يُعلي الهِمَمَ : « لا تقنع بالشَّرف التالد ؛ فذاك الشرف للوالد ، واضممْ إلى التالد طريفًا ، حتى تكون بهما شريفًا ، ولا تُدلِ لشرف أبيك ، ما لم تدُلَّ عليه بشرفٍ فيك » .

---

(١) الحلية ١٠ / ١١٧ .
(٢) الحلية ٥ / ٣١٨ .
(٣) البداية والنهاية ، نقلًا عن أقوال مأثورة وكلمات جميلةٍ ، للدكتور محمد لطفي الصبَّاغ ، صـ ٨٢ - المكتب الإسلامي .

الثاني والثلاثون : ذكْرُ الجنَّة والنار دَوَامًا وجعْلُهما نصْب العيْن :

وهذا السبب من أهم الأسباب لعلوِّ الهمة .. فالحياة الباقية هي الحيوان ، وهي الربْح والخُسْر.. هناك حيث يبلغ الإنسان أقصىٰ الكمال المقدَّر له ، أو يرتكس فتُهدَر آدميَّته ، وينتهي إلى أن يكون حَجَرًا في القيمة ، ودون الحجر في الراحة ، ﴿ **يوم ينظر المرء ما قدَّمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنتُ ترابًا** ﴾ [النبأ : ٤٠] .

والجنة بلاد الأفراح ، وسلوة الأحزان ، ومحطُّ رحال المؤمنين ، والنفْس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهوِّن عليها الصِّعاب ويذلِّل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق .

فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقَّة العمل ، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنَّة عرضها السماوات والأرض ، ثم إن النفْس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي .

وكان النبي ﷺ يستخدم ذكْر الجنة في تثبيت أصحابه ، ففي الحديث الحسن الصحيح: مرَّ رسول الله ﷺ بياسر وعمَّار وأمّ عمّار وهم يُؤذَوْن في الله تعالى ، فقال لهم : « صبرًا آل ياسر ؛ فإن موعدكم الجنة »[(١)(٢)] .

وذكْرُ الجنة والنار وجعْلُهما نُصْب العين يدفع إلى علوِّ الهمم :

أما تنظر قول رسول الله ﷺ : « ما رأيتُ مثل النار نام هارِبُها ، ولا مِثْلَ الجنة نام طالبها !! »[(٣)] .

---

(١) وسائل الثبات على دين الله ، للمنجد صـ ٣٥ - ٣٦ .

(٢) حسن صحيح : رواه الحاكم ٣ / ٣٨٣ ، وهو حديث حسن صحيح ، انظر تخريجه في فقه السيرة ، تحقيق : المحدِّث الألباني صـ ١٠٣ .

(٣) حسن : أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ، والطبراني في الأوسط عن أنس ، وحسَّنه الألباني في الصحيحة رقم ٩٥٣ .

وقد مرّ بك علوّ الهمة في الشوق إلى الجنة ، وكيف أن ذكْر الجنة جعَل الرجال يأتون بالأعاجيب : أنس بن النضر ، وجعفر الطيَّار ، وحرام بن ملحان ، وعُمير بن الحمام ، وعبد الله بن رواحة .. وإذا تذكَّر الإنسان تفاوُت الدرجات في الجنَّة وعِظَمه وأيقن بهذا؛ تعلو همته لنيْل أعلى الدرجات والقرب من رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : « إنَّ أهل الجنة لَيتراءون أهلَ الغرف في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء »[1] .

وقال ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدُّرِّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ؛ لتفاضُل ما بينهم »[2] .

وقال ﷺ : « إن أهل الدرجات العُلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما »[3] ، فحوْل الجنَّة يدندن مَنْ سمتْ به همَّته .

وذكر النار والخوف منها شحَذ الهمم ونَصَب الأبدان وأذبل الأرواح ؛ خوفًا منها :

ومرّ بنا خوْف الربيع بن خثيم ، وطاووس ، وقبلهما شداد بن أوس ، وبعدهما محمد بن المنكدر ، وعلي بن الفضيل وسفيان وعبد الله بن المبارك ، والفضيل،ومنصور بن المعتمر، وكيف أن خوْف النار حال بينهم وبين الراحة، فسهروا الدياجي وتهجَّدوا لله في ظلماتها خوفًا من نارها .

---

(١) رواه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد .

(٢) رواه أحمد والشيخان عن أبي سعيد ، والترمذي عن أبي هريرة .

(٣) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد ، والطبراني في الكبير عن جابر بن سمرة ، وابن عساكر عن ابن عمرو وعن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٠٣٠ .

فرحم الله أقوامًا صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقة بالملأ الأعلى ، إذا مروا بآية فيها ذكْر الجنة فكأنهم فيها منعَّمين ، وإذا مرُّوا بآية فيها ذكر النار فكأنَّ زفير النار وشهيقها في آصال آذانهم .

الثالث والثلاثون وهو الأخير والأجَلُّ والأعظمُ والخطير الذي ليس له نظير : جعْلُ الهمِّ همًّا واحدًا وجعْله في الله تعالى :

مَن جعَل الهمَّ همًّا واحدًا وجعله في الله، «لا يزال الله يرقِّيه طبقًا بعد طبق ومنزلًا بعد منزل ، إلى أن يوصله إليه ، ويُمكِّن له بين يديه .. والسعيد كل السعيد ، والموفَّق كلّ الموفَّق : مَن لم يلتفت عن ربِّه تبارك وتعالى يمينًا ولا شمالًا ، ولا اتَّخذ سواه ربًّا ولا وكيلًا ، ولا حبيبًا ولا مدبرًا ، ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا .

فإن استمرَّ على حاله واقفًا بباب مولاه لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالًا ، ولا يجيب غير مَن يدعوه إليه - رُجيَ له أن يستغرق قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور أنوار الوجود الحقِّ ، فيبقى قلبه سابحًا في بحْرٍ من أنوار آثار الجلال ، فتنبع الأنوار من باطنه ، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنَّه في باطنه وقلبه ، ويجد قلبه عاليًا على ذلك كله ، صاعدًا إلى مَن ليس فوقه شيء ، ثم يرقيه الله سبحانه ، فيُشْهِدُه أنوار الإكرام بعدما شهد أنوار الجلال ، فيستغرق في نور من أنوار أشعَّة الجمال، وفي هذا المشهد يذوق المحبَّة الخاصَّة المُلهبة للأرواح والقلوب ، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليِّه ، ممتَحنًا بحبِّه .

فيا له من قلب ممتحن مغمور ، مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأحَدي ، والناس مفتونون ممتحنون ، بما يفنى من المال والصُّور والرياسة ، معذَّبون بذلك قبل حصوله ، وحال حصوله ، وبعد حصوله ، وأعلاهم مرتبة مَن يكون مفتونًا بالحُور العين ، أو عاملًا على تمتُّعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس والنكاح ، وهذا المحبُّ قد ترقَّى في درجات المحبَّة على أهل المقامات ، ينظرون إليه في الجنَّة كما ينظرون إلى الكوكب الدُّري الغابر في الأفق ؛ لعلوِّ

درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيَّته معه ، فإن المرء مع من أحبَّ ، ولكلِّ عمل جزاء، وجزاء المحبَّة: المحبَّةُ والوصول والاصطناع والقرب، فهذا هو الذي يصلح ، وكفى بذلك شرفًا وفخرًا في عاجل الدنيا ، فما ظنُّك بمقاماتهم العالية عند مليكٍ مقتدر »[1] .

ولله درُّ ابن القيم حيث يقول : « إن الله سبحانه أبىٰ أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه ، وهمَّته متعلّقة بغيره ، وإنما يُودع ذخائره في قلب يرىٰ الفقر غنًى مع الله ، والغنى فقرًا دون الله، والعزَّ ذلًّا دونه، والذّل عزًّا معه، والنعيم عذابًا دونه ، والعذاب نعيمًا معه ، فلا يرىٰ الحياة إلا به ومعه ، والموت والألم ، والهمَّ والغم والحزن ، إذا لم يكن معه ؛ فهذا له جنتان : جنة في الدنيا معجَّلة ، وجنة يوم القيامة .

ولله ما أحلاه ! عكوف القلب على الله عز وجل وحده كعكوف البدن في المسجد لا يفارقه !! وإن كانت الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ، فكيف تدخل محبة الله عز وجل قلبًا مُلِئ بالصُّور والأغيار ؟!

أردناكم صِرْفًا فلمَّا مُزِجتمُ بعُدْتمْ بمقدارِ التفاتكُمُ عنَّا
وقلنا لكم: لا تُسكِنوا القلبَ غيرَنا فأسكنتُمُ الأغيارَ ما أنتمُ منَّا

ومَن لم يعكُف قلبُه على الله وحده ؛ عكف على التماثيل المتنوِّعة ، كما قال إمامُ الحنفاء لقومه : ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ [الأنبياء : ٥٢] ؛ فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف ، فكان حظُّ قومه العكوف على التماثيل ، وكان حظّه العكوف على الربِّ الجليل »[2] .

« فيا حسرةَ المحِبِّ الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بَخسٍ ، وشهوة عاجلة، ذهبت لذَّتها، وبقيت تَبِعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرَّتها،

---

(١) مدارج السالكين ٣ / ٣٨١ ، ٣٨٢ بتصرُّف .
(٢) الفوائد صـ ٢٥٥ - ٢٥٦ بتصرف .

فذهبت الشهوة ، وبقيت الشقوة ، وزالت النشوة ، وبقيت الحسْرة !!

فواحسرتاه لصبٍّ جُمع له بين الحسرتين: حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم ، وحسرة ما يقاسيه من النصَب في العذاب الأليم !! فهناك يعلم المخدوع أيّ بضاعةٍ أضاع ، وأن من كان مالِك رِقّه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع .

فأيُّ مصيبة أعظم من مصيبة مَلِكٍ أُنزل عن سرير ملْكه، وجعِلَ لِمَن لا يصلح أن يكون مملوكَه أسيرًا ، وجُعِلَ تحت أوامره ونواهيه مقهورًا ؟! فلو رأيتَ قلبه وهو في يد محبوبه ، لرأيته :

كعصفورةٍ في كفِّ طفل يسومها حياضَ الرَّدىٰ والطفلُ يلهُو ويلعبُ

ولو شاهدتَ حالَهُ وعيْشَهُ ؛ لقلتَ :

وما في الأرض أشقى من مُحِبٍّ وإنْ وجد الهوى حُلوَ المذاقِ
تراهُ باكيًا في كلِّ حينٍ مخافة فرْقةٍ أو لاشتياقِ
فيبكي إن نأوْا شوقًا إليهمْ ويبكي إن دَنَوْا حذَرَ الفِراقِ

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا المَلِك المطاعَ لمن يسومه سوء العذاب، ويُوقع بينه وبين وليِّه ومولاه الحقِّ الذي لا غناء له عنه ولا بد له منه- أعظمَ الحجاب؟! فالمحبُّ بمَن أحبَّه قتيل، وهو له عبد خاضع ذليل؛ إنْ دعاه لبَّاه، وإنْ قيل له: ما تتمنّى؟ فهو غاية ما يتمنّاه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيقٌ به أن لا يُمَلِّك رِقَّه إلّا لأجَلِّ حبيب،وأن لا يبيع نصيبه منه بأخسِّ نصيب». اهـ[1] .

فواحسرتاه على بصيرة شاهدت هاتيْن الحياتيْن على ما هما عليه ، وعلى همَّة تُؤْثِر الأدنى على الأعلى ، وما ذاك إلا بتوفيق مَن أزِمَّة الأمور بيديه ، ومنه ابتداء كلِّ شيء وانتهاؤه إليه ؛ أقْعَدَ نفوسَ مَن غلبتْ عليهم الشقاوة عن السفر إلى ربهم وهذه الدار وأطيب الجوار ، وجَذَب قلوب من سَبَقتْ لهم منه الحُسنىٰ ، فأقامهم في الطريق ، وجعَل همَّهم واحدًا وجعَله فيه ، وسهَّل عليهم

---

(١) من إغاثة اللهفان .

ركوب الأخطار. فأضاع أولئك مراحل أعمارهم مع المتخلِّفين، وقطع هؤلاء مراحل أعمارهم مع السائرين ، وعُقدت الغَبَرة وثار العَجَاج ، فتوارى عنه السائرون والمتخلفون، وسينجلي عن قريب، فيفوز العاملون ويخسر المبطلون.

أخي ، الهمَّة العَليَّة لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء :

١ - تعرُّفٌ لصفةٍ من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبَّة وإرادة .

٢ - وملاحظة لمنَّة تزداد بملاحظتها شكرًا وطاعة .

٣ - وتذكُّرٌ لذنبٍ تزداد بتذكُّره توبة وخشية .

فإذا تعلَّقت الهمَّة بسوىٰ هذه الثلاثة؛ جالت في أودية الوساوس والخطرات ، فاجعلِ القلب منك جَوَّالًا وسابحًا في بُحور الأسماء والصفات .

فيا صاحبي قِفْ بي مع الحقِّ وقفةً ... أموتُ بها وجْدًا وأحيا بها وجْدا
وقلْ لملوك الأرض تجهدُ جهْدَها ... فذا المُلْكُ مُلْكٌ لا يُباع ولا يُهْدىٰ

يا هذا ، عندك بضائع نفيسة .. دموع ودماء ، أنفاس وحركات ، وكلمات ونظرات ، فلا تبذلها فيما لا قدْر له .

أيصلح أن تبكي لفقْد ما لا يبقى ؟ أو تتنفس أسَفًا علىٰ ما يفنى ؟ أو تبذل مهْجةً لصورةٍ عمَّا قليل تمحىٰ ؟

لا وألف لا ... بل وجِيبُ القلب وخفَقانه لمن له نُعوت الجمال والجلال والكمال .

قومٌ تخلَّلهُمْ زهْوٌ بسيِّدهِمْ ... والعبدُ يزهو على مقدار مولاهُ
تاهُوا بهِ عمَّنْ سواهُ لهُ ... يا حسْنَ رؤيتهم في حُسْن ما تاهوا

* * *



* الخاتِمَـــــــة *

« بعتُكُمْ أغلىٰ الملْكِ ، فلا تنسوْني غدًا لكرامةِ الدلّال »



□ الخاتمـة □

أخي ، لتكنْ لك همَّة تنطح الثريَّا .

« إذا أُعطي العبد همّة كبرىٰ ؛ ارتحلت به في دروب الفضائل، وصعِدتْ به في درجات المعالي .

ومن سجايا الإسلام التحلِّي بِكبَر الهمَّة وجلالةِ المقصود ، وسموٍّ الهدف وعظمة الغاية.فالهمَّة هي مركز السالب والموجب في شخصك ، الرقيب على جوارحك ، وهي الوقود الحِسّي والطاقة الملتهبة ، التي تمدُّ صاحبَها بالوُثوب إلى المعالي ، والمسابقة إلى المحامد . وكِبَرُ الهمَّة يجلب لك – بإذن الله – خيرًا غيرَ مجذوذٍ ؛ لترقى إلى درجات الكمال ، فيُجري في عروقك دمَ الشهامة ، والركْض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمَّات الأمور ، تُنافس الروَّاد في الفضائل ، وتزاحم السَّادة في المزايا ، لا ترضىٰ بالدُّون ، ولا تقف في الأخير ، ولا تقبل بالأقل .

والتحلي بالهمة؛بها يُسلَب منك سفاسف الآمال والأعمال ، ويُجتثُّ منك شجرةُ الذلِّ والهوان ، والتملُّق والمداهنة .

فكبير الهمَّة ثابت الجأْش لا ترهبه المواقف ، وفاقدها جبان رِعْديد ، تُغلِقُ فمَه الفهاهةُ .

ولا تغلطْ فتخلط بين كِبَر الهمة والكِبْر ؛ فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرَّجْع والأرض ذات الصَّدع ، فكِبَر الهمة تاجٌ على مَفْرِق القلب الحرِّ المثالي ، يسعىٰ به دائمًا وأبدًا إلى الطهر والقداسة والزيادة والفضل ، فكبير الهمة يتلمَّظ على ما فاته من محاسن ، ويتحسَّر على ما فقده من مآثر ، فهو في حنين مستمر ، ونَهَمٍ دؤوب ، للوصول إلى الغاية والنهاية .

كِبَرُ الهمَّة حِلْيةُ ورثةِ الأنبياء ، والكِبْر داءُ المرضىٰ بعلَّة الجبابرة البؤساء .

فكِبَر الهمَّة تصعد بصاحبها أبدًا إلى الرُّقيّ ، والكِبْرُ يهبط به دائمًا إلى الحضيض .

فيا طالب العلم ، ارسمْ لنفسك كِبَر الهمة، ولا تنفلت منها، وقد أومأ الشرع إليها في فقهيَّاتٍ تلابِس حياتك ؛ لتكون دائمًا على يقظة من اغتنامها ، ومنها : إباحة التيمُّم للمكلَّف عند فقْد الماء، وعدم إلزامه بقبول هِبَة ثمن الماء للوضوء؛ لما في ذلك من المِنَّة التي تَنال من الهمة منالًا .. وعلى هذا فقسْ .

همَمٌ كأنَّ الشمسَ تخطبُ وُدَّها والبدرَ يرسم في سَناها أحرُفَا

فالله الله في الاهتمام بالهمة ، وسَلَّ سيْفها في غمرات الحياة .

هوَ الجدُّ حتَّى تفضُلَ العيْنُ أُختَها وحتَّى يكونَ اليوم لليوم سيِّدا »[1]

يا ابن الإسلام .. ويا عالي الهمة :

فأَطلِقْ لـرُوحكَ إشراقَهـا ترى الفجر يرمقنا من بعيد

وقلْ لكلِّ حاقدٍ- صليبيٍّ أو يهوديٍّ أو علماني-: اخسأ؛ فلن تعدوَ قدْرَك.

لا تهيِّءْ كفني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيقُ وعهْدُ

واهدِرْ بصوتك مجلجِلًا يُصِمُّ آذانهم :

أناضِلُ عن دينٍ عظيمٍ وهبتُهُ عطاءَ مُقِلٍّ مهجتي وحياتيا
ومُمتثِلٍ لله أسْلَمَ وجهَـهُ يقولُ أنا وحدي سأحمي دينيا
بظهري ببطني بالذِّراع بمقلتي بجنبي بعظْم الصَّدْر حتى التَّراقيا
تأخَّرْتُ دهرًا باللَّذائذ والمُنَى ومِن حذَر الدنيا وخوْف العواديا
فلمْ أرَ يومًا كالتقدُّم لذَّةً ولم أرَ عيْشا كالتقدُّم هانيا
على ذروةِ التوحيدِ تخفقُ رايتي وتحتَ روابيها تصبُّ دمائيا

وعلى الذرا .. ومنارات الدنيا؛ردِّدْ للكون نداءك : « ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار » .

(١) لا تحزن ، لعائض القرني صـ ٢٨٦ - ٢٨٧ .

لإسلامي ولو حتَّى إلى الجدران شدُّوني
لإسلامي ولو حتَّى إلى النيران زفُّوني
لإسلامي لإسلامـي ولو في السُّوقِ باعوني
وإسلامي له نبضي له عِرقي وتكويني
وثـارات لإسلامـي تُعايشني تغذِّينـي
تبثُّ النور في رُوحي وتنبِض في شراييني

أخي :

قد أطلْتُ عليك .. وأسهبتُ في بعض المواطن واستطردتُ ، ولعلَّ لي عذري .. وتركتُ فصولًا أخرى لطبعات تالية ..

أخي القارئ :

هذا جمعي ، لك غُنْمُه وعليَّ غُرْمُه ، لك ثمرتُه وعليّ تبعتُه ؛ فما وجدت فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقبله ولا تلتفتْ إلى قائله،وما وجدت فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهدَ الإصابة ، ويعلم الله أنه أخذ من لحمي ودمي ، ويأبىٰ الله إلا أن يتفرَّد بالكمال ، كما قيل :

والنقصُ في أصل الطبيعةِ كامنٌ فبنو الطبيعة نقصُهم لا يُجحَدُ

وكيف يُعصَم من الخطأ من خُلِق ظلومًا جهولًا ؟!!

ومن الفأل الحسَن لهذا الكتاب – وأسأل الله بكرمه أن يضع له القبول في الأرض – أن أكتبَ مقدِّمته في الروضة النبويَّة بالمسجد النبوي ، وأن أختمه ولله الحمد وأضع القلم فراغًا منه لأذهب لأفضل الصلوات ؛ قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة »[1] .

---

(١) صحيح : رواه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٥٦٦ .

وأختم كتابي بهذا الدعاء علَّه يناسِب « علو الهمة » .

* **اللَّهُمَّ** يا وارِثَ الأرضِ ومَنْ عليها ، ويا باعِثَ جميعِ مَن فيها ، ورِّثْ أمَلي فيكَ مُنىٰ أمَلِي ، وبلِّغْ همِّي فيك مُنْتهىٰ وسائلي .

* **اللَّهُمَّ** متِّعْ أبصارنا بالجَوَلانِ في جَلالِكَ ، وسهِّرْنا عمَّا نامتْ عنهُ عُيون الغافلين .

* **اللَّهُمَّ** اجعلْنا من الذين لخدمتكَ في أقطار الأرض لهمْ طُلَّابًا، ولخصائص أصفيائك أصحابًا ، وللمعتكفين ببابك أحبابًا .

* **اللَّهُمَّ** اجعلْنا ممَّن بذلوا المجهود في طلب مرضاتكَ ، وانصرفتْ عن خلْقك إليك همومُهمْ ، وأنِسَتْ وطابتْ بالخلوَة فيك نفوسُهم ، ولا يسعَوْن في طاعتك إلَّا ركْضًا .

* **اللَّهُمَّ** سُقْنا إلى أقصىٰ مرادِكَ درجةً درجةً، واسلُكْ بنا منازِلَ أصفيائك منزلةً منزلةً ، واكشفْ لنا عنْ مكنون علْمك حجابًا حجابًا حتى نتنزَّه في بساتينِ نشْر آلائِكَ ، ونرتوي من غدْران ذكْر نَعْمائِك .. ارددْ أبصارَنا وبصائرنا بطُرَفِ الفوائد ، وامددْها بتُحَف الزوائد ، واجعلِ العيونَ منا فوَّارة بالعَبَرات ، والصدورَ منَّا محشوَّة بالحرقات .

* **اللَّهُمَّ** إني أسأَلُك منك ما هو لكَ ، وأستعيذك مِن كلِّ أمْرٍ يُسخِطكَ .

* **اللَّهُمَّ** إني أسألك من صفاء الصفاءِ صفاء أنال به منك شرَفَ العطاء .

* **اللَّهُمَّ** ولا تشغلْني شغْلَ مَن شغَلَهُ عنك ما أراد منك، إلا أن يكون لكَ.

* **اللَّهُمَّ** اجعلْني ممَّن يذكرك ذكْر مَن لا يريد بذكْره منك إلا ما هو لك.

* **اللَّهُمَّ** اجعلْ غاية قصدي إليك ما أطلُبُه منك .

* **اللَّهُمَّ** املأ قلبي بك فرحًا،ولساني لك ذكْرًا، وجوارحي فيما يُرضيك شغلًا .

* **اللَّهُمَّ** امحُ عن قلبي كلَّ ذكْرٍ إلا ذكْرَكَ ، وكلَّ حُبٍّ إلَّا حُبَّك، وكلَّ وُدٍّ إلَّا وُدَّك ، وكلَّ إجلالٍ إلَّا إجلالَكَ،وكلَّ تعظيمٍ إلا تعظيمك .
* **اللَّهُمَّ** اجعلْ سؤالي لك سؤال محابِّك ، ولا تجعلني ممَّن يتعمَّد بسؤاله مواضِع الحظوظ ، بل يسألُ القيامَ بواجب حقِّك .
* **اللَّهُمَّ** اعصمْنا فيما بقي من الأعمار إلى منتهى الآجال ، عصْمةً دائمة كاملة تامَّة ، وكرِّهْ إلينا كلَّ الذي تكْرَه ، وحبِّبْ إلينا كلَّ الذي ترضاه وتحبُّه ،واستعمِلْنا به على النحو الذي تحبُّ ، وأدِمْ ذلك لنا إلى أن تتوفَّانا عليه ،أكِّدْ على ذلك عزائمنا ، واشددْ على ذلك نيَّاتِنا ، وأصلح لها سرائرنا ، وابعثْ لها جوارِحَنا ، وكنْ وليَّ توفيقِنا وزيادتنا وكفايتنا .
* **اللَّهُمَّ** هبْ لنا ما وهبتَ لصفوتكَ وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكْر لك ، وخالص العمَل لوجْهِك ، على أكمله وأدْوَمه ، وأصفاهُ وأحبِّه إليك ، وأعِنَّا على الفعْل بذلك إلى منتهى الآجال .
* « **اللَّهُمَّ** اجعلْ في قلبي نورًا ، وفي لساني نورًا ، وفي بصري نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وعن يميني نورًا ، وعن يساري نورًا ، ومن فوقي نورًا ، ومن تحتي نورًا ، ومن أمامي نورًا ، ومن خلفي نورًا ، واجعل لي في نفسي نورًا ، وأعْظِمْ لي نورًا »[١] .

وأخيرًا وليس آخرًا إلى إخواني القرَّاء :

أناشدُ الله مَن قرأ هذا الكتاب وانتفعَ به ، أن يسأل الله سبحانه أن يجعلني من العلماء الربانيِّين، وأن يرزقني شهادة في سبيله، وموتًا في بلد رسوله ﷺ.
كما أُناشدكم الله أن تدعوا لابنتَيَّ [سمية وفاطمة] بالصلاح والفلاح

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس .

والطهر والعفاف، وأن يجعلهما الله من القانتات التائبات العابدات، الحافظات للغيب بما حفِظ الله .

* * *

وكتبـه حامدًا ومصلّيًا

الفقير إلى رحمة ربه

السيد بن حسين العفّاني[1]

جمهورية مصر العربية – محافظة بني سويف – مركز بني سويف ، قرية بني عفّان

صندوق بريد رقم [١٢٣]

الدكتور : السيد بن حسين بن عبد الله

ت : ٠٨٢ / ٤٩٢٥٢٢

٠٨٢ / ٤٩٢٥١٢

(١) لمن أراد أن يراسلني لمعرفة رأيه في الكتاب ؛فرحم الله امرأً أهدى إلي عُيوبي .

الفهـــــارس

أولًا : فهرس الأحاديث .

ثانيًا : فهرس المصادر والمراجع .

ثالثًا : فهرس الموضوعات .



□ أولًا : فهــرس الأحاديث □

[حرف الألف]

[المعرَّف بالألف واللَّام]

[حرف البـاء]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف التاء]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الثاء]

[حرف الجيم]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الحاء]

[المعرَّف بالألف واللام]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الخاء]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الذال]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الراء]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف الزاي]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف السين]

[المعرَّف بالألف واللام]

[حرف العين]

[حرف الغين]

[حرف الفاء]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف القاف]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف الكاف]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف اللام]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف النون]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف الهاء]

[حرف الواو]

[المعرف بالألف واللام]

[حرف اللام ألف]

[المعرف بالألف واللام]

* * *

تمَّ بحمد الله تعالى فهرس الأحاديث

□ ثانيًا : فهرس المراجع □

[أ - التفسير]

١ - **تفسير الطبري.** لابن جرير الطبري- مطبعة: مصطفى البابي الحلبي.
٢ - **تفسير الطبري** . لابن جرير - طبع دار المعارف - تحقيق : محمود شاكر وأحمد شاكر .
٣ - **تفسير القرطبي** . للإمام القرطبي - كتاب الشعب .
٤ - **تفسير ابن كثير** . للحافظ ابن كثير - كتاب الشعب .
٥ - **زاد المسير** . ابن الجوزي - المكتب الإسلامي .
٦ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم** . للعلَّامة الألوسي - دار الفكر .
٧ - **أضواء البيان** . للشّنقيطي - مكتبة ابن تيمية .
٨ - **لطائف الإشارات.** لعبد الكريم القُشيْري- طبع: دار الكاتب العربي.
٩ - **بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز** . للفيروزآبادي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
١٠ - **نظم الدرر** . للبقاعي - دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .
١١ - **في ظلال القرآن** . سيد قطب - دار الشروق .
١٢ - **التسْهيل لعلوم التنزيل** . لأبي القاسم الغرْناطي .
١٣ - **الكشّاف** . للزمخشري .
١٤ - **محاسن التأويل** . للقاسمي .
١٥ - **مفاتيح الغيب** . للفخر الرازي .
١٦ - **مختصر تفسير ابن كثير** : لمحمد نسيب الرفاعي - المكتب الإسلامي .
١٧ - **أحكام القرآن** . لابن العربي .

١٨ - **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم** . جمْع: يسري السيد محمد - دار ابن الجوزي .
١٩ - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** . لمحمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث .
٢٠ - **تفسير البحر المحيط** . لأبي حيَّان التوحيدي .
٢١ - **تفسير ابن أبي حاتم** . ابن أبي حاتم .
٢٢ - **تيسير الكريم المنان** . لعبد الرحمن بن ناصر السعدي .
٢٣ - **التفسير والمفسرون** . للدكتور محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة .

[ب - السنة]

٢٤ - **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. للحافظ ابن حجر العسْقلاني- طبعة السلفية .
٢٥ - **شرح مسلم للنووي** . للإمام محيي الدين النووي - دار الشعب .
٢٦ - **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**. طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٢٧ - **صحيح سنن الترمذي**. للألباني- مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٢٨ - **صحيح سنن أبي داود**. للألباني- مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٢٩ - **صحيح سنن النسائي** . للألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج .
٣٠ - **صحيح سنن ابن ماجه**. للألباني- مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٣١ - **مسند أحمد بن حنبل**. تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر- طبع دار المعارف.
٣٢ - **الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري**. للشيخ الساعاتي - دار إحياء التراث العربي .
٣٣ - **أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل**. للإمام ابن حجر العسقلاني- تحقيق : د / زهير الناصر - دار ابن كثير .
٣٤ - **المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد**. عبد الله ناصر عبد الرشيد - دار طيبة .

٣٥ - **صحيح ابن خزيمة** . تحقيق د / مصطفى الأعظمي والألباني - المكتب الإسلامي .
٣٦ - **مجمع الزوائد** . للهيثمي - مكتبة القدسي .
٣٧ - **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. لابن حجر العسقلاني- المكتب الإسلامي.
٣٨ - **صحيح الترغيب والترهيب** . للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي .
٣٩ - **صحيح الجامع الصغير** . للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي .
٤٠ - **فيض القدير** . للمناوي .
٤١ - **مشكاة المصابيح**. للتبريزي- تحقيق: الشيخ الألباني- المكتب الإسلامي.
٤٢ - **السلسلة الصحيحة** . للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي .
٤٣ - **إرواء الغليل** . للشيخ الألباني -المكتب الإسلامي .
٤٤ - **تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة** . للألباني - المكتب الإسلامي .
٤٥ - « **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** » . للألباني - المكتب الإسلامي.
٤٦ - **آداب الزفاف في السنة المطهرة**. للألباني- المكتبة الإسلامية- عمان.
٤٧ - **شرح السنة**. للإمام البغوي- تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش- المكتب الإسلامي .
٤٨ - **المستدرك** . للحاكم .
٤٩ - **المُصنَّف** . لعبد الرزَّاق الصَّنعاني .
٥٠ - **المُصنَّف** . لابن أبي شيبة - طبع الهند .
٥١ - **السنن الكبرى** . للبيهقي .
٥٢ - **المعْجم الكبير**. للطبراني- تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي - وزارة الأوقاف العراقية .
٥٣ - **المعْجم الأوسط** . للطبراني - طبع دار الحرمين .
٥٤ - **مختصر الشمائل المحمدية** . للألباني .

٥٥ - **صحيح الأدب المفرد** . للألباني .
٥٦ - **معرفة السنن والآثار** . للبيهقي .
٥٧ - **مشكل الآثار** . للطحاوي .
٥٨ - **الجامع لشعب الإيمان** . للبيهقي - الطبعة الهندية .
٥٩ - **جامع الأصول** . لابن الأثير - دار الفكر .
٦٠ - **المختارة** . للضياء المقدسي .
٦١ - **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** . علاء الدين بن بلبان - تحقيق : شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة .
٦٢ - **مسند أبي يعلى الموصلي** . أبو يعلى الموصلي - تحقيق : حسين سليم أسد - دار المأمون .
٦٣ - **مسند الشاميين** . للطبراني - تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي .
٦٤ - **الجرح والتعديل** . لابن أبي حاتم الرازي - طبع الهند .
٦٥ - **الرحلة في طلب الحديث** . للخطيب البغدادي - تحقيق : نور الدين عتر - دار الكتب العلمية .
٦٦ - **تذكرة الحفاظ** . للذهبي .
٦٧ - **المعرفة والتاريخ** . للفسوي .
٦٨ - **النهاية في غريب الحديث والأثر** . ابن الأثير .
٦٩ - **شرح الألفية** . للعراقي .
٧٠ - **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** .للسخاوي .
٧١ - **الكفاية في علم الرواية** .للخطيب البغدادي .
٧٢ - **شرف أصحاب الحديث** . للخطيب البغدادي .
٧٣ - **قواعد التحديث** . للقاسمي - تحقيق : محمد بهجة البيطار - طبع عيسى الحلبي .
٧٤ - **العلل ومعرفة الرجال** . للإمام أحمد بن حنبل .

٧٥ - **المحدِّث الفاصل** . للرامهرمزي .
٧٦ - **تهذيب الكمال** . للمزِّي .
٧٧ - **وفيات الأعيان** . لابن خلكان .
٧٨ - **فوات الوفيات** . لابن شاكر الكتْبي .
٧٩ - **تهذيب التهذيب** . لابن حجر العسقلاني .
٨٠ - **لسان الميزان** . لابن حجر العسْقلاني .
٨١ - **أخبار أصبهان** . لأبي نعيم الأصبهاني .
٨٢ - **الأنساب** . للسمعاني .
٨٣ - **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** . للخطيب البغدادي .
٨٤ - **معرفة علوم الحديث** . للحاكم .
٨٥ - **ميزان الاعتدال** . للذهبي .
٨٦ - **المعجم المفهرس لأطراف الأحاديث التي خرجها الألباني** . سليم الهلالي - دار ابن الجوزي .
٨٧ - **السُّنن** . لسعيد بن منصور .
٨٨ - **فضائل الصحابة** . لأحمد بن حنبل .
٨٩ - **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**. للحافظ المزِّي- المكتب الإسلامي.
٩٠ - **السُّنة**. لابن أبي عاصم - تحقيق: الألباني - المكتب الإسلامي .
٩١ - **كنز العمال** .
٩٢ - **تدريب الراوي** . للسيوطي .
٩٣ - **اختصار علوم الحديث** . لابن كثير .
٩٤ - **نُزْهة النظر شرح نخبة الفكر** . ابن حجر العسْقلاني .
٩٥ - **المسْتجاد من فعلات الأجواد** . الدارقطني - تحقيق: محمود حدَّاد .
٩٦ - **الموطَّأ** . لمالك بن أنس - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٩٧ - **ضعيف الجامع الصغير** . للألباني- المكتب الإسلامي.

٩٨ - **الثقات** . لابن حبَّان .
٩٩ - **الكَلِمُ الطيب** . لابن تيمية - تحقيق : الألباني.
١٠٠- **التعليقة الأمينة في طرق حديث : « اللهم أحيني مسكينًا »** . لعلي حسن عبد الحميد - مكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة .
١٠١- **الفتوحات الرَّبانية على الأذكار النووية** . لابن علان .
١٠٢- **مختصر العلو** . الذهبي - الألباني - المكتب الإسلامي .
١٠٣- **الإلماع** . للقاضي عياض .
١٠٤- **صحيح كتاب الأذكار وضعيفه** . سليم الهلالي .
١٠٥- **فقه السيرة** . للبوطي- تخريج الألباني .

[ج - الفقه وأصوله]

١٠٦ -**المجموع (شافعي)** . للنووي - طبعة المطيعي .
١٠٧- **روضة الطالبين (شافعي)** . للنووي - المكتب الإسلامي .
١٠٨- **فقه السنة (مقارن)** . سيد سابق - طبع الفتح للإعلام العربي - الطبعة العاشرة .
١٠٩- **مجموع فتاوى ابن تيمية** - مكتبة ابن تيمية .
١١٠- **الأم** . للشافعي .
١١١- **المغني** . لابن قدامة (حنبلي) .
١١٢- **نيل الأوطار** . للشوكاني - دار الحديث .
١١٣- **فتح القدير** . لابن الهمام . (حنفي) .
١١٤- **إعلام الموقعين** - ابن القيم - طبعة دار الحديث .
١١٥- **الفقيه والمتفقه** . للخطيب البغدادي .
١١٦- **فتاوى سلطان العلماء** . تحقيق : مصطفى عاشور - مكتبة القرآن .
١١٧- **التمهيد** . لابن عبد البر . (مالكي) .

١١٨- **الاستذكار** . ابن عبد البر . (مالكي) .
١١٩- **معالم القربة** . لابن الإخوة .
١٢٠- **الروض الباسم** . لابن الوزير - طبع دار الإفتاء .
١٢١- **الإيضاح والتبيين** . حمود التويجري .
١٢٢- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير** . للدردير . (مالكي) .
١٢٣- **العدة شرح العمدة** . لبهاء الدين المقدسي . (حنبلي) .
١٢٤- **منار السبيل** . لابن ضويان . (حنبلي) .
١٢٥- **منتهى الإرادات** . لابن النجار . (حنبلي) .
١٢٦- **طرح التثريب في شرح التقريب** . لابن العراقي . (شافعي) .
١٢٧- **الموافقات** . للشاطبي .
١٢٨- **الحسبة** . لابن تيمية .
١٢٩- **المدخل** . لابن الحاج .
١٣٠- **كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء** . لابن القيم .

[د - عقيدة]

١٣١- **الإيمان** . لابن تيمية - تحقيق:الألباني - المكتب الإسلامي .
١٣٢- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** . ابن تيمية .
١٣٣- **تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب** . محمد أحمد إسماعيل - دار طيبة بمكة .
١٣٤- **قطر الولي على حديث الولي** : للشوكاني - طبع دار الكتب الحديثة .
١٣٥- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** . لابن قيم الجوزية - تحقيق : د / علي الدخيل الله - دار العاصمة .
١٣٦- **شرح الطحاوية** . لابن أبي العز الحنفي - تحقيق : الألباني - المكتب الإسلامي .

١٣٧- **التحف في مذاهب السلف** . للشوكاني .
١٣٨- **الاعتصام** . للشاطبي - تحقيق : سليم الهلالي - طبع دار ابن عفان .
١٣٩- **كتاب الرد على الجهمية** . للإمام أحمد .
١٤٠- **إظهار الحق** . للشيخ رحمت الله الهندي - طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .
١٤١- **مناظرة بين الإسلام والنصرانية** - طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .
١٤٢- **أفراخ المعتزلة العصريون** . علي حسن عبد الحميد - طبع مكتبة الغرباء .
١٤٣- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة** . للالكائي .
١٤٤- **القضاء والقدر** . للدكتور عمر سليمان الأشقر - طبع دار النفائس .
١٤٥- **الشريعة** . للآجري .
١٤٦- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية** . لابن بطة .
١٤٧- **الحُجَّة في بيان المَحَجَّة** . لقوّام السنة إسماعيل الأصبهاني - تحقيق : محمد بن ربيع - دار الراية .
١٤٨- **منهج الأشاعرة في العقيدة** . لسفر الحوالي .
١٤٩- **شرح السنة** . للبربهاري - تحقيق : خالد بن قاسم الرداري - مكتبة الغرباء .
١٥٠- **خلق أفعال العباد** . للبخاري .
١٥١- **فضائح الباطنية** . للغزالي .
١٥٢- **مختصر التحفة الاثنى عشرية**. لمحمود شكري الألوسي- المكتبة السلفية.

[هـ - تاريخ وسير وتراجم]

١٥٣- **تاريخ بغداد** . الخطيب البغدادي .

١٥٤- **تاريخ دمشق** . ابن عساكر .

١٥٥- **البداية والنهاية** . ابن كثير - دار الريان للتراث .

١٥٦- **سير أعلام النبلاء** . الذهبي - مؤسسة الرسالة .

١٥٧- **حلية الأولياء** . أبو نعيم الأصبهاني .

١٥٨- **صفة الصفوة** . ابن الجوزي .

١٥٩- **طبقات الشافعية الكبرى**. ابن السبكي- تحقيق: د/عبد الفتاح الحلو.

١٦٠- **تاريخ الإسلام** . للذهبي .

١٦١- **الطبقات الكبرى** . لابن سعد .

١٦٢- **ترتيب المدارك** . للقاضي عياض .

١٦٣- **معرفة القرّاء الكبار**. الذهبي- تحقيق: شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة .

١٦٤- **أخبار القضاة** . لوكيع .

١٦٥- **مناقب الإمام أحمد** . لابن الجوزي .

١٦٦- **مناقب الإمام أبي حنيفة**. للإمام الموفق المكي .

١٦٧- **مناقب الإمام أبي حنيفة** . للذهبي .

١٦٨- **ترجمة الإمام محمد بن الحسن الشيباني** . للذهبي .

١٦٩- شجرة النور الزكية في **طبقات المالكية** . لمحمد مخلوف المالكي .

١٧٠- **توالي التأسيس في مناقب ابن إدريس** . ابن حجر العسقلاني .

١٧١- **مناقب الشافعي**. للبيهقي- تحقيق: السيد أحمد صقر- دار التراث.

١٧٢- **ترجمة الإمام أحمد** . من تاريخ الإسلام - لأحمد محمد شاكر .

١٧٣- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**. لأبي اليمن العُليمي الحنبلي.

١٧٤- **طبقات الحنابلة** . لأبي يعلى الحنبلي .

١٧٥- **ذيل طبقات الحنابلة** . ابن رجب الحنبلي .

١٧٦- **إنباه الرواة على أنباه النحاة** . للقفطي .

١٧٧- **بقي بن مخلد ومقدمة مسنده** . للدكتور أكرم ضياء العمري .

١٧٨- **تاريخ التراث العربي** . لفؤاد سزكين .

١٧٩- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** . لأبي زيد الدباغ .

١٨٠- **المنتظم** . لابن الجوزي .

١٨١- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** . ابن عساكر .

١٨٢- **الذخيرة** . لابن بسَّام .

١٨٣- **غاية النهاية في طبقات القرّاء** . لابن الجزري .

١٨٤- **ذيل تاريخ بغداد** . لابن النجار .

١٨٥- **بغية الوعاة** . للسيوطي .

١٨٦- **العبر** . للذهبي .

١٨٧- **ترجمة الإمام النووي** . للسخاوي - طبع جمعية النشر والتأليف .

١٨٨- **تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين** . لابن العطار - تحقيق : مشهور حسن سلمان .

١٨٩- **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** . للحافظ ابن عبد الهادي - طبع دار الكتب العلمية .

١٩٠- **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية** . للبزار .

١٩١- **الألباني ، آثاره وثناء العلماء عليه** . لمحمد بن إبراهيم الشيباني - الدار السلفية بالكويت .

١٩٢- **ماذا ينقمون من الشيخ** . لمحمد إبراهيم شقرة .

١٩٣- **الممتاز في مناقب ابن باز** . لعائض القرني - دار الصميعي للنشر .

١٩٤- **ابن باز الداعية الإنسان** . طبع مؤسسة عكاظ .

١٩٥- **ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان** . للشيخ السديس - طبع دار الهجرة .

١٩٦- **الفوائد البهية** . للكنوي .

١٩٧- **الضوء اللامع** . للسخاوي .

١٩٨- **إنباء الغمر** . لابن حجر .

١٩٩- **ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره** . لبكر عبد الله أبو زيد .

٢٠٠- **الذهبي ومنهجه في كتابه «تاريخ الإسلام»** . لبشار عوّاد معروف .

٢٠١- **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.** لابن حجر .

٢٠٢- **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** . لابن تغربردي .

٢٠٣- **عبقرية محمد** . لعباس العقاد - دار الكتب الحديثة .

٢٠٤- **خلفاء الرسول** . لخالد محمد خالد - دار الجيل .

٢٠٥- **رجال حول الرسول** . خالد محمد خالد - دار الريان للتراث .

٢٠٦- **الرسول القائد** . محمود شيت خطاب .

٢٠٧- **تاريخ واسط** . لبحشل .

٢٠٨- **أبو حنيفة النعمان.** لوهبي غاوجي . الألباني .

٢٠٩- **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** . لابن الجوزي - تحقيق : د / زينب القاروط - دار الكتب العلمية .

٢١٠- **تاريخ الخلفاء** . للسيوطي - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة .

٢١١- **الرشيد القائد** . لبسام العسيلي - دار النفائس .

٢١٢- **تاريخ الطبري** . ابن جرير الطبري .

٢١٣- **الكامل** . لابن الأثير .

٢١٤- **ملحمة الإسلام في الهند.** للدكتور عدنان النحوي- طبع دار النحوي.

٢١٥- **الرَّوضَتين في أخبار الدولتين** . لشهاب الدين المقدسي - طبع إحياء التراث العربي .

٢١٦- **عيون الروضتين في أخبار الدولتين.** لأبي شامة- طبع وزارة الثقافة السورية.

٢١٧- **خطط الشام** . لمحمد كرد علي .
٢١٨- **مرآة الزمان** . لسبط ابن الجوزي .
٢١٩- **عبد الرحمن الداخل «صقر قريش »** . لبسَّام العسيلي - دار النفائس .
٢٢٠- **عبد الرحمن الناصر** . لبسام العسيلي- دار النفائس .
٢٢١- **تاريخ الحروب الصليبية** . ستيفن نسيمان .
٢٢٢- **البيان المغرب** .
٢٢٣- **نفح الطيب** . للمقَّري .
٢٢٤- **الحاجب المنصور** . لبسام العسيلي - طبع دار النفائس .
٢٢٥- **النظام السياسي والحربي في عصر المرابطين**. للأستاذ إبراهيم حركات.
٢٢٦- **الزلَّاقة** . لشوقي عماد خليل - دار الفكر .
٢٢٧- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. لعبد الواحد المراكشي .
٢٢٨- **الأرْك** . لشوقي عماد خليل - دار الفكر .
٢٢٩- **الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية**. لبسام العسيلي- دار النفائس.
٢٣٠- **معركة شقحب أو معركة مرج الصفر** . د / محمد لطفي الصباغ - المكتب الإسلامي .
٢٣١- **المسلمون في الهند**. لأبي الحسن الندوي- طبع المجمع الإسلامي العالمي بالهند .
٢٣٢- **الدعوة الإسلامية وتطورها في الهند** . للدكتور محيي الدين الألوائي .
٢٣٣- **رحلة الصديق إلى البيت العتيق**. لصديق حسن خان- طبع دار ابن القيم.
٢٣٤- **التاريخ الإسلامي** . لمحمود شاكر - المكتب الإسلامي .
٢٣٥- **القانوني القائد** . لبسام العسيلي - دار النفائس .
٢٣٦- **مناقب عمر بن عبد العزيز** . لابن الجوزي . تحقيق : نعيم زرزور - دار الكتب العلمية .
٢٣٧- **تبصرة الحكام** . لابن فرحون .

٢٣٨-**الرِّياض النضرة في مناقب العشرة.** للمحب الطبري- دار الكتب العلمية.

٢٣٩-كتاب « **تاريخ ولاة مصر وتسمية قضاتها** » . للكندي - مؤسسة الكتب الثقافية .

٢٤٠-**تاريخ قضاة الأندلس** . المكتب التجاري للطباعة والنشر بلبنان .

٢٤١-**محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي.** تقديم: شكيب أرسلان- مكتبة الحياة .

٢٤٢-**فتوح البلدان** . للبلاذري .

٢٤٣-**من أعلام المجددين:** للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان- دار الصميعي.

٢٤٤-**محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث** . لمحمد بهجة الأثري .

٢٤٥-**حسن البنا الداعية الإمام المجدد الشهيد** . أنور الجندي .

٢٤٦-**شاعر الإسلام حسان بن ثابت** . لوليد الأعظمي - مكتبة المنار .

٢٤٧-**سيرة ابن هشام** .

٢٤٨-**الإصابة في تراجم الصحابة** . لابن حجر - دار الكتاب العربي .

٢٤٩-**يوسف العظم شاعر القدس.** للدكتور زكي الشيخ حسين- دار البشير.

٢٥٠-**حياة الصحابة** . للكاندهلوي .

٢٥١-**التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** . د / أحمد شلبي .

٢٥٢-**عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء** . لمحمد محمود إسماعيل - مكتبة القرآن .

٢٥٣-**علماء ومفكرون عرفتهم** . لمحمد المجذوب - دار الاعتصام .

٢٥٤-**فتوح الشام** . للأزدي .

٢٥٥-**الخطط** . للمقريزي .

٢٥٦-**فتوح مصر** . لابن عبد الحكم .

٢٥٧-**تاريخ المسلمين وآثارهم في الهند** . للدكتور السيد عبد العزيز سالم .

٢٥٨- **فتح مكة** . لمحمد أحمد بشاميل .
٢٥٩- **مغازي الواقدي** .
٢٦٠- **مذكرات جولدا مائير** .
٢٦١- **رجل من أمة التوحيد أسلم على يده (٤٠٠٠) من الأجانب** - عبد اللطيف الجوهري - دار الصحوة للنشر .
٢٦٢- **أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن** - كتاب المختار الإسلامي .
٢٦٣- **الحسن البصري** . لابن الجوزي- هدية مجلة الأزهر عدد المحرم سنة ١٤٠٨ هـ .
٢٦٤- **الرّدّ الوافر** . لابن ناصر الدين الدمشقي - المكتب الإسلامي .
٢٦٥- **تاريخ ابن الوردي** .
٢٦٦- **مرآة الجنان** . لليافعي .
٢٦٧- **السمط الثمين** .
٢٦٨- **أعلام النساء** . لعمر رضا كحالة .
٢٦٩- **مناقب الشافعي** . للرازي .
٢٧٠- **رفْع الإصْر عن قضاة مصر** .لابن حجر .
٢٧١- **صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء**. لسليم الهلالي- طبع دار ابن الجوزي .
٢٧٢- **حسن المحاضرة** . للسيوطي .
٢٧٣- **طبقات المفسرين** . للداودي .
٢٧٤ -**قادة فتح الشام ومصر** .للواء الركن محمود شيت خطاب - طبع دار الفكر .
٢٧٥- **الاستيعاب** .لابن عبد البر .
٢٧٦- **أسد الغابة** .
٢٧٧- **تاريخ خليفة بن خيَّاط** .

٢٧٨- **صور من حياة الصحابة** . للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . مؤسسة الرسالة .

٢٧٩- **سلسلة معارك الإسلام الفاصلة** . لمحمد أحمد بشاميل .

٢٨٠- **قادة فتح المغرب العربي** . محمود شيت خطاب - دار الفكر .

٢٨١- **قادة فتح الجزيرة والعراق** . لمحمود شيت خطّاب - دار الفكر .

٢٨٢- **قادة فتح بلاد فارس** .لمحمود شيت خطاب - دار الفكر .

٢٨٣- **الطريق إلى دمشق** . لأحمد عادل كمال - دار النفائس .

٢٨٤- **القادسية** . لأحمد عادل كمال - دار النفائس .

٢٨٥- **القادسية ومعارك العراق** . لمحمد أحمد بشاميل .

٢٨٦- **سقوط المدائن** . أحمد عادل كمال - دار النفائس .

٢٨٧- **فتوح الشام** . للواقدي .

٢٨٨- **الروض الأنف** . للسُّهَيْلي .

٢٨٩- **المغرب في حُلى المغرب** .

٢٩٠- **قتيبة بن مسلم الباهلي** . بسَّام العسيلي - دار النفائس .

٢٩١- **نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء** . لمحمد حسن عقيل - دار الأندلس جدة .

٢٩٢- **زهد الثمانية من التابعين** . لعلقمة بن مرثد - رواية ابن أبي حاتم - تحقيق : الفريوائي - مكتبة الدار .

٢٩٣- **البدر الطالع** . للشوكاني .

٢٩٤- **السلطان المجاهد محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية**. زياد أبو غنيمة- دار الفرقان .

٢٩٥- **النّوادر السُّلطانية والمحاسن اليوسفية** .للقاضي بهاء الدِّين بن شداد .

٢٩٦- **مقدمة ابن خلدون** .

٢٩٧- **سيرة عبد الملك بن عبد العزيز**. لابن رجب الحنبلي- دار ابن حزم.

٢٩٨- **محمد القاسم الثقفي فاتح السند**. للواء الركن محمود شيت خطاب- دار قتيبة .
٢٩٩- **مصطفى كامل** . لفتحي رضوان - سلسلة « اقرأ » .
٣٠٠- «**مالك** » . لمحمد أبي زهرة - طبع دار الفكر العربي .
٣٠١- **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** . لابن فرحون المالكي - دار التراث .
٣٠٢- **طبقات الشافعيَّة** . لابن هداية الله .

[و - الرَّقائـق]

٣٠٣- **الفوائد لابن القيم** . مكتبة الجامعة .
٣٠٤- **مفتاح دار السعادة** . ابن القيم - دار الكتب العلمية .
٣٠٥- **مدارج السالكين** . ابن القيم - تحقيق: محمد حامد الفقي - طبعة أنصار السنة .
٣٠٦- **إغاثة اللهفان** . لابن القيم - تحقيق : محمد حامد الفقي - دار العدل بالإسكندرية .
٣٠٧- **الوابل الصيِّب** . لابن قيم الجوزية - طبع السلفية .
٣٠٨- **طريق الهجرتين** . ابن القيم - طبع السلفية .
٣٠٩- **زاد المعاد** . لابن القيم .
٣١٠- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** . ابن القيم - مطبعة المدني .
٣١١- **اللطف في الوعظ . لابن الجوزي** .
٣١٢- **مقامات ابن الجوزي** .
٣١٣- **المدهش** . لابن الجوزي .
٣١٤- **لطائف المعارف** . ابن رجب الحنبلي - طبع مؤسسة الريان ، ودار ابن حزم ، ودار الفتح .

٣١٥- **الرقائق** . لمحمد أحمد الرَّاشد - مؤسسة الرسالة .
٣١٦- **إلى أي شيءٍ ندعو الناس** .حسن البنا .
٣١٧- **الزهد والرقائق** . ابن المبارك .
٣١٨- **الزهد الكبير** . للبيهقي .
٣١٩- **صفحات من صَبْر العلماء على شدائد العلم والتحصيل** . لأبي غدة - نشر مكتب المطبوعات الإسلامية . بحلب .
٣٢٠- **المنطلق** . لمحمد أحمد الراشد - مؤسسة الرسالة .
٣٢١- **العوائق** . لمحمد أحمد الراشد - مؤسسة الرسالة .
٣٢٢- **الوقت عَمَار أو دَمَار**. جاسم محمد بدر المطوع- دار الدعوة بالكويت، دار الوفاء .
٣٢٣- **الزّهْد** . لابن حنبل .
٣٢٤- **الزّهْـد** . لهنَّاد بن السَّري - تحقيق : عبد الرحمن الفريوائي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .
٣٢٥- **جامع بيان العلم وفضله** . لابن عبد البر - تحقيق : الشيخ حسن أبي الأشْبال - دار ابن الجوزي .
٣٢٦- **فضل العلم** . للشيخ محمد سعيد رسلان .
٣٢٧- **صَيْد الخاطر** . ابن الجوزي .
٣٢٨- **الآداب الشرعية** . لابن مفلح .
٣٢٩- **بستان العارفين** . للنووي - الطبعة الثالثة بدمشق .
٣٣٠- **الإفادة من مفتاح دار السعادة**. لسليم الهلالي- طبع مكتبة الصحابة بجدة.
٣٣١- **التعالم** . لبكر بن عبد الله أبو زيد - مكتبة التربية الإسلامية .
٣٣٢- **زجر السفهاء عن تتبُّع رُخص الفقهاء** . لجاسم الدوسري .
٣٣٣- **التبصرة** . لابن الجوزي .
٣٣٤- **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق**. ابن النحاس- طبع: دار البشائر.

٣٣٥- **مواقف بطولية من صُنع الإسلام** . لزياد أبو غنيمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٣٦- **تخريج الوصايا من خبايا الزوايا**. صدِّيق حسن خان. تحقيق: عبد الله الليثي - مؤسسة الكتب الثقافية .
٣٣٧- **المروءة وخوارمها** . مشهور حسن سلمان - دار ابن عفان .
٣٣٨- **تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإسلام** . محمد إبراهيم شقرة .
٣٣٩- **أيعيد التاريخ نفسه** . لمحمد العبدة .
٣٤٠- **كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء** . لمحمد فهمي عبد اللطيف - دار الاعتصام .
٣٤١- **بين العقيدة والقيادة** . للواء محمود شيت خطَّاب - طبع دار الفكر .
٣٤٢- **مذكرات الدعوة والداعية** . للشيخ حسن البنا .
٣٤٣- **في موكب الدَّعوة** . للشيخ محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة .
٣٤٤- **من فقْه الدعاء** . مصطفى العدوي - دار السُّنة .
٣٤٥- **البدَع والنهي عنها**. لابن وضَّاح- طبع دار الصفا، وطبع ابن تيمية، تحقيق : عمرو عبد المنعم .
٣٤٦- **جلاء الأفهام** . لابن القيم .
٣٤٧- **أصول الدعوة** . لعبد الكريم زيدان .
٣٤٨- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** . لابن القيم - المدني .
٣٤٩- **الحرص على هداية الناس** . للدكتور فضل إلهي - نشر : إدارة ترجمان الإسلام ، بباكستان .
٣٥٠- **دلائل النبوة** . لأبي نعيم الأصبهاني .
٣٥١- **الدعوة إلى الإسلام** . لتوماس أرنولد .
٣٥٢- **حضارة الغرب** . لغوستاف لوبون .
٣٥٣- **ربَّانية لا رهبانية** . لأبي الحسن الندوي .

٣٥٤- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيَّة** . ابن تيمية .
٣٥٥- **الفتح الرباني** . للجيلاني .
٣٥٦- **إحياء علوم الدين** . لأبي حامد الغزالي .
٣٥٧- **عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين** . ابن قيم الجوزية .
٣٥٨- **هذا الدين** .سيد قطب - دار الشروق .
٣٥٩- **تلبيس إبليس** . لابن الجوزي .
٣٦٠- **معالم في الطريق** . لسيد قطب - دار الشروق .
٣٦١- **لماذا أعدموني** . سيد قطب .
٣٦٢- **الدعوة إلى الله بين التجمُّع الحزبي والتعاوُن الشرعي**. علي حسن عبد الحميد - دار الصحابة .
٣٦٣- **العبودية** . لابن تيمية - المكتبة السلفية .
٣٦٤- **إيقاظ هِمَم أولي الأبصار للاقتداء بسيِّد المهاجرين والأنصار**. للفلَّاني -مكتبة ابن تيمية .
٣٦٥- **القُصَّاص** . لابن الجوزي - تحقيق : محمد لطفي الصبّاغ - المكتب الإسلامي .
٣٦٦- **إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة** . للكنوي - تحقيق أبي غدة - نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
٣٦٧- **أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين**. فضل إلهي- إدارة ترجمان الإسلام بباكستان .
٣٦٨- **مكارم الأخلاق** . للخرائطي .
٣٦٩- **الزهاد الأوائل** . لمصطفى حلمي - دار الدعوة .
٣٧٠- **تنبيه المغْتَرِّين** . للشعراني .
٣٧١- **مختصر قيام الليل** . للمقريزي - باكستان .
٣٧٢- **التخويف من النار** . ابن رجب الحنبلي - مكتبة الإيمان .

٣٧٣- **الثبات عند الممات** . لابن الجوزي - دار الأندلس . بجدة .
٣٧٤- **عودة الحجاب** . محمد أحمد إسماعيل - دار الصفوة .
٣٧٥- **قضاء الحوائج** . لابن أبي الدنيا .
٣٧٦- **الدّرّ المنضود في ذم البخل ومدح الجود** . لعبد الرؤوف المناوي - دار الصحابة بطنطا .
٣٧٧- **لباب الآداب** . الأمير أسامة بن منقذ - مكتبة السنة .
٣٧٨- **مكارم الأخلاق** . لابن أبي الدنيا - مكتبة ابن تيمية .
٣٧٩- **الإخوان** . لابن أبي الدنيا - تحقيق : د / نجم عبد الرحمن خلف - دار الاعتصام .
٣٨٠- **ذم الغيبة والنميمة** . لابن أبي الدنيا- تحقيق: د/نجم عبد الرحمن خلف- دار الاعتصام .
٣٨١- **مجموعة الأخلاق والحكم** . لابن أبي الدنيا .
٣٨٢- **الورع** . لابن أبي الدنيا - تحقيق : محمد بن حمد الحمود - الدار السلفية بالكويت .
٣٨٣- **التوكل على الله عز وجل** . لابن أبي الدنيا - تحقيق : الدوسري - الكويت .
٣٨٤- **الرضا عن الله** . ابن أبي الدنيا - تحقيق : مجدي السيد إبراهيم - مكتبة القرآن .
٣٨٥- **محاسبة النفس**. لابن أبي الدنيا- تحقيق: مجدي السيد إبراهيم- مكتبة القرآن .
٣٨٦- **مروج الذهب** . للمسعودي .
٣٨٧- **التبيان في آداب حملة القرآن** . للنووي .
٣٨٨- **الأذكار للنووي** . تحقيق : شعيب الأرناؤوط .
٣٨٩- **شرح الشاطبية** . لابن الجزري .

٣٩٠- **التعرف لمذهب أهل التصوف** . للكلاباذي - مطبعة السعادة .
٣٩١- **النهاية في الفتن والملاحم** . ابن كثير .
٣٩٢- **مواعظ ومواقف للعلماء الصالحين أمام الحكام والسلاطين**. أحمد رضوان أبو الخير .
٣٩٣- **سراج الملوك** . للطرطوشي .
٣٩٤- **مختصر منهاج القاصدين** .
٣٩٥- **جولة في رياض العلماء** . الشيخ عمر سليمان الأشقر - دار النفائس .
٣٩٦- **المسْتطرف من كل فنٍّ مستظرف** .
٣٩٧- **أقباس روحانية** . لشيت خطاب .
٣٩٨- **تربية الأولاد في الإسلام** . لعبد الله ناصح علوان .
٣٩٩- **من أخلاق العلماء** . للشيخ محمد سليمان .
٤٠٠- **قيمة الزمن عند العلماء** . لعبد الفتاح أبي غدة .
٤٠١- **الحث على طلب العلم** . لأبي الهلال العسكري .
٤٠٢- **ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان**. تحقيق: د/عبد الإله الأحمدي- دار طيبة .
٤٠٣- **روضة الزاهدين** . لعبد الملك الكليب - مكتبة ابن تيمية .
٤٠٤- **لا تحزن** . عائض القرني - مكتبة ابن تيمية .
٤٠٥- **من أخلاق السلف** . دار طيبة .
٤٠٦- **الهم والحزن** . لابن أبي الدنيا .
٤٠٧- **حسن الظن بالله** . لابن أبي الدنيا .
٤٠٨- **الورع** . لأحمد بن حنبل .
٤٠٩- **تهذيب مدارج السالكين** . لعبد المنعم صالح العلي - مكتبة لينة .
٤١٠- **إيثار الحق على الخلق**. للسيد مرتضى اليماني- مطبعة الآداب والمؤيد.
٤١١- **وسائل الثبات على دين الله** . المنجد - دار الوطن .

٤١٢- **علو الهمة** . للشيخ محمد أحمد إسماعيل .
٤١٣- **رهبان الليل** . د / سيد حسين العفاني - مكتبة العلم بجدة ، مكتبة ابن تيمية .
٤١٤- **موارد الظمآن في محبة الرحمن** . د / سيد حسين العفاني - مكتبة الصحابة بجدة .
٤١٥- **الجزاء من جنس العمل**. د/سيد حسين العفاني- مكتبة ابن تيمية.
٤١٦- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. ابن قيم الجوزية- دار الكتاب العربي.
٤١٧- **ذم الهوى**. ابن الجوزي- تحقيق: مصطفى عبد الواحد- دار الكتب الإسلامية .
٤١٨- **بهجة المجالس وأنس المجالس** . ابن عبد البر - مكتبة ابن تيمية .
٤١٩- **حصائد الألسن** . حسين العوايشة - دار ابن عفان .
٤٢٠- **وقفات مع الأبرار** . د / محمد لطفي الصباغ - المكتب الإسلامي .
٤٢١- **أقوال مأثورة وكلمات جميلة** . د / محمد لطفي الصباغ - المكتب الإسلامي .
٤٢٢- **الخشوع في الصلاة** . ابن رجب - تحقيق : علي حسن عبد الحميد - دار عمار .
٤٢٣- **التواضع والخمول** . ابن أبي الدنيا - طبع دار الاعتصام .
٤٢٤- **التواضع وأثره في حياة الأمة** . سيف النصر علي عيسى - مكتبة الحرمين .
٤٢٥- **من أخلاق الداعية** . سلمان بن فهد العودة .
٤٢٦- **الشكر**. لابن أبي الدنيا- تخريج عبد القادر الأرناؤوط- دار ابن كثير.
٤٢٧- **التحبير في التذكير** . القشيري - دار الكاتب العربي .
٤٢٨- **الرِّسالة القشيرية** . القشيري .
٤٢٩- **اللمع** . للطوسي - دار الكتب الحديثة .

٤٣٠- **له الأسماء الحسنى** . للدكتور أحمد الشرباصي - طبع دار الجيل .
٤٣١- **نشْأة التصوف الإسلامي**. للدكتور إبراهيم بسيوني- طبع دار المعارف.
٤٣٢- **الحياء خلق الإسلام** . الشيخ محمد أحمد إسماعيل .
٤٣٣- **الخشوع وأثره في بناء الأمة** . سليم الهلالي - دار ابن الجوزي .
٤٣٤- **اقتضاء العلم العمل**. للخطيب البغدادي - تخريج الألباني - المكتب الإسلامي .
٤٣٥- **عوارف المعارف** . للسهروردي .
٤٣٦- **بر الوالدين** . للطرطوشي .
٤٣٧- **المرأة وحقوقها في الإسلام** . للشيخ مبشر الطرازي .
٤٣٨- **تذكرة السامع والمتكلم** . لابن جماعة الكناني .
٤٣٩- **والموعد الله** . خالد محمد خالد - مكتبة الزهراء .
٤٤٠- **صفحات مشرقة من حياة السابقين** . نذير محمد مكتبي .
٤٤١- **استنشاق نسيم الأنس** . ابن رجب الحنبلي - المكتب الإسلامي .
٤٤٢- **عقلاء المجانين** . للحسن بن حبيب النيسابوري - دار البصائر .
٤٤٣- **الطريق إلى الله أو كتاب الصدق** . لأبي سعيد الخرَّاز - تحقيق : د / عبد الحليم محمود - دار الإنسان .
٤٤٤- **أدب الدنيا والدين** . الماوردي .
٤٤٥- **روضة العقلاء** . لابن حبان - مكتبة أنصار السنة .
٤٤٦- **آداب الصحبة** . لأبي عبد الرحمن السلمي .
٤٤٧- **عين الأدب والسياسة** . لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل .
٤٤٨- **بغية المسترشدين** . للمحاسبي .
٤٤٩- **الظرف والظرفاء** . للوشاء .
٤٥٠- **الأمر بالاتباع** . للسيوطي - مشهور حسن سلمان .
٤٥١- **الصَّمْت وحفظ اللسان** . ابن أبي الدنيا - تحقيق : محمد أحمد عاشور - دار الاعتصام .

٤٥٢- **الاستقامة** . ابن تيمية - تحقيق : محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة .
٤٥٣- **أشراط الساعة** . دكتور يوسف الوابل .
٤٥٤- **كتاب التوابين** . لابن قدامة .
٤٥٥- **طريق الدعوة في ظلال القرآن** . أحمد فايز .
٤٥٦- **أزمة روحية** . لعصام العطار .
٤٥٧- **شأن الدعاء** . للخطابي - تحقيق : أحمد يوسف الدقاق - دار المأمون للتراث .
٤٥٨- **مجابو الدعوة** . لابن أبي الدنيا- تحقيق: مجدي السيد- مكتبة القرآن.
٤٥٩- **إحياء فقه الدعوة** . محمد أحمد الراشد .
٤٦٠- **صناعة الحياة** . محمد أحمد الراشد - دار المنطلق بدبي .
٤٦١- **معالم في السلوك وتزكية النفوس**. عبد العزيز عبد اللطيف- دار الوطن.
٤٦٢- **تعليم المتعلم في طريق التعلُّم** . للإمام برهان الدين الزرنوجي . تحقيق : صلاح الخيمي - دار ابن كثير .
٤٦٣- **كتاب «العظمة»**. لأبي الشيخ الأصبهاني - تحقيق: رضا الله بن محمد المباركفوري - دار العاصمة .
٤٦٤- **الهمة طريق إلى القمة** . لمحمد حسن عقيل - دار الأندلس . جدة .
٤٦٥- **كتاب العقل وفضله**. لابن أبي الدنيا- تحقيق: لطفي الصغير- دار الراية.
٤٦٦- **أنباء نجباء الأبناء**. محمد بن مظفر- تحقيق: إبراهيم يونس- دار الصحوة.
٤٦٧- **أيها الولد المحب** . للغزالي .
٤٦٨- **السنن الإلهية** . لعبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة .
٤٦٩- **حقيقة الانتصار** .للدكتور ناصر سليمان العمر - دار الصفوة .
٤٧٠- **فضيحة اسمها سعيدة سلطان** . محمد الغيطي .
٤٧١- **زمن فيفي عبده** . عماد ناصف .
٤٧٢- **الإيدز والفنانات** . لمحمد الغيطي . ثري إم ، للصحافة والنشر .

٤٧٣- **من وصايا السلف** . لسليم الهلالي - دار ابن الجوزي .
٤٧٤- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** . للراغب الأصفهاني - طبع دار الوفاء .
٤٧٥- **الفتور** . لجاسم بن مهلهل - دار الدعوة . الكويت .
٤٧٦- **الفتور** . للدكتور ناصر سليمان العمر - دار الوطن .
٤٧٧- **عرايا إسرائيل فوق أرصفة العرب** . لعصام كامل - مصرية للنشر والإعلان .

[ز - اللغة والشعر]

٤٧٨- **لسان العرب** . لابن منظور .
٤٧٩- **الأسرار والرموز (ديوان شعر)**.محمد إقبال- تقديم: عبد الوهاب عزام- دار الأنصار .
٤٨٠- **المحاسن والأضداد** . للجاحظ .
٤٨١- **البيان والتبيين** . للجاحظ .
٤٨٢- **مختار الصحاح** . للجوهري .
٤٨٣- **مجمع الأمثال** . للميداني .
٤٨٤- **تهذيب الأسماء واللغات** .للنووي .
٤٨٥- **معجم الأدباء** . ياقوت الحموي .
٤٨٦- **تاج العروس** . للمرتضى الزبيدي .
٤٨٧- **العقد الفريد** . لابن عبد ربه - لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٤٨٨- **(ديوان) «إني المشنوق أعلاه»**. أحمد مطر- الطبعة الأولى بلندن.
٤٨٩- **سيرة الأبطال (شعر)**. عائض القرني- دار جرش للنشر والتوزيع.
٤٩٠- **وَحْيُ القلم** . مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي .
٤٩١- **إعجاز القرآن** . للرافعي - دار الكتاب العربي .
٤٩٢- **ديوان حسان بن ثابت** . (شعر) . طبعة دار صادر .

٤٩٣- **متن النونية والميمية** . (شعر) - ابن القيم - مكتبة ابن تيمية .
٤٩٤- **مع الله** . (ديوان شعر) - عمر بهاء الدين الأميري .
٤٩٥- **إشراق** . (ديوان شعر) - عمر بهاء الدين الأميري .
٤٩٦- **نفحات ولفحات** . (ديوان شعر) - للقرضاوي - دار الوفاء .
٤٩٧- **في رحاب الأقصى**. (ديوان شعر)- يوسف العظم- المكتب الإسلامي.
٤٩٨- **ديوان البوسنة والهرسك**. (شعر) مختارات من شعر الرابطة .
٤٩٩- **من الشعر الإسلامي الحديث** . (شعر) - دار البشير .
٥٠٠- «**إنها الصَّحْوة .. إنها الصَّحْوة**». (ديوان شعر) - محمود مفلح - دار الوفاء .
٥٠١- **الشوقيات** . «ديوان شوقي» - دار نهضة مصر .
٥٠٢- «**من القدس إلى سرايیفو**». (ديوان شعر)- عبد الرحمن العشماوي- دار الصحوة .
٥٠٣- **ديوان المثاني** . لعبد الرحمن عزام (شعر) .
٥٠٤- «**رسالة المشرق**» . لإقبال - تقديم عبد الرحمن عزام .
٥٠٥- **ديوان الشافعي** . (شعر) - تحقيق : د / محمد عبد المنعم خفاجة - نشر مكتبة الكليات الأزهرية .
٥٠٦- **الأمالي والنَّوادر** . لأبي عليّ القالي .
٥٠٧- « **عصر الشهداء** » . (ديوان شعر) - نجيب الكيلاني - مؤسسة الرسالة .
٥٠٨- «**لحن الخلود**» . (ديوان شعر) - عائض القرني - طبع هجر .
٥٠٩- « **رسالة إلى سيف الله المسلول** » . (ديوان شعر) - محمود خليل - دار الصحوة .
٥١٠- **ديوان المتنبي** . (شعر) - دار صادر .
٥١١- «**يا أمة الإسلام**». (ديوان شعر)- عبد الرحمن العشماوي- مكتبة العبيكان.

٥١٢- **«ملحمة القسطنطينية»** . (ديوان شعر)- د/عدنان النحوي- دار النحوي.

٥١٣- **«ديوان الحماسة»** . لأبي تمام - طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة .

٥١٤- **«شموخ في زمن الانكسار»**. (ديوان شعر)- عبد الرحمن العشماوي. مكتبة الأديب .

٥١٥- **لباب الآداب** . الأمير أسامة بن منقذ - مكتبة السنة .

٥١٦- **«أغاني الحياة»** . (ديوان شعر) أبو القاسم الشابي .

٥١٧- **«نداء الحق»**. (ديوان شعر)- أحمد محمد الصديق- دار الضياء بالأردن.

٥١٨- **«صفحات ونفحات»** . (ديوان شعر) - عمر بهاء الدين الأميري .

٥١٩- **عيون الأخبار** . لابن قتيبة الدينوري .

٥٢٠- **رسائل الجاحظ** .

٥٢١- **«صور من بلادي»**. (ديوان شعر)- للدكتور وليد قصاب- مؤسسة الرسالة .

٥٢٢- **ديوان حافظ إبراهيم** .

٥٢٣- **«الفتية الأبابيل»**. (ديوان شعر)- ليوسف العظم- دار الفرقان بعمان.

٥٢٤- **«نقوش على واجهة القرن الخامس عشر»**. (ديوان شعر) - لعبد الرحمن العشماوي .

٥٢٥- **محمد عواد الشاعر الشهيد**. لجابر رزق- دار الوفاء- مكتبة العبيكان.

٥٢٦- **«المسلمون قادمون»** . (ديوان شعر) للقرضاوي - دار الوفاء .

٥٢٧- **ديوان حاتم الطائي - دار صادر بيروت** .

[ح - مجلات وجرائد]

٥٢٨- **جريدة الشعب** .

٥٢٩- **مجلة الأسرة** العدد (٢٣) .

٥٣٠- **مجلة الأمة** العدد (٥٥) .

٥٣١- **مجلة البيان** العدد (١٦، ١٧، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ٩٧) .
٥٣٢- **مجلة الأصالة** العدد (الثالث) .
٥٣٣- **مجلة الأدب الإسلامي** العدد (الثامن) .
٥٣٤- **مجلة الأدب الإسلامي** العدد (الأول) .
٥٣٥- **مجلة التربية الإسلامية** (السنة السادسة) .
٥٣٦- **مجلة المسلمون** - لندن . عدد رجب ١٤٠٢ هـ .
٥٣٧- **مجلة الهدي الخليجية** عدد ذي الحجة ١٤٠٥ هـ .
٥٣٨- **مجلة الإصلاح الخليجية** .
٥٣٩- **مجلة البحوث الإسلامية** .
٥٤٠- **مجلة الوعي الإسلامي** ، عدد (٣٥٨)
٥٤١- **المجلة العربية** ، عدد (٢٢١) .
٥٤٢- **مجلة المجتمع** .

تم بحمد الله فهرس المصادر والمراجع والدوريات

* * *

☐ ثالثًا : فهرس موضوعات المجلد السابع ☐

الموضوع الصفحة